ابن سبعين



بد العارف

تحقيق وتقديم
الدكتور جورج كتوره

دار الاندلس
دار الكندي

بـد العارف

ابن سبعين

بد العارف

تحقيق وتقديم

الدكتور جورج كتّوره

.دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

دار الكندي
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

الطبعــة الاولــى
١٩٧٨

مقـدّمة

يعتبر كتاب « بد العارف » المصدر الاهم لفلسفة عبـــد الحـق ابن سبعين (٦١٤/١٢١٧ ـ ٦٦٧/١٢٦٨) • وقـد الفـــه عـــلى الارجح حوالى سنة ٦٤٣/١٢٤٥ حين انتقل من بلاد الاندلس الى المغرب نيجيب على بعض المسائل الفلسفية التي أرسلها الامبراطور فردريك الثاني الى الخليفة الحفصي الرشيد • وقد نشرت هذه المسائل سنة ١٩٤١ لاول مرة (١) • بعد ذلك اكمل ابن سبعين رحلته ميمما شطر مكة قاصدا الحج ظاهرا والهرب من الفقهاء وتضييقهم عليه لجهره بتصوفه القائل بوحـدة الوجود (٢) • وفي مكة ظل ابن سبعين مجاورا الى ان وضع حدا لحياته بالانتحار كما جاء في معظم الروايات التي أرّخت له ، كي يتمكن ـ كما تضيف الروايات ـ من الاتصال بخالقه • هذا رغم غرابة ، بل شذوذ هذا التصرف من صوفي يعلم دون شك أصول دينه وما ينهى عنه (٣) •

والكتاب الذي بين أيدينا يطبع فيما اعلم لاول مرة ، وقـد اعتمدت في تحقيقه على مخطوطتين ، توجد اولاهما في برلين تحت الرقـم ١٧٤٤ ، وتقع في ١٢٨ صفحة • في كـل صفحة بين ٢٨ و ٣٤ سطرا • حالـة هذه المخطوطة جيدة ، ومكتوبة بخط مقروء واضح • وقد أشرت اليها فـي التحقيق بالحرف ب ، واعتمدتها أساسا للتحقيق لوضوحها • وقد تـم

نسخ هذه المخطوطة سنة ٦٧٩ هجرية • واسم ناسخها محمد بن محمد العطار السبعيني •

والمخطوطة الاخرى موجودة في مكتبة جار الله باسطنبول تحت الرقم ١٢٣٧ • وتقع في ١٢٦ صفحة وفي كل صفحة ٢١ سطرا ، والمخطوطة هذه واضحة الخط كذلك وقد أشرت اليها بالحرف أ • وبمقابلة المخطوطتين يظهر لنا انهما اعتمدتا أصلا ثالثا نسختا عنه ، وهما تتشابهان الى درجة كبيرة • وقد أشار ناسخها أيضا انه اعتمد النسخة التي نسخها محمد بن محمد العطار السبعيني أصلا له • كذلك تشير النسختان انهما قوبلتا على أصل ثالث ، كان بخط « سيد المسافرين ابو الحسن الششتري » تلميذ ابن سبعين ووارث طريقته • والنسختان تتقاربان الى حد ان الاخطاء فيهما واحدة • الا ان الصفحة ١٢٤ ب ناقصة من المخطوط أ • وقد كتب على هامش هذه الاخيرة بعض الشروحات باللغة التركية •

الى جانب ذلك هناك مخطوطة ثالثة لم أتمكن من الحصول عليها وهي محفوظة في مكتبة وهبي افندي في اسطنبول تحت الرقم ٨٣٣ • وقد استطعت أثناء الدراسة الاهتداء الى مخطوط رابع الا انه غير كامل على الاطلاق • والصفحات القليلة المتوفرة منه تحوي العديد من الاخطاء وفيه بعض الفجوات • والمخطوطة هذه كانت أصلا في المكتبة البلدية في الاسكندرية • وحاليا لم يتبق منه الا تصوير محفوظ على ميكروفيلم ويوجد في مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت الرقم ٤٩٩ تصوف • وهو يحمل خطأ عنوان « المقاليد الوجودية » لابن سبعين • ولدى قراءة النص تبين لي انه نسخة من بد العارف • هذا مع العلم ان كتاب المقاليد الوجودية هو من مؤلفات ابي الحسن الششتري وليس لابن سبعين • فهل تكون هذه النسخة هي الاصل الذي أخذت عنه ، أو قوبلت به النسخ الاخرى التي أشارت الى اعتمادها على نسخة الششتري ؟

اثار كتاب بد العارف منذ انتشاره العديد من ردود الفعل السلبية ، والصعوبة الاولى فيه ؛ بل التحدي الاول يكمن في عنوانه . اذ ان لكلمة « بد » في اللغة العربية وكما استعملها ابن سبعين دون مواربـة معنى لا يتطابق والمفهوم الصوفي الذي يريد الكتاب افشاؤه. فالكلمة تعنى صنما، او وثنا كما تعني كذلك بيت الصنم (٤) . فمن غير المعقول ان يكون ابن سبعين قد عنى بكلمة بد العارف ، صنم العارف بهذا المعنى الحرفـي ، أو بهذا المعنى المجسد الذي تدل عليه الكلمة . علما انه استعمل هذه الكلمة تكرارا في كتابه هذا ، كما في رسائله كمرادف لكلمة اللـه كما في قوله : « والحق هو أصل كل شيء وبده وصورته وذاته وبعضه من جهة ما يجب له وعلى ما يجب له وكما يجب له » (بد ١٢٠ أ) . كذلك ان أيـة قراءة أخرى لهذه الكلمة مستبعدة جدا ، اذ انها واضحة منقوطة ومشكلة فـي كلتا النسختين . وقد أشار عبد الحـق البادسي صاحب كتاب « المقصد الشريف » للصعوبة التي ترتبت على استعمال ابن سبعين لهـذه الكلمة . وحمل الينا جزءا من نقاش اجراه والد البادسي مـع ابـن سبعين بالذات حول الاشكال الذي يفرضه هذا الاستعمال . وبنتيجة الحوار نعلـم ان ابن سبعين أصر على هذا الاستعمال في حين طلـب البادسي الأب اليـه حرق كتابه وعدم اظهاره ، الامر الذي لم يتم طبعا (٥) . من هـذا الجدل وبمقارنة هذه الكلمة في المواضع التي وردت فيها مـع المفردات التـي الحقها بها يظهر لنا بجلاء ان ابن سبعين استعمل الكلمة للدلالة على اللـه دون مواربة ودون اخفاء . وهي لا تعني كما نجدها في مؤلفاته أكثر من صورة أو أصل ، أو ذات أو سوى ذلك من الكلمات الاخـرى الرديفـة لكلمة الله . ومما تجدر الإشارة اليه ، ان ابن سبعين لم يكن واضحا تمام الوضوح في التعريفات التي يضعها ؛ بل ان طريقته تقوم غالبـا علـى مضاعفة المرادفات ظنا منه ان ذلك يوضح المعنى كما في تحديده للحـق في المثل اعلاه ، وكما نلمس ذلك في اسقاطه معنى العلل الاربعة على معنى

الله في أكثر من موضع • فاذا كان ذلك كذلك فما المانع اذا ان يكون الله "بدّاً" ما دام ابن سبعين لا ينيط بالكلمة معنى يدل على التجسيم• واذا كان الله صورة كل شيء ، فالبد ليس في أبعد دلالته الا مثالا أو رمزا ، أي هيئة وانموذجا • واذا انطلقنا من المفهوم الثاني لكلمة البد ، اي دلالة الكلمة على بيت الصنم لا على الصنم بالذات فلم لا نفترض انه عنى بذلك مثلا صدر المؤمن ، أو نفسه• اذ ان التصوف، وتصوف ابن سبعين خاصة، ليس سوى التجربة التي تقنعنا بالنهاية ان الطريق الى الله هو الطريق الى الذات • وان اكتشاف الذات هو اكتشاف الله الكامن فيها كما سنفهم من خلال تحليلنا فيما بعد لمعنى النفس ولطريقة الوصول الصوفي لدى ابن سبعين • أليس الانسان في نهاية المطاف خليفة الله في أرضه وصنع يديه •

أقول ذلك لاستبعد المعاني الاخرى التي أعطيت لهذه الكلمة • ولاستبعد كذلك أية قراءة اخرى لها من مثل « ما لا بد » أو « بدء » أو ما شابه ذلك • اذ اني لا أعتقد على الاطلاق ان تحريفا معينا قد حدث للكلمة • وقد حاول المستشرق لاتور تفسير كلمة بد بمعنى « النصيب » أو « الحظ » أو ما يصيب العارف أو الساعي لمعرفة الحق • واقترح لذلك تفسيرا لعنوان الكتاب هو التالي :

« تعني كلمة بد الحظ أو النصيب ، وبد العارف هو ما يجب أن يصيبه العارف ليبلغ هذه الدرجة » فالبد اذا هنا يعود لمعنى « ما لا بد » اي ما يحتاج اليه العارف من علوم وأعمال ليبلغ الدرجة العليا في التصوف (٦) •

والتفتازاني حاول بدوره شرح كلمة بد فجعلها مرادفا لكلمة معبود، او من يتوجه اليه العارف في عبادته ، بذلك اذا لا تشير الكلمة الى أبعد من صورة الحق بالمعنى الذي أوضحنا فيما سبق (٧) •

يطرح كتاب بد العارف سؤالا وحيدا • وهو كيف يمكن للمتصوف

الوصول الى الحق او الحقيقة الالهية ؟ او متى يبلغ المتصوف درجة العارف المحقق المستعد لاستقبال وفهم الكمالات الالهية ؟ وقد اتبع ابن سبعين في رده هذا التساؤل طريقة جدلية تقوم في أساسها على نقاش المذاهب السابقة على مذهبه وردها ، واثبات عدم استطاعتها ، بل وعدم قدرتها أصلا ، في الوصول الى تحقيق هذا الهدف . والمذاهب التي يجادلها بد العارف تتناول بالواقع مراتب عقلية تتدرج من الفقه الى الفلسفة فالتصوف مرورا بعلم الكلام الذي يحصر ابن سبعين نقاشه فيه مع مذهب الاشعري ، والاشاعرة عامة . الا ان هذا التدرج رغم شموليته لا يقدم عرضا تاريخيا وافيا ولا يركز أيضا على مبادىء معينة : بل غالبا ما يبقى في اطار العموميات وان يكن ابن سبعين قد وسع دائرة نقاشه لتشمل عددا كبيرا من القضايا والمواضيع التي تناولتها المذاهب المشار اليها من مثل رأيهم في العقل والنفس والله وطريق الوصول الى الله وما شابه ذلك . هذا وقد أشار ماسينيون لهذا النقد وأولاه قيمة كبرى فهو يرى فيه « نقدا نفسيا » يظهر لاول مرة في تاريخ الثقافة الاسلامية ويتميز بالذهن الثاقب القادر على اختيار مراجعه وتحديد عناوينها بدقة . كما يتميز بنبرة متعالية وعدوانية الى حد ما ترجع الى عدم تأقلم ابن سبعين مع الوسط الثقافي لعصره كما ترجع الى الحس النقدي الذي امتاز به ابن سبعين (٨) .

ولقد نشر ماسينيون الى جانب ذلك قسما من هذا النقد ، ولاول مرة ، في كتابه « نصوص غير منشورة عن التصوف الاسلامي » مركزا حول آراء ابن سبعين في بعض الفلاسفة المسلمين . أيا كان نقد ماسينيون لابن سبعين ومدى اعجابه به ، فاننا لا نرى بالفعل اثر هذا النقد الفعال ، ولا القيمة التاريخية الفريدة التي اسبغها ماسينيون عليه . مع العلم ان النقد للفلسفة كان قد انتشر ، يكفينا لذلك أمثلة الغزالي في منقذه من الضلال او في التهافت وفي ردود ابن رشد عليه .

مع ذلك يؤلف كتاب بد العارف كتابا فريدا في مجاله • حاول ابن سبعين فيه أن يدخل التصوف من باب الفلسفة ، مستعملا لذلك عرض تاريخ الفكر الاسلامي كطريق يخلص منه لتبيان ان حقيقة هذه العلوم ، الفقه ــ الكلام والفلسفة ليست الا خطوة في طريق التحقيق • فعلوم المحقق اي الصوفي الذي بلغ درجة الكمال ، خلاصة العلوم الاخرى وهي العلوم التي يجب ان تتبع وان يقتدى بها اذا أراد المتصوف خلاصا معينا ، من هذه الزاوية يمكننا اعتبار نقد ابن سبعين لهؤلاء نقدا يؤدي حتما لاعتبار علومهم أقل قيمة ، وأقل أثرا في اكتمال شخصية المتصوف وفي تطوير علومه • انما ما يمكن لنا ان نعيبه على ابن سبعين في نقده ، هو اعتماده فقط بعض المقتطفات ، أو على الاصح لحظات من فكر هؤلاء وهي اللمحات التي أوجزها من مفاهيمهم لدى تعرضه لمفاهيم يريد هو ان يشرحها وان يقرها • فتجاهل بذلك طبعا طريقة تقديم هؤلاء المفكرين لنظرياتهم والاسباب التي دعتهم لذلك ، هذا رغم اشارات ابن سبعين أحيانا الى مصادر علومهم وكتبهم •

هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى كتاب بد العارف ليس نقدا وحسب بل يهدف أولا الى اثبات فكرة ، والنقد جزء من هذا الاثبات ، أو الوجه الآخر لهذا الاثبات • والفكرة فيه واضحة وان عالجها ابن سبعين بتقطع • وهي تدور حول معنى الوصول الصوفي وكيفية ذلك • اي شرح حقيقة التصوف باعتباره علاقة تقطع معها العلائق والوسائط بين العبد وخالقه ، كما تقطع المسافة بينهما فلا يكون هناك ما يفصلهما • وبذلك يصبح النقد المشار اليه آنفا نقدا لفكرة غير مطروحة أصلا في فكر هؤلاء • فكيف يتصرف الصوفي البالغ درجة التحقيق كي يصل الى ربه ؟

يعرض بد العارف لذلك جوابا من شقين • يتناول في شقه الاول تمهيدا لنظرية المعرفة ، أو بالاصح وصفا لكيفية الوصول الى العلم

الالهي عن طريق عرضه لاداة هذه المعرفة ، اي للمنطق وما يوصل اليه من نتائج • فالمحاولة تكمن هنا في درس امكانية علم المنطق في التوصل للحقيقة الالهية ، فهي اذا دراسة نقدية لاصول هذا العلم لا دراسة تحليلية تقوم على عرض أسس علم المنطق وقضاياه المتعددة • وفي الشق الثاني يتناول ابن سبعين مفاهيم متعددة مركزا على مفهومي العقل والنفس باعتبارهما أداة المعرفة ، ولهما الدور الاول في عملية تقريب من الرب أو لنقل سلفا ربط العبد بالرب ، باعتبار نوع التصوف القائم على وحدة الوجود ، وهو ما آمن به ودافع عنه ابن سبعين • بذلك لا يخرج كتاب بد العارف من حيث المظهر عن اي كتاب آخر في التصوف ، اذ يعرض أولا كمعظم المفكرين المسلمين للعلوم التي يجب ان تحصل وعلى رأسها علوم المنطق (٩) ، وقد استند ابن سبعين في ذلك على كتابات اخوان الصفا الى أبعد حد • وعرض لنفس المفاهيم التي ترددت في كتاباتهم ، الا ان خلاف ابن سبعين معهم ، ومع سواهم من الفلاسفة المسلمين ، انما يكمن في النتائج التي توصل اليها في عرضه لمجمل المنطق ، فحيث يرى سائر الفلاسفة ، الارسطيون خاصة ، في المنطق طريقة تساعد الحواس في التعرف على العالم ، وفي ارساء نظرية للمعرفة لا يرى ابن سبعين الصوفي في ذلك الا فائدة عابرة ، ليست بذات قيمة ، اذ ان المعرفة بالنسبة له ليست سوى معرفة الله • وهذه المعرفة لا تخضع في دلالتها ولا في طريقها الا لاعتبار واحد ، وهو اعتبار التجربة الداخلية المبنية على الانفعال والاحساس الداخلي ، ولهذا الاحساس معايير وأسس اين منها معايير المنطق وطرق براهينه •

للتدليل على ما نقول نختار بعض ما عالج ابن سبعين من مفاهيم • ولنقتصر على مفهوم كمفهوم الوقت ، أو المكان مثلا ، هذين المفهومين اللذين يجيب عليهما المنطقي عادة عبر مقولات كمقولتي متى وأين ؟ فاذا كانت مقولة متى تشير الى زمان وقوع الفعل عادة فهي لا تشير الا الى

وقت متقطع مؤلف من لحظات مختلفة بطريق قياس اللحظات بعضها على البعض الآخر • في حين ان الوقت بالنسبة للصوفي ، أو كما يريده ابن سبعين ليس الا علاقة متصلة ، تصل العبد بالرب ، وبالتالي ان مجرد تقسيم الوقت الى فترات أو لحظات مختلفة يعني وضع مسافة زمنية بين الخالق والمخلوق • وكذلك بالنسبة للمكان • فان مجرد التحدث بذلك يعني تقسيم الوجود وتقسيم الوجود يعني افساد وحدة الوجود ، وتقسيم ما أعطاه الله متصلا جزؤه بكله ، وبالتالي فان هذه المقولات ، وان كانت تساعدنا في ادراك بعض الموجودات فهي أبعد ما تكون عن ان تصلنا وصلا مباشرا بالذات الالهية • وبالتالي لا يمكن للمنطق أن يكون الطريق التي بواسطتها نحصل العلم الالهي (١٠) ، وعلى هذا الاساس ، انطلاقا من اعتبار وحدة الوجود المعيار الانتولوجي لفهم الوجود ، يصبح مجرد النظر الى ما في الوجود من مظاهر مختلفة ، اخلالا بهذه الوحدة ويعني بالتالي وضع فكرة اله متعال عن الخلق مفصول عنه • في حين ان ابن سبعين كابن عربي أو سواه من مؤيدي الوحدة المطلقة لا يقر أصلا ببعد الله عن مخلوقاته أو بفصله عنهم ولا يرى في الوجود الا اتصالا كاملا • وما الوجود الحسي الا مظهرا مقيدا من الوجود المطلق اي الكلي •

ومما تجدر الاشارة اليه ان المستشرق E. Lator قد عالج منطق ابن سبعين • ، الا ان علاجه لهذا القسم من بد العارف قد اقتصر على الجانب الارسطوي الذي عرضه ابن سبعين كجزء من تقديمه لآراء الفلاسفة عامة • ولم يشر للنقد الذي وجهه ابن سبعين لهذا الفكر ، وكذلك في ترجمته لهذا الجزء من بد العارف الى الالمانية اقتصر E. Lator على هذا الجانب التقليدي وأهمل ما يمتاز به ابن سبعين من أصالة فكرية تقربه من التصوف وتبعده عن الفلسفة (١١) ، هذا التقرب الذي أدى في نهاية الامر لجعل تصوفه كما أشار ماسينيون تصوفا فلسفيا (١٢) • وهذا

أيضا ما أشار اليه أحمد زروق في كتابه قواعد التصوف باشارته الى ان ابن سبعين هو رائد التصوف المنطقي (١٣) •

في القسم الثاني من بد العارف يحاول ابن سبعين عرض مفهومي العقل والنفس باعتبارهما الاداة التي توصلنا ، أو بالاصح تصلنا بالالهي ، وبهذا الصدد ينتقد ابن سبعين مجددا مفاهيم الفقهاء والاشاعرة والفلاسفة حول هذه المفاهيم ، ويحاول ان يصور تقصيرهم في اكتناه ما هو الهي ، كما وردت في طيات مؤلفاتهم • ونقده يقوم على تقديم آرائهم اولا ثم تقديم رأيه الخاص فيما بعد كبديل لما قدم ، وجملة هذا النقد يقوم على مبدأ اساسي : عدم توافق نظريات الفلسفة مع ما يراه هو حول كيفية هذا الاتصال ، فالعقل بنظره ليس أداة معرفة وحسب ، بل انه أيضا من أصل الهي ، أو ذو نسب الهي • وعماد نظرية ابن سبعين يقوم حول دفاعه عن الحديث القائل : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له اقبل فأقبل ، وقال له ادبر فأدبر » (١٤) • ويحاول ابن سبعين بذلك ان يثبت ان امكانية اتصال العقل بما هو الهي انما تقوم اذا على هذه الصلة • اي انه مخلوق الهي ، وكونه كذلك يتصل مباشرة بأصله دونما صلة ودونما واسطة ، وبذلك يتخطى نظريات الفلاسفة التي حاولت ان تجعل ارتباط العقل بسلسلة من عقول أخرى أرقى وأعلى ، وفي نهاية سلسلتها العقل الفعال • من جهة أخرى يرفض ابن سبعين كذلك رأي الفلاسفة هذا لان الاتصال بالعقل الفعال لا يعني الاتصال بالله • فالوصول الذي تخيله الفلاسفة وانهوا اليه سلسلة المراتب التي يمكن ان يبلغها ليس الا وصولا لما هو دون الالهي ، فالمعرفة بالتالي ، كما نسبها ابن سبعين للفلاسفة ، أقل درجة من معرفة الصوفي ، ووصولهم لا يبلغ الدرجة القصوى التي يريدها محقق كابن سبعين ، جعل دأبه الاتصال بالله •

وكذلك النفس ، النفس ليست أداة معرفة بواسطتها يحصل الادراك بل ان ادراكها لذاتها يشكل المعرفة التي ينشدها المتصوف • ذلك ان

النفس بنظر ابن سبعين كالعقل مخلوق الهي ، لا جزء من فيض ؛ ولا هي وليدة نفس كلية او مزاج معين أو ما شابه ، بل ان الانسان « خليفة الله في خلقه » أودعه الله أسرار العالم لما « علم آدم الاسماء كلها » ، والدليل على ذلك قرآني دائما بنظره . فالانسان يجب لذلك ان يكون على نسبة الهية والا لما كان مهيئا وحده من بين سائر الكائنات على حمل الامانة التي عرضها الله على السماوات والارض . فالطريق التي توصل لله اذا تقوم على اكتشاف الذات ؛ او بالاصح اكتشاف السر الذي أودعه الله الانسان تصديقا للحديث الذي يرويه ابن سبعين كما رواه غيره من المتصوفين غالبا : « من عرف نفسه عرف ربه » ، بل ان ابن سبعين يضيف لذلك عبارة « بل تشبه بربه » (١٥) ، فالوصول اذا عبارة عن تجربة داخلية ولا يعتمد اصول الفلاسفة ولا مقدماتهم ، والطريق الذي أرادوه برهانيا رآه ابن سبعين اختباريا يقوم على كشف معين ، معه تنجلي الحقيقة ، وبه يشعر الصوفي ان الهه أقرب اليه من حبل الوريد . والله ليس مفصولا عن الانسان ، نصل اليه بنظرية ما بل هو فينا دائما يكفي لذلك ان نكتشفه وان نتحقق من وجوده .

هكذا صور ابن سبعين التصوف في كتابه بد العارف . يبقى لنا في هذا الصدد ملاحظة أخيرة حول مصادر ابن سبعين . اعتمد ابن سبعين على مصادر ثلاثة حاول دائما الرجوع اليها ، وهي : رسائل اخوان الصفاء ، كتاب الخير المحض لبرقلس ، وكتاب الحدائق لابن السيد البطليوسي ، بل اننا نستطيع ان نجد في الكثير من التفاصيل التي سردها نقلا حرفيا في بعض الاحيان عن هذه المصادر التي ذكرنا ، حتى ليصعب علينا أحيانا التمييز بين ما يعتبره ابن سبعين رأيه وما يسرده على انه رأي لسواه ، ذلك انه رغم نقده للعديد من الفلاسفة لم يشر اطلاقا الى مرجعه في الفكرة أو الافكار التي يعرض ، مما يحدونا الى القول ان ابن سبعين ظل مؤلفا انتقائيا ، تعددت مصادره وحاول الاستفادة منها كلها

فأساء بذلك الى الاصالة التي حاول ان يثبتها بمحاولة رفعه التصوف الى مستوى الفلسفة ، أو بناء التصوف على أسس الفلسفة •

هذا يقودنا للكلام على أسلوب ابن سبعين • فاذا كانت صفة الانتقاء مما يميز فكره ، فهي بذلك أيضا اثرت في أسلوبه وجعلته يزيد غموضا على غموض ، ان في سرعة الاستطراد ، أو في عدم صحة الانتقاء وانطباقه الكامل على ما يريد • مما دعاه غالبا للتعبير بطريقة الرمز أو اختيار الغموض ورده الى اشكال محددة ، غالبا دوائر كمجال للتعبير عما يريد ، وربما كانت الصعوبة كذلك كامنة في كتابة الكتاب على عجل كما يظهر من تعداد الاعتذارات التي يقدمها ابن سبعين لعدم تطويله ، ولبتره أفكارا كان يريد افشاءها • هذه الرموز والاعتذارات لا نجد لها غالبا ما يبررها سوى ادعاء ابن سبعين الاطلاع على معان مودعة في الحروف ، كحروف أوائل السور مثلا (١٦) ، او ادعاءه ان معلومات المحقق سر يقذفه الله من وراء الافلاك ، أو ان علمه من جملة الواردات الالهية التي لا ترد الا على الاولياء المحققين والمقربين منه تعالى • والصعوبة هذه تطالعنا مع كل مرة يحاول فيها ابن سبعين تمييز آرائه عن آراء الغير ، أو تقديم فكرة على انها الرأي الذي يريد ان ينشره أو يثبته أو يطلع عليه مريده • وقد أشار عدد من معاصري ابن سبعين بالذات لمثل هذه الصعوبة ، فقال بعضهم (١٧) :

« رأيت ابن سبعين بمكة يتكلم بكلام تعقل مفرداته ولا تعقل جمله»
والصعوبة الاخرى التي تطالعنا هي استعمال ضمير المتكلم المفرد عادة ثم الانتقال من ذلك فجأة الى ضمير المتكلم الجمع •

اذا كنا الى الآن قد ألمنا بقسم من خيوط فلسفة ابن سبعين ، وطريقته في مزجما هو الهي بما هو دنيوي ليسهل عليه طبعا وصل الانسان بالله ، فلا يعني ذلك الالمام بكل فلسفته ، والمجال لا يتسع هنا كذلك

نعرضها • وما أوردناه الى الآن من أفكار ليس الا تحليلا موجــزا لبعض ما في بد العارف • أما فلسفة ابن سبعين العملية ، بالاصح الطريقة العملية التي يتدرج عليها المريدون في علوم التصوف ، أو علم السفر كما يسميه ، فلم يعرضها في بد العارف ولا غيرها الا في رسائله التـــي نشرها عبــد الرحمن بدوي • ولا نريد في هذه العجالة عرضها ، فهي لا تختلف مــن حيث الجوهر عما قدمه سائر المتصوفة • انما يهمني في هذا القسم الاخير من هذه المقدمة ان أشير الى مصادر فلسفة ابن سبعين • علنـــي بذلــك أوضح نقطة ما تزال الى الآن غامضة في تاريخ التصوف الاسلامي •

ينتمي ابن سبعين كما ذكرنا ، وبشهادة من أرخ للتصوف وللفكــر الاسلامي عامة الى المدرسة التي اعتبرت الوجود في مجمله ، ما هو الهي وما هو دنيوي ، ليس الا وحدة لا فصل فيها لعالم عن عالم آخر • بل ان سلسلة الموجودات ليست الا مراتب اعتبارية لا حقيقيــة لهـــا • اذ ان حقيقتها فقط بمن أوجدها ، ولا حقيقة لها بذاتها • وقد أشار ابن خلدون لهذه الافكار في أكثر من مجال ، سواء في المقدمة ، (راجـــع الفصــل الخاص بالتصوف) او في كتابــه شفاء السائل بتهذيب المسائــل ، كذلك أرخ لسان الدين ابن الخطيب في كتابه روضة التعريف بالحــب الشريف لهذا التصوف ، وتابع ابن سبعين وسواه في ما أوردوا من أفكار • ومـــا يهمنا في هذا المجال الا ابراز الطريق الذي وصلت منه هذه الافكار الـــى ابن سبعين (١٨) •

منذ القرن الرابع الهجري بدأت تتكون في الاندلس مدرسة صوفية ذات صبغة اشراقية واضحة ، وهي مدرسة ابن مسرة ، التي انصبغت الى جانب ذلك بطابع كلامي وفلسفي • ثم ما لبث تصوف ابن مسرة ان صار التصوف السائد في الاندلس وذلــك بفضل اعتنـــاق مشاهير التصوف لافكار ابن مسرة • فكان ان اشتهرت بعض المراكز فـــي الاندلس بهـــذا الطابع الصوفي الغارق في حلوليته، المليء بالاسرار والمسيطر رغم ذلك على

نفوس العامة وعقولها • فقاد ابن العريف وابن برجان هذا التصوف زمناً، ونقلاه الى مدينة المرية التي صارت أواسط القرن السادس الهجري قبلة المتصوفة والمركز الذي تنطلق منه أفكار المتصوفين لتصبغ بعد ذلك بأكثر من لون ، ليس أقلها اللون السياسي مع ابن قسي الذي حاول مع جماعة من مريديه ارساء حكم ، يستلهم افكار ابن العريف وابن برجان ، في غرب البرتغال • هذه المحاولة التي لم يكتب لها النجاح لم تكن الوحيدة من نوعها بل سنرى بعد ذلك أكثر من محاولة حاول فيها المتصوفة مزج التصوف بالسياسة ، ولكن عبثا • هذا وقد استفاد ابن عربي من هذا التصوف ونقله بدوره عبر تأثره بابن العريف وابن قسي ، وشرحه لبعض من مؤلفاتهما • وقد اشبع بالاسيوس شرح هذا التصوف وطريقة انتقاله درسا وتفصيلا (١٩) •

أما عن طريقة انتقال التصوف لابن سبعين فنحن لا نملك سوى الظن والتخمين وبعض الاشارات الغامضة من ابن سبعين لبعض اساتذته ، أو بعض من اعتقد انهم معه على توافق ، الا اننا رغم ذلك نستطيع ادراك ذلك من خلال دراسة الوسط الذي نشأ فيه ابن سبعين ، بالاخص في مدينة مرسية، التي ولد ونشأ فيها ابن سبعين • وقد اعتمدت في اعادة تركيب هذا الوسط كتابا ما زال الى الآن مخطوطا ، وهو كتاب « القول المنبي في ترجمة ابن عربي » للسخاوي (٢٠) والكتاب محفوظ في مكتبة برلين • وبمتابعة الحقبة التي سبقت قليلا ولادة ابن سبعين وفترة تتلمذه يتبين لنا أن وسطا جديدا كان قد ظهر ، يعتمد على تصوف ابن العريف ومدرسة المرية ويحاول ان يتخطاه •

هذا الوسط ، الذي كانت مدينة مرسية بجوامعها المتعددة مسرحا له ، انما بدأ أولا غامضا بعض الشيء ، وطريفا الى حد ما ، والاشارة الاولى ترجعنا الى صوفي اسمه ابو عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي ، والذي اعجب به ابن سبعين وقدره ايما تقدير (٢١) • والشوذي ككل

المتصوفة اسم نسبت اليه علوم جديدة في التصوف ، كما نسبت اليه التصرفات الغريبة ، وكذلك نسب اليه أخيرا تدخله بالسياسة ومحاولة تنظيم طريقة تصوفه لاسباب سياسية . والحقيقة في كل ذلك لا تعدو مجرد التخمين . جل ما نعلمه عنه انه كان يوما من الايام قاضيا ، ثم انصت الى نداء نفسه ، أو ربه ، بالزهد والتقشف فآثر ترك مهنته وخرج من بلده اشبيلية متخذا زيا غريبا ومؤثرا كذلك تصرفات غريبة . في تلمسان ، حيث عرفه تلميذه ابن المرأة والذي روى لنا بعضا من حياة معلمه ، راح الشوذي يبشر بالتصوف متخذا الغناء والانشاد ، انشاد معان صوفية دون ريب سبيلا لنشر طريقته . فالتف حوله الصبيان يقرعون له الموسيقى فيما يؤدي هو بعضا من رقصاته . الى جانب ذلك انصرف الى تعليم الحديث والتفسير ، التفسير الذوقي ولا شك ، الذي يقوم على اكتشاف ما في القرآن والحديث من مثل ومن قيم صوفية . فكان يتكلم مثلا على تفسير البسملة مدة عشرة أيام متتالية . وقد عرف عن الشوذي كذلك زهده وورعه وحسن أدائه لفرائضه الدينية رغم ما أشيع من قلة احترامه لبعض مظاهر الشرع . توفي الشوذي على الارجح مع مطلع القرن السابع الهجري تاركا في تلمسان اكثر من مريد واكثر من مزار واسطورة جعلت ملوك بني مرين حتى بعد وفاته بأكثر من قرن يعيدون ذكره ببناء جامع حمل اسمه . كما حملت احدى بوابات تلمسان أيضا اسم الشيخ الشوذي . هذه الشهرة لا تكفي وحدها حتى يكون الشوذي صاحب مدرسة في التصوف بل يجب ان يكون لمدرسته بعض الاسهام في تطوير حركة التصوف مما حمل ابن سبعين لاعتباره شيخا ؛ بل علما من اعلام الحياة الروحية . هذا رغم اننا لا نملك من مظاهر تأثيره في طريقة ابن سبعين شيئا تقريبا ، سوى شهادة تلميذ ابن سبعين الششتري واعتباره الشوذي حلقة مهمة في اسناد السبعينية .

بموت الشوذي انتقل ابن المرأة تلميذه الى مرسية (٢٢) ، تسبقه

شهرته في علوم الحديث والكلام • الا ان هذه الشهرة ما لبثت أن انهارت أمام انصياع ابن المرأة وراء رغبته في التصوف ، وأمام مقاومة الفقهاء لاسلوب ابن المرأة في طريقته هذه وتصوفه في ادعائه الكرامات • والواقع ان ابن المرأة ، المعروف أيضا بابن دهاق قد أتى التصوف من باب علم الكلام • فعكف أولا على شرح بعض مؤلفات الاشاعرة فشرح الارشاد للجويني كما ألف كتابا آخر حول اجماع العلماء • أما في مجال التصوف فقد ألف ابن المرأة شرحا لمحاسن المجالس لابن العريف كما انشأ كتابا حول اسماء الله الحسنى ، وربما استلهم في ذلك بعض المؤلفات السابقة ككتاب ابن برجان حول اسماء الله الحسنى مما يظهر بوضوح أثر مدرسة المرية التي استلهمت أفكار ابن مسرة في تصوف ابن المرأة • هذا التصوف الذي أضاف اليه ابن المرأة رؤية مغالية في اغراقها بالوحدة المطلقة ، التي لا تعرف فصلا لموجود عن موجود آخر • فالدنيوي ليس بهذا المنظار سوى مظهر لما هو الهي ، أو بلغة ابن عربي احدى تجليات الحق •

حول مذهب ابن المرأة في الوجود ليس لدينا الا وصف مقتضب نظري جدا نجده في مقدمة ابن خلدون الذي هاجمه واتهمه بأنه غاية في السقوط• (٢٣) وفيه ان ابن المرأة كان يرى ان للموجود الاول قوى كانت بها حقائق الموجودات • والكثرة في الموجودات انما اوجبها الوهم والخيال • ويتابع ابن خلدون بعد ذلك ناسبا الكلام لابن المرأة : ان الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك العقلي • فالوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك البشري • وعليه ، ذلك التعدد الذي يرى في الموجودات ليس لها وانما هو في المدارك فقط • والوجود او الموجودات بكل جزئياتها وحدة لا يرقى اليها التجزؤ • وهذه الوحدة ليست الا الحقيقة الالهية ، بثت قواها في الكون • فاذا ما وصل الصوفي مرحلة متقدمة سقط عنده وهم التطلع الى الجزئيات ، او لم يـر فيها الا

الحقيقة الالهية الواحدة ، الحقيقة الوجودية الوحيدة وما عداها ليس الا وهما •

هكذا بوضوح جمع ابن المرأة الالهي لما كان غير الهـــي مهملا القسم الثاني ناظرا في الاول كل الحقيقة • الا ان ابن المرأة ، والذي لا يشير اليه ابن سبعين في مؤلفاته ، قد ترك العديد من الطلاب ، سنشير فيما بعد الى اهمهم ، دون ان يترك وصفا لطريقته من الناحية العملية • انما اشار بعض من ارخ له انه اعتمد التدريس في الجوامع ، ومنها جامـــع مرسية ، شارحا الحديث ومفسرا القرآن تفسيرا ذوقيا دون ريب • وعدم اشارة ابن سبعين لابن المرأة لا يعني عدم اطلاعه على افكاره • بـــل اننـــا نستطيع الجزم ان افكار ابن المرأة قد لاقت صداها في مدرسة ابن سبعين وشاهدنا على ذلك اشارة احد مريدي ابن سبعين لتعاليم ابن المـــرأة •• وقـــد وردت هـــذه الاشارة في شرح العهد الذي نشره عبـــد الرحمن بدوي ضمن رسائل ابن سبعين •

وفي مرسيةايضا ظهر تلميذ ابن المرأة المعروف بأبن احلى (٢٤)• (توفي ٦٤٥/١٢٤٧) • وابن احلى هذا لم يكن متصوفا وحسب بـــل حاول الى حد ما لعب الدور الذي لعبـــه سابقا ابن قسي ؛ بمحاولته التوصل الـــى مناصب سياسية عن طريق تزعمه الحركـــة الروحية • وكابن قسي ايضا لم تصادف هذه الحركة النجاح المنشود ، ومرة ثانيـــة اخفـــق مشروع دمج الكلام بالتصوف والتصوف بالسياسة • الا ان مـــا يميز طريقة ابن احلى محاولتها اعادة بعض الافكار الباطنية التي سبق واندثرت • هذه المحاولة تبرز من خلال التنظيم الذي اتبعه ابن احلى، كاعتماد السرية وعدم التفرقة بين الاتباع المختلفين سواء كانوا من أفراد عائلته ام بعيدين عنها • وقـــد أشار نقاد طريقة ابن احلى لذلـــك واعتبر قطب الديـــن القسطلاني ان ابن احلى حاول اعادة طريقة الباطنية التي اندثرت منذ زمن الحلاج • ايا كانت

الآراء في ذلك فقد حاول ابن احلى الاستفادة ولا شك من وضع متدهور ، يتمثل في سقوط الدولة الموحدية وبـدء حروب الاسترجاع الاسبانية . ولم تكن هذه المرة الاولى التي يحاول فيها متصوف او رجل دين الاعتماد على رصيده في التوصل لاهداف سياسية . وقد اشار ابن خلدون لهـذه الظاهرة وحاول تفسيرها انطلاقا مـن مذهبه في تفسير الامور وافترض ان لرجال الدين عصبية لا تقل عن عصبية رجـال الحكم . كذلك اشار كلود كاهن لهذه الظاهرة ودرسها انما فيمـا يخص الحركات الشعبيـة وبعض مظاهر السيادة التي نشأت في العصور الوسطى في آسيا . (٢٥)

فيما يخص الدعوة النظرية لابن احلى لا نجـد كبير تميز بين طريقته وبين طريقة معلمه ابن المرأة . كاستاذه يرى ابن احلـى الموجودات عـلى انها ظلال لحقائق أخرى أجل وأعلى ، وبالتالي وجودها في عالم المحسوس ليس الا وجودا مقيدا حقيقته نسبية ولا تعقل الا في المدرك . في حين ان الوجود المطلق ، اي وجود الالهي هو الوجود الحق . الا ان ارتبـاط الالهي بالمادي كارتباط الجزء بالكل . كلاهما حقيقة انما لا تعقل منفصلة. فالموجودات شواهد ، ليس الا . وفصل هذه الموجودات عن الله ليس الا من عمل الوهم . فاذا تخلى الانسان عن وهمه بلغ درجـة الكمـال لان التمييز عند ذلك لا يكون تمييزا بل وصلا لمراحل أو مراتب اعتبارية .

في انطلاقي لبحث هذا التصوف ركزت على وجوب علاقته مـع تصوف ابن سبعين . وابن احلى كنموذج على هـذا التصوف انما يهمني لارتباطه بمدينة مرسية خاصة ولارتباطه بالحلقة التي سبقت ، اي ارتباطه بابن المرأة وبالشوذي . أما ارتباطه بابن سبعين فلا نستطيع البرهنة عليه الا فرضيا باعتبار ابن احلى عاش واشتهـر وشارك في الحياة السياسية في مرسية في نفس الوقت الذي عاش فيه ابن سبعين دارسا في مرسية . فمن الاكيد اذا ان يكون قد اطلع على افكاره وتأثر بها . وقـد أخبرنا لسان الدين ابن الخطيب ان ابن احلى مـن جملة اساتـذة ابن سبعين . كذلك

أورد ابن خلدون اسم ابن احلى الى جانب اسم ابن سبعين كممثلين للتصوف الذي يعتبر الوحدة في الوجود منطلقا وغاية •

هذا التواصل بين الشوذية والسبعينية هو ما هدفنا الى تبيانه في هذه العجالة • يبقى علينا ان نشير الى ان هذا الترابط لا نجده فقط عبر تواصل تاريخي يجمع الاشخاص وحسب بل ان معظم الدراسات النقدية أو الحملات التي شنت على هذا التصوف انما تجمع هذه المدرسة ، الشوذية ، الى السبعينية دونما تمييز • وهذا ما نلمسه في نقد قطب الدين القسطلاني مثلا • أو من خلال مطالعة فتاوى ابن تيمية التي ربطت باستمرار ابن سبعين بأركان المدرسة التي حاولنا ان نجلي بعض غموضها • كذلك أورد السخاوي قسما من هذه الفتاوى ومنها فتوى لابن حجلة ، وأخرى للشيخ العيزري • وكلها قدح وذم في طريقة ابن سبعين وأسلافه الشوذية واتباع ابن المرأة وابن احلى •



الهوامش

١ ـ نشرها يلتقايا سنة ١٩٤١ . راجع مقدمة هذه الرسائل . بد العارف ص

٢ ـ تاريخ ابن خلدون ج٦ ـ ص ٦٣٤ .

٣ ـ راجع
F. Rosenthal. On Suicide in Islam; in JOAS. (1946) 239 ff.

٤ ـ لسان العرب .

٥ ـ عبد الحق البادسي ـ المقصد الشريف . ترجمة Colin ص ٤٨ .

٦ ـ E. Lator, die Logik des Ibn Sabin. p. IX.

٧ ـ ابو الوفاء التفتازاني : ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، ص ١٠١

٨ ـ L. Massignon: Ibn Sab'in et la critique psychologique dans l'histoire de la Philosophie muslumane; in: Memorial H. Basset. 1928. p. 123 - 130.

٩ ـ راجع ابراهيم مدكور
L'Organon d'Aristote dans le monde arabe. p. 48.

١٠ ـ بد العارف ص ٩ أ ، ١٥ أ ـ ب .

١١ ـ المقدمة في E. Lator. Die Logik des Ibn Sab'in.

١٢ ـ ماسينيون ـ دائرة المعارف الاسلامية . مادة (طريقه) .

١٣ ـ قواعد التصوف ـ احمد زروق ص : ٣٥ .

١٤ ـ حديث ضعيف اجمالا ويروى بأكثر من شكل . راجع فتاوى ابن تيمية ج ١٧ ص ٣٣٢ . طبعة الرياض .

١٥ ـ بد العارف ص : ٣٢ أ

١٦ ـ بد العارف ص : قابل مثلا مع دراسة F. Meier لتصوف نجم الدين الكبرى حول استعمال الرموز والدوائر والنقط .

١٧ ـ الفاسي ـ العقد الثمين ج ٥ ص ٣٢٩ .

١٨ ـ حول تطور التصوف راجع خاصة كتاب ابن خلدون : شفاء السائل لتهذيب المسائل . وكتاب لسان الدين ابن الخطيب : روضة التعريف بالحب الشريف . الى جانب الفصل الذي عقده ابن خلدون للتصوف في مقدمته .

١٩ ـ حول ذلك راجع كتاب بالاسيوس عن ابن مسرة بالاسبانية . مقدمة بالاسيوس لنشرته لكتاب محاسن المجالس لابن العريف . وكذلك مقالة ابن مسرة في دائرة المعارف الاسلامية .

٢٠ ـ القول المنبي عن ترجمة ابن عربي . لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي . والكتاب محفوظ في مكتبة برلين تحت الرقم ٤٣٩ .

٢١ ـ حول الشوذي راجع : ابن مريم : البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان . و
Brosselard, ch. Mosquée et tombeau de sidi EL-HALAWI. in: Revue africaine 4 (1859-60).

٢٢ ـ راجع حول ابن المراة . الاحاطة في اخبار غرناطة ، للسان الدين ابن الخطيب . وابن فرحون . الديباج المذهب في معرفة اعيان وعلماء المذهب .

٢٣ ـ راجع الفصل الخاص بالتصوف في مقدمة ابن خلدون ، ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن دهاق هو نفسه ابن المراة .

٢٤ ـ حول ابن احلى : ابن الابار : الحلة السيراء . وكذلك ابن الخطيب في روضة التعريف بالحب الشريف . مع ان اشارات ابن الخطيب لابن احلى ونسبة بعض الاقوال له ليست دائما واضحة .

٢٥ ـ
Claude Cahen: Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie Musulmane du moyen âge. in: Arabica 5 (1958) 225ff.

٢٦ ـ ان قسما من هذه الفتاوى موجود على هامش كتاب ابن خلدون شفاء السائل . طبعة الطنجي . ثم ان السخاوي في كتابه تنبيه الغبي قد أورد الكثير من النقد لهذا التصوف . ولخص اقساما مفقودة من مؤلفات ابي جعفر ابن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة .

[١ أ] كتاب بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف .

تاليف الشيخ الكامل العارف المرسي شيخ الصوفية
في عصره قطب الدين عبد الحق بن سبعين رحمه الله

[١ ب] بسم الله الرحمن الرحيم • رب يسر يا كريـم اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا • قال الشيخ الامام العالم العامـل المحقـق الوارث الكامل ، قطب الدين عبد الحق بن سبعين ، حافظ نظام الملـة وكاشف حقائق الكتاب والسنة ، قطب دايرة الورثة والمحققين ، مظهر اثـار النبيين والمرسلين ، الامام المذكور والوارث المشهور سيدنا قطب الدين عبد الحق ابن ابراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين • سميت هذا الكتاب بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف (١) •

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله المحمود بالذات المعظم مـن كل الجهات المشار اليه بالصلوات والتحيات ، المعبـود بجميع الذوات ، العلويات والسلفيات ؛ الروحانيات والهيولانيات ، الواجب الوجود الذي بأنيته ظهرت الانيات ، الحي القيوم الذي بهويتـه قامت الهويات • الذي رفع الحق فأناره ومحق الباطل فأباده وكشف بأدلة الكتاب العزيز والسنة

١ ـ هذا التقديم فقط في ب •

النبوية الكريمة (١) شبهات الملحدين وبدع المحدثين وجعل النجاة في اتباع سبل المؤمنين من السلف الصالح المستقدمين وبعث رسوله (ص) المعصوم للمسترشدين نورا مبينا (٢) • وجعل سنته للعارفين به حصنا حصينا • مبدع الكليات بأمره وكلمته وقدرته ومدبر الجزئيات بحوله وقوته وكلمته الذي استجاب له المبدع الاول ، وأقبل لذاته بحقيقته وماهيته وأقره بالرجوع فعاد للواحقه بمجازه وانيته • فكان (٣) من اقباله وجوده الواجب ومن قهقرته وجوده الكاذب ، فمن حيث هو اليه هو حقيقة ومحب ومحبوب ومقرب • ومن حيث هو عنه مجاز ومبعود وبحر قهر ومخيب • وهو في حقيقته مع الحق والقدم وفي مجازه مع الممكن والعدم • وهو بالحق هوية خاصة وبالممكن هوية عامة ، وهو بالهوية الخاصة يفيض ويفاض عليه ، وبالهوية العامة يضطر ويضطر اليه • وهو بالذي (٤) يفاض عليه مبدع بالقصد الاول ، وبالذي يفيض مبدع بالقصد الثاني (٥) • وبالذي يضطر معلول بالكلمة الاولى وبالذي يضطر اليه بالكلمة الثانية • وفي الحقيقة لا ابداع ولا فيض ولا هوية ولا حقيقة ولا ذات فعالة ولا قوة علامة للمبدعات الا بالقصد الاول المعقول والنظام القديم المحمول على الذات الازلية التي لا أول لوجودها التي استنارت الموجودات بنورها وجودها • التي عالمها وعلمها ومعلومها واحد وصفاتها ليست بزائدة على ذاتها ، التي اذا نظرت الى ذاتها أحاطت بجميع المبدعات في ماهيتها وانيتها احاطة وجودية حتى انها هي راجعة عليها من أجل لواحقها التي لا تتبدل عن طبيعتها • فسبحان المشار اليه بالجلال

---

١ ــ الكريمة ، هامش ب .
٢ ــ ب ، وامينا .
٣ ــ ب ، فكأنه .
٤ ــ أ ، الذي .
٥ ــ القصد الاول والقصد الثاني .

والاكرام المراد لذاته العلية المنعوت بالرحمة المسمى بالسلام الواحد بالذات الخير المحض العزيز [٢ أ] المتكبر العلي الحكيم الرحيم الكريم الجليل العظيم القاهر القدير الفاطر الخبير السميع البصير الواهب المنعم الباعث المعلم النور المطلق الاول الذي ظهر به ، له الملك ؛ الحق الذي كل شيء هالك الا وجهه عليه تتوكل وهو حسبي ، وله نتضرع ومنه نسأل وهو ربي ، وبه نستعين ومنه نطلب وهو المطلب ، وعليه نبحث وهو من حبل الوريد الي أقرب ، واليه نبتهل بالتشبث بالادلة المفضية الى سؤال المنهاج ، وهو الولي على تيسير العسير ومهدنا الى سبل الرشاد والحجاج، الذي له الخلق والأمر وبيده القبض والبسط يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وصلى الله على النبي محمد سيد من في المستقبل والذين تقدموه ، الذي بيده لواء الحمد يوم الدين ، تحته آدم عليه السلام فمن دونه ، المعصوم الطاهر البشير المصطفى الهاشمي النذير أسوة المحقق ودليل المصدق ورسول الخالق ، النبي الصادق سيد النفوس الكلية والجزئية ، المختار من الجواهر الامرية ، حبيب الجليل وخليل جبريل الموصوف بمكارم الاخلاق ، المعظم في جميع الآفاق ، الرحيم بالارواح الموفقة الصادقة ، المتصل بخط التمثيل والنسبة الجوهرية بالذوات العلية المفارقة. صاحب الوسيلة والمقام المحمود الذي أرشد العابد المسترشد ، المبعوث بالآيات البينات ، القرشي الذي عجز الكفار بالمعجزات وعلى آله وأهله ونبيه وصحبه وسلم تسليما .

أما بعد ؛ فقد استخرت الله العظيم على افشاء الحكمة التي رمزها هرامسة (١) الدهور الاولية ، والحقائق التي رامت افادتها الهداية النبوية،

---

١ ــ حول هرمس وعلاقته بالفكر الاسلامي راجع
L. Massignon, Inventaire de la litterature Hermétique arabe; in Festugière: La Révélation d'Hermes Trismégiste, Vol. I. p. 384.

والسعد الذي يطلبه كل مسترشد مصدق ، والنور الذي يريد الاستنارة به كل مجتهد محقق ، والعلم الذي لم يبث في الزمان المتقدم ولا نبه عنه والسر الذي من أجله بعثت الرسل وبه ومنه . والمعنى الذي اذا تصوره السعيد أدرك الكمال المطلق والخير الذي اذا ظفر به الموفق فتح بذاته العسير المغلق بحول الله وقوته . والذي حملني على ذلك استدعاء من وجب في شريعة الاسلام اجابته ، وتعين على كل منصف عالم اسعافه وهدايته ، فأجبته لذلك مستعينا بالله سالكا طريق الاختصار ، متجنبا من التطويل قاصدا البيان والاستبصار ، منبها (١) المسترشد الى واجبه ومعط الطالب جميع مطالبه ومعلما السعيد علم سعادته ؛ ومبصرا العابد من عبادته ، مخرجا المنكر من رعونته وعادته ، ومغبطا السالك بقصده ومشوقه الى لازمه وبده ، والله يوفقنا للصواب بمنه ويمنه ويخلصني من الزلل بفضله وقوته لا رب سواه ولا معبود الا اياه .

(فصل) اعلم ارشدك الله وأسعدك ووفقك ، وعلمك ما يجب ويجوز ويستحيل على الذي خلقك ومهد لك في الاستقامة على السنة وحفظك (٢) ، وحفظ عليك وزينك بزينة المعرفة وخلصك ونظر اليك . ان أول ما يجب تقديمه معرفة الحد ، والالفاظ الدايرة بين الطلبة والمطالب الاصلية والمعاني المنطقية ومعرفة العلم والمعلوم والعقل والعالم والنفس [٢ ب] واصطلاح أهل علم الكلام والفقهاء والفلاسفة والصوفية والمقربين ، ومعتقد كل واحد منهم ومذهبه فيما ذكر وارتهن فيه فيما يأتي بعد بحول الله تعالى . وبعد ذلك نذكر لك ما يتعين عليك من العلم والعمل بحسب مذاهبهم ، وننبهك على اشارات المحققين ونكتب لك في آخر الرسالة اسطارا تتضمن العلم الذي سألت عنه برمز يسهل عليك وعلى

١ ـ في الاصل منبه وكذلك في الكلمات التي تلي .
٢ ـ حفظ مكررة في أ .

مثلك فكه وفهمه ، ويعسر على الجاهل الغبي تحصيله وعلمه • ولولا خوف الفوت وعدم اللقاء في المحضر وقواطع الوقت وانحفازك للسفر لشرحت لك ما يضن به (١) ويكتم عن الصديق وتكنه الصدور ولا يباح به للشقيق ، فاقبل العذر حتى يقع الاجتماع بك وتتكلم مشافهة معك • وطالع هذا الكتاب ومقدمته وما صعب عليك منها راجع به الي لنجيبك بقدر الطاقة عليه (٢) ، والله الموفق المرشد بمنه •

فاني جعلت هذا المختصر شبه المقدمة يدخل به المبتدي في معرفة علم الكلام وحقائق المعاني بألفاظ مختصرة وعبارات موجزة ويكون سببا لبلوغ ما وراءه ومدخلا لما سواه والله الموفق لفضله فنقول :

معنى الحد

الذي يجب ان نبتدىء ببيانه ذكر حقيقة الحد ، لانه لا يجوز أن نجعله سببا لمعرفة غيره ثم لا نعرفه في نفسه ، وذلك ان الحد هو العبارة عن المحدود بما يحصره ويحيط به احاطة تمنع ما ليس منه ان يدخل فيه ، وان يخرج منه ما هو منه • وقد يقال الحد قول وجيز جامع مانع • وقد يقال الحد هو الذي يميز المحدود من غيره • وقد يقال الحد شرح الاسم والمسمى • وقد يقال الحد ما خلص المطلوب من حيز الاجمال الى حيز التجلي والظهور وفصل المشترك فيه وحقق المشكوك (٣) وبين المتشابه • والحد لغوي وشرعي وعقلي • فالحد اللغوي هو الذي يشرح المحدود

---

١ ـ ب ، ما يضين به . ويظهر هنا ان هذا الكتاب قد كتب نزولا عند رغبة أحد من يحضرون حلقات ابن سبعين ، ويدل ذلك على ان الطريقة السبعينية كانت قد استقرت وصار لها أتباع يحرصون على فهمها وربما على نشرها .

٢ ـ ب ، عليك .

٣ ـ اضافة من أ .

بلغة أشهر من لغته وباسم ابين من اسمه ، والشرعي هو الذي ينسب الخبر الصادق ولما أراد به وجعل عنده من الحكم • والعقلي مأخوذ مـن حقيقة الشيء وماهيته ووجوده مثل ما نقول في حد الحمد لله اذا سئلنا من حيث اللغة فنقول : هـو الثناء والشكر للمنعم • وان سئلنا عـن حده الشرعي فنقول الحمد لله هو الذي لا تصح الصلاة الا به • وكذلك في الحـد العقلي اذا سئلنا عنه نقول هو الذي اذا نظرناه من القديم الذي تكلم بـه في أزله : قلنا هو ثناؤه على نفسه وعلمه بعظمته وجلالته ، واذا نظرناه من المحدث قلنا هو الرغبة والتضرع والافتقار والاحتياج للمنعـم والسعـي اليه به ، وتردد ذلك على الاعتقاد بالعلم والعمل ومعرفة المحمود بما يجب ويجوز ويستحيل عليه • والحـد بالجملـة يشرح المركـب ولا يتعرض للبسيط ؛ وهو قول تركيبه تركيب تقييد يشرح [٣ أ] المعنى المدلول عليه باسم ما بالاشياء التي بها قوام ذلك المعنى • والرسم قول تركيبه تركيب تقييد واشتراط يشرح المعنى المدلول عليه باسم ما بالاشياء التي ليس بها قوام ذلك المعنى بل بأحواله ، او بالاشياء التي قوامها بذلـك المعنـى • ومثال ذلك الحائط ، فانه اسم يدل على معنى قد يمكن ان يشرح بقولين: احدهما انه جسم منتصب معمول من حجارة او لبن وطين ليحمل السقف• والقول الثاني انه جسم تغلق عليه الابواب وتوتد فيه الاوتاد • وذلك ان الاشياء كلها نوعان مركبات وبسائط • فالمركبات تعرف حقائقها اذا عرفت الاشياء التي هي مركبة منها ، والبسائط تعرف حقائقها اذا عرفت الصفات التي تخصها • مثال ذلك في الاشياء المركبات ، اذا قيل لك ما هو الطين ، فيقال ماء وتراب مختلطان • وكذلك السكنجبين خل وعسل • وعلى هذا القياس ينبغي ان يكون الجواب اذا سئل عن الاشياء المركبة ، لا بـد ان تذكر تلك الاشياء التي هي مركبة منها • وأمـا الاشياء البسيطة التـي ليست مركبة من أشياء أخر فان معانيها تعلـم اذا علمت الصفات التـي تخصها وهي موصوفة بها • مثال ذلك ، اذا قيل لك مـا حقيقة الهيولي ؟

فتقول له (١) جوهر بسيط قابل للصور • والحد يؤلف من جنس وفصل كقولنا في الانسان انه حيوان ناطق • والرسم يؤلف من جنس وخاصة ، كقولنا في الانسان انه حيوان ضاحك كاتب • والرسم التام قول مؤلف من جنس الشيء واعراضه اللازمة حتى تساويه • والرسم المطلق هو قول يعرف الاشياء تعريفا غير ذاتي ولكنه خاص ؛ أو قول مميز للشيء عما سواه لا بالذات • والحد على الاطلاق هو القول الدال على ماهية الشيء وهو مؤلف من جنسه القريب وفصله المقوم لطبيعته • ومتى قلنا فيه انه كلي مركب من جنس وفصل فيكون من حيث هو معنى يدل عليه لفظ ما ، ومتى قلنا فيه انه قول تركيبه تركيب تقييد كما تقدم فيكون من حيث هو لفظ يدل على معنى • ومما ينبغي ان تفعله اذا أردت ان تحد شيئا ان تحده بالعلل القريبة ليسهل ذلك على السائل • مثال ذلك السرير اذا سئلت عنه ، فيقال لك ما مادته ؟ فتقول هو الذي مادته الخشب • فان قلت مادته الارض والماء والهواء والنار يبعد فهم ذلك على السائل • وهذا مما شك فيه جماعة من الناس وصعب عليهم الانفصال عنه وتحصيل المحدود على أتم ما يجب ولم يخلصوا فيه شيئا فانهم لم يعرفوا المبادىء الا بمقدماتهم ، ومقدماتهم غير مخلصة ، فاذا تعرض لهم ما يخرج بهم (٢) من صناعتهم او معنى يتداخل او فيه تشكيك مع غيره غلطوا ووقفوا عنده • الا تراهم في ورق الكرم قد قامت قيامتهم في علة سقوط ورقه وانتشاره ، وذلك لجهلهم بحقيقة الحد والمحدود وفساد الاصل وتشتيت الوضع • وخليق ان لا تكون الحدود مؤلفة من العلل التي بسببها كان الشيء ومن العلل التي على طريق الصورة ، ولكن يوجد منها ما ان لم تذكر العلة للشيء مع العلة التي على طريق الصورة لم يكن

---

١ ــ أ ، فيقال .

٢ ــ ب ، يخرجهم .

الحد تاما ولا بينا (١) [٣ ب] ومثال ذلك ان حد أحد الخجل من قبل صورته ، فقال فيه انه حمرة الوجه ولم يرد به ان سببه الحياء والانفعال والهيبة (٢) ، التي متى تمت بشروطها كانت الحمرة ، كان حدا ناقصا . وكذلك ان حد أحد الصرع فيقول : صياح المصروع وعدم الحس والعقل والتخبط ، لم يأت بحده على ما يجب ، فانه ترك العنصر الذي كان منه هذا (٣) ، والناس كلهم معترفون بذلك كله ، فان مما يشهده الحس ، ومختلفون في سببه وفي أي عضو هو وهل هو عن خلط او عن جن . لان من الاشياء ما يحدث لا من كون حقيقي ويعدم من غير فساد فيبقى كالنقطة وغير ذلك من الاشياء اللاحقة مثل النعوت والصور المتممة والانفعالات والالوان . الا ترى ان المكون هو الموصوف ، فانه لا يتكون البياض الا (٤) بتكون الابيض ، الذي هو الموضوع ، فمن يظن ذلك فيلزمه ان الاضداد تحدث بعضها من بعض . والحق في أمرها انه يتكون بعضها عند بعض ويتعاقب على الموضوع المتكون (٥) ، فواجب ان يكون كل متكون انما يتكون من شيء هو موضوع له ، ولا يمكن ان يكون عنصرا الا لجميع الاشياء التي لها كون وفساد ، وينفعل بعضها عند بعض ويتغير ، ولها موضوع هو بالقوة يقبل الاضداد وهما يتعاقبان عليه ، مثل الجسد فان فيه قوة قبول الصحة والمرض وتجتمع فيه الاضداد وهو واحد في نفسه . واعلم ان الشيء يتكون من الشيء على وجهين ، اما متأخر عن الشيء ، واما على ان الشيء موضوع له ، لان الشراز (٦) من اللبن والموضوع لهما واحد ، وهو الماء والطبائع لكنه

١ ـ ولا بينا ساقطة في أ .
٢ ـ والهيئة في أ .
٣ ـ منه كان هذا في أ .
٤ ـ انما يتكون في أ .
٥ ـ التكون في ب .
٦ ـ الشراز هو ببلاد المغرب ، حاشية في أ و ب ، والشراز هو رغوة الحليب عند نزوله من الحيوان . حاشية في أ .

لا يكون الشراز شرازا من الماء الا بعد كونه من اللبن • وكذلك يقال اليوم من الجمعة ، والميت من الحي ، وكذلك الاشياء التي تتغير بهذا النحو من التغير لا يرجع الآخر منها للاول الا ان ينحل الى موضوعه الاول وحينئذ يعود بصفته ، كما تقول تبن القمح لا يعود قصيلا الا حتى يرجع للطبائع وتتركب الاستقصات ، وحينئذ يكون في صورة القصيل فاعلم ذلك • وان شككت في الحد فيقال لك كيف يكون الحد حدا واحدا وهو مركب من أجزاء ، والكثرة التي تركب منها ليست واحدة وهي عدد ، فادفع الخصم بأن بعض الشيء الواحد عنصر ، وبعضه صورة ، وبعضه بالفعل ، وبعضه بالقوة ، والحد مركب من ذلك • واركب (١) له في ذلك انه يجوز ان يكون واحدا من كثيرين بالقوة لا من كثيرين بالفعل • واعلم ان الواحد يطلق على انحاء قد لخصت فيما بعد الطبيعة • ولولا خوف التطويل لبينتها • والحد يدل البعض منه على العنصر والاخر على الصورة ، مثل ما تقول في القلاع انه كتان مثلث الشكل • فالكتان المأخوذ في الحد هو عنصره ، والمثلث صورته ، وبالجملة نحتاج ان نجعل [٤ ب] للكلام في الحد كتابا حتى نبينه كما يجب لانا (٢) لم نبلغ فيه الغاية التي نريد ان نفيدها لك ، ولا ذكرنا لك فيه الذي نرضاه لنفسي والله يوفق الجميع بمنه • والكلام في الحد وماهيته لم يخلصه أحد من المتقدمين وفيه تشكيك ، يعلم ذلك من نظر فيما بعد الطبيعة • ولولا خوف التطويل لتكلمت فيه كما يجب لكننا ننبهك على بعض ذلك ونلوح كما وعدتك بحول الله ، فنقول : تحقيق

---

١ ــ كذا في النسختين ، والاصح أذكر .

٢ ــ لاني في النسختين ، هذا الغلط يتكرر ، باستمرار عند ابن سبعين ، اذ يستعمل ضمير المتكلم والجمع في نفس الوقت . وقد غيرت الضمائر هنا لتتناسب وصيغة الجمع الشائعة التي يستعملها . وكذلك فعلت في الحالات المشابهة ، دون ان اشر من الآن وصاعدا لهذا التعديل .

الحد من المسائل العويصة ، فان صور الحدود والبراهين في النفس أبدية ثابتة على حالها لا تتغير وان تغير المحسوس • ولذلك لا ينبغي ان يجهلوا انه ان رام أحد منهم ان يحد شيئا من الاشياء الجزئيـة فيروم أن يصيره أبديا ، وذلك خلاف ما في الطبيعة فيروم المحال ، ويتعرض للباطل (١) ولما لا يعقل ، وواجب ان تكون الحدود انما تتألف من الالفاظ التي تدل على المعاني الكلية المشتركة وتلك المعاني هي التي يدل عليها بالاسم أو دلالـة مجملة وبالحد ثانيا (٢) • والمحدود هو الموجود والحد قـول الواضعين الحادين وليس بالعالم حاجة الى الحد في نفسه ، وانما يحتاج الحد ليبين معلومه لغيره ، والحقائق انما هي في الانفس فليس هو الحد من هـذا الباب أو ما ترى اكثرهم قد قال في حد العلم : العلم هو معرفة المعلوم على ما هو عليه فيخرج من تلك العبارة خاصة كانه قال : العلم هـو العلـم • وهذا يتحقق في ارتباط المعلول بالعلة وبيان الامـور الذاتيـة وتحقيق الالفاظ الدائرة التي بين العلماء وفهم مقاصد المحققين لها والوجود المطلق والانية الاولى • فبقي ان الحد اذا نظرته وحققته وجدته مركبا من ثلاثـة أشياء ، من وجود ، وصفة نفس ، وعبارة موضوعة له بصفـة النفس ، والعبارات لا يلتفت اليها ، اذ هي اصطلاح من مطلقها فلم يبق في الحد الا محض الوجود • وان شئت تسمي الوجود حدا ولسنا بمشاحين فـي العبارات وانما نطلب الحقائق • فاذا الحـد ليست دلالته موافقـة لدلالة الاسم على ما شأن الامر ان يكون عليه في الحدود والاسماء عند القائلين بذلك • لانا نقول ان كان جوهر الشمس يمكن ان يوجد في جوهر آخر، فبين انه يمكن على قولهم ان توجد للشمس حدود على هذا النحو فتكون

---

١ ـ للباطل للجنون في أ .

٢ ـ هذا النص من ب ، وفي أ كذلـك النص غير واضح : « مـن الالفاظ التي تدل على المعاني الكلية المشتركة اولا وتلك المعاني هي التي تدل دلالـة مجملة » ، يلي ذلك فسحة .

الشمس من الاشياء الموجودة لأمور كثيرة • وأيضا فانا نرى أكثر الاشياء ، يظن انها جواهر ، وهي قوى وليست بأجسام ، مثل القوى النفسانية التي في الحيوان والنبات ، فان هذه ليس يوجد منها شيء ينقسم بانقسام الجسم حتى نظن بها انها أجسام بل بين من أمرها انها ليس لها قبل مجموع الشيء الذي هو قوة له ولا بعده وجود أصلا • ولما كان الواحد يقال على جميع الاشياء التي تقال عليها الهوية وكان جوهر الواحد واحدا بالعدد لاشياء كثيرة ما يختلف فيها بما هو بل بما هو واحد لكذا ، لزم ان [٤ ب] يطلق على الاضداد بما هي أضداد ، والاطلاق واحد ، ألا ترى ان المقولات العشرة مختلفة ومتباينة ويطلق عليها الوجود والشيء والواحد والحق والامر بالترادف • فاذا كان ذلك كذلك فيلزم ان الغير والخلاف مجتمعان في الشيء الواحد بحد واحد واسم واحد • الا ترى ان الاسماء المترادفة التي اطلقناها عليها لو قدرنا ارتفاعها عن واحد منها لقدرنا عدمه فاذا صح ان المقدم لطبيعتها يطلق عليها اطلاقا واحدا • فقد صح ان الحد وهم وعبارة ومعنى تجده النفوس عند تصورها المعلوم (اذا) ما سئلت عنه او تحدثت به في سرها ، ولو كان له وجود خارج الذهن لوجب التحقيق اجتماع المتقابلات واصنافها في الحدود والتناقض في العلم بها • وانما الحدود يحتاجها المعلم للمتعلم وهي مثل الشهود يستخرج بها الحقوق وهذا النظر الذي نحضك عليه هو من الحكمة المعروفة بالمشرقية (١) ؛ وهو كان المستعمل قبل الاصول

---

١ ـ يشير ابن سبعين الى هذه الحكمة المشرقية عدة مرات في مؤلفاته الا اننا لا نجد عنده آي تحديد لها على الاطلاق ، باستثناء القول أن العلم والمعلوم والعالم بشكل وحدة لا تتجزأ بالنسبة لهذه الفلسفة . وفي احدى الاشارات ينتقد ابن سينا لعدم اخذه بهذه الفلسفة ، راجع حول هذا الموضوع . مقدمة هنري كوربان لكتابات السهروردي ، ابو ريان : أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي .

والمنطق ، واذا أردت ان تظفر به فلا تلتفت الى العدد ولا الى الالفاظ والتسميات ولا الى الجدل والغلبة والتبكيت والعناد لان طلبك للحقائق ودع الميل المعروف المألوف واطرح ما الفته كازالة العوايد فان القوم الواصلين الى هذه المرتبة (١) يرون ان العلم والعالم والمعلوم واحد • والادراك والمدرك والمدرك واحد • ولا يعتقدون ان الجواهر المفارقة تتعدد ولا تتركب ولا يجوز فيها التركيب الا بحسب التركيب النوعي والجنسي والصناعي لا على ما يعطيه العلم الطبيعي والعلم التعالمي ، فان كثيرين من الناس يتخيلون ان العلم التعالمي هو من علم ما بعد الطبيعة وغلطوا في ذلك وهو خطأ • فان العلم التعالمي هو التحليل والتقسيم • وان كان أعلى من علم الطبيعة اذ كانت موضوعاته مجردة من المواد فليس ينبغي ان يسمى علم ما بعد الطبيعة • لان تجرد موضوعاته عن المواد انما هو وهمي لا وجودي • وأما في الوجود فليس له وجود البتة الا في الامور الطبيعية واما موضوعات هذا العلم فليس لها وجود في الطبيعة البتة لا وهمي ولا وجودي • والموضوع الاول لهذا العلم هو الموجود على الاطلاق • وما يساويه على العموم هو الواحد ، لان كل عالم يعلم ذاته فهو راجع على ذاته رجوعا عاما تاما • لان العلم فعل فاذا علم العالم ذاته ، فقد رجع بفعله على ذاته ، فيكون العالم والمعلوم واحد • ولما كان العالم اذا علم ذاته كان فعله راجعا الى ذاته فجوهره راجع الى ذاته • ونعني برجوع الجوهر [٥ أ] الى ذاته انه قايم ثابت بنفسه لا يحتاج في اثباته وقيامه الى شيء يمده لانه جوهر بسيط فاعلم ذلك • وقد خرج بنا الكلام الى غير الذي أردناه من الاختصار والتقريب • ولكنه لما سألتني عن تحقيق الشيء رأيت ان نلوح لك في الحد ما تنتفع به اذا تدبرته وهذا الذي تكلمت معك فيه هو على مذهب الحكمة المشرقية • وانا لا نقول به

١ ــ الرتبة في ب .

على الاطلاق ، ولكنا نفضله على غيره لقربه من الحق ، والحق الـذي لا شبهة فيه فهم الشارع (ص) ومقاصد الصوفية بصناعة السفر (١) الدالة بأمثلتها على ما في النظام القديم ، واعلم يا أخي ان الحق سبحانه لا حـد له ولا رسم ، لانه لا جنس له ، ولا فصل لـه ، ولا تركيب فيـه ، ولا عوارض تلحقه • ولكن له قول يشرح اسمه ، وهو انـه الموجود الواجب الوجود الذي لا يمكن ان يكون وجوده مـن غيره ، او يكون وجـودا لسواه الا فايضا حاصلا عن وجوده سبحانه • هذا شرح اسمه ويتبع هذا الشرح انه الموجود الذي لا يتكثر ، لا بالعدد ولا بالمقدار ولا في لواحق الذات الغير مضافة ، ولا في لواحق الذات المضافة • تعالى وجـل علـوا كبيرا والله يشرح الله صدرك ويوفقك بمنه •

المباحث والمطالب الاصلية في معرفة حقائق الاشياء

انقضى الكلام على الحد بحسب مـا طلب فنبدأ بالمطالب الاصليـة فنعددها ونتكلم في ماهيتها فنقول :

المباحث والمطالب الاصلية في معرفة حقائق الاشياء تسعة أنـواع • والسؤالات عنها كذلك تسعة الفاظ • ولكل سؤال جواب خاص لا يشبه بعضه البعض وهي : هل هو ، وما هو ، وكم هو ، وأي هو ، وكيف هو ، وأين هو ، ومتى هو ، ولم هو ، ومن هو • فمن يزعم انه يعرف حقائـق الاشياء ويخبر عن عللها وأسبابها يحتاج ان يكون قد عرف هذه المباحث التسعة والجواب عن هذه السؤالات واحدا واحدا بحقها وهدفها (٢) •

فمطلب هل على وجهين : احدهما يبحث عن أصل الوجود • وهـل

---

١ ــ صناعة السفر او علم السفر هـو علم التصوف راجـع : تعريفـات الجرجاني طبعة ١٨٥٢ . ص ٤٨ .

٢ ــ قارن مع اخوان الصفا . ج ١ ــ ص ٢٦٢ طبعة صادر .

هو من المطالب التي تطلق على الله عز وجل لانك تقول هل الله موجود فيجيبك المسؤول بحسب الوجود أو العدم • والوجه الآخر عن لواحق الشيء وأحواله وصفاته وكيفيته ، كقولك هل الحق خبير وهل القديم واحد • وهل هو في المعرفة الاولى البسيطة • وما هو ، وما هي المعرفة الثانية المركبة • وكيف هو عند هل هو ، وكم هو عند ما هو ، والجواب في أهو وما هو مجموع في كمال الحد فاعلم ذلك والله يوفقك بمنه •

مطلب ما :

وأما مطلب ما • فهو على وجهين احدهما يشرح الاسم ويفسره مثل ما تقول [ب ٥] ما المهند ؟ فيقال : هو المرهف ، ويطلق بالترادف ويكون سؤالان (١) اذا علم الآخر منهما ويجهل الاول ، والوجه الآخر كما ما السيف بما هو سيف ؟ فيقال : هو الحديد الذي يقطع اذا ضرب به ، فكان المطلب الاول لاسمه والثاني لحده • ومطلب ما يبحث به عن حقيقة الشيء • وحقيقة الشيء لا تعلم الا بالحد او بالرسم عند النظار • ولذلك لا يطلق هذا المطلب على الحق سبحانه فانه مطلب لا يقع جوابه الا مركبا عن مركب كما تقدم • وهو في العلم الالهي يتأخر عن المطالب كلها ، ويتقدم على المعارف التي تحصل بالبحث بصناعة التركيب في النفس لاجل تقدمها في الضمير على المعنى المدلول عليه ؛ والمعارف التي تطلب العبارة رتبتها فوق رتبة الباحث ، ما دام الباحث يبحث بها ، فاذا تركها ولم ينظر الا بالواحد في الواحد ، ورجع الى نفسه بصناعة التحليل وصل المطلوب بالمطلوب ونال النتيجة بالنتيجة • والكلام في هذا كله نتركه لموضعه ان شاء الله تعالى • فينبغي لك أيها الاخ الواجب اسعافه ، اذا سئلت عن حقيقة شيء من الاشياء بمطلب ما لا تستعجل بالجواب ، وتدبر في الشيء الذي سئلت عنه وتفكر فيه وانظر المسؤول عنه ، هل هو من البسائط او من المركبات وأجب السائل بحسبه •

١ ــ أ ــ سؤالا

مثال ذلك اذا قيل لك ما هو الانسان ؟ نظرت اليــه فوجدته (١) من جملة لواحق وأصول ومن محمول وموضوع ومن روحاني وجسماني • فتجمع جميعها في الذهن وتنظر لها عبارة تختص بهـا وتشرحها وتبينهـا حتى لا يشذ منها شيء فتقول : هو الحي الناطق المايـت وتعني بالحـي الناطق من حيث هو روحاني وله نفس ، وتعني بالمايت الجسد الهيولاني• لان الانسان في جسد جسماني ونفس روحانية ، وان قيل لك مــا هو الموت ؟ قلت نقص التركيب ، ورد الاشياء الى أجناسها العالية أو تـرك النفس تدبير البدن ، أو ولادة النفس وحلولها في العالم المفارق ، أو نقله المكلف الى غايته أو غاية الكمال ، والصورة المتممة للسعيد ، أو ضد ذلك للشقي • وتجيب السائل بحسب ما تفهم عنه ان كان من المحققين أو مــن النظار او من المسترشدين • والحكماء يسمون الوصف الـذي يجب (٢) بالاشياء التي تعرف من الصفات المختصة بالمطلوب رسما • والفرق بينهما عندهم ان الحد مأخوذ من الاشياء التي المحدود مركب منها كمـا بينا • والرسم مأخوذ من الصفات المختصة بالمرسوم وقـد يفرق بينهما بفـرق آخر وهو ان الحد يخبرك عن جوهر الشيء المحدود ويفصله عـن غيره ويخلصه • والرسم يعرف بالشيء لا غير (٣) • والكلام في ذلـك عـلى المعنى الصناعي لا يقدر [أ ٦] عليه ولا على تتميمه بالاختصار • واعلـم ان مطلب ما اذا وصفت به المطلوب تجده يتقدم على مطلب هل ، فان من لم يعرف الشيء لا يسأل عن ماهيته • ويتأخر عنه بوجه آخـر لان الشيء

---

١ ــ ب ــ فوجته .
٢ ــ هامش أ و ب يجيب .
٣ ــ حول الفرق بين الحد والرسم ، راجع :
Van den Bergh, Die Epitome der Metaphysik des Averroes, p. 168.
I. Madkour, L'organon, 118-121.
F. Jaadane, L'influence du Stoicisme sur la pensée musulmane. p. 116.

اذا لم يعلم وجوده لا تعرف ماهيته ، والاستفهام قد يكون عن الهيئة قبل الماهية وبالعكس • والمطالب الاصلية بنظر المحققين خارجة عن هذا كله • والمراد انما هو في تسهيل ما تجده النفوس في طبعها حتى يتصور وبعد ذلك يبين كل ما لا تتصوره العقول الا بالمرشد ، ولا تناله النفوس لا بالجهد ولا بالتجلد ، بل بالمفيد المتصرف ، والنفحات الالهية ، حتى تبصر ما لا يبصر وتعلم ما لا يعلم وتظهر شيئا لا من جنس ما يكتسب وتحدث من بعد الامور أمور • والله الموفق والمعلم الهادي لا رب سواه •

مطلب كم

واما كم فهو سؤال يبحث عن مقدار الشيء وينقسم قسمين : متصل ومنفصل • فان سألت عن المتصل فاعلم ان أنواعه خمسة : الخط والسطح والمكان والزمان والجسم • وان سألت عن المنفصل فهو ينقسم قسمين : العدد والحركة • وهذا كله بتقريب • وفي مقولة الكم نذكر لك ما هو أبسط من هذا وانبه بحول الله وقوته وفضله • فجوابك لا يصدر للسائل الا بعد تصفحك فيما ذكرته لك • والاشياء ذوات المقادير اما ما له وزن كما تقول ماية رطل • او ما يقدر بالمساحة كقولك ماية شبر • او ما يكتال فيقال ماية قفيز • أو بالجملة ، الجواب لا يكون منك بهذه الانواع الا في الامور الطبيعية والتعاليمية ومقدمات العلم الالهي خاصة ، وحقيقة العلم الالهي خاصة • وحقيقة العلم الالهي لا يطلق عليه من الكم شيء بل عدم الكم وفهم باطله فيها من أجل المقدمات الموصلة له والدالة عليه وهو يتقدم على مطلب كيف وعلى مطلب متى وعلى مطلب اين وعلى مطلب لم وعلى مطلب من وعلى مطلب اي • لانك لا تقول هو في الدار الا ووجوده قد تقدم عند السائل والمسؤل عنه وانه مما يشار اليه بالمقدار • وبالجملة المكان من الكم • ولا يسأل عن الشيء هل هو قصير أو طويل أو متحرك أو أبيض أو أسود الا وهو موجود كذلك ذو مقدار وكذلك لا يعلل الشيء الا وهو موجود ولا

يفرق من غيره ويفصل الا وهو موجود مقدر بالكمية • والنقطة والخط والسطح والعمق جميعها هو الجسم وباجتماعها يوجد الكم الجسماني وبها توجد الاشكال وبعدمها تعدم • ومن الناس من أنكر هذا واعتقد في تقدمها وتأخرها غير الذي ذكرناه • ولولا خوف التطويل لبينت ذلك وخلصته على ما يجب وبرهنت عليها هل هي مقومة للجسم أو متممة له واما غرضي ان نخلص لك ما تتصوره بأيسر تأمل والله [٦ ب] الموفق•

مطلب كيف

كيف سؤال يبحث عن نعت الشيء وحليته وبالجملة تطلب الصفات ، والصفات كثيرة الانواع والهيئات والانفعال وغير ذلك مما يهجس في النفس او يقدره الوهم أو يجرده الخيال أو تدركه الحواس يدخل تحت سؤال كيف هو ويتداخل مع مبحث ما اذا حقق • والكيفية نذكرها لك مفسرة في موضعها (١) • وهذا المطلب لا ينطلق بالجملة على ذات الحق الا اذا كان على نحو ما من التعريف الصناعي أو الخطابي ، كما تقول كيف انت والملك أو كيف الرحيم والمرحوم اذا كان بمعنى ما كان فعل الرحيم مع المرحوم أو المالك مع المملوك ، أو كيف القديم والمحدث بمعنى التعجيز ، وتقول كيف هو الله مع المذنب اذا استغفره وانت تريد الاستفهام عن كرمه أو عقابه هل يقع احدهما • والكيفية تقع في المواد على الحامل منها والمحمول ولا تقع على الذوات المفارقة للمادة • ولا مقولة من المقولات العشرة يطلق عليها الا بمعنى التشكيك أو بمعنى التقدير ، ولا تصدق في شيء من ذلك الا بالاضافة فاذا محيت لا يوجد على ما تطلق هنالك الا وصفا للواصل أو شرحا للمسترشد أو خبرا للمستفهم أو اشارة للنفوس المحبة المستدلة لكي يسهل عليها الوصول وذلك من أجل بقاء المادة فيخلط مع الحق غيره بسبب الاشتراك فاذا علم

---

١ ـ ب . مفسرة في المطلب .

الحق انقطع الشريك المادي عند ذلك وهذا كله ينبغي ان يترك لموضعه ان شاء الله تعالى • ولولا العهد الذي عهدته لك لم نخرج بذلك كله في هذا الموضع • ولكن ضرورة الاخوة وحاكم النصيحة حملني على ان نأتيك بلبن الغراب الاسود ونضع (١) لك وقيدا من الكبريت الاحمر ، ونبوح لك بالسر المضنون به ، ونفصح لك المعنى المصون المكنون ، والذي نوصيك به ان تستقيم كما أمرت ولا تلتفت الى المنكر وتدعه يتحرك في سلسلة جنونه • واهجره ولا تتشبث بشيء من علمه وفنونه وعمله والله يوفقنا ويشرح صدرنا ويعصمنا من عدونا بمنه وكرمه •

مطلب اي

واما مطلب اي فهو سؤال يبحث عن واحد من الجماعة أو عن جزء من الكل أو عن نوع من الجنس • وقد يطلق على المدح كما يقال للمعظم اذا عظم اي ملك هو ؟ اي سعيد هو ؟ بمعنى التعجب ويطلق الواحد من الجملة مثال ذلك اذا قيل لك دخل الرجل فان لم يكن الرجل مشهورا ومعروفا فلك ان تقول للقائل اي رجل هو الذي دخل • وكذلك اذا سئل الطبيب عن مرض مطلق ، أو يطلب منه دواء مطلق لا يجيب السائل ولا يرفع له شيئا حتى يعرفه بتخصيص فيقول له اي مرض تسأل ، اي دواء مطلق تريد • فهو مع الاسم المشترك او مع المعنى [٧ أ] المجمل والمطلق • الا ترى انك اذا قلت دخل الملك لا يقال لك اي ملك هو • اذ ليس له من ذاته كثرة واذا قلت طلع الكوكب يقال لك اي كوكب هو الذي طلع لانه واحد من جملة كواكب • وهذا المطلب ، اسعدك الله ، ينطلق على صفات الحق سبحانه ولا يطلق على ذاته • تقول اي صفة من الصفات هي الخاصة واي صفة هي التي تطلق على كل حي ويقع فيها من الاحياء الاشتراك ، فيجيبك السائل عنها كما يأتي بعد وصفها بحول الله

---

١ ــ ب نفصح .

تعالى • وذلك لتعدد الصفات واختلافها وهذا الذي وصفته لك منزل على علم الكلام وعلى من يرى ان الصفات تتعدد وانها زائدة على الذات ويوحد القديم بالايجاب • وأما الذين يقولون هو عالم وهو علم ولا يعددونها الا بحسب لواحقها المعقولة ويرون ان الصفات التي يطلقها أهل علم الكلام لا يصح معها التنزيه ، فيقولون ان هذا المطلب لا يطلق على النظام القديم الا في البحث الذي يكون فيما بعد الطبيعة اذا فهمت الهوية ، ولا يطلق على علم (١) الماولوجيا الا في ثلاثة مواطن ، في تعريف الانية كما تقول هل القديم اذا علمت انيته يعلم معها غيرها أو يوجد ما يخرج عنها او يعقل موجود لا يكون تحتها ؟ فتعلم بالدليل ان ذلك لا يكون وان كل شيء في حكمها ومنها ، اذ ليس في الوجود الا الله تعالى، بل ما هو الوجود الا الله وافعاله ، فحينئذ يقول القائل : الوجود ينقسم على ثلاثة أقسام ، وجود مطلق ، ووجود مقيد ، ووجود مقدر ، فأي وجود هو وجود الانسان ؟ فيقال له المقيد • والكلام في هذا كله على ما يجب لا يكتفي به هو الذي نحن بسبيله • والموطن الثاني كما تقول موطن المتوحد عند محو الهوية المشتركة واتصال العقل به ، أو الرحمة والعناية والبحث اي شيء هو مادي أو غير مادي ، ارادي أو غير ارادي • اي رتبة هي من الرتب أي اتصال هو اي درجة هي وغير ذلك • والموطن الثالث اذا وصلوا الفصل المشترك وبلغوا الكلمة ، وهي العقل الكلي عند بعض الناس ، والفناء عند الصوفية (٢) ، وصفة الحق عند آخرين ، والعلم عند آخرين ، والارادة عند آخرين • والاصح من ذلك انها مقومة وسبب للمبدع الاول ولكل مبدع • اذ هي من الحق قوله للشيء كن فيكون • وهذا الفناء عند الصوفية وغاية الانسان عند آخرين والمعنى المتمم عند طائفة أخرى يجدونه على الاطلاق لذة وطبعه وذاته انس وفرح

---

١ ــ ب ، الماولوجيا .
٢ ــ بزيادة وعند بعض الناس في ا .

وسرور • أو هم قد وصلوا اليه بعد التنزيه وقطع العلايق ومحو العدد • وبتخفيف الواحد يضطرون الى مطلب اي بسبب الفرق وما يجب للقديم فيقولون اي ذات وصلت اي ذات اتصلت • اي شيء يعدم اي شيء لا يعدم وهذا تعلمه مفسرا بعد هذا • والذي ذكرته لك هو على مذهب النظار • وأما المحققون قبل الكمال المشار اليه فعدم لهم السائل وتلاشت لهم المطالب [٧ ب] واضمحلت لهم العبارات • فاذا أرادوا الى المطلب تعدمهم نقطة الحرف وتسلبهم النظر اليهم ولغيرهم • فلا يستطيع منهم من أحد على تتميم الحرف فيركب منه البحث ولا على المشير والمشار اليه فيعرف عن ماذا ولماذا يبحث ، وهم بالجملة في رتبة الخطاب وغيرهم في رتبة الجواب • وقد بلغ مطلب اي الى حد لا يحد ومبلغ لا يقدر ولا يعد (١) • فيقطع الكلام عنده ونذكر غيره بحول الله تعالى وقوته وعونه•

مطلب اين :

اين تبحث عن جملة مباحث جسمانية وروحانية يطول ذكرها • والذي يحتاج منها هي التي اذكرها لك بعد هذا وهي الدائرة بين الطلبة في أكثر مباحثهم والمستعملة عندهم وهي الضرورية منها ، وهي البحث عن مكان الشيء وعن موضعه العام والخاص وعن محله الذاتي في وجوده والعرضي • وعن رتبته ونسبته واضافته • واعلم ان اين هي نسبة المتمكن الى مكانه وان حققته تجده لا كالمكان ولا تركيبه هو تركيب المكان • فان المكان هو السطح الحاوي وهذه لفظة وينجر معها في الذهن معرفة المبحوث عنه ولا يعلم منها الا حيث هو المتمكن لا ما هو المكان • وهذا المبحث منه ما يطلق على اين مضاف كقولك فوق وتحت • ومنه طبيعي وهو قولك زيد في الدار • وهذه الاينات مسلسلة النسبة وتتفاضل بالاعم والاخص • وبعضها قريبة وبعضها بعيدة كقولنا زيد في البيت وهو في

١ ــ جملة مضطربة في ب .

بعضه ومكانه القريب وهو مقعر الهواء (١) والبيت أعم من ذلك • والبيت في الدار ، والدار في البلد ، والبلد في الاقليم • وكذلك في الجسم المطلق فهو يعرف بالظرف وحرف في يعطي النسبة • وكل ما له كمية فله نوع من أنواع الاين فاعلم ذلك • ولا تظن ان مطلب اين اذا بحث به عن محل الشيء يفهم منه ما يفهم من معنى المكان الحاضر ، فان المكان (٢) صفة لبعض الاجسام لا لجميعها وهو معين للمتمكن الخاص والمحل ما حل فيه العرض ووجوده لا يعقل الا فيه • والمحل كذلك لا يعرى من العرض ، وهما من المضافين المتلازمين وجود أحدهما في الآخر بالذات ولا يوجدان الا معا • وان زال عرض ما من نفسه عن محل ما فهو محمول على كل المحل المطلق في الذهن ولا له في نفسه وجود الا فيه ، والمحل ، وان زال عنه عرض ما ، فهو لا يعرى من حيث هو محل • وكان احدهما للآخر صفة ذاتية • والعرض ينقسم قسمين روحاني وجسماني • فان سئلت عن الروحاني فانظر له محلا هو مثله ونسبته متعلقة به ولا يصلح الا له • مثال ذلك اذا قيل لك اين اللون فقل في الجسم وتحفظ ان تغلط كما غلط الاطباء فتعتقد في الذكر والفكر والعقل ان محل جميعها في الدماغ ، فتهلك وتجهل ، وانما ذلك آلة وأداة للنفوس تتصرف بها وتخدمها وتقتنص بها جميع ما تريده في عالم الطبيعة [٨ أ] والا حد الشيء يعلمك الحق فيه ، والحد هو المعرف بماهية الشيء ، والنفس الحيوانية حدها تمام لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة • والامر بين في الجسم ان حياته من النفس ، وانه لا حركة له وان النفس هي المحركة له • والنفس الحيوانية موضوعة للنفس الناطقة والنفس الناطقة صورة لها • والعقل غير موجود في النفوس الحيوانية ، اذ الحمار لا

---

١ ـ ب ـ مقعد الهواء . الارجح هو مقعر الهواء . كما يظهر في أ .

٢ ـ ب ـ كان .

يعقل • فصح ان محل العقل والعلم النفس الناطقة • فاعلم ذلك فلا محل لما ذكر الا النفس وان أضيف لغيرها فهو بحسب الظاهر والنسبة والمجاورة النوعية لا المتماثلة • مثال ذلك الشمس اذا رأيناها قد دخلت على الكوة للموضع المظلم • فان نسبنا الضوء للكوة وجعلناه نعتا لها وصفة لازمة قلنا المحال ، وما لا يمكن • فان ذلك بالذات للشمس وهو للكوة بالعرض فلا نصف صفة موصوف ما لغيره في الاشياء الجسمانية فكيف في الروحانية • وقد يكون المحل بحسب المصدر واللواحق كما تقول اليد محل الكتابة اي فيه توجد • وهذا محل يمشي مع الخاصة والامور العرضية • فان اليد قد توجد ولا كتابة والمحل قد يطلق على الخواص كما ذكرنا • والنوع الثالث من مطلب اين وهو الرتبة والنسبة والاضافة ؛ وهو كقولك اين هو علم زيد من خالد ، فيقال دونه أو فوقه • واين هو فلان عند الملك من منزلة فلان فيقال هو أقرب منه • واين بلغت المقابلة قال لنصف الكتاب ، وبالجملة الشيء في الشيء يقال على أنحاء كثيرة ، كما تقول اين النوع ؟ قال في الجنس • أين الرحمة ؟ قال في القلب • اين رتبة الاربعة ؟ قال قبل الخمسة ، أين النفس ؟ قال دون العقل • فان الذوات الروحانية لا توصف بالمكان وتوصف بالرتبة • ويقال أين الحور؟ قال في الجنان ، اين الشفع ؟ قال في العدد • اين القدر ؟ قال في الغيب • والاينية لا تطلق في العلم الالهي الا بتقييد مثل ما تقول : اين صفات الجلال والعظمة ؟ قال في ذات القديم • اين رزقي ؟ قال في غيب الاله ، اين حولي وقوتي ؟ قال في قدرة الله ، والمحققون يرون ان الاينية على الاطلاق ناقصة ومنكوسة ، لانها لا تقع الا في المحيط والمحاط به ؛ ولا تعقل الا ما بين اثنين فصاعدا • وهي لا يكمل جوهرها أو شكلها الا بالذي تقر عليه وتراد من أجله ، فهي للنفس مخبرة عن حال الضرورة ولها رتبة في النهاية اما تسعد واما تنحس • وهذا بحسب المدرك واستعداده وقطع العلائق والخروج عن المادة ولا تعالج بالاينية ، [٨ ب] وقد بلغ

الكلام عليها حتى بلغ (١) المقصود وصرفه عن الوجود وجعل المعدوم في رتبة الموجود • فنقطع الكلام ونبين مطلب متى بحول الله وقوته وفضله وقدرته ، لا رب سواه •

مطلب متى :

مطلب متى سؤال (٢) يبحث عن زمان يقع • وهو ينقسم ثلاثة أقسام : ماض كأمس وحاضر كالآن ومستقبل كغد • وهو يتصرف في السنين والشهور والايام والساعات والادراج والدقائق والثواني والثوالب (٣)• وبالجملة اما بالتركيب واما بالتحليل كما تقول واحد عشرة ماية والف ويمر ذلك الى غير نهاية • وتقول واحد نصف ثمن خمس ربع سدس تسع ثلث سبع اربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة احد عشرة اثني عشر • فان العشرة في رتبة الواحد ، واحد عشر في رتبة الاثنين • والاثني عشرة في رتبة الثلاثة فاعلم ذلك • والكسر تسعة الفاظ : عشر تسع ثمن سبع سدس خمس ربع ثلث نصف • فاذا سئلت عن شيء لا بد ان يحصره ما ذكرت لك من العدد ، فتجيبه بقدر ذلك • وهو مطلب لا يطلق على الحق تعالى بوجه ، بالنظر الى المبادىء لان الانية المبتدعة الاولى ليس وراءها مبتدع آخر وهي فوق الحس وفوق النفس وفوق العقل • وليس بعد الحق أوسع ولا أكثر معلومات منها • فلذلك صارت أعلى الاشياء المبتدعة كلها وأشدها اتحادا • وانما صارت كذلك لقربها من الانية الاولى الازلية الممضة الواحدة ، التي ليس فيها كثرة بجهة من الجهات (٤) • والزمان تمام اول أو مقدار تخصه حركة الفلك •

---

١ ــ أ خلط .
٢ ــ أ و ب . متى مطلب سؤال .
٣ ــ ب ، والدرج والدقائق والثواني والثوالب . والتصحيح من أ .
٤ ــ قابل مع الخير المحض . طبعة عبد الرحمن بدوي ص ٤ ــ ٦ .

أو نوع الدهر • أو مقارنة حادث حادثا • أو تقدير الوجود • أو موضوع العدد من شفع ووتر • كيف ما كان لا مدخل له في الاطلاق على الانية كما ذكرت لك فاعلمه • لان الانية المذكورة اما ان تكون أعلى من الدهر وقبله واما معه واما بعده وفوق الزمان • فالانية التي قبل الدهر هي ذات الحق وهي فاعلة له فكيف للزمان اليها سبيل • ولا تسمع انت قبل وبعد فتتخيل مساحة أو مسافة بل تنزيه محض وانفراد جلي كما يتبين بعد عند تحقيق الوجود • والانية التي مع الدهر فهي العقل لانه اذا حققت المبادىء ظهر ان الانية الثانية العقل وهو لا ينفعل ولا يستحيل واما الانية الثالثة التي بعد الدهر وفوق الزمان ، فهي النفس لانها في أفق الدهر وفوق الزمان (١) • فصح بهذا كله ان مطلب متى لا يطلق على [٩ أ] الذوات المفارقة الا بحسب الاخبار والاستخبار لا لما هي وعما هي • والدليل على ان انية الحق قبل الدهر ، ان انية الدهر مستفادة من انية الحق تعالى ، وانك تقول كل دهر انية ولا كل انية دهر • فالانية اذن اكثر عموما من الدهر • وبالجملة الدهر معلول لله • وانية العقل تجاور الدهر، لانها ممتدة معه لا تتغير ولا تستحيل والنفس ملازمة • ولا صفة مع الدهر سفلا لانها أثقل تأثيرا من العقل وهي فوق الزمان لانها علة الزمان • وهذا كله اعزك الله بنظر النظار اللواحق (٢) • والمحققون يقولون غير هذا ولا يتعرضون للواحق الوجود ولا يعددون الواحد في نفسه • ويرون ان مطلب متى هو وهم الضمير عن حادثين ليس بينهما ارتباط • فان الذي يقول ان الزمان مقارنة حادث حادثا (٣) فهو خطأ • لان المقارنة لا تقع الا في الزمان أو مع توهم الزمان ، وأيضا اين يفرض الطلب ولا

---

١ ــ الجملة الاخيرة ساقطة في ب .
٢ ــ أ و ب اللواحق ، وربما كان الاصح للواحق اي للواحق الوجود .
٣ ــ حادثا ساقطة في ب ومثبتة على هامش أ .

طالب . ومن أين يعلم المطلوب ، وعلم الطالب بيده . فان علم فهو العالم وان طالب هو الطالب . ولا يطلب الواحد وحدته ، ولا واحد الا الاول ، فلا مطلب أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن . وقد تم مطلب متى فنبدأ فنذكر مطلب لم .

مطلب لم

سؤال يبحث عن علة الشيء المعلول ، وهذا النوع من الطلب انما يكون عند وجود شيء لشيء آخر . أعني انه انما يكون البحث بلم عن شيء معلول ومركب لانه مطلب يقتضي الجواب بالعلة ؛ والشيء في نفسه لا يكون علة لذاته . فانه لا يجوز ان يقال ولا يصح ان يطلب . فيقال لم كان الحمار حمارا بالاضافة لمعنى الحمارية الا ان يعتقد معتقد ان كل واحد شيء من الاشياء هو واحد غير متحيز ولا منقسم . وان الواحد الغير منقسم هو من المعاني المشتركة . لان قول القائل لم الحمار حيوان ؟ ليس هو مثل لم الحمار حمار . ولو كان المعنى في ذلك واحد ، لكان المعلوم مجهولا . وبالجملة يا أخي وفقك الله واياي وشرح صدورنا ، هو مطلب يسأل عن العلة فاذا سئلت به لا تجب الا بعلل الشيء المسؤول عنه . فان المعلول الصناعي له أربع علل : علة فاعلة ، وعلة صناعية ، وعلة هيولانية ، وعلة تمامية . مثل النجار علة فاعلة ، والخشب علة هيولانية ، والسرير علة صورية ، والرقاد عليه علة متممة . فاذا سألك السائل فاعرف عن اي شيء يسأل من العلل المذكورة ، وتجيبه بحول الله وقوته . [٩ ب] وهذا المطلب لا يطلق في العلم الالهي الا في البداية واما في النهاية فلا يطلق بوجه ، بدليل ان مطلب لم يسأل عن علة الشيء . وعلة الشيء اذا نظرناها انما هي معقولة بين السائل والمسؤول عنه ، وخارجة عن معلوم احدهما . والاستفهام يبتغي تحصيلها . فاذا قدرنا ان المعقول والعقل واحد لم تفرض علة ، ولا يبحث عنها . وذلك ان العقل

يعقل ذاته لانه عاقل ومعقول معا فاذا كان العقل عاقلا ومعقولا فلا محالة انه يرى (١) ذاته • واذا رأى ذاته علم انه عقل بالفعل ، واذا علم انه عقل بالفعل علم انه عقل يعقل ذاته • واذا علم ذاته (٢) علم جميع الاشياء التي تحته لانها منه ، الا انها فيه بوجه عقلي فهو والاشياء المعقولة واحد • وهذا اعزك الله يدرى بصناعة النظر ويعقل ؛ وهو غير تام • والكمال والتمام انما هو في الطريقة التي ذكرتها لك ووصفتها • وان كان هذا مما قال به الكثير من الناس وعليه جماعة عظيمة ، حتى ان علم ما بعد الطبيعة هذا نتيجته لا غير • والطريقة المذكورة يقتضي بحثها في المطلب المذكور حذف ما يفرض في العدم وتخليصه بتقسيمه لانواعه المذكورة بعد ، وتعليل التعليل حتى يتخلص لها على ما يطلق الوجود وعلى ما يطلق العدم• «والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا» • الم تر انهم يقولون ان الاشياء الحسية في النفس لانها مثال لها • والاشياء العقلية فيها لانها علم لها • وانما صارت كذلك لانها مبسوطة بين العقلية التي لا تتحرك وبين الاشياء الحسية التي تتحرك • فيخرج من ذلك ان كل مطلب انما هو تحت الانية الاولى • واذا كان ذلك كذلك ، فلا كمال لان الكمال عدم التقدير وانفراد المفصل ، وان لا فوق ولا تحت ، ولا شريف يرجى ولا مشروف يرى • ومع ذلك كله ، لم انما تطلق عند عدم اليقين وذلك نقص• والنقص ليس بكمال فاعلم ذلك • ولولا ما طلبت مني ان أذكر لك مع كل مطلب ما يجب عنده من البحث الالهي لم نفعل ذلك ، لوجوه وعلل وقواطع تقدمت • وهنا انتهى مطلب لم فنبدأ بذكر من •

مطلب من

واما من فهو مطلب الاستفهام والتعريف • والنحاة يقولون انه لا

---

١ ــ في ب نجد غالبا الالف الطويلة بدل الالف المقصورة .
٢ ــ واذا علم ذاته ساقطة في ب .

ينطلق ولا يتوجه الا على العاقل واذا حقق وخلصت فيه العبارة • فيقال هو سؤال لا يطلق الا على من له علم وفهم وتقدير • فان الصبي الصغير قد يخبر ويعسر عليه الجواب على حقيقته وهو من جنس العقلاء وحيوان ناطق • فاذا سئلت به أو سألت به ، فاعلم انه يطلب موطن الشيء وأوليته وأصله أو كيفيته وحرفته • كما تقول : من زيد فيقال المكي اذا نسب الى بلده ، والقرشي الى نسبه والكاتب [١٠ أ] الى حرفته • وهو يطلق على الحق سبحانه ، هو ومطلب هل ، فانك تقول : من هو القديم؟ فيقال لك : الله الذي لا سبب لوجوده • وتقول هل هو موجود أو معدوم ؟ فيقال لك قد قام الدليل على وجوده ، ووجوده بكذا وكذا • وغيرهما من المطالب لا تطلق عليه الا بالوجه الذي ذكرته لك • على ان الامر لم يمش في ذلك شافيا • أو ما ترى موسى صلى الله على نبينا وعليه ، لما سأله فرعون وما رب العالمين (١) ؟ أعطاه جواب من فسخر منه فرعون ولم يقبله منه ، وقال لمن حوله ، الا تسمعون نسأله بما فيعطيني جواب من وكان ذلك مبلغه من العلم ، وكل اناء بالذي فيه يرشح • ولما كان موسى بمرآته صقيلة لقبول الصور العقلية فلا يرى الا حقا ولا يسمع الا من حق • سأله فرعون ، لم يلتفت لجهله ولا أبصره من حيث هو وانما وقف وسمع من الحق فكان جوابه له علميا ، ومما يحتاج اليه فرعون من موسى ان يعلمه كيف يسأل • ولاجل ذلك كان جوابه لا ينطبق على استفهام فرعون ولا يتنزل الا على البرهان من حيث هو ووافق الحق في نفسه وجاوبه وكلمه بصورة الصدق التي يرى ان يبينها للخلق • وكذلك نبينا محمد (ص) لما سأله كفار قريش عن كيفية الله فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انزل عليه الوحي وأمر ان يقرأ « قل هو الله أحد » (٢) ولم يلتفت لمحالهم • وكذلك البرهان لا يتكلم به الا مع

١ ـ اشارة الى الآية ٢٣ من سورة الشعراء .
٢ ـ سورة ١١٢ ـ آية ١ .

القائل له والذي يتصوره ويلزمه ويلتزمه • وان لا يخبط عشوا في تحصيل الفائدة • ومن ادخل السفسطة في بضاعة البرهان فلا تتكلم معه ولا تخاطبه الا بالحق وبقدر ما يفهم وتخرجه عن حد سؤاله اذا اضطررت لذلك • أرأيت لو سأل انسان (١) فيقول لك كم الله ما كنت تقول له الا غير الذي سأل وقال وهو الحق وتخرجه عن حد سؤاله • فان كان مسترشدا وجد الذي أمله ، وان كان مختبرا انقطع وكان جوابك حكمة وهي التي تكلم بها موسى عليه السلام مع فرعون • والانبياء أئمة يقتدى بهم في جميع افعالهم الا ما نسخته شريعتنا ، فان الامور المعقولة والعقائد والانبياء متفقون فيها لا خلاف بينهم في ذلك • وما وقع الخلاف الا ما نسخته شريعتنا ، فان الامور المعقولة والعقائد والانبياء متفقون فيها لا خلاف بينهم في ذلك • وما وقع الخلاف الا في وضع الشرائع واحكام المكلفين وهي واحدة بالجنس من حيث هي ترشد للحق وتحض عليه وتبلغ السالك الى جنة الله ورضوانه • ولا انقسام بين الشرائع في هذا كله وانما الانقسام والخلاف بينهم في الرتبة ، والمراتب ، والوضع • والله يرزقنا الاقتداء بجميعهم والدخول في زمرتهم بمنه وكرمه • فهذه المطالب قد كملت وبلغ الكلام فيها حقه وبحسب ما شرطنا من الاختصار وأجوبتها كذلك بلغ الكلام فيها حقه بقدر ما يجب • واردت بتقديمها ان تكون شبه المقدمة ، والمدخل لحقائق العلوم ودقائق المعارف وأبواب السعادة ، وزادا موصلا لمنازل السيادة ، ونورا ساطعا يظهر الخفي ويبينه وينور العقل ويزينه • فنبدأ بذكر الكتب التسعة ، اذا كان المراد التعريف وندرجك بصناعة النظر الى علم التحقيق فنقول •

ضرورة المنطق

أول ما يحتاج ان يعلم بعد الحد والمطالب معرفة [١٠ ب] كتاب

---

١ ــ أ ــ احد . وفي الهامش انسان .

ايساغوجي وهو شبه المدخل الى علم المنطق وهو يحتوي على ستة الفاظ التي يستعملها المتمنطقون في أقوالهم ومخاطباتهم • ومنهم من جعلها خمسة وترك السادس منها لكونه يندرج في الخمسة وهو محمول عليها ؛ والالفاظ الستة هي : الجنس ، والنوع ، والفصل ، والخاصة ، والعرض، والشخص • وهذه الالفاظ الستة لم يوجد فيها لارسطاليس كتاب موضوع يخصها ، غير انها في كلامه مبددة • ولما كانت بمنزلة الموضوع والهيولي لعلم المنطق ترك ذكرها لغلبة البيان وكونها مقولةلصناعة البرهان وعنصرا لها • والذي جعل فيها تأليفا هو فرفوريوس الحكيم من أجل خرسوريوس الرومي • وذلك ان فرفوريوس رحل ان يبصر البركان الذي بصقلية ليرى فعل الطبيعة فيه ، وما جعل الله فيه من الموعظة وكان من مدينة صور • فلما وصل الى رومة ، وجد خرسوريوس فحبسه فيها وقرأ عليه من علم التعاليم ، ورحل عنه وترك كتبه فطالعها خرسوريوس فوجد فيها كتابا وعليه مكتوب قاطاغورياس لارسطوطاليس ، وصعب عليه فهمه فكتب بذلك الى فورفوريوس ووجه له ، فكتب له في الجواب ايساغوجي ، ومعناه الالفاظ الستة ، وقيل المعاني الكلية المفردة وهو الاصح فان الحكيم ، يقول في بعض رسائله للاسكندر : يا اسكندر كن ايساغوجي (١) ومعناه (كن) متمدنا ، متوحدا ومنفردا • وغرض ايساغوجي حصر الامور الرابطة (٢) التي بين المحمول والموضوع ونسبتها ، وتبيين كل واحد منها على انفراد ، والكلام على الوجه الصناعي وعلى الامر مما لا يقدر عليه في هذا الكتاب ، لكون المقصود منه التقريب فاقنع بالذي نشير اليه حتى نكتب لك في ذلك ما يصلح بحول الله وقدرته فنقول :

---

١ ــ ب ــ ابيسطانموجي •

٢ ــ أ ــ ب الروابط ، على الهامش في النسختين الرابطة .

الجنس

هو المقول على كثيرين مختلفين بالانـواع فـي جـواب مـا هـو الجنس • وقد يقال الجنس المعنى الحاوي لجماعة مشتتة النسب • ويقال الجنس كل لفظة دالة على جماعة مختلفة صورها يعمها معنـى واحـد • والجنس أعم كليين يحمل ان يجاب بهما عن جواب ما هو هذا الشخص • واذا قيل لك ما هو الجنس الطبيعي فتقول جماعة مختلفة صورها يعمهـا معنى واحد • ويقال الجنس تقدير الكلي المحتوي على اجزاء بعضها تحت بعض وبعضها يفضل بعضا وبعضها مجتمع مـع بعض وتختلف ، ويقـال الجنس ، العدد الشارح لمعدود اذا حال وجد الوصل فيه واحد والفـرع مختلف • واعلم ان الجنس على التكون المتصل للاشياء التي هي واحدة بالصورة ، مثل ما يقال ما دام جنس الناس ، اي ما دام تكونهم متصلا ، ويقال على المحرك الاول الذي هو مبدأ تكون الاشياء التي هي واحـدة بالصورة مثل ما يقال جنس اليهود يهود وجنس العرب يعرب ، أو يـراد بذلك السبب الاول، ويقال الجنس أيضا مثل مـا يقال البسيط السطح جنس الاشكال البسيطـة ، [١١ أ] والمجسم جنس الاشكال المجسمة ، والشكل جنس هذين الشكلين لما كان هو الموضوع للفصول القاسمة له وهي الكيفيات الجوهرية ، والجنس العالي جنس ليس بنوع ، والنـوع الاخير نوع ليس بجنس • وللجنس العالي نسبة واحدة وهـي تحليـل الانواع ويقسمها بصناعة التركيب وينظـر اليهـا مـن أسفل • والجنس له نسبة واحدة وهي تحليل الانواع ، وهو ضد الجنس العالي لانه يعرف الانواع ويقسمها بصناعة التركيب وينظر اليهـا مـن أسفل • والجنس المتوسط له نسبة الى جنسه العالي ، ونسبة الى النوع الاخير ، والانواع التي تحت أجناس مختلفة هي الانواع غـير القسيمة • والاجناس التـي ليس بعضها تحت بعض أربعة ، منها الاجناس العالية ومنهـا الاجناس

المتوسطة التي كل واحد منها تحت جنس عال غير العالي الذي تحتـــه الآخر • والثالث الاجناس التي هي أنواع قسيمة • والرابـــع الاجناس المتوسطة التي كل واحد منها نوع تحت جنس متوسط غير المتوسط الذي تحته الآخر • وترتقي كلها الى جنس واحد عال يجمع ذلك قولنا : شجرة التين ، فانها جسم ونبات وشجرة مطلقة وشجرة تين • فقولنا جسم جنس عال والنبات نوع له وجنس للشجرة المطلقة • والشجرة المطلقة نوع لـــه وهي جنس لشجرة التين لانها آخر القسيمة • وكذلـــك ينظـــر الاخص فالاخص والاعم فالاعم والحامل والحـــاوي • فالجنس العالـــي الجسم ، والنوع الاخير هو شجرة التين ، والنبـــات والشجرة المطلقـــة متوسطان بينهما • والنوع الطبيعي حده صورة واحدة تعم أشخاصا كثيرة ، والنوع المنطقي هو المقول على كثيرين متفقين بالصور في جواب ما هو النـــوع • واعلم ان الجنس صورة الكلي في الذهن وتجرد الصور الماديـــة وتركيب الانفعال والوهم على أمثلة الحس وثبوت الضمير على ترتيبها كذلك حتى يصرفها تحقيق الوحدة للوجود الحامل لكل موجود فيخلع خبر الاضافـــة ويخلص الافراد ويجمع المتناسب ويبدد النظر الـــى ذلـــك فيعسر فرض الكثير بل لا يمكن أصلا • فعلى ما ركب الجنس اذا فـــلا خلاف فـــي الوجود • ومماذا انفصل النوع ولا موجود الا الازل فمـــا هـــو الجنس والكثرة عبودية • وما هو النوع والقلة مسخرة (١) • ومـــا هو الجنس وفعله لم يفعل نفسه • ومـــا هو النوع وادراكه يجذب مثله • مثال ذلك اذا رأى احد شخصا على قارعة الطريق لم يعلم من أول ما نظر اليه عـــلى البديهة انه من الرجال او من النساء الا بعدما تبين وحمل النظـــر عـــلى أجزائه • والا لا يقدر أحد (ان) ينظر الى أشياء كثيرة في زمان واحـــد

---

١ ــ يظهر هنا ميل ابن سبعين لرد هذه المفاهيم المنطقية بما ينسجم مـــع قوله في وحدة الوجود .

ولكن في أزمنة كثيرة • وكذلك حال الرجال في أول نظرهم بأجمعهم ولم يتخطوها ولم يعلموا الثانية فلو علموها لضعفوا ودك بهم الجبل • وهذا سر وهو والله رمز وانا على خطر من الكلام فيه لكني غير مالك نفسي وهنا نريد ان نقطع ونتكلم على الفصل فنقول :

الفصل

هو الكلي المفرد الذي يميز كل واحد من الانواع القسيمة [١١ ب] في جوهره عن النوع الاخير له في جنسه القريب • وقد يقال الفصل هو الذي يدل على كثيرين مختلفين بالانواع في جواب اي • فانك تقول درسني الحيوان ، فيقال لك اي حيوان ؟ فتقول الناطق • وقد يقال الفصل : كل لفظة دالة على معنى ينفصل به النوع من الجنس كالصهيل للخيل والنطق للانسان • ولكل نوع صفة مقومة أو ذاتية له أو مقولة عليه بالذات اذا وصف بها ينفصل عن غيره واعلم ان الشيء قد يتميز عن غيره ، لا في ذاته بل ببعض لواحقه ، كتميز الجلد عن الجلد اذا كان أحدهما أبيض والآخر أحمر • وقد يتميز الشيء عن الشيء في جوهره ، لا ببعض أحواله ولواحقه ، مثل ما يتميز الخاتم عن الاصبع • والفصل يجتمع مع الجنس في معرفته بذاته ويقصر عن الجنس بكونه لا يعرف الا جوهره الذي ينحاز به عن غيره ولا يتعرضه • وهو ينسب تارة للجنس وتارة للنوع • اما ان يقيد ويردف واما أن يتم ويجمع ويجتمع مع الخاصة بنوع ما من الاجتماع ، وتفصل به الانواع على اجناسها • والكلام على الفصل يطول على ان الذين طولوا فيه لم يخلصوا الكلام عليه بوجه • الا ترى الفارابي قد شتته وخلط فيه ، وهو أنبه من غيره وسيد فلاسفة الاسلام وامامهم وهو المخاطب بينهم • وحقيقة الفصل اذا نظرته هو اضافة المعنى الحاصل في النفس وسكونه فيها • ولا يضطرب الضمير لذلك وما جذبته الارادة وامتنع العقل ان ينثني عنه وثبت في قوة الادراك وبلغ به الذهن أمله بين اثنين فصاعدا ويتصرف به الضمير في

تودده ونظره لغير جوهره اذا احتاج لذلك • وبعدما تجتمع عنده القوة النزوعية يتخلص الفرق اذ والفرق معقول ذاته وذاته محتاجة له وبه تخلص من غيرها وتنفرد من تداخل (١) المحل بها فهو يضطره لامل كما ذكرنا وضمير وارادة كما ذكرنا (٢) قبل • فان جعلنا الاولى هي الثانية قلنا المحال وعددنا الانسان و « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » (٣) • فقد صح ابطال التعلق وبقي الخبر وهو من لواحق الوجود • والوجود اذا حقق لا يلحق ولا يلحق فان الذي يقول ان الله لاحق وملحوق فقد جعل مسافة من غير وجود • والصحيح ان الوجود لا يصدر من وجود ولا من عدم فان العدم لا يفعل ولا ينفعل ولا يمكن ان يكون من قوة وامكان • لانا نفرض الذي كان بالقوة وخرج الى الفعل ، فان الذي أخرجه الى الفعل ما هو بنفسه بالفعل • فاذا كان ذلك كذلك فلنرجع الى الوجود فنقول ، الوجود فعله وهو محال ؛ كما قد تبين فما بقي في الفصل الا انه قضية من الوجود المطلق أضافته للضمير أمثلة الوجود فاعلم ذلك • وقد تم الفصل فنبدأ بذكر الخاصة بحول الله وقوته • وجميع ما ذكرته لك ان قبلته دون استفهام فلا شك انك تغالط نفسك فانه من الكلام الظليم الوحش الذي لا يفهم الا حتى يرد عليه ما يفسره •

القول على الخاصة

الخاصة لفظة تختص لنوع ما وحده من بين سائر الانواع مثل الكتابة للكاتب دون سائر الانواع • وقد تكون للشيء بالعرض [١٢ أ] مثل ما تقول صح فلان فيقال لك اي فلان فتقول الضاحك في الجماعة • فقد صار الضحك له بين الجماعة خاصة ، وهو عرض من الاعراض المفارقة لكن لما لم يضحك أحد ، الا هو صار الضحك

---

١ ــ أ و ب المتداخل المحل . والتصحيح من هامش أ .
٢ ــ أ ، فهو يضطر لامل وضمير وارادة كما ذكرنا .
٣ ــ سورة الاحزاب ٤ .

له خاصة • وهي اذا حققت فصل غير انها لا تعرف بذات الشيء كما يعرفه الفعل وكان الامر فيها على الذهن المحمول • وان (١) لـم نـر الضاحك يضحك فنعجز ان نقول هو انسان أو هو حمار ، هل له ان يضحك ولغيره ان لا يضحك ؟ فهي تضيف الظاهر اللازم للشيء وجوهرها قد دل عليه ، وهي كلي مفرد يوجد لنوع ما وحده ولجميعه ودائما • وتستعمل فـي تمييز نوع عن نوع لا في جوهر وهي تساوي النوع الذي هي له خاصة وتنعكس عليه في الحمل ، كقولنا كل فرس صهال وكل صهـال فرس • والخاصة تخصيص يثبت بالذات لا من جهة الانفعال فقط بل من الصفات المقومة والمتممة وغيرها • مثال ذلك الكتابة تخص الكاتب وهـي غـير مقومة لمعقول الانسانية ، ولكنها متممة له بعد وجوده بخلاف مـا هو الفعل عليه فيه • فان الفعل لو قدرنا حذفه ، لرفعنا معقول الذات التي هو لها فصل • كالنطق للانسان فصل له عن البهائم وواجب في الانسانية ومقوم لها ، ولو رفعناه ارتفعت • وهي جزء الرسم فان الرسم مركب مـن جنس وخاصة ، والتحقيق في الخاصة انها وصف يثبت لموصوف ما ولا يدخـل معه غيره فيه (٢) ، ووجودها في الوجود الثاني الذي يحصل لموجود مـا ويكون في الوجـود الاول بالنظـر الموقف (٣) • ولا يصح للعاقـل ان يخصص العدم ولا يقسم الواحد ويجعل بعضه لـه وبعضه لغيره فيكون ذلك من المحال • فاعلم ما هي الخاصة المنطقية وتكلم فيها مع غير الخاصة، والعلماء بالوجود • وبالجملة ما دمت تتكلم في لواحق الوجود تكلم فيها كما ذكرت لك فاذا حققته في نفسه وتكلمت فيه مـن حيث هو فلا خاصة ولا عامة الا قضايا مخبرة أو عـدم مضاف في شيء وممنـوع لشيء والسلام •

---

١ ــ ب والا .
٢ ــ ا ــ معه فيه غيره .
٣ ــ كذا في النسختين .

والخاصة تنقسم ثلاثة أقسام : قسم للنوع وحده وليس لكله كالطب والهندسة الموجودتين لأناس دون غيرهم وليس لكلهم • وقسم للنوع كله وفي كل زمان كالضحك للانسان والصهيل للفرس ، والخاصة ما لم يعرف ولا يشير الى حقيقة الشيء وكان لازما للامر على انفراد ورجع عليه في الحمل • انقضى الكلام على الخاصة فنبدأ بالعرض فنقول :

العرض

ينقسم قسمين : عرض ذاهب كالخجل والوجل ، والحركة والسكون • واما ثابت كالفطوسة في الانف والسواد للغراب (١) • وهو يكون اما في شيء ولا يوجد الا فيه مثل الشهولة في العين واما في الاكثر وعلى الاكثر (٢) وعلى العموم كالحركة والسكون • وهو يميز النوع لا عن جميع ما سواه ؛ بل عن بعض الاشياء وفي بعض الاوقات • ومن أجل ذلك يسمى في وقت (ما) خاصة بالاضافة ، فانه يميز الشيء اذا كان الشيء (٣) محدودا وفي زمان معين ومخصص ، مثل ما تقول ما هو فلان من بين الجميع فيقال هو المتكلم فيهم فصار ذلك له مميزا [١٢ ب] • فاذا ذهب لم يعلم المذكور بخلاف ما تعطيه الخاصة والكلام فيه على التمام يخرجنا عما أردنا من الاختصار وما عزم عليه من التحقيق واعلم ان تقسيم الجنس بالعرض لا يفضي الى المطلوب ولا يبلغ اليه به فلا تستعمله في البرهان • مثال ذلك اذا أردت ان تقسمه بالعرض فتقول الحيوان ينقسم الى أبيض وأسود وكاتب ودارج فلا تنتهي الى مطلوبك به أبدا • ويرسم بأنه الشيء الذي يكون ويفسد ولا يفسد الحامل له • ويرسم العرض المذكور أيضا بأنه الذي يمكن ان يكون في الذي هو فيه ويمكن أن لا يكون • ويرسم بأنه ليس بنوع ولا جنس ولا فعل ولا خاصة •

١ ــ سقط القسم الثاني في ب .
٢ ــ وعلى الاكثر ساقطة في أ .
٣ ــ اذا كان الشيء ساقطة في أ .

ويرسم بأنه الذي يكون في الشيء لا كالجزء منــه وهو عـــلى ضربين روحاني وجسماني كالعلم واللون • ومنه ما هو في الذهن ، ومنه ما هــو في الحس ، وهو جزء العالم ، وأنواعه تسعة أجناس وهي الاجناس العالية كما نبين بعد بحول الله وقوته • والعرض وهم يحمل عــلى وهم وادراك يخبر عن ادراك ومدرك يحتاج الى مدرك • والوجود من حيث هو غــير هذا ، ألا ترى العرض من حيث هو عرض لم يخرج من كونه وجودا • ولا الجوهر من حيث هو جوهر خرج من كونه وجودا • ولا الادراك خــرج عن الوجود • ولا الفاعل خرج عن الوجود ولا المنفعل خرج عنه • فنقول العرض قضية مفردة ولا تنقطع وهي تمسك الوجود المقيــد او هي هو • والجوهر قضية مفردة كذلك ، والقضية في نفسها واحــدة • والوجــود المطلق واحد • والعدد وجود مقيد • والواحد قديم وذاته قديمة ، لا على مذهب من يرى ان العدد زايد على طبيعة الموجود كما ذكــر فيما بعـــد الطبيعة مع المسائل العويصة • وانما نعني انه هو المشار اليه وان الاثنين محدثان والقضيتان شكلهما من جهة المخصص والقديم واحد • والخلاف والتباين بينهما لم يقع في الوجود من حيث هو ، وانما وقــع في خبر مــا بين قضيتين ، والخبر قضية • فقد صح ان العرض والجوهر مــن جهــة الادراك لا خلاف بينهما والحق الجامع لهما النظام القديم وسلب الذوات وهذا ما وقع في العرض فنبدأ بذكر الشخص فنقول •

الشخص

هــو كلــي امــا متفــق وامــا مختلف يشار اليه دون المجاور له أو المتداخل معه • والشخص بالنظر الى الكلي هو ما يحمل على أكثر من واحد • وبالنظر الى ما نحن بسبيله هو المجموع المشار اليه • وقــد يقال الشخص جنس من جهة الاكثر والحامل للاجزاء يمال اليه ويقصد نحوه • وقد يقال الشخص ما كان من الالفاظ دالا على جملة تختص الاشارة بها وتقع عليها دون غيرها كقولك هذا الرجل وهذا الفيل وهــذه المدينــة •

والشخص ما جمع الجوهر والعرض ويطلب أو يبصر ويشار اليه وتتوجه عليه المعاني الكلية المذكورة • ومعنى ذلك ان [١٣ أ] الشخص هو الذي يفصل وهو الذي يخصص وهو الذي يقسم وهو الذي يتحرك وهو المجموع المشار اليه دون غيره • والشخص حقيقة هو الكلي الذي يتنوع ويقال على الاعم من المبادىء • وهو العالي الذي يحوي المعاني (١) • وذلك ان أجناس الموجودات العالية عشرة ، وجميع ذلك في العالم والعالم مجموعها • فكأنه (٢) جملة مجموعة يحتوى على أجناس عالية • فالشخص هو المشار اليه وهو الكلي أو الاكثر واذا فرضنا هذا فكل جامع وحامل شخص كان جسمانيا أو روحانيا • وان كان بالنظر الاول لا يكون الا جسمانيا فقد يكون بهذا النظر على ضربين فحقيقته بعد ذلك كله كثرة القضايا والتوابع من المبدع بعد المبتدع الاول ، والحاوي على الامثلة والخلاف وحرف الموجودات • واذا صح هذا فكأنه ظل للحقيقة واسم مكتسب وليس بصادق فان المجاز والاستعارة لا يطلبان في التحقيق • فبقي ان الشخص مشار اليه يضمحل ويثبت اما بما هو واما عما هو ولماذا هو ويتردد على ادراك واعتقاد • وقد تم الكلام على الكليات المفردة التي توجد ما بين المحمول والموضوع •

وقبل ذلك تكلمنا في الحد والرسم وبقي علينا من المعاني الكلية القول الذي ليس بحد ولا رسم • فان المعاني الي تتألف عنها القضايا واليها تنقسم تسعة أصناف : شخص ؛ وعرض ، وفصل ، وجنس ، ونوع ، وخاصة ؛ وحد ، ورسم ، وقول تركيبه تركيب تقييد ليس بحد ولا رسم • والقول الذي تركيبه تركيب تقييد هو الذي يفسر الاصناف المذكورة ويعطي العلم بها مجملة ومفصلة ، ويؤلف من نوع وعرض كقولنا المدينة الحصينة واليمامة البيضاء • وقد يؤلف من جملة أعراض كقولنا في

١ ـ كلمة ناقصة في ب ، وغير واضحة كذلك في أ •
٢ ـ أ ـ فكأنه كان •

الطالب انه بحاث مجتهد ومنها ما يساوي في الحمل النوع الذي يوجد له فيكون خاصة • والكلام على التمام نذكره بموضعه ونبين الجازم منه وغير الجازم والتام وغير التام والتقييد فيه ما هو وكذلك الاشتراط • فنبدأ بذكر المقولات العشرة والاجناس العالية المفردة المدلول عليها بالانواع المفردة أو بالعكس فنقول :

المقولات العشرة

هذه المعاني التي تطلب معرفتها وتبحث عنها محصورة في عشرة أجناس والاجناس العشرة المذكورة هي ذوات الموجودات ، التي حصرها هذا الوجود لا يخرج منها شيء من هذه المذكورة (١) ، وهي الجوهر المتقدم والجنس العالي الموطا لغيره من الاجناس التسعة وبعده الكمية ثم الكيفية ثم المضاف ثم متى ثم أين ثم الوضع ثم الملكة وهي مقولة له ، ويقال له القنية ثم الفعل ثم الانفعال • وهي أعزك الله ينظر فيها ويبحث عنها في الوجود ، فاذا نظر فيها من حيث هي حاضرة في النفس الناطقة عند المقايسة بين بعضها وبعض في العموم والخصوص والاتفاق والاختلاف كان البحث منطقيا • واذا نظر فيها وبحث عنها بحسب وجودها في الهيولي ولها مبدأ وحركة وسكون ويلحقها التغاير والاستحالات والحركات كان النظر طبيعيا • واذا نظر فيها من حيث هي موجودة في العقل معراة عن المادة ، ومنزهة من الشوائب ، وفهمت ذواتها ونظرت مجردة عن الاحوال من حيث تدل [١٣ ب] عليها حدودها ورسومها كان بحث ما بعد الطبيعة ، وهو الذي يسمى الهيا • ويقال لهذا النوع من البحث الهيا من قبل ان هذا الوجود الذي هو هذا وصفه سبب للوجودين الآخرين ، كما ان الحق سبحانه سبب لجميع الموجودات ، وأيضا لما وجب وصح وعلم ان الاله ليس هو مادة ولا في مادة ومنزه عنها سمي هذا العلم

---

١ ــ الجملة الاخيرة غير موجودة في أ .

باسم المطلوب به ، مع كون الجواهر المفارقة منزهة عن الجسمانية فاعلم ذلك • وقد اجتمعت في ثلاثة وهي : المنطقية والطبيعية وما بعد الطبيعة والبحث عنها على ثلاثة أنواع بحث منطقي وبحث طبيعي وبحث الهي فنبدأ بذكر الجوهر وماهيته فنقول :

الجوهر

هو الشيء الذي لا يعرف من موضوعه شيء خارج عن ذاته والكلي منه يعرف من جميع موضوعاته ذواتها • وشخص الجوهر الذي لا يعرف من موضوع أصلا ذاته • والجوهر بالجملة هو القايم بنفسه القابل للصفات والذي له حجم وله بالذات احياز الا (١) الهيولى الكل • والجوهر المطلق على خلاف بين القدماء في ذلك • والجوهر هو الموضوع الحقيقي فان الاعراض قد تكون موضوعات على غير المجرى الطبيعي وهو يطلق على أربعة أنحاء ، على الاجسام البسيطة ، والمولدات الثلاثة • وانما يقال عليها الجوهر لانها لا تقال على موضوع ولا في موضوع بل سائر الاشياء يقال عليها ، وهذه هي أشخاص الجواهر • ويقال على الاشياء التي هي علل الجواهر التي لا تقال على موضوع مثل نفوس الحيوان • ويقال أيضا جواهر على الاشياء المقومة للشيء والتي اذا توهم ارتفاعها ارتفع الشيء • ولاجل ذلك قيل في الابعاد الثلاثة والاعداد انها جواهر، فانها اذا ارتفعت ارتفعت الموجودات بأسرها• ويقال الجوهر على القول الدال على ماهية الشيء ، وهو الحد • وتجتمع هذه كلها في معنيين أحدهما الجوهر الذي لا يقال على موضوع وهو شخص الجوهر ،والآخر الذي يدل على ما هو الشيء المشار اليه وهو صورة كل شيء ومثاله • والذي يجب ان نقسمه لك بصناعة التحليل ونذكر كل الجوهر على الاطلاق فنقول :

---

١ ــ أ ــ لا الهيولي .

الجوهر

منقسم قسمين ، جسمانيا وروحانيا • الروحاني ينقسم الى أربعة أقسام وهي : النفس ، والعقل ، والصورة المجردة المعقولة ، والهيولى الاولى • ولهذه أقسام أخر غير هذه وقسمة ابلغ ، ولكن هذه فيها الاقناع • والجسماني ينقسم قسمين : الى قسم فلكي ، والى قسم طبيعي • الفلكي أقسامه تسعة وهي الافلاك التسعة ، الفلك الحامل وهو الاطلس وهو العرش المكني • الثاني التالي له هو فلك البروج وهو الكرسي الواسع • الثالث فلك زحل • الرابع فلك المشتري • الخامس فلك المريخ • السادس فلك الشمس • السابع فلك الزهرة • الثامن فلك عطارد • التاسع فلك القمر • والطبيعي ينقسم قسمين مركب وبسيط • البسائط أربعة وهي : الارض والماء والهواء والنار • والمركبات ثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن • والحيوان ينقسم على ثلاثة أقسام : ما يبيض ، ويتكون ، ويلد • والنبات ثلاثة [١٤ أ] ما يقوم على ساق ويزرع وينجم • والمعادن ثلاثة ، منه ما يذوب ويحترق مثل الكبريت ، ومنه ما يذوب ولا يحترق مثل الفضة والذهب ، ومنه ما لا يذوب ولا يحترق وهو الجماد والحجارة • وان شئت قلت الجوهر ينقسم على ثلاثة أقسام وهو : الجسم ، وما ليس بجسم ، والمركب منهما جميعا • أعني الجسم النامي واختبر ذلك بقولك الجسم والجوهر والنامي والحي ، ومن الناس من أنكر الجسم النامي وخاف ان لا تدخل الكواكب في قسمته • وانا نقسم كل النامي وغير النامي بحول الله وقوته وعونه ، فنبدأ بذكر الجسم ليس بنام فنقول :

الجوهر

ينقسم الى جسم ولا جسم فما ليس بجسم هو المفارق للمادة وهو ما لا يمكن ان يكون متحركا ولا ساكنا • وما هو جسم ينقسم قسمين : نام ولا نام • فالذي ليس بنام هو الذي لا يقبل الغذاء

ولا يحيله ولا يرد عليه وارد من خارج ولا يتقدم لكله جزؤه • ومنه مـا يتحرك من الوسط وهو النار والهواء ، ومنه ما يتحرك الى الوسط وهو الماء والارض • ومنه ما يتحرك على الوسط وهي الافلاك التسعة وما فيها، وهي تنقسم بجملتها الى نيرة والى غير نيرة ، والنيرة منها تنقسم قسمين : اما ثابتة كالفرقدين واما متحركة • وهي اما ذات رجوع كالمشتري وامـا غير ذات رجوع كالشمس • وغـير النـيرة تنقسم قسمين : امـا لازمـة لمواضعها كنطاق البروج وفلك معدل النهار وامـا ان تبـدل مواضعها كافلاك نصف النهار والآفاق • وهذه قسمة الافلاك والبسائط قد تخلصت من الجنس الغير نام • فبقي القسمة التي تحت مقعر الفلك ، فلك القمـر فنقول :

من الجسم الغير نام ما يجمد بالنار في زمان قصير كالملح ، واما في زمان طويل كالفخار ، ومنه ما يحتمي بالنار فقط ، وهو اما مجتمع الاجزاء كالحجارة ، واما مفترق الاجزاء كالرماد ، ومنه ما يشتعل ويذوب ، وهو اما محترق كالكبريت ، واما يقطر كالشمع ، ومنه ما يشتعل ولا يذوب ، وهو اما ان يشتعل سريعا كالكتان ، واما ان يشتعل بطيئـا كالابنوس ، ومنه ما يذوب بالنار فقط ، وهو اما يذوب في زمان قصير كالجليد ، واما يذوب في زمان طويل كالذهب • انقضى الكلام على الجوهر الـذي ليس بنام فنذكر الذي هو نام فنقول :

الجوهر النامي

هـو الـذي يقبـل الغـذاء ويحيلـه وتتباعـد أقطـاره مـن وسطه بعد الشبه به ويرد عليه وارد وتتصل به أجزاء أكثر من أوله • وهو الجاذب وهو المنير ، وهو الحركة الوجودية ، وهو معقول حركة الكـم وهو الممتد بحسب ما في قوته والوجود يسبب (١) عدمه الممانع لفعله •

١ ــ أ ، بسبب ، أو يسبب كذلك في ب .

ومنه الشجر العظام وهي اما مثمرة كالتين واما لا تثمر كالصفصاف ، ومنه النبات وهو اما حشيش كالبابونج ، واما حبوب كالقمح واما بقول كالخس • ومنه الحيوان وهو اما ناطق كالانسان خاصة ، واما غير ناطق• وهو اما ما له اكف كالذئب ، واما خف كالجمل [١٤ ب] ، واما له ظلف كالثور ، واما له براثن كالاسد وما له حافر كالفرس • ومنه الطيار ، ومنه ما لجناحه ريش كالعقاب ، ومنه ما لجناحه جلد كالخفاش ، ومنه ما جناحه صفاق كالنحل ومنه الهوام • وهي اما ما له أرجل واما ما ليس له أرجل • ومنه السابح ومنه بحري ومنه نهري ومنه تفاجي ، اسعدك الله • والجوهر الذي هو بين النامي وغير النامي وهو ما بين النبات والمعادن كالبسد (١) • ومنه لين الجسد كالاسفنج البحري • ومنه صلب كالصدف • فهذا الجوهر قد تخلص على الوجه الصناعي بتقريب • ولولا ما ربطت في هذا الكتاب على الاختصار لذكرت لك خلاف الناس فيه ، وتحقيق الجوهر الفرد ومن يعتقده من القدماء وابطاله ، وكلام الذين يقولون بانقسامه والحق في نفسه ما هو • ولما كان المراد الفائدة بتقريب تركنا التطويل • وحقيقة الجوهر حكم عسير الذهاب أو قضية بطيئة أو مدرك متقدم بالذات على غيره وتقدمه عليه هو المقوم للذات الثانية وكلا القضيتين لا يتعين منهما الا معنى الذهاب والثبوت والوضع • فاذا كان النوحيد فعلى ما يقضى بالقضية ، وما هي القضية اذا • وما معنى القاضي والقضية وهما لا يعقلان الا في أكثر من واحد • فاذا قدرنا الواحد في نفسه والقضية والمحكوم عليه قد ذهبا بالتمييز والاستفهام بل بما هما وما هو فلا جوهر الا كمال يقال في السفر بصناعة الحدود والنقط • والحق اذا علم لم يقدر مخاطب ولا مالك ولا تتخيل ان الجواهر الروحانية المفارقة

---

١ ــ كذا في النسختين . وفوقها كالمرجان في أ .

للمادة تخرج عن هاتين (١) القضيتين • واعلم ان الجواهر الاولى (٢) مثل زيد وخالد ، والجواهر الثواني هي الناعتة للجواهر الاولى ، وهي التابعة الاجناس والانواع معا ، وأشد ذلك تحقيقا أقربها مـن الجواهر الاول • أعني بذلك ان الحيوان أقرب فـي الجسم للانسان (٣) وهـذه بطاقـة كاملة ثم العطف عـلى الصم وقصد التغطيـة في الجسم لـلانسان (٤) • والانسان المطلق أشد تحقيقا من الحي ، اذ هو أقرب من بكر وخالـد • والجوهر المطلق لا حد له من أجل انه لا يعلوه جنس • والحدود مأخوذة من الاجناس والفصول فلا حد له ، وله خاصة عنده تميزه عن غيره ، وهو انه القائم بنفسه الحامل للمتضادات ، وهو واحد بالعدد غير متبدل فافهم ذلك • وقد بلغ بنـا الكلام عـلى الجوهر الى حد يجب السكوت فنبدأ بذكر الكم فنقول :

الكـم

الكم هو الذي يقدر بعضه كله • والكم هو كـل شيء أمكن أن يقدر جميعه بجزء منه ؛ كالعشرة تقدر بواحدها ، أو ما هو مساو لجـزء منه• وأنواعه سبعة وهي : الجسم ، والسطح ، والخط ، [١٥ أ] والزمان، والمكان ، وهذه الخمسة يقال لها الكمية المتصلة • والقول والعدد يقـال لها الكمية المنفصلة • والمتصلة من الكمية هي ما كان لهـا فصل مشترك فيتحد أول منه بثان ، فيصيران باتحادهمـا بفصلهما المشتـرك واحـدا كالنقطة للخط ، والآن للزمان الحاضر • والمنفصل ما لم يكن لـه فصل مشترك ، ولكن لـه ترتيب ونظم كالعـدد لـه نظـم وتـرتيب وليس له فصل مشترك • والكمية قسمين اما لذات وضع وهـو مـا لاجزائـه

---

١ ــ في النسختين هذه .
٢ ــ ب ، الجوهر الاول .
٣ ــ ب ، أقرب للجسم من الانسان .
٤ ــ الجملة هذه مضطربة . وفي أ على الهامش .

بقاء وثبات • وهو ينقسم أربعة أقسام منها : الجرم والسطح والخط والمكان • واما ما لا وضع له وهو ما ليس لاجزائه بقاء ولا ثبات ، وهو ينقسم ثلاثة أقسام منها : الزمان والقول والعدد • والكم ليس له حد ؛ لانه جنس ليس له جنس يعلوه ولكن له خاصة تميزه وهو مساوي ولا مساوي • والكمية منها ما جنسها الكثرة ومنها ما جنسها العظم والكمية في التحقيق اجتماع القضايا المفردة في قضية يقال لها ذهن أو حس ، وهذه القضية في أخرى يقال لها كلمة ، فالكم قضية واجتماع لا غير •

القول على الكيفية

الكيفية تنقسم قسمين أحدهما الحال وهو السريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الخائف • واما هيئة كزرقة الازرق وفطوسة الافطس • والكيفية تنقسم قسمين : نفسانية وجسمانية • فالنفسانية ما غاب عن الحواس كالعلم والفهم والحلم والغضب • والجسمانية تنقسم قسمين : اما محيلة الى ذاتها واما غير محيلة الى ذاتها • فالمحيلة الى ذاتها عند المباشرة كالحرارة والبرودة وهي تسمى فاعلة • واما غير المحيلة الى ذاتها فكالرطوبة واليبوسة وهي تسمى منفعلة • والكيفية تنقسم قسمين : اما كيفية قوة واما كيفية فعل • فالقوة كقيام القاعد ، والفعل كقعود القائم • وذوات المتضادات موجودة في الكيفية • والكيفية تعطي اسماء انواعها واسماء أشخاصها حواملها باشتقاق • والكيفية ليس لها جنس يعلوها فليس لها حد ولكن لها خاصتان تميزانها مما سواها • احداهما عامة لجميعها وهي شبيهة ولا شبيه (١) ، والاخرى ليست بعامة لجميعها وهي أشد وأصعب وهي بالجملة الهيئات التي بها يقال في الاشخاص كيف هي • وهي التي بها يجاب في المسئلة عن شخص شخص

---

١ ــ التصحيح من هامش أ . ب ، شبه ولا شبه كذلك في أ . وعلى هامش ب : شيئه ولا شيئه .

كيف هو وهي تقال على أنواع احدها ما تتغاير بـه الاشياء في جواهرها وهي صورها • مثل ما اذا سئلنا ما الكيفية التي بها يغاير الانسان في الحيوانية الفرس ، فيقال النطق • واسم الكيفية يطلق بنوع ثان على صور الاشياء التي لا تتحرك مثل التعاليم فانه يقال كيفيات الانواع التركيبات التي فيها ، مثل المثلث والمربع والمسدس والمثمن (١) • ويقال الكيفية على تداخل الكمية بما هي كمية والكيفية تطلق على الاشياء التي تنتسب الى الفضائل والرذائل • وهذه هي الهيئات مثل العلم والحلم والرذالة والحقد • والكيفية هي الاثر وهي قضية ثالثة بها تجمع القضيتين وتفرق وبها يقع الخبر عن الوجود وهي في النفس حافظة وفي العقل خديمة وفي المبادي متوسطة • وهي بعد الكمية بنظر ما وقبلها بنظر آخر•

القول على الاضافة

الاضافة نسبة ما بين شيئين ، ثبات كل واحد [١٥ ب] منهما بثبات صاحبه الذي ثباته يدور عليه ولا ينافيه • والمضاف ينقسم قسمين : النظير وغير النظير • فالنظير ما كان المضافان فيه بمعنى الاضافة المنطقية متشابهين في الاسم والمعنى كالصديق والاخ والجار • فان الجار جار جاره ، والصديق صديق صديقه ، والاخ أخو أخيه • وهذه قد تكون ذات أحد المضافين أقدم من الاضافة• وغير النظير ينقسم قسمين : احدهما ما كان ذات أحد المضافين أقدم من ذات الآخر ، وهما في الاضافة معا كالاب والابن • فان ذات الاب أقدم من ذات الابن• والثاني ما الذاتان فيه أقدم من الاضافة وان كانا في الاضافة معا كالمولى والعبد والنصف والضعف • وبعض المضاف يقال بالعدد مثل ما قلنا بالضعف والنصف • وبعضه يقال بنوع الفاعل والمنفعل مثل المطبوخ والذي طبخه • وبعضها بنوع العظمة مثل المقدار الى القدر • وبعضها

---

١ ــ أ ، والستة والثمانية .

بنوع الكيفية مثل العلم الى المعلوم والمحسوس ، وهي من أقسام المتقابلات وذاتها وحقيقتها الاستناد والعدد والتركيب والمسافة والحيز والاول والآخر والقبل والبعد والرفيع والحقير والقليل والكثير . والذي يعتقد المحقق فيها انها ناقصة ومنكوسة فانها لا تصدق في الاسماء الخاصة والكيفيات المثبتة والنظام الخالص وتدفعها الصفات العلية . ولا يثبت من الاضافة عند التحقيق الا الوهم الذي يذهب وبذهابه يقع الكمال عند المحققين فانهم عند ادراكهم لا يقنعوا بالكثرة في حق المطالعة . فاذا وصلوا ولا يجدونها ثبتوا عند أنفسهم فاذا غيبوا ماتوا عن جملتهم فلا هم ولا هي وهي وهم . فان فرضت فانما يكون فرضا صناعيا عند الرجوع والبقاء في الهفوات . وكذلك التوحيد لا يصلح الا بفساد جوهرها ، أعني توحيد الخواص . ومن أجلها ولقطعها بعثت الرسل . ألا ترى انها لو رفعت ولم تكن معقولة اكان يوجد لله من شريك في وهم الكافر ولو عدمت اكان بين العقل والنفس فصل خاص . دع عنك يا أخي مبدأها وعليك بآخرها . وخل عنك معناها وعليك سلبها وفرقها وخذ الشق الممتد مع الوهم المنجر الواحد منها واحرقه باليقين ودع الآخر يخبرك متى يفقد فقط ، والسلام . هذا آخر القول على المقولات الاربع البسيطة . فنبدأ بذكر الستة الباقية بحول الله وقوته .

القول على الاين

الاين تركيب جوهر مع مكان وهو قولنا فلان في السوق . وجهات حركة النقلة للمتمكن ستة وهي : فوق وأسفل ويمين وشمال وخلف وأمام . وهي ليست بمكان غير انها توصف بتشكيك المكان . وهي لفظة اذا حققت فهي مكان عام وتشير الى مكان خاص . ولا هي تركيب الجسم المنطبق غير انها لفظة تعطي المسؤول عنها في تقرير مكان . لانك تقول أين فلان فيقال لك في الدار . فقولك في الدار هو غير الدار ، لانها لا تدل على الدار من حيث هو وانما دلت على

المتمكن فيه • [١٦ أ] وحرف النسبة افادت دلالته ذلك • وبالجملة ما من جسم طبيعي الا وله اين قريب واين بعيد ، مثل ما تقول الرجل في الدار ، والدار في البلد ، والبلد في الاقليم • والاين منه ما يشاهد ومنه ما لا يشاهد والاين اما مضاف كما تقول الفوق والتحت ، واما بنفسه ولذاته كما تقول الماء في الاناء • والاين يحمل القضايا وينوعها ويتحد به الفصل الذي بين القضايا المجردة المحدودة • وتثبت عنده المقادير في المبادىء ويحفظ منه الاوهام ويتعلم به الصعود وهي من أدوية العروج الى الذوات المفارقة • فاذا وجدت الراحة من عالم التركيب ترك الدواء ، ولو لم تقبل النفس من العقل الاول لم يتخلص العقل الهيولاني الى الذي بالملكة والى الفعل ولو لم يقل القائل الرحمة في الذات الفاضلة لم يقصدها وهي محللة ومعللة تحلل الباطل في السلوك وتعلل الحق عند الوصول • وبها ومن أجلها قال بعض الرجال « ان وقعت الاشارة فالانية لم تنقطع وان حققت العبارة فالمادة لم تنفصل » (١) • والكلام فيها قد تم وريح الحق عليه قد نم •

القول على متى

ومتى اضافة جوهر مع زمان • وتصريف الجوهر في الزمان على ثلاثة أقسام : ماض ومستأنف وحاضر • وأصح ما قيل فيها انها ليست مركبة من جوهر وزمان وانما هي من الاسماء الدالة على الشيء الذي سبيله أن يجاب به (٢) في جواب السؤال عن الشيء متى كان أو يكون • وقد يكون السؤال بمتى عن نهايتي وجود الشيء ، والجواب عنه اما نهايته الاولى ، فكقولنا متى ولد فلان فيقال في وقت كذا ، واما نهايته

---

١ ــ العبارة لاحد المتصوفين .

٢ ــ ب ، له .

الاخرى (١) فكقولنا متى مات • واعلم ان اطلاق كمية الزمان على متى ، أو طلب الكمية منها لا يجوز ، فانك ان أردت ان تسأل عن سنه وتطلب كميته لا تقول متى سنه ؟ وانما تقول كم سنه ؟ فيقال لك ماية سنة واذا أردت تاريخ سنه فتقول متى هو ، وهي لا تنطبق على الكمية وتصلح بتقدير البداية والوقت المحدود (٢) للشيء • ومتى بالجملة مستفعلة من الذوات المجردة لما دونها من الذوات المفارقة التي هي الصور المجردة تحت مقعر فلك القمر من الذوات المفارقة لضرورة هناك • وهذا يتبين بعد فهم المبادي • والكلام في هذا ظاهره سفسطة ، وباطنه تحقيق وحكمة • ولو رفعت متى ارتفع تقدير العدد ، ولو ارتفع ذلك لفرضنا المحال • فان المبادى كذلك تثبت • ومتى على هذا النظر على ثلاثة اضرب : ضرب هي فيه بمعنى التقديم والرتبة ، وضرب هي فيه بمعنى الحد ، وضرب هي فيه بمعنى البداية والتكوين ، وعليها دار العالم المركب وعنها كان البسيط واليها وقع التعريف وبها تردد الوعد والوعيد • ومحوها بمنزلة العلة والمعلول للوصول لانها تمنع الاتحاد بالحقيقة لاجل انها تتصرف في الزمان ولا زمان هناك • وانتهت متى ، والكلام فيها الى متى •

القول على له

وله تركيب جوهر مع جوهر ولواحقه للمالك اما في ذاته الباطنة ، واما في شخصه • فالذي في ذاته كالعلم • والذي في شخصه كالسقم والسمن • واما خارج الذات [١٦ ب] والشخص • وهما ينقسمان قسمين اما حيوان ينفصل عن موضعه واما لا ينفصل عن موضعه كالارض • وقد تكون الملكة في الانفعال كما يقال ، له (٣) عندي جاه ،

١ ــ ب ، الأخرة .
٢ ــ كذا في النسختين . وعلى الهامش « المحمود تصحيح » ؟
٣ ــ أ و ب ، كما له يقال .

وله في قلبي ود • وهو بالجملة نسبة الجسم الى الجسم المنطبق عليه كما حده الفارابي • وهو في اصله رابط الضمير وهو مشير الى مسند متصل• وهو (١) في النظام القديم بالقوة والحكم الاول الخاص به والقصد الاول الواجب والكلمة الاولى المتقدمة الصادقة في المحدث بالقوة وبالفعل والمجاز الا بما يسري له من النظام القديم ؛ فهو حق على جهة الاستعارة • فمقولة له اذن للذات القديمة حق والمحدث الممكن مضاف وتابع ومعلل • فان طبيعة الممكن تمنع ذلك عن نفسها لان الممكن له ان لا يكون له له من صفة نفسه بل هو الاول الحق • وبالجملة المملوك لا يملك وهو يحفظ التمييز فان الروحاني والجسماني اذا نظرتهما له ينطلق عليها بالاضافة الى الحق سبحانه • وان قلنا في الروحاني انه منزه ومفارق للمادة فقد قلنا فيه انه تقدمه وجود مطاق فانا نقول القديم من قام بنفسه وقام به الغير وليس لوجوده سبب • والمحدث من قام بغيره ولوجوده سبب فصار هذا واجبا وهذا ممكنا وهذا آخر له • وكل شيء له هو وله الاه وهو اللـه سبحانه •

القول على النصبة

وهي الوضع • وهي تركيب جوهر مع جوهر كما اذا قلنا فلان استلقى على ما استلقى عليه • وهي اضافة كمية لكمية في مكان واجزاء الكميتين كل واحدة منهما تقابل الاخرى في المكان الذي هما فيه او تنطبق عليه • وهذا موجود لكل جسم ولكل موضوع وهيئة ما ، مثل الانسان فان له انواعا كثيرة من الوضع كالقيام والقعود والانتصاب والاضطجاع وغير ذلك • وجملته تقابل جملة المكان الذي هو فيه فاذا انتقل انتقلت أجزاؤه لاجزاء أخر من أجزاء المكان وتتنوع الامكنة ولا يتغير الوضع في نفسه • والامكنة على ضربين ضرب بذاته وضرب بالاضافة • وكذلك الوضع ضرب بذاته وضرب بالاضافة •

---

١ — ب ، هي •

والوضع في الجواهر الجسمانية خاصة ولا يمكن في الجواهر المفارقة ، الا كما تقول أحاط الذهن بجملة المعلوم وحواه • وهذا فيه من الوضع نسبة ما ، وهي تقابل مقادير الادراك للمدرك • فان لكل معلوم ادراكا ما، وكما تقول حل العقل واتصل بالنفس • وهذا لا يدخل في الحقيقة تحت الوضع الا كما تقول الانسان مركب من ثلاثة أشياء : من عقل ونفس وجسد ، ويجمع المتفق والمختلف ومن يتحيز ومن لا يتحيز • ونريد بذلك وصف الشيء بجملته لا غير ومن يطلق المتقدم أو العلة بمعنى الوضع ويريد بذلك اضافة المجاورة ، فهو غير مصيب • فان الامور الروحانية اذا تقدم بعضها على بعض انما يتقدمه تقدم وجود • والوضع قد تقدم الذي استلقى فاذا استلقى المتحرك وافقه المحرك له فانه معه وهذا خطأ • فان لنا [١٧ أ] فهي لا تقابل بعضها البعض الا لضرورة المسامتة (١) ، فانها لا تهدأ ولا تقر فكيف المحرك لها • الا ان قلت ان التحرك في المتحرك الذي استلقى فاذا استلقى المتحرك وافقه المحرك له فانه معه وهذا خطأ • فان المحرك له لا متصل به ولا منفصل عنه • والصحيح في الوضع انه (٢) تناسب الوجود واختلافه • وهو مركب من مكان واضافة وتقدم وتأخر ومعية وسكون • فان قدرنا الوجود المقيد على المطلق حملنا العدم على الوجود ، وهذا لا يثبت • وان جعلنا المطلق على المقيد ، جعلنا العدم يحمل الوجود • فالوضع في وجود العجز والوضع وهم القضايا اذا جبستها قضية أخرى • ووصل الكلام في الوضع حيث يجب عليه حركة الصفع والدفع •

القول على الفاعل

الفاعل تركيب جوهر وكيف • وهو ينقسم قسمين اما ان يكون الفعل باقيا بعد انقضاء حركة الفاعل كبقاء اثر النجار

---

١ ــ ب ، المسامت .
٢ ــ ب ، انها .

في الباب • واما ان يكون اثر الفاعل غير باق بعـد انقضاء حركته كالرقص والتقلب • وحقيقته ان ينتقل الفاعل باتصال عـن النسب التـي لـه الى أجزاء ما تحدث في الشيء الذي ينفعل حين ما ينفعل ، كما حده الفارابي وأصاب في ذلك • ومقولة يفعل انما تقع دون المبتـدع الاول مكتسبة ، واكتسابها تحت قصدين : القصد الاول للحق سبحانه الذي جعل فـي المبتدع الاول صورة كل شيء ، والقصد الثاني ما أعطـاه المبتدع الاول لما بعده فان له ان يفعل اما قوة فعالة أو قوة علامـة • وفعله معلل الاصل وتحريكه لعرض وفيضه الصور لسبب اضطره لذلك • والكلام فيه على الاطلاق عسير التصور وهو على التحقيق لا يقدر على وضعه في هـذا الكتاب • وبالجملة الحب معنى الوجود المقيـد • فان بالحركة الشوقيـة كانت اليومية ، وباليوميـة كانت الشهـور وبالشهـور كانت الفصول وبالفصول وقع التكوين • فسبحان الذي يجري الافلاك ويدبر عالمه بحبه وخلص السعيد بالتشبه بالملأ الاعلى • والذي اقوله في يفعل غير الـذي وصفته لك • فيفعل عندي لا يكون الا فـي منفعـل ، والمنفعل مفعـول والمفعول وجوده القريب والمقوم (١) له هو الفعل ، والفعل متقدم عليـه بالذات وجود المفعول بالاضافة الى الفاعل بالعرض • وهذا كله مفهـوم فيما بعد الطبيعة ، فصح ان الفاعل حقيقته هو القصد القديم فان المبتدع الاول مفعول كما ذكرت وكما تبين في صناعة النظر • والفاعل له هو الله تعالى وان جعلته معلول على ما يعطيه كلام ارسطو ومفارق لا تتقدمه علته الا بالمرتبة فهو بما يسري له من الوجود جايز وهـذا باجماع عظمـاء الفلاسفة • فما يفعل المبدع الاول اذن ليس بحقيقه • فالعلـة الاولـى ، والقصد القديم وهو الله الذي لا يغرب [١٧ ب] عن علمه شيء هـو الفاعل حقيقة • وقد قال الحكيم في غير موضع من كتبه ، ان العلة الاولى أقرب للمعلول من علته القريبة له وضرب لذلك مثلا بالحـي والانسان •

---

١ ــ ب ، المتقوم •

والمحقق يا أخي لما حقق الوجود ، وجد نفسه روحانية وجسده جسمانيا ، ورأى نفسه لا تنفرد ، وما عندها من المعنى الكلي انما هو غير معين ، علم ان ذلك يصدق على كل موجود متغير ، فيفعل بالحقيقة على كل موجود مغير انما هو خبر الاثر • والاثر هو العالم والاكوان فاذا لحظها المحقق عاين الاثر لا يقع الا على اثر وحقق ان الاثر عدم بالاضافة وصح انه عدم اذ وهو اثر من شأنه طلب الوجود فلم يتصوره ولا رآه الا في الفاعل فذهب مع الذاهبين فاعلم • وهذا يفعل قد وصلك للذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون سبحانه •

القول على ينفعل :

ينفعل هو تركيب جوهر مع كيف والانفعال هو قبول تأثير الفاعل ؛ والمنفعل هو القابل له • وهو ينقسم قسمين : الى نفساني والى جسماني • فالنفساني كالعلم الحاصل من المعلم للمتعلم • والجسماني مثل الضر بمن الضارب على المضروب • وهذه المقولة متعلقة بجميع المبدعات ومقولة عليها بالذات ، غير انها عند المبتدع الاول متفقة في الجنس والنوع على الاطلاق ومتماثلة من كل وجه • وهذا النوع من الانفعال هو عقلي وفي غيره مختلفة ومنوعة ومعددة • وهذا النوع من الانفعال نفساني مجرد عن المادة ، مثل فيض العقول بعضها على بعض • وبالجملة الانفعال لا يطلق على الروحاني الا على طريق الكمال • وفي عالم الطبيعة يطلق على التمام والنقصان (و) قد تطلق هذه المقولة على الحق سبحانه بمعنى لا حقيقة له الا في القول واما في الوجود فلا حقيقة له بوجه كما تقول الله يقبل دعاء المضطر • وهذا يفهم كما يفهم الرئيس مع المرؤوس بحرف النداء فانه اذا قدرناه من الرئيس قلنا فيه أمر واذا قدرناه من المرؤوس قلنا فيه تضرع • وكقولك اقبل وادبر وأحسن الي وارحمني • ومن زعم انه يثبت الفعل والفاعل ويشترط في ذلك رفع

الاوهام ويقول انه مصيب في قوله ، فقد جاوز المقدار وحاد عن الطريق وغلط في أمره (١) .

القول على المقابلة :

وهي تنقسم قسمين اما في القول واما في الطبع . فالذي في القول كتقابل الايجاب والسلب ، أعني بالايجاب اثبات شيء لشيء ، وبالسلب نفي شيء عن شيء . وهذا التقابل يلحقه الصدق والكذب والذي في الطبع ينقسم ثلاثة أقسام اما مضاف واما مضاد واما قنية واما عدم (٢) . والمضادان هما الشيئان اللذان ينافي كل واحد منهما للآخر ولا يدور عليه. والمضاد ينقسم قسمين : اما لذي وسط واما لغير ذي وسط . وذو الوسط كالبياض والسواد اللذان هما ضدان وبينهما وسايط كالحمرة والصفرة وغيرهما من الالوان . واما الغير ذي وسط كالصحة والسقم ، والحياة والموت ، والحرارة والبرودة ، التي ليس بينهما وسط . وقد يلحق الضدين أحدهما ان كان في النفس كان الآخر في النفس ، وان كان احدهما في الجسم كان الآخر في الجسم . فان العلم والجهل موجودان جميعا في النفس والبياض والسواد موجودان جميعا في [١٨ أ] الجسم . ويلحقهما أيضا ان أحدهما ان كان محسوسا بحاسة كان الآخر محسوسا بتلك الحاسة ، كالبياض والسواد ، اللذان هما ضدان ، المحسوسين بالبصر ، وكالمر والحلو المحسوسين بالذوق وكالخشن واللين المحسوسين باللمس . والاضافة نسبة شيء بين شيئين متجانسين ، ثبات كل واحد منهما بثبات صاحبه الذي ثباته بثباته يدور عليه ولا ينافيه ، كقولك هذا أزيد من هذا وهذا انقص من هذا . والقنية والعدم ، فالعدم أحد نسبة

---

١ ــ الجملة الاخيرة ساقطة في أ . ومثبتة على الهامش .

٢ ــ نلاحظ ان ابن سبعين يجعل أصناف المتقابلات أربعة لا ثلاثة كما يذكر . انما لا يفصل شيئا عن القنية .

الضد والمضاف معا • فان العدم مضاف الى القنية والقنية لا تضاف الى العدم • فانه يقال عمى البصر ، ولا يقال بصر العمى • والذي تكون فيه القنية فيه يكون العدم • فانما سمي الشيء عادما في الوقت الذي يستحق فيه القنية • فانه لا يقال في الاطفال جرد كما يقال للمشايخ • ولا لجرو الكلب عمي كما يقال للبالغة منها •

القول على انحاء التقدم :

التقدم على انحاء كثيرة • يقال المتقدم بالزمان ما كان أبعد من الآن اذا قرن اليه والمتأخر بهما بالعكس • والمتقدم بالطبع ما كان وجوده شرطا في وجود الذي عليه مثل الواحد والاثنين • وهو الذي اذا ارتفع ارتفع الآخر ، واذا وجد لم يوجد الآخر • والمتقدم هو الذي تقدم عليه كوجود النهار عند طلوع الشمس ؛ فانهما يتكيفان في لزوم الوجود غير ان الواحد هو السبب في الآخر • والمتقدم بالشرف هو اضافة بين رئيس ومرؤوس وهو اكمل شيئين وأفضلهما ، مثل العبادة والطب والرقص والملاحة • والمتقدم في الرتبة هو الوجيه عند مبدأ مقرب الى مبدأ ما محدود اما في المكان واما في القول وغير ذلك ، مثل الوزير والوقاف عند الملك • أو مقدمة أو مدخله أو مقدمه كمدخل الكتاب للكتاب على الكتاب بنفسه • وقد يكون الشيء الواحد يجمع على أنحاء التقدم كلها • وقد يتقدم بالبعض ، ويتقدم على كل شيء ويتأخر عنه بوجه آخر •

القول على الحركة :

الحركات ستة : اثنتان منهما في الجوهر ، وهما حركتا الكون والفساد • واثنتان في الكيف وهما حركتا النقلة والتغير • واثنتان في الكم وهما حركتا الدنو والاضمحلال • والحركة

لا تصح في مذهب أهل (١) (...) لانهـا تستدعي ستـة أشيـاء منها الحركة والمحرك وما عليه يتحرك وما اليه يتحرك ومـا منـه يتحرك ، والمجموع من ذلك . وهي بالجملة عين الاضافة وموضوعه لاوهام الاغيار ومحموله في [١٨ ب] البليد ينتعله من حال الى حال . وهي قضية مصرفة ومصرفة وهي منسوبه بعد الخير وقبل الخير وهي اثبتت الافعال وحققت الاكوان وكان من ذلك الجهل الاول المحض . وهي تركت فـي النفس التنويع والتلوين حتى كثرت تفاصيلها ولم تثبت ، ولـو ثبتت وجدت . وبالجملة هي وهم جهلك اتصل .

القول على الشيء في الشيء :

الشيء في المكـان ، والشـيء في الزمـان ، والشيء في الوعـاء والعرض في الجوهـر . والنـوع فـي الجنس . والشيء قـد يوجـد في أمـر مـا أو بـه أو معه أو لـه أو عنـده أو عنـه ، امـا بالذات أو بالعرض فالذي بالعرض وجود الصهيل عند خروج الملـك . والـذي بالذات وجود الحرق عند النار ، والموت عند الذبح وغير ذلك مما اذا وجد هذا وجد هذا بالضرورة . والذي بالعرض لا يوجد الآخر معه بالضرورة بل بالاتفاق .

القول على معنى معا (٢) :

ومعا يقـال عـلى اربعـة أنحـاء ، فـي الزمـان وفـي المكـان وفـي المرتبة وفـي القـول . فالاول مـن الانحـاء فـي الزمـان هما اللذان وجودهما واحد . والثاني هما الشيئان اللذان يشتمل عليهما مكان

---

١ ــ النص حتى نهاية هذه الفقرة مضطرب وناقص في كلتا النسختين . وقد أضاف الناسخ على هامش أ الاشياء الناقصة انما دون التمكن مـن سد الثغرات .

٢ ــ أ ، القول على معنى مع ، ومع ...

واحد • والثالث هما الشيئان اللذان هما في مرتبة واحدة عند مبدأ معلوم وهما عنده سواء ، وبعدهما منه بعد واحد • والرابع مثل انقسام الانواع التي رتبتها في الجنس التي انقسمت عنه رتبة واحدة •

القول في المتلازمة :

المتلازمان هما الشيئان اللذان اذا وجد احدهما وجد الآخر بوجوده • وقد يكون ذلك بالعرض ويكون بالذات • وهو ينقسم الى ما يوجد بالاكثر ، والى ما يوجد بالاضطرار ، وهو الداعم • وهو منقسم قسمين ضرب تام اللزوم ، وضرب غير تام اللزوم • وهذا أعزك الله بتقريب ولا يعطي الحال فيه اكثر • وهذا كتاب المقولات وزوائدها قد انقضى الكلام عليها •

كتاب بارياميناس :

وهو كتاب العبارة • اعلم يا أخي • أسعدك الله ان معاني الاشياء موجودة في أربعة مواضع : اما في قوى الاشياء ذوات المعاني ، واما في الفكر النفسي ، واما في القول واما في الكتاب • والكتاب دال على (ما) في القول ، والقول دال على ما في الفكر ، والفكر دال على ما في الاشياء ، والاشياء دالة تدل على ما في ذواتها • ولما كان هذا الكتاب يتضمن الابانة عن الدلالة القولية فينبغي ان نحد الاسم والكلمة والحرف • فان هذه استقصات القول ثم السالبة ثم المثبتة • فنقول: الاسم صوت موضوع باتفاق لا يدل على زمان ولا يدل بعض اجزائه على زمان • ومتى جزىء لم يدل كل واحد من اجزائه على معنى الاسم • وهو ما يحسن معه نفعني وانتفعت به • والكلمة وهي الفعل صوت موضوع دال باتفاق يدل على زمان ، ولا يدل جزؤه على شيء من معناه • ولها تصرف كقولنا يصح وصح • والصحة اسم لا كلمة • والاداة وهو الحرف ، لفظ يدل على معنى مفرد لا يمكن ان يفهم وحده بنفسه [١٩ أ]

دون اضافته للاسم والكلمة .

حـد القول :

القـول صوت موضوع باتفـاق يـدل عـلى زمـان ، ويـدل على شيء من معناه . كقولنا انسان قائم وله ربط ولواحق . فاللواحـق كقولنا الصوت الشديد والكتابة الحسنة . والربط كواو النسق كقولنـا بزيد وخالد . فان الواو هنا رباط لزيد مع خالد .

القول في معنى الخبر :

الاقاويـل تنقسم خمسـة أقسام . امـا أمـر كقولنـا افعـل كذا وكذا . وامـا مسألـة كقولنـا مـن أيـن جئت . وامـا نـداء كقولنا يا فلان . واما تشفع كقولنا هب لي واعطني . واما خبر كقولنا زيد قائم . والخبر وحده يلحقه الصدق والكذب ، ومـا لا يلحقـه الصدق والكذب من الاقاويل هو من صناعة الخطباء . والبلغاء يطرح الكذب لها ها هنا . والخبر ينقسم خمسة أقسام : اما ان يكون ذا استثناء ، كقولك اذا طلعت الشمس كان نهارا . والمبت زيد قائم وعمرو قاعد والمبت يقال له قضية ، والقضية يلحقها الصدق والكذب . والصدق ينقسم قسمين : اما اثبات شيء لشيء هو له ، واما نفي شيء عن شيء ليس هو له . والكذب ينقسم قسمين : اما اثبات شيء لشيء ليس هو له واما نفي شيء عن شيء هو له . والقضية اذا كانت من محمول وموضوع قيل لها الاثنينية . أعني بالمحمول الصفة ، وأعني بالموضوع الموصوف بها كقولنا : زيـد كاتب ، فزيد موضوع وكاتب محمول . القضية الاثنينيـة تنقسم قسمين : امـا محصورة وامـا غير محصورة . وأعنـي بالمحصورة ذوات الاسـوار . والاسوار أربعة : كل ، ولا كل ، وبعض ، ولا واحد . والمحصورة تنقسم قسمين : اما كلية واما جزئية . وأعني بالكلية مـا تقدم القول فيه كـل . وبالجزئية ما تقدم القول فيه بعض والكلية تنقسم قسمين : امـا موجبـة

واما سالبة • فالموجبة الكلية كل انسان كاتب • والسالبة ولا واحد انسان كاتب • والجزئية تنقسم قسمين : اما موجبة واما سالبة • فالموجبة بعض الناس كاتب • والسالبة كقولنا لا كـل انسان كاتب • وغـير المحصورة تنقسم قسمين : اما مهمل واما مخصوص • والمهمل ينقسم قسمين : كقولنا الانسان كاتب • واما سالبة كقولنا الانسان لا كاتب• والمخصوص ينقسم قسمين : اما موجبة كقولنا زيد كاتب • واما سالبة كقولنا زيد لا كاتب • فاذن قد بان ان تلغي كـل موجبة سالبـة ، وتلغي كـل سالبة موجبة • والقضية تنقسم قسمين : امـا ان يكون موضوعها محدودا مفصلا فيقال بها (١) بسيطة• واما ان يكون موضوعها غير محدود فيقال لهـا متغيرة • فالبسيطة كقولنا كل انسان كاتب • والمتغيرة كقولنا لا انسان كاتب ، ولا زيد كاتب • وحرف السلب هو الذي لا في المحصورة مقدم على السور مقرون به وفي غير المحصورة مقرون (٢) بالمحمول مقدم عليه [١٩ ب] في البسايط والمتغيرات •

القول على النقيض :

النقيض هـو تقابـل قضيتين محمولهمـا واحـد وموضوعهمـا واحد مستثنى • واسم المحمـول واسم الموضوع وخبرهمـا واحـد • واضافتهما واحدة الـى شيء واحـد • وزمانهما واحـد • ويستويـان في القوة والفعل ، ويختلفان بحرف السلب الذي هـو لا • والايجـاب بحرف السلب (٣) الذي هـو التغير في المحصور يقـع بثلاثة معاني : اما ان يكون الموضوع غير محدود كما يقال كـل انسان كاتـب ، فتكون سالبتها كما شرطنا ان حرف السلب مقدم على السور لا كـل لا انسان كاتب • واما ان يكون التغير لحقها في المحمول ، كقولنا كـل انسان لا

---

١ ــ له ، والاصح لها .
٢ ــ ب ، مفروق .
٣ ــ هامش أ ، « السلب بمعنى التغير » .

كاتب ، فتكون سالبتها لا كل انسان لا كاتب • واما ان يكون الموضوع والمحمول غير محصولين (١) كقولنا كل انسان لا كاتب فتكون سالبتهما لا كل انسان لا كاتب •

الازمان ثلاثة :

ماض وحاضر وآت • والقضايا الثنائية اذا زيد عليها أحد الازمان سميت ثلاثية • ويلحق قضاياها اما ان تكون بسائط واما متغيرات بمثل الابانة عن الثنائية •

العناصر ثلاثة :

واجب ، وممكن ، وممتنع • والقضايا الثلاثية اذا زيد عليها احدى هذه العناصر سميت رباعية ويلحق قضاياها اما ان تكون بسائط واما متغيرات بمثل تلك الابانة أيضا • واذا تقابلت قضيتان احداهما موجبة كلية ، والاخرى سالبة كلية سميت اضدادا كبرى • أو اذا تقابلت قضيتان احداهما موجبة جزئية والاخرى سالبة جزئية سميت أضدادا صغرى • واذا تقابلت قضيتان احداهما سالبة جزئية قيل لها المتناقضة الكبرى • واذا تقابلت قضيتان سالبتان ، كلية وجزئية ، سميت المتتالية في السلب (٢) • واذا تتابعت قضيتان موجبتان كلية وجزئية سميت متتالية في الايجاب والمتلايمات هي المتفقة في المعنى المختلفة في القول • فان ملائمة الذي يقول كل انسان كاتب هي التي تقول ولا واحد انسان لا كاتب • المقدمة التي تثبت في موجبتها ذو تبقى في تلك الهيئة في السلب كقولنا زيد ذو مال في الايجاب ، وفي السلب زيد غير ذي مال ، اذا كثرت الموضوعات والمحمول واحد يراد به شيء واحد فان القضية

---

١ ــ هامش أ ، « غير محصورين غالبا » .

٢ ــ نص هذه القضية غير واضح في ب . والتصحيح من أ . قابل حول هذه المقاطع مع اخوان الصفاء ج١ . ص ٤١٧ ــ ٤١٩ . بيروت دار صادر .

واحدة واذا كثرت المحمولات لاثبات معاني كثيرة كانت القضايا كثيرة واذا كان اسم واحد لشيئين صير موضوعا وحمل عليه شيء واحد فان القول قضيتان •

القول على الواجب :

الواجب أقدم في الطبع من الممكن • والممكن أقدم من الممتنع • والنقيض أشد مباينة من الضد ، لان اختلاف النقيض لشيئين بالكم والكيف معا • أعني بالكم الكل والجزء • وبالكيف الايجاب والسلب • فان المتضادين [٢٠ أ] اللتين تقولان : كل انسان كاتب ، ولا واحد انسان كاتب ، انما اختلفتا بالكيف فقط • والقضيتان اللتان تقالان كل انسان كاتب ، لا كل انسان كاتب فذلك لشيئين بالكم والكيف • والمختلف بشيئين أشد مباينة من المختلف بشيء واحد • تم الكتاب بحمد الله وعونه •

مختصر انالوطيقي :

المقدمة هي القضية الموجبة أو السالبة • وهي مركبة من حدين ، أعني من موضوع ومحمول كقولنا كل انسان كاتب • والقرينة هي قضيتان يشتركان في حد ويتباينان في حدين آخرين ، كقولنا كل انسان حي وكل حي جوهر ، فالحد المشترك يقال له الحد المتوسط • والقرينة اذن من قضيتين وثلاثة حدود وهي المحصورة وغيرها رواية (١)؛ وهي السلوجسموس وهي الجامعة وهي قول مركب من قضيتين مقترنتين ينتج عنهما نتيجة غيرهما ، وليست بخارجة عما بينهما • فالقضيتان المقترنتان هي القرينة • والنتيجة تأليف الحدين المتباينين كقولنا كل انسان حي وكل حي جوهر • فان هاتين القضيتين اشتركتا في حد واحد

---

١ ــ الجملة الاخيرة في ١ فقط .

وتباينتا في حدين آخرين وهما الانسان والجوهر • فاذا الفنا الانسان مع الجوهر وقلنا كل انسان جوهر كانت نتيجة والنتيجة قضية أيضا •

والقضايا تنقسم قسمين ، لمنعكس وغير منعكس • والعكس تغيير مواضع الحدود ، أعني أن يصير المحمول موضوعا والموضوع محمولا من غير ان تتغير طباع حدود القضية وتخرج عما كانت عليه في الكيف • أعني ان كانت القضية قبل العكس موجبة كانت كذلك بعده ، واذا كانت سالبة قبل العكس كانت كذلك بعده ، فالتي تنعكس هي هكذا : لا واحد انسان حجر ، ولا واحد حجر انسان• فهاتان سالبتان لم يختلفا في الكيف• صادقتان لانه اذا كانت القضية صادقة قبل العكس كانت بعد العكس صادقة • واذا كانت قبل العكس كاذبة كانت بعد العكس كاذبة ، لان التغير يقع في مواضعها لا في طبيعتها • فاما القضايا المنعكسة من البسيطة المحصورة فان السالبة الكلية تنعكس سالبة كلية والموجبة الكلية تنعكس موجبة كلية (١) ، والموجبة الجزئية تنعكس موجبة جزئية • والسالبة الجزئية لا تنعكس البتة كانعكاس السالبة الكلية سالبة كلية • كقولنا : اذا كان لا واحد انسان حجر كان لا واحد حجر انسان • وعكس الموجبة الكلية موجبة جزئية ، اذا كان كل انسان حيا كان واحد حي انسان ، وبعض الاحياء انسانا • وعكس الموجبة الجزئية موجبة جزئية اذا كان واحد انسان ناطقا ، كان واحد ناطق انسانا• واما السالبة الجزئية فاذا كان لا بعض انسان كاتب لم يكن ولا بعض الكاتب انسان •

الشكل :

اقتران قضيتين يشتركان في حد ويفترقان في حدين آخرين لان الحد المتوسط أعني المشترك ينقسم ثلاثة أقسام (٢) لكون الاشكال

---

١ ـ في كلتا النسختين جزئية والاصح كلية .
٢ ـ هذا السطر ناقص في ب .

ثلاثة ، اول وثان لا اقل ولا اكثر لانه اما ان يكون [٢٠ ب] الحد المشترك موضوعا في أحد المقدمتين محمولا في الاخرى ، كقولنا كل انسان حي ، وكل حي جوهر • فالحي محمول على الانسان ، موضوع على الجوهر ، فيكون من ذلك الشكل الاول • واما ان يكون محمولا في القضيتين جميعا ؛ كقولنا كل انسان حي ولا واحد حجر حي فالحي محمول على الانسان والحجر فيكون من ذلك الشكل الثاني • واما ان يكون موضوعا في القضيتين جميعا كقولنا كل انسان حي ، وكل انسان جوهر ، فالانسان موضوع للحي والجوهر فيكون من ذلك الشكل الثالث • ولكل شكل مقدمتان احداهما كبرى والاخرى صغرى • فاما الكبرى فالتي فيها الحد الاكبر ، والصغرى ما كان فيها الحد الاصغر • والحد الاكبر ما كان في النتيجة محمولا ، والحد الاصغر ما كان في النتيجة موضوعا ، كقولنا كل انسان حي وكل حي جوهر فكل انسان جوهر • فالانسان الذي هو الحد الاصغر صار في النتيجة موضوعا • والجوهر الذي هو الحد الاكبر صار في النتيجة محمولا ؛ فلذلك صارت المقدمة الكبرى هي التي تقول كل حي جوهر وصارت المقدمة الصغرى كل انسان حي • واما ما يعم جميع الاشكال فهو ان لا تنتج سالبتان ولا جزئيتان ولا مهملتان ولا مهملة وجزئية ولا مهملة ، وخاصة ، وان لا يكون الحد المشترك مستعملا في النتيجة وان يخرج في النتيجة أحسن ما في المقدمتين من الكم والكيف • أعني بالاحسن من الكم الجزئي ومن الكيف السلبي • واذا اجتمع في المقدمتين ان تكون احداهما جزئية والاخرى سالبة كانت النتيجة سالبة جزئية • فاما ما يخص كل واحد من الاشكال فان الذي يخص الشكل الاول ان تكون كبراه كلية والصغرى موجبة ونتائجه كيف اتفقت موجبات وسالبات • والذي يخص الشكل الثاني ان تكون كبراه كلية وتختلف كبراه وصغراه في الكيف وان تكون نتائجه سوالب كلها • والذي يخص الشكل الثالث ان تكون صغراه

موجبة وكبراه كيف وقعت في الكيفية والكمية وان تكون نتائجه جزئيات • انواع الشكل الاول أربعة وهي كاملة لا تحتاج الى عكس مقدماتها • الاول من مقدمة كلية موجبة كبرى ومن مقدمة كلية موجبة صغرى • مثال ذلك كل انسان حيوان وكل حيوان جوهر فكل انسان جوهر • والثاني من مقدمة كلية موجبة صغرى ومن مقدمة كلية سالبة كبرى ، مثال ذلك كل انسان حيوان ، ولا واحد من الحيوان حجر فلا واحد من الناس حجر • والثالث من مقدمة جزئية موجبة صغرى ومن مقدمة كلية موجبة كبرى مثال ذلك بعض الناس كاتب وكل كاتب قارىء فبعض الناس قارىء • والرابع من مقدمة جزئية موجبة صغرى ومن مقدمة كلية سالبة كبرى مثال ذلك بعض الناس كاتب [٢١ أ] ولا واحد من الكتاب أمي فليس بعض الناس أمي • انواع الشكل الثاني أربع • مقدماتها تحتاج الى ان تنعكس الى أنواع الشكل الاول • والنوع الاول مقدمة كلية سالبة كبرى ومقدمة كلية موجبة صغرى ، مثال ذلك كل انسان حيوان ولا حجر واحد حيوان فلا انسان واحد حجر ترجع بعكس الكبرى • الثاني مقدمة موجبة صغرى ، مثال ذلك بعض الاجسام حيوان ، ولا حجر واحد حيوان فليس بعض الاجسام حجر ترجع بعكس الكبرى • والرابع من مقدمة كلية موجبة كبرى ومن مقدمة جزئية سالبة صغرى ، مثاله ليس كل حيوان صهال وكل فرس صهال فليس كل حيوان فرسا • وهذا النوع برهان صحة نتائجه برد اختلافه الى الامتناع لا بعكس المقدمات • أنواع الشكل الثالث ستة • ومقدماتها تحتاج الى ان تنعكس الى أنواع الشكل الاول • فالاول منها من كلية موجبة صغرى ومقدمة كلية موجبة كبرى ، مثال ذلك كل انسان حيوان ، وكل انسان حساس فبعض الحيوان حساس • والثاني منها مقدمته كلية موجبة صغرى ، ومقدمة كلية سالبة كبرى ، مثال ذلك كل انسان حيوان ، ولا انسان واحد حجر ، فليس بعض الحيوان حجر ترجع بعكس الصغرى ،

والثالث مقدمة كلية موجبة صغرى ، ومقدمة جزئية موجبة كبرى مثال ذلك كل انسان حيوان وبعض الناس كاتب فبعض الحيوان كاتب ، يرجع بعكس الكبرى والنتيجة • والرابع مقدمة جزئية موجبة صغرى ومقدمة كلية موجبة كبرى ، مثال ذلك بعض الناس كاتب ، وكل انسان (١) حيوان فبعض الحيوان كاتب ، ترجع بعكس الصغرى • والخامس مقدمة كلية موجبة صغرى ومقدمة جزئية سالبة كبرى ، مثال ذلك كل انسان حيوان وليس بعض الناس حجرا فليس بعض الحيوان حجرا ترجع بالافتراض والخلف • والسادس من مقدمة جزئية موجبة صغرى ومقدمة كلية سالبة كبرى ، مثال ذلك بعض الناس كاتب ، ولا واحد من الناس حجر فليس بعض الكتاب حجر • وبرهان نتائج الخامس يرد اختلافه الى الامتناع لا بعكس المقدمات •

القول على القياس :

القياس قول تودع أو توضع فيه أشياء أكثر من واحد اذا اجتمعت لزم عنها بذاتها لا بالعرض شيء آخر غيرها اضطرارا • واللازم عن القياس يسمى النتيجة • والقياس (٢) يؤلف على مطلوب واحد محدود يتقدم فيفرض أولا ، ثم يلتمس تصحيحه بالقياس • ولما كان طريق الحق واحدا وهو ما قام عليه البرهان وظهر الصدق فيه كان غيره لا يعطي ولا يفضي الى مطلوب صحيح ولا صادق • وذلك ان مادة القياس هي المقدمات • ولولا خوف التطويل لذكرتها ، وحد القياس على الاطلاق والذي عليه القياس والذي فيه القياس وتمييز القياس الحملي والشرطي • وانما الوقت ضيق والغرض التقريب ، فنرجع لمقدمات القياس فنقول فيها بقول مقرب • ان كانت المقدمات صادقة يقينية فالنتيجة كذلك • وان كانت كاذبة فالنتيجة كذلك • وان كانت ظنية لم

---

١ ــ ب ، وكل الناس انسان •
٢ ــ أ ، والردف والقياس •

تنتج اليقينية • وللمقدمات خمسة أحوال : ان تكون [٢١ ب] صادقة بلا شكل ولا شبهة ، والقياس الذي يتألف منها يسمى برهانا • والثاني ان تكون مقارنة لليقين على وجه يعسر الشعور بامكان الخطأ فيه ولكن يتطرق اليه امكان ، اذا تأنق النظر فيه • والقياس المركب منه يسمى جدليا • والثالث ان تكون المقدمات ظنا غالبا لكن يشعر الانسان بنقيضه ويتسع بتقدير الخطأ فيه ، والقياس المركب منه يسمى خطابيا • والرابع ما صور بصور اليقينيات بالتلبيس وليس ظنيا ولا يقينيا ، والحاصل منه يسمى مغالطا وسوفسطائيا • والخامس هو الذي يعلم انه يشعر بقياس ما، ولكنه يميل النفس بنوع تخيل والقياس الحاصل منه يسمى شعريا • فكل مقدمة ينتظم منها قياس ولم تثبت تكل المقدمة بحجة ، لكنها أخذت على أنها مقبولة مسلمة فانها لا تعدو ثلاثة عشر قسما وهي : الاوليات والمحسوسات والتجريبات والمتواترات والقضايا التي لا يخلو الذهن عن حدودها الوسطى وقياساتها صادقة والوهميات والمشهورات والمقبولات والممكنات والمتشابهات والمشهورات في الظاهر والمظنونات والمتخيلات • فالخمسة الاولى هي التي تصلح للاقيسة البرهانية • واما المشهورات والمسلمات فهي مقدمات القياس الجدلي ، وأما الاوليات وما معها فلو وقعت في الجدلي لكان اقوى ، لكنها انما تستعمل في البرهان من حيث هي مسلمة بالشهرة • واما الوهميات والمشبهات فانها مقدمات الاقيسة المغالطة ولا معنى ولا فائدة لها أصلا ، الا ان تتجنب وتحذر وتتوقى لا غير • واما المشهورات في الظاهر والمقبولات والمظنونات فيصلح ان تكون مقدمات للقياس الخطابي والقياس الفقهي وكل ما لا يطلب به اليقين • واما المخيلات فهي مقدمات الاقيسة الشعرية •

انقضى الكلام هنا على الكتب المنطقية وبقي منها كتاب افوهوفطيقي وهو كتاب البرهان تركناه واستغنينا بالكلام على العلم عنه • اذ المقصود الاختصار والتقريب وهو يندرج تحت غيره بالقول • وقد أخذ الكلام

على المطالب الاصلية منه حظا وافرا • فنبدأ بذكر العلم وحقيقته فنقول :

حد العلم

العلم قد حدّه كثير من الناس ، وعدد حدوده لا تحصى وكلام الناس فيه كثير • وكل طنطن وطول وسفسط وتقول • ولم يمش نحو الصواب ولا جاء بشيء يجب به رد الجواب ، وخلط بقدر قوله ومادة عقله وبحسب ادراكه وعلمه • فمنهم من قال العلم معرفة العلوم على ما هو عليه • ومنهم من قال العلم تبيين الشيء على ما هو عليه • ومنهم من قال العلم ما اوجب كون محله عالما • ومنهم من قال العلم صورة المعلوم في نفس العالم • ومنهم من قال العلم ما أبان الحق واعطى الفائدة ولم يترك لغيره بحثا • ومنهم من قال العلم وجود في القلب وثبوت لا يتبدل • ومنهم من قال العلم احاطة بثبوت غير معين • ومنهم من قال [٢٢ أ] العلم وقوع النفس على ما في سرها ووقوفها عنده وعدم خروجها وزوالها عنه • ومنهم من قال العلم بيان الذي اشتاقته النفس • ومنهم من قال العلم ما افاد التصور والتصديق ، وهذا هو القريب الى الحق الا انه اذا حقق العلم فهو غير هذا ، لكنه هذا العلم على الوجه الصناعي ، وفي مقدمات العلوم وفي البداية اذا علمت اقسامه وتخلصت مقدماته فهو اجل ما ذكر • ومنهم من قال العلم بديهة واكتساب • ومنهم من قال العلم اعتقاد الشيء على ما هو به • ومنهم من قال العلم هو الصفة التي يعلم بها العالم ، وهذا الحد من اقربها • ومنهم من قال العلم سرّ يقذف في النفس فان صرف في تمييز الموجودات ، فحده الجاذب المخلص المطلوب والمفيد للشيء بكماله والمحيط بالمدرك والحادث وذاته وجوهره على الاطلاق • وهو عندهم ظل المعلوم وهيئته وشرحه حتى ان العلم يحاكي اجزاء المحدود ويميز وجوده وينعت بحسب شكل المعلوم وكأنه خيال المعلوم في نفس العالم ، فيكون العلم ذات المعلوم مجردة في نفس العالم • والمعلوم ذاته من خارج الذهن وجودية وان صرفت في الذات القديمة فحدّه عندهم المبدىء

لنفسه الموصوفة وموضوعه الميت والمميت وهـو الخير بالـذات وشرفه بحسب شرف المدرك وهؤلاء طائفة اقرب مـن الثانية غير انهم لا يعرفون الخير ولا الخير الاول (١) ولا المدرك لـه من هو • والذي اقوله : أن من لم يعرف نفسه فحقيق عليه ان لا يعرف غيره • وحقيقة العلـم تتبين عند معرفة العقل والنفس وماهيتها والوجود المطلق والمقيـد والمقـدر والمحو والنظام القديم والرجوع والانسلاخ عن الانيات المضافة والذوات المفارقة وتقدير العلل الموضوعة اولا وفساد نظمهـا في الذهن • والوقوف عنـد خبرين لا غير وهما يقام ويقعد • والحلول على رتبتين وهما لـه وبـه ، والحركة في موضعين هما عنـده واليـه • والوقار مـع كلمتين وهما كن واذهب • والاقتداء برجلين وهما صاحب الوسيلـة وبقائل بلـى ولكن ليطمئن قلبي (٢) • والحضور مـع ذاتين وهما ذاتـي وذاتـه • ويفرض فرضين وهما لا انية لـي وهو هو ، وهـو الانيـة ، ويخطب بالخطبتين الموجودة والمعدمة • ويلبس ثوبـين لام السلب وبـاء الطلب • وينسى حديثين من ، وماله ، وعن ، ومابه • ويسافر الـى بلديـن احدهما يسمى يثرب النهاية ، والاخرى تسمى بالرفيق الاعلى ومـا هـو اليه • وحينئذ تفرض الخطوط • ويبدأ بذكر معاني العلم وما هـو وحقيقته ، ويدخل في عباد الله الصالحين وتظهر اشياء لا من جنس مـا يكتسب ويزهد بل يهجر بالعقل لجميع ما تقدم من هاذين الزوجين اللذين ذكرتهما لـك وتركتهما للواصلين قبل • ويسلم على الكافة بمعنى الكافة ويقطع اللواحق المنزهة • ويميت التحقيق الذي وداه لذلك ثم يشهد ويعدّ ويستعد ويكون له من

---

١ ـ هامش ب .

٢ ـ صاحب الوسيلة هو النبي محمد (ص) وقائل بلـى هو ابراهيم الخليل ، راجع : سورة البقرة ، آية ٢٦٠ .

الجاه كذا ، وكذا والسلام على من اتبع الهدى ومن بحثه لمثل هذا ودّى (١) .

اعزك الله جميع ما ذكرته لك في العلم من الحدود المذكورة قبل وما لوحت به من صفات العابد والمعبود ، اردت بذلك ان ننبهك على تخليط العلماء وغلطهم [٢٢ ب] وسفسطتهم ومغالطتهم . وكيف خالف بعضهم البعض وتشتت اقاويلهم وفساد حدودهم وعدم التحقيق في شاهدهم ومشهودهم وما هم عليه ما الاضطراب والحيرة والجهالة المحضة المستمرة. وكيف نظروا الفائدة بالع ينالعوراء وسمعوا من المرشد بالاذن الصماء ومشهودهم وما هم عليه من الاضطرابوالحيرة والجهالةالمحضة المستمرة. وكيف نظروا الفائدة بالعين العوراء وسمعوا من المرشد بالاذن الصماء ومشوا الى الحق بالعرج ونادوا الحقيقة بالحرج ولك في ـلك من الفائدة تمييز الحد الصحيح وصدقه . . . . (٢) وتفضيل المحقق وبره بحقه . وانا اشرح لك بعد هذا خلاف الناس وسببه والحق في نفسه ما هو بقدر الطاقة. ونجعلك بحول الله تبصر بعين البصيرة ما حرموا بالحس والتمييز ويصح عندك ان القوم لم يميزوا بيض النعام من الشونيز (٣) . ونذكر لك مذهب الفقهاء والاشعرية والفلاسفة واهل الحق والمقربين ، ومعلوم كل طائفة من هؤلاء وعلمهم واصطلاحهم والفاظهم وحدودهم لذلك بتقريب واختصار . ونبرز انموذجا يشوقك ويشير عليك وينبهك حتى يحملك اليك . وبك تصعد الى الملأ الاعلى وتسجد في مقعد الصدق وتحفظ وتلبس ثوب البقاء بحضرة الحق وتعود لا بك ولا لك وكأنك

---

١ ــ يستعمل ابن سبعين ، في هذا المقطع الاخير ، ضمير المتكلم أحيانا ، وقد تركت الضمائر كلها بصيغة المضارع المبني للمجهول .

٢ ــ اشارات يكثر ابن سبعين من استعمالها ، وينيط بها معان غير واضحة على قاعدة فلاسفة الحروف .

٣ ــ الشونيز بالفارسية الحبة السوداء تعريب شنيز (قارن بأدي شير : الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٠٥) .

انت ، وانت العدم وكأنك هـو وهـو الوجـود • وتصعق مـع السادة الخاطبون والجامعون • وتقرأ عندما تفيق الحمد للـه الذي اماتنا واحيانا وانا اليه راجعون •

حد العلم بنظر الفقهاء والاشاعـرة والفلاسفة والمتصوفه

فنبدأ بذكر الفقهاء والاشعرية معا اذ الفقيه في الشريعة يفيد الامور المتممة لها وبعض المقومة • والاشعري لا يتعرض للمتممة الا مـن حيث هو فقيه • ومذهبه وما هو بسبيله من الامور المقومة لهـا على مـا يزعم والصوفي يعلل عليهما ويضحك منهمـا ويراهما مـع ظـل الحقيقة ، وان سعيهما على غير الطريقة • وهما عنده من الاشياء التـي بقطعهـا يـدرك المطلوب ، وبتحصيل ضدها يظفر بالمحبوب • مـع كونه يقول بما يقولانه ويعمل بالذي يعملانه غير انه يعتقد ان البداية فقهيـة والنهايـة صوفية • فمن طلب في البداية نهاية فقد تحول عـن الهداية • ومـن طلب في النهاية البداية فقد ضلّ وحرم الغاية • ولكل زمان مذهب ولكل مقـام مطلب • ونضرب لك مثلا يستبين لك به ذلك • الصبي اذا دخل المحضر وتعلم مـا من شأن المحضر ان يفيده ، ثم خرج منـه ودخل على الاستاذ وحصل مـا يجب له وما يفيده الاستاذية ، ثم انتقـل لرتبة الاقـراء والتأليف ثم غلب عليه المعنى وحجبه عن الحس فطلب الخلـوة والانفـراد • فنقول المحضر مقدمة الاستاذ ، والاستاذ مقدمـة الاقـراء ، والاقراء مقدمـة للتخلق والولاية • فيخرج من ذلك ان كل وليّ استاذ ، ولا كل استاذ ولي • وكل استاذ طالب ، ولا كل طالب استاذ • وكل طالب حضر في المحضر ولا كـل من حضر في المحضر طالب • والصوفي وفقك الله ظفـر بنتيجة (١) العلم الالهي والفقيه بمقدماته • والمقرب لا يذكر مع واحد مـن هؤلاء بوجه ، ولا يقع بينه وبينهم مقارنة • لان المقارنة لا تقـع الا في الانواع المتفقـة

---

١ ـ ب ، ظهر بالنتيجة .

بالحد المختلفة بالكيف • والمحقق [٢٣ أ] خارج عما ذكر •

واما الفيلسوف فكثير السلاح قليل النطاح ، طويل العدة قصير المدة والنجدة • ينعت بحوله وقوته ويشقى بنفسه وهمته ويعجن قوت قلبه بغير ملح ولا ماء ، ويجهد عمره بلم ولما لا بدنياه ظفر ولا لأخراه اتجر • حرمانه اظهر من شمس النهار والمصباح ، وخذلانه اشهر من الرعد والرياح• يعلن الحق وينصر ضده ويحفظ الباطل ويبذل فيه جده، ثم يسفسط بالطبيعة وما بعدها واخرى بالتعاليم ومقاصدها ، ويطنطن بين ذلك بالمعاني المنطقية ويموه على المؤمن بالالفاظ الوحشية • ولم يعلم ان المنطق في قوة النفوس ولو ان النفس تمشي نحو الصواب وكان يوافق كلام الناس افعالهم بالاستقامة العقلية وايثار الحق والانقياد له ورجوعهم لانفسهم لأغناهم ذلك عن المنطق • والدليل على ذلك من ثلاثة وجوه ، احدها وهو الاظهر ، النبوة وما هي عليه من الادراك والفضيلة الالهية ، وتصريفها في الموجودات وفهمها المعاني المعقولة ، وضربها الامثال العقلية والحوادث الغيبية ، وادراك الكلام والحجج القاطعة للخصم حتى تأخذ من يده ما عنده وتصرفه عن طبعه وترده •

والدليل الثاني : ان النفس الحكمية هل انتقلت بالحكمة للحكمة وللمراتب السنية من حيث هي نفس او هل زادها الا الصورة المتممة وكون العقل المستفاد عاد فعالا واتحد العلم عندها بالمعلوم فلا منطق اذن، ولا يعلم من خارج فان الداخل والخارج والمتصل والمنفصل جميع ذلك في المادة • فهذا المنطق انما هو موصل لتلك الرتبة • والمنطق بهذا النظر انما هو دواء والادوية كثيرة وانجحها دواء المعصوم اذ الممرض حرم الراحة الا على يديه • فدع عنك يا اخي طب العجائز فالراحة منه وفيه لا من الواجب ولا من الجائز وعليك بالطبيب الممرض ورسوله والعمل الصالح واجناسه وفصوله •

والدليل الثالث : ان التعليم اذا نظرته وحققته انما هو غسال

لاوساخ النفس • واوساخها لا تـزول الا بمشاركتها وغسلهـا لنفسها • وكأن العلم النظري ينبهها على موضع الماء والصابون لا غير • وقد يوجد في النفوس من يمشي ويطلب على فائدته بنفسه حتى يجدها دون المرشد• والا هذا الذي أرشد بالنظر من اعلمه بذلك ، انما هو اخـذ ذلك مـن نفس اخرى ، والاخرى من اخرى ويمر ذلك لله بالضرورة • فارجع للـه وهو يرشدك • والنبي لم يأت ان يعلمـك بنفس العلم انما جاءك يعلمك بالمعلم وهو يفيد العلم ويرشد له ويحسن بـه لغيره ، ولاجل هـذا سعد واسعد • ولذلك قال بعض الصوفية « العلم النظري ينفخ الاوساخ والعلم القلبي يغسلها ويزيلها بطبعه » • فان العلم النظري حسي ولانه قد اجتمع من الحس والعقل الهيولاني • والعلم القلبي معنـوي • والحسي يغسل مثله ، والمعنوي يغسل مثله • والا رأيت من يزيل شبهـة القلب وتشكيك النفس بالغسل • او رأيت من يزيل الجوع بالبرهان • فلكل عالم لواحق، ولكل مذهب تحقيق ومخارق • واعلم يا اخي ان كـل مرغوب فيه ، وكل محبوب وكلما يطلب ويسعى له ويراد انما هو لكونه او فيه او له او عنـه او به او منه خبر اما حقيقي واما كاذب (١) وامـا مظنون • والخير خيران اما ذاتي او عرضي • فالذاتي في الاشياء التـي الخير فيهـا بالـذات • والعرضي في الاشياء التي هو فيها بالعرض • مثال ذلك مـن الخير الذاتي السعادة مع العلم والهداية ورضوان اللـه والسمع والطاعة ومـا تضمنه القدر من الخير المحض • والذي بالعرض مثل ان يسقط حجر على خراج [٢٣ ب] او ورم (٢) لمسلم فيفتحه • وبالجملة اقرار المنافق بضد مـا في نفسه هو من خارج خـير ، وفي الحقيقـة وفي نفسه شرّ • واقسام الخير ثلاثة : خير يراد لنفسه ولا يراد لغيره ، وخير يـراد لنفسه ويراد لاجـل غيره ، وخير يراد لغيره ولا يراد لنفسه ولا في وقت من الاوقات • فالاول

١ ــ ب ، كذاب .
٢ ــ ورم ناقصة في ب .

من هذه هو الخير باطلاق وهو الله سبحانه وتعالى • والثاني مثـل طلب العلم له والولاية وغير ذلك مما يراد لنفسه ولغيره • والثالث مثـل شرب الدواء المر لكي تنال الراحة • والعاقل متى وجـد الخير الواجب لم يطلب الممكن ولا اراده لنفسه ولا ابتغاه • والفيلسوف يعطـي الخير ولا يـدل عليه ولا له اليه طريق • ولا وجه من الوجوه الثلاثة التي ذكرتها لـك في الوجه الثاني له نسبة ما ويوهم انه خير من غير ان يكون كذلك والا ظهر على المتمرنين منهم ما ظهر على المتصوفة من الافعال الروحانية ومن التخلق الفاضل والصلاح والطهارة • لا والله ما ظهر ولا يمكن ظهوره على واحد منهم وهم ينكرون ما ظهر على الانبياء من خرق العادة ، وآمنوا بالخاصية وسلموها للجماد وانكروها عـلى النفوس الروحانية المخلصة الكاملـة السعيدة •

واعلم يا اخي ان جميع ما كتبته لك من علم القوم ، وما ذكرته لـك من كلامهم لم نذكره لـك الا لأن نعلمك كيف تتكلم مـعهم • والـذي نحضك عليه ان تتكلم به مع نفسك هو هذا فالخير اذن في النبوة بالذات ، والا قد اعطتنا انموذجا من خرق العادة ودلت الامـور العلمية ، وبينت ما يحتاج من المعاني العلمية ، ودلت بالجملة عـلى الخير ، وتكلمت بكلام ربه ومفيضه والمنعم به ، فكأن النبي والفيلسوف ضدان • فانـا نقـول النبي يحض على الخير ويفيده ويرشد اليه والفيلسوف لا يحض عليه ولا يرشد له الا بالمغالطة او بما لا يعلم لما لا يعلم • والصوفي مع المحقق مثل الفيلسوف مع الصوفي • واذا قد بينت لك المراتب الخمسة بهـذا البيان فنذكر الذي وعدتك به فنقول : حـد الاجتهاد عنـد الفقهاء ، استفراغ الوسع وبذل المجهود في طلب الحكم الشرعـي • وعنـد الأشعرية النظر المفضي الى العلم مع سلامة العقل والمعلم المحكم للطرق المرشدة • والعلم عند الفقيه معرفة الاحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد • ومعنى العلـم عنده ما يفهم او يفهم منه خطاب الله تعالى وخطاب رسوله (ص) • وينظر

ذلك من كلام العرب ومـا قاله السلف ولا يتطرق لنظر ولا لمعقول وهـو يتعرف في الامور المعقولة • وحد العلم عند الاشعري معرفة المعلوم عـلى ما هو عليه• هذا هو المستحسن عندهم من الحدود المتقدمةونظرهم فيذلك عقلي • والاشعري من حيث هو اشعري ناظر (١) الفقيه • والفقيه مـن حيث هو فقيه يعلم الاشعري ، والشريعة معقولة ومركبة منهما • فاذا كان الفقيه يحكم على الكلام كان اكمل واتم وكذلك الاشعري • والفقيه رتبته متقدمة على الاشعري [٢٤ أ] اذ الفقه فهم النصوص الشرعية والنظر فيها والتعرف بها ومذهب الاشعرية مكتسب من الاستدلال والنظر فيها • وان كان الاشعري يأخذ مذهبه من الكتاب والسنة ويبني عليه فهو بتأويل وتقرير • وهما بالجملة عـلى استقامة شرعية ووعي عقلـي واللـه يلطف بالجميع بمنه وكرمه • وانا نجمع لـك كلامهما في نسبة واحـدة وتقسيم كل واحـد ، ونلقي اليـك معنى الفقيه والاشعري • والاشعري خصـم المتشرع المخالف للشرعية ولسانها في ذلـك ومشغب المتشـرع ومشوقه لغيره • فان مذهب الاشعرية مأخوذ من الجدل والخطابة والسفسطة وهو غير صحيح وعلى غير الوجـه الصناعـي • والفقيـه لسان الشريعـة في احكامها وخصم المتشرع فيهـا في احكامهـا والعارف بأحكامهـا وخصم المتشرع ومعلمه لاحكامها فنبدأ بذكره فنقول : (٢)

الاحكام تنقسم الى قسمين عقلي وشرعي • فاما العقلي فهو كحدوث العالم واثبات الصانع واثبات النبوة وغيرذلك من اصول الديانات • والحق في هذه المسائل في واحـد وما عداه باطـل • فنبدأ بذكر الحكم الشرعي وحينئذ نذكر لك العقلي : فالحكم الشرعي على ضربين : ضرب يسوغ فيه الاجتهاد وضرب لا يسوغ فيه الاجتهاد • واما ما لا يسوغ فيـه الاجتهاد

---

١ ــ أ ، ناصر .

٢ ــ جملة مضطربة في ب ، وفي أ غير واضحة على الاطلاق ومكملة بمعظمها على الهامش .

فعلى ضربين : احدهما ما علم من دين رسول الله (ص) ضرورة كالصلوات المفروضة والزكاة الواجبة وتحريم الزنا واللواط وشرب الخمر وغير ذلك • فمن خالف في شيء من ذلك بعد العلم به فهو كافر لان ذلك معلوم من دين الله عز وجل ضرورة • فمن خالف فيه فقد كذب الله ورسوله في خبرهما فحكم بكفره • والثاني ما لم يعلم من دين الرسول عليه السلام ضرورة ، كالاحكام التي تثبت باجماع الصحابة وفقهاء الاعصار والامصار لكنها لم تعلم عن دين الرسول (ص) ضرورة فالحق في ذلك واحد (١) وهو ما اجمع عليه الناس • فمن خالف في شيء من ذلك بعد العلم فهو فاسق • واما ما يصوغ فيه الاجتهاد وهي المسائل التي اختلف فيها فقهاء الامصار على قولين واكثر • فقد اختلف في الاجتهاد اختلافا كثيرا فمن الناس من قال الحق من ذلك في واحد وما عداه باطل • الا ان الاثم موضوع عن المخطىء فيه • والظاهر من هذا انه مذهب الشافعي • ومذهب مالك فيه ، « ان كل مجتهد مصيب » وهو الظاهر من كلامه وقد نقل عند المتقدم • وقيل عن ابي حنيفة ان الحق في ذلك كله في واحد مقطوع به عند الله تعالى وان مخطيه مأثوم والحكم بخلافه منقوض • وهو مذهب المعتزلة وبعض الاشعرية والاصم وبشر المريسي • والاصح من هذه الادلة ، الاولى لقوله (ص) « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران واذا اجتهد واخطأ فله اجر واحد » • والكلام في خلافهم وممن هو وكم هو وترجيح الصحيح من السقيم يطول ويخرجنا عن الذي اردناه • فأنت من حيث انت فقيه فهكذا تتصرف وهذا هو الفقيه • ولو كان في الوقت سعة لبينت لك في الفقه وفي كل علم ما يجب ، لكنني ربطت معك على انموذج من كل شيء وقد كان ، فنقطع ونذكر لك حدود الفقيه وما يطلق في اصطلاحه كما وعدتك فنقول :

---

١ ــ كلمة ناقصة في ب .

الفقه معرفة احكام المكلفين [٢٤ ب] • ومعنى اصول الفقه والجدل تردد الكلام بين اثنين يقصد كل واحد منهما لتصحيح قولـه وابطال قول صاحبه • وحد البيان اخراج الشيء من حيز الاشكال الـى حيز التجلـي والظهور • والنظر يستعمل في نظر القلب وحده الذكـر في حـال المنظور فيه • الدليل هو المرشد الـى المطلوب • ومن الناس مـن قال لا يستعمل الدليل الا فيما يوجبه العلم كالاصول وفيما لا يوجبـه العلم لا يقال لـه دليل وانما يقال له امارة • والدلالة فعل الدال والدال هو الدليل • ومن الناس من قال الدال هو الناصب للدليل • والمستدل به هـو الذي يطلب الدليل من الاصول والمستدل عليه الحكم • والمستدل به يقع على الحكم لان الدليل يطلب له ويقع على السائل لان الدليل يطلب له ايضا • والحجة ما دل عليه صحة الدعوى • وقيل هي والدليل واحد • والنص هـو اللفظ الذي لا يحتمل الا معنى واحدا • وقيل هو اللفظ الذي يحتمل التأويل • والتأويل صرف الكلام عن ظاهره الى وجه يحتمله • والظاهر مـا احتمل امرين احدهما اقوى من الآخر • والعموم ما يشمل امرين لا مزية لاحدهما على الآخر • والمجمل ما لا يعقل معناه من لفظه حتى يرد عليه ما يفسره • والمفسر ما فهم المراد به من لفظه • والمحكم يستعمل في المفسر وحدّه مـا مضى ذكره ، ويستعمل فيما لـم ينسخ وحده مـا تأيـد الحكم بـه • والمتشابه هو المشكل الذي يحتاج الى فكر وتأمل • والمطلق هو اللفـظ الذي قيد ببعض صفاته • والتخصيص يميز بعض الجملـة • وتخصيص العموم اخراج بعض ما تناوله اللفظ العام • والنسخ بيـان انقضاء مـدة العبـادة التـي ظاهرهـا الاطـلاق والتأبيـد • وقيل بيـان مـا لـم يـرد بـه اللفظ العـام فـي الازمـان • ودليـل الخطـاب انتفـاء حكم المظنون بـه عمـا عـداه • ولمن الخطاب ما علم مـن اللفظ عنـد سماعه من غير النطق • وقيل هو الضمير الذي لا يتـم الكلام الا بـه • وفحوى الخطاب ما نبه اللفظ عليه بمعناه • والحقيقة تستعمل في بيـان

الاشياء وحدها قد بيناه في أول الكتاب وتستعمل في ضد المجاز • المجاز كل لفظ يجاز به عن موضوعه • والامر استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه على وجه الوجوب • والواجب ما تعلق العقاب بتركه في مذهب مالك • والفرض والواجب والمحتوم واحد في مذهب مالك ، وحده ما تبين قبل • وقال فيه أصحاب أبي حنيفة ، الفرض ما ثبت وجوبه بدليل مقطوع به والواجب ما ثبت وجوبه بدليل مجتهد فيه • والمندوب اليه ما اثيب على فعله ولم يعاقب على تركه • والسنة ما رسم ليحتذى به على سبيل الاستحباب • والعبادة هي الطاعة لله عز وجل • وقال بعض أصحاب ابي حنيفة ما افتقر من الطاعة الى النية ، وقد بيناه • والطاعة موافقة الامر ، والمعصية مخالفة الامر • والاباحة مجرد الاذن ، والمباح ما أذن لفاعله فعله من غير ثواب في فعله ولا عقاب في تركه • والحسن ما مدح به فاعله • والقبح ما ذم به فاعله • والظلم مجاوزة الحد • والجور العدول عن الحق • والجائز يستعمل فيما لا اثم فيه وحده ما وافق الشرع، ويستعمل في العقود التي لا تلزم وحدّه كل عقد يجوز لكل أحد من المتعاقدين فسخه بكل حال • والصحيح ما اعتد به [٢٥ أ] • والفاسد لا يعتد به لاختلال شرطه • والشرط ما يعدم الحكم بعدمه • والسبب ما يتوصل به الى الحكم • والخبر ما دخله الصدق والكذب • والصدق كل خبر فخبره على ما أخبر به ضرورة • والتواتر ما علم مخبره ضرورة ونقلته الكافة عن الكافة عن جنس ويكون مستوي الطرفين والوسط • والمرسل ما انقطع اسناده • والمتصل ما اتصل اسناده • والاجماع اتفاق علماء العصر على حكم الحادث• والصحابي من صحب رسول الله (ص)• والتابعي من صحب الصحابي • والتقليد قول القول بغير دليل ولا حجة ، والاجتهاد بذل الوسع واستغراق المجهود في بلوغ الغرض • والرأي استخراج صواب العاقبة • والقياس حمل فرع على أصل لعلة ، واجراء حكم الاصل على الفرع ، والاصل ما ثبت حكمه بنفسه • وعند المتكلمين

الاصل هو اللفظ الذي ورد في اثبات الحكم والفرع ما ثبت حكمه بغيره • والعلة هي المعنى المقتضي للحكم • والعلة المتعدية ما تعدت لفرع • والعلة الواقفة ما لم تتعدى الى فرع • والمعلول هو الحكم • ومن اصحابنا من قال هو العين التي تحلها العلة كالخمر والبر • والمعتل (١) هو المستدل بالعلة وعليه والمعلل هو المعتل • والطرد هو وجود الحكم لزوال العلة• والمعارضة مدافعة احدى الخصمين للآخر بمثل دليله وبما هو أقوى منه ؛ والترجيح مزية لتقدير احدى الدلالتين على أخرى •والانقطاع هو العجز عن بلوغ الغرض • والحمد لله هذا مذهب الفقهاء قد تخلص في العلم وكليات معلوماتهم وصناعتهم كما وعدتك • واعلم ان الفقه أقيسة خطابية او شعرية وهو تبدل الكلي بدل الجزئي وبرهانه من الامور المقبولة وعليها واليها وبها يعمل ويقول ويفعل •

ونرجع للاشعري ونذكر اصطلاحه بتقريب ومذهبه ما هو والاحكام التي قسمناها قبل الى عقلية وشرعية • ذكرنا الشرعية ما هي على اصطلاح صناعة الفقهاء فبقي علينا العقلية بصناعة الاشعرية • اذ وهما يقولان بقول واحد وان اختلفا ففي اليسير فنقول : الاشعري يرى ان السبيل الى معرفة الاشياء والدلالة على معرفتها من أربع وجوه : اولها ما يعلم بالحواس ثم بالبديهية وهو علم الضرورة عنده • ثم بالخبر ثم بالدليل وغيره يقول بهذا • غير ان صناعته اطبع وافضل وأعدل فان الذي عند الاشعرية مكتسب منه • فما يعلم بالحواس فانه يعلم بخمسة أوجه ، منها حاسة البصر بها يدرك الاشياء كالالوان وغيرها • ومنها حاسة السمع يدرك بها الاصوات ويميز بها بين اشخاص صورها • ومنها حاسة الذوق يدرك بها المطعوم ويفرق بها بين حلو ومر • ومنها حاسة الشم يدرك بها روائح الاشياء المشمومات ويفصل بها بين طيبها وكريهها • ومنها حاسة اللمس

---

١ ـ ب ـ المعتدل .

يدرك بها لمس الاشياء ويعرف بها لين ذلك وخشنه وحاره وبارده • ومنها ما يعلم بالضرورة كعلم الانسان بأنه موجود • وكعلمه بأن في الحي حياة • وان عشرة أكثر من خمسة • وان القائم قاعد في زمان واحد لا يمكن • وغير ذلك مما يعرف بالبديهة من غير تأمل ولا نظر • وما [٢٥ ب] يعلم بالخبر فانه ينقسم قسمين : خبر يعلم ان المخبر عنه حق لا محالة يقطع على غيبته وحقيقته ، وهو خبر التواتر مثل الخبر بأن أمما قبلنا مضت وان مدنا وأمصارا كثيرة في الدنيا ، وان لم ير المخبر ذلك فانه يقطع على حقيقته • ومن شك في هذا الخبر وحقيقة مخبره فجاهل • وقسم آخر وهو ما نقله الآحاد الذين يحصرهم العدد ويجوز عليهم السهو والغلط فهذا الخبر يوجب العلم الظاهر ويلزم العمل به وان لم يقطع على حقيقة خبره كما يحكم بشهادة الرجلين وان لم يقطع على حقيقة خبرهما وان ما شهدا به حق لا محالة وصورة خبر الواحد هو كل عدد يمكن منه التواطىء والغلط وهو بمنزلة الواحد في الحكم بجواز اللفظ وتعمد اللذات وكل خبر يستحيل في مخبره التواطؤ والكذب ويمتنع جواز الغلط عليهم فخبره حق لا محالة• ومثل هذا الخبر أيضا ما نقل عن رسول الله (ص) من اعداد الصلوات المفروضة وجهة القبلة ونصاب الزكاة وما أشبه ذلك • وما يعلم بالدليل فمنه جلي مثل علمنا ان الاشياء المصنوعة لا بد لها من صانع يصنعها لعلمنا ان الصناعة لا تقوم بنفسها • كالكتابة لا بد لها من كاتب والبناء لا بد له من بان • فنحكم على ما رأيناه مبنيا ، وكتابة رأيناها مكتوبة انه لا بد لها من بان وكاتب ، وان لم نر الباني يبنيها ولا الكاتب يكتبها بما قد استقر عندنا بالدليل العقلي انه لا بد للبناء من بان وللكتابة من كاتب• وكذلك أصل كل صناعة وعمل لان من زعم ان الكتابة تكون من غير كاتب ، والبناء من غير بان فجاهل او متجاهل او مباهت أو معتوه لا يعقل • وكذلك يعلم بالدليل ان الجسم محدث بمقارنته بالحوادث وانه لم يسبقها ولم يوجد قبلها ، كالحركة والسكون

والطول والعرض وما أشبه ذلك • فهذا من الدليل الجلي ومنه ما يلطف ويغمض ، وذلك كعلمنا هل المتحرك متحرك بنفسه قايم ؛ أو تحرك بحركة هي من غيره • وهل حكم الباني ان يكون مخالفا للبناء والصانع للمصنوع من كل الوجوه أم لا • وهل يجوز أن يكون يشبهه من وجه ما فان هذا يعلم بدليل هو أغمض من الدليل الذي يعلم القسم الاول به ، ثم ترتب الادلة على حسب هذا ، فمنها ما يظهر ومنها ما يغمض وكلها أدلة الله تعالى على علم ما تعبدنا به وأراد بنا معرفته ، وتوحيده عز وجل وشكره وعدله ومعرفة رسله صلى الله عليهم وسلم أجمعين ، ومعرفة شرائعه وما أتت به الرسل عليهم الصلاة والسلام • والعقل هو الحاكم المميز وهذه الحواس مؤدية اليه ، وطريق الى معرفة الاشياء وتميزها • والعقل يلتزم الحجة ويلزمها وبعدمه تسقط ، ألا ترى ان المجنون غير مخاطب لعدم عقله ، وبه يفصل بين [٢٦ أ] النبي والمتنبي • واعلم ان الشرع لا يأتي بما هو ممتنع في العقل جواز مجيئه ؛ فهذا لا يجوز وانما يأتي بما هو واجب فيه فيؤكده • وذلك كشكر المنعم ومعرفته والاقرار باحسانه وعدله ورحمته والامتناع من كفره وجحد نعمته واحسانه فهذا واجب بالعقل • وانما جاء الشرع بتوكيده • وما هو جائز مجيئه في السمع وجائز كان ان لا يأتي به فهو كالصلاة والزكاة والصيام وما أشبه هذه الشرائع التي يجوز اختلافها ونقلها عن ألسن الانبياء ونسخها ، فذلك جائز ان يأتي بها السمع • فأما التوحيد وما اتصل به فلا يجوز تغيره ولا نسخه ولا ان يبدل في الشرع نبي فلذلك صار واجبا بالعقل وانما السمع يؤكده •

فهذه معرفة الطرق الى الاشياء التي تعلم وتدرك لا تخرج عن هذا وهي الضرورة والحس والخبر والدليل • وأصول العلوم السمعية كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه (ص) واجماع المسلمين • والالفاظ الدائرة بينهم وهو قولهم في حد العلم تبين الشيء على ما هو به • وحقيقة العالم من له علم ومعنى المعلوم ما علمه العالم بالنظر • ومعنى النظر هو تأمل حال

المنظور فيه ليعرف حكمه بالجمع بينه وبين ما شهد به (١) • ومعنى قولنا العالم محدث هو رجوع الى الجواهر والاعراض انها لم تكن فكانت • ومعنى قولنا حدث ومحدث وفعل وأفعال ومفعول سواء في الحقيقة وهو ما لم يكن فكان • ومعنى القديم هو المتقدم في الوجود بشرط المبالغة • والتقدم على ضربين : تقدم لا بغاية كتقدم الباري عز وجل وصفاته • وتقدم بغاية كتقدم بعض الحوادث بعضا • ومعنى الجسم انه مؤلف وأقله جوهران مجتمعان • وحقيقة الجوهر هو ما تحيز ولا يتجزأ ويقوم بنفسه، ولا يصح وجود اثنين منه في مكان ، ويقبل الاعراض • ومعنى العرض هو الذي لا يقوم بنفسه ويعرض في الجواهر ولا يدوم لبثه • ومعنى قولنا العرض لا يقوم بنفسه اي لا بد له من مكان في حدوثه يوجد له • ومعنى الصفة ما خلص الموصوف من غيره وميزه مما يلتبس به ويكون قولا ومعنى يوجد بالموصوف كالعلم والقدرة ونحو ذلك • ومعنى الموصوف ما له صفة • والصفة توصف بما لا يؤدي الى قيام صفة بها ولا توصف بما يؤدي الى قيام صفة بها • والوصف هي الصفة كما ان الوعد هو العدة • ومعنى صفة نفس اي انه ليس بمشتق من معنى كقولنا سواد لنفسه • وصفة معنى ما اشتق من معنى كقولنا اسود صفة مشتقة من السواد • وصفة معنى على وجهين : منه غير ، كصفات يجوز ان تفارقه • ومنه ما ليس بغير ، كصفات الله تعالى وجل تلزمه ولا تفارقه • والصفة التي ليست بغير على وجهين : منه مشتق من معنى يقوم بغيره كقولنا معبود ، مشتق من عبادة العبد له • ومنه مشتق من معنى يقوم بالموصوف كقولنا عالم مشتق من علم يقوم به لا بغيره • معنى الاسم : هو القول الدال على مسماه بجملة أو تفصيل ، [٢٦ ب] ومنهم من قال حقيقته انه المسمى ويقال التسمية انها اسم مجاز

---

١ ــ أ ــ شهدته .

صحيحة • والاسماء ثلاثة أقسام : مشتق كعالم وضارب ونحو ذلك • ولقب كزيد وعمر • واسم يرجع الى ذات تفيد حقيقته وتعم فائدته كقولنا محدث وجوهر وسواد ونحو ذلك • ومعنى عالم ومريد ومتكلم وحي وسميع ، ان له علما وكلاما وسمعا وارادة والصفات المشتقة كلها كذلك • ومعنى قولنا له علم اي انه مختص بصفة بها يعلم وبها كان عالما وبعدمها لا يكون عالما • ومعنى غيرين ما لا يستحيل مفارقة احديهما لصاحبه بوجه • ومعنى خلافين ما تغاير فلم ينب احدهما مناب صاحبه • ومعنى مثلين بعكسه (١) • وهو ان يجوز على احدهما ما يجوز على صاحبه ولا يتماثل ولا يختلف الا متغاير وقد يتغاير ما يتماثل ويختلف • ومعنى ضدين ما يتنافيان في محل في وقت واحد من جهة الحدوث ، وهما تحت جنس واحد • ومعنى الجنسين معنى المثلين • ومعنى خلق ما وقع بقدرة قديمة • ومعنى كسب ما وقع بقدرة محدثه • ومعنى خالق ان له خلقا ، ومعنى مكتسب ان له كسبا ، وكل كسب خلق وليس كل خلق كسبا • وانما يكون الخلق كسبا لوقوعه على وجه دون وجه • ومعنى قبيح ما ليس للفاعل ان يفعله ويلحقه ذم بفعله • ومعنى المعصية المخالفة ومعنى السفه الجور • والظلم هو التعدي والزوال عن الحد والرسم ، ومعنى العدل هو فعل ما للفاعل ان يفعله وهو معنى الحق ، ومعنى السفيه والجائر والظالم من زال عن الحد والرسم • ومعنى الحكيم من له حكمة ، ومعنى الحكمة معنى الحق • ومعنى الحق كل فعل حسن • ومعنى الصواب هو ما اصاب ويكون بمعنى الحق ، ومعنى الخطأ والباطل بعكسه • ومعنى السؤال هو الاستخبار • ومعنى الجواب الاخبار • وكل

---

١ ــ التقسيم هذا غير واضح في ب و أ . وفي ب بعض العبارات الزائدة غير موجودة في أ . والتصحيح هو ما وجدناه مناسبا للمعنى في كلتا النسختين .

جواب اخبار ، وليس كل اخبار جوابا • ومعنى العلة الوصف الجالب للحكم ومعنى الدليل المرشد للمطلوب • ومعنى المعلول الحكم وقيل هو المحكوم فيه • والعقل هو المعتل • ومعنى المستدل هو الطالب للدلالة ويكون الناظر والمفكر • ومعنى المناقضة وجود العلة ولا حكم • ومعنى المعارضة مساواته في الدعوى • والحجة البرية امتناع جريان علته ؛ وصفة الحال لا موجودة ولا معدومة وهي لا توصف بالعدم ولا بالوجود وكأنها صيغ وحركات تحدث بين الفاعل والمنفعل وهي الهيئات عند الفلاسفة • وهي عند الاشعرية تنقسم قسمين : معللة وغير معللة وزال عن اعتقادها طائفة منهم ، مثل رئيسهم الاشعري واضع المذهب وامام الحرمين كذلك على ما ذكر صاحب النهاية وتحقيقها وتحقيق غيرها ، من كل ما ذكر وما هو المشار اليه بالصدق لا يحمله هذا الكتاب لتعجيله واختصاره • وقد تم مذهب الاشعرية كما شرطنا على المراد واجتماعهم مع الفقهاء واختلافهم على الوجه الصناعي والفرق بينهما • وأردت بذلك ان نبصرك ونطلعك على مقاصد الناس لكي تعلم ما الذي يجب ان تغتبط به، والذي ينبغي تحصيله دون غيره والله يشرح صدرك وينجح في الدارين سعيك بمنه وكرمه •

الكلام على الفيلسوف في العلم • وأما مذهب الفيلسوف في العلم واعتقاده فيه [٢٧ أ] وحده له فوضع لذلك صناعة المنطق وفيها خلص العلم وله وضعها وهو المقصود منها عنده والخير فيها بالذات • ويزعم ان ذلك يعلم من حدها • وهي انها صناعة أدوية يفرق بها بين الحق والباطل في العلم النظري ، وبين الخير والشر في العلم العملي • وهي تشتمل على القوانين التي من شأنها وفي طبعها ارشاد القوة الناطقة نحو الصواب ، وتحفظها وتمنعها بالذات ان تغلط في الذي يمكن الغلط فيه ، وتعلمها بماذا تتحفظ من ذلك في كل ما أصله عن البحث والنظر • واسمها

مشتق من النطق وهذه اللفظة يطلقونها على انحاء ثلاثة : على قوة التمييز، وعلى العلم الحاصل في النفس ، وعلى القوة الصانعة التي تعبر باللسان عما في الضمير • فقولنا صناعة معناه قوة في النفس فاعلة في موضوع مع فكر وروية نحو غرض من الاغراض • والادوات منسوبة الى الاداة • والاداة آلة متوسطة بين الصانع والمصنوع بها يحصل للصانع كمال صنعته في المصنوع • وقولنا يفرق ، هو تخليص العقل للاشياء المختلفة بعضها من بعض دون ماهية مجتمعة فيه ، والحق هو حقيقة الموجود وما به هو ما هو • والعلم ادراك حقائق الموجودات بما هي موجودات • والنظري علم غرضه الاقصى ادراك حقائق الموجودات • والعملي منسوب الى العمل • والعمل اكتساب موضوع ما صورة ما • والعملي عمل غايته القصوى اجتناب الشر واجتلاب الخير • والعلم ينقسم عنده الى تصور مطلق كما تتصور السماء والارض والخير والشر والحكم والعقل والنفس • والى تصور مع تصديق كما تتحقق كون السماوات اكر متحركة وبعضها فوق بعض • وعلمنا ان العالم محدث وان من التصور ما لا يتم الا بتصور يتقدمه كما لا يمكن تصور الجسم ما لم يتصور الطول والعرض والعمق • وليس يلزم اذا احتاج الى تصور يتقدمه ، يلزم ذلك في كل تصور ، بل لا بد من الانتهاء الى تصور يقف عنده ولا يتصل بتصور يتقدمه كالوجوب والوجود والامكان ، فان هذه لا حاجة فيها الى تصور شيء قبلها يكون سببا لتصورها ، بل هي معان صحيحة ظاهرة مركوزة في النفس • ومتى رام أحد اظهار هذه المعاني بالكلام عليها فانما ذلك تنبيه للذهن لانه يروم اظهارها بأشياء هي أظهر منها • ومن التصديق ما لا يمكن ادراكه ما لم يدرك قبله أشياء أخر ، مثل انا نريد ان نعلم ان العالم محدث فنحتاج اولا ان يحصل لنا التصديق بأن العالم مؤلف وكل

---

١ ـ ب ، محدث مؤلف .

مؤلف محدث. ثم يعلم بعد ذلك ان العالم محدث لا محالة انه ينتهي هذا التصديق الى تصديق لا يتقدمه يقع به التصديق . وهذه احكام أولية ظاهرة في العقل كما ان طرفي النقيض يكون أبدا احدهما صادقا والآخر كاذبا . فيحصل من هذه الاقسام التصور التام والتصديق اليقيني الذي لا سبيل الى الشك فيه . وذلك كله بالعقل الذي يصدق أبدا بالقوة الالهية العاملة للمقدمات التي لا وسط لها . فان الحس والتخيل والظن والفكر والتمييز [٢٧ ب] في النفس ، والصادق والذي يثبت منها التمييز خاصة . وهذه وان كانت صادقة فهي على الاكثر قد تكذب . فانا نرى ان جرم الشمس قدر ذراع والحس في ذلك يكذب ، والظن كذلك ، اذ يظن المتزلف زانيا والخارج بالليل سارقا . والتخيل يكذب اذ يوهم ان القمر قمران ، والدار التي تخيلها عندما تسمع بها على خلافها . والاشياء التي تعلم منها ما لا تعلم لا بفكر ولا بروية ولا باستنباط ولا باستدلال ، ومنها ما يعلم بذلك .

والتي تعلم لا بفكر ولا بروية ولا باستنباط أربعة أصناف : مقبولات ومشهورات ومحسوسات ومعقولات . فالمقبولات هي التي تقبل عن واحد مقبول مرتض أو جماعة مقبولين (١) كذلك . والمشهورات هي الاولى الرابعة (٢) عند جميع الناس او عند أكثرهم أو عند عقلائهم من غير ان يخالفهم فيها غيرهم ولا واحد منهم . مثل ان بر الوالدين واجب وان شكر المنعم حسن . والمحسوسات هي المدركة بالحواس مثل هذا الحجر وهذا الرجل . والمعقولات الاول هي التي نجد انفسنا كأنها فطرت على معرفتها منذ أول الامر ، وجبلت على اليقين بها وعلى العلم بأنها لا

---

١ ــ مقبلين في النسختين . النص هنا غير واضح في ب وفي أ مكمل باستمرار على الهامش .

٢ ــ كذا في أ . وفي ب غير واضحة وتصويرها آلاولى الرابعة .

يجوز ولا يمكن غيرها أصلا ، من غير ان ندري مـــن أول الامـــــر كيف حصلت لنا هذه ولا من اين حصلت . وذلك ان الواحـــد قبـــل الاثنين ، وان جزء الشيء أقل من كله وان كل أربع عدد زوج ، وان كل ثلاثة عدد فرد . فهذا العلم على مذهب الفيلسوف قد ذكرته لك وصناعته التي هـــي من أجله ، وأصناف العلوم . وبقي علي ان اذكر لك الحدود التي يطلقها على الاشياء لنشوقك بها الى غيرها كما فعلت معك في مذهب الاشعرية والفقهاء .

على ان المطالب الاصلية التي تقدم ذكرها والكتب المنطقية فلسفيـــة واردت بها هناك ان تكون ركابا لغيرها اذ هي أحسن ما ينظر في البداية . والعلم النظري وغير ذلك من العلوم مكتسب منهـــــا . وعلـــم الاشعرية فاسد الاصل قبيح الفرع لا نتيجة له من حيث هو علم ، وانما نتيجته من أجل ما وضع ولماذا وضع . ولما كان المراد بمذهبه قطع المخالف للشريعة ، والشريعة حق، قيل له صاحب حق بالعرض. وهو في استدلاله وبرهانه مثل من يقول الثلاثة أقل من العشرة، بدليل ان الملك يموت غدا ، قيل له الذي قلت حق ومثلك باطل، فكذلك الاشعريةلا حقيقة لمذهبهممن حيث هو ولو صمت لكان أخلص له واليق به ، وبالذي من أجله جعل مذهبه وقاتل بـــه وعليه . اذ والحق أظهر وأجل وأقهـــر للمخالف وأعـــلى وشاهـــد لنفسه ومنصور على خصمه ومتفق من جميع جهاته ومبدد كيد الحاقدين ومعظم بذاته ومحجي شبه الجاحدين . وأما الفقيه فهو صالح فاسد الفرع وصادق الجنس وكاذب النوع . يتكلم من عند نفسه ويقيس على اليوم بأمسه . ويفتي السائل وينزل نفسه في رتبة المسؤول ،ويزعم انه يفهـــــم كـــلام المرسل وخبر الرسول ويعلل دينه ويتممه برأيه واجتهاده ، ويفصل قولـــه على خبر الذي أخرجه من عباده ، ويدفع اليقين بالجهل ويفعل فعلة ابـــي [٢٨ أ] جهل ، ويحجب نور الله عن عباده بالفروع المعللة ويتصرف فيهـــم

بغير الكتب المنزلة • ويصد الناس عن رضاب الشريعة وريحانها ويحضهم على حميمها وغسيلها ويفر من التحقيق ويهجر أهله ويمشي على الضلال ويركب جهله • فاخرج من سجنك يا أخي لرياض التصوف ، واقطعه كما اقطع الكلام انا عنه • ونرجع للمتفلسف فنقول : المراد من هذا الكتاب الوقوف على الحق بتقريب على طريق المسئلة والجواب ، وكيف يتصرف الفيلسوف بحدوده وما صناعته بها ، كما تقدم في الكلام على مذهب الفقيه والاشعري فنبدأ فنقول :

الطبيعة وترتيب الموجودات

اذا سئلت عن الموجودات كم هي وكيف ترتبت عن الاول الحق وما هو المتقدم منها والمتأخر ، فقل له الموجودات نوعان : كليات وجزئيات ، فالكليات منها تسعة مراتب كتسعة آحاد • أولها الله عز وجل فاعل الكل وخالق كل شيء ، ثم العقل الكلي ثم النفس ثم الطبيعة ثم الهيولي ثم الجسم المطلق ثم الفلك ثم الاركان ثم المولدات فهذه الكليات • وانت تنزل بالتحليل من الاعلى الى الانقص فالانقص • والجزئيات تبتدأ من انقص الحالات ثم ترتقي اولا فأولا الى ارفعها واعظمها • مثال ذلك ان تنتقل من المعدن الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى النفس الناطقة ثم الى العقل الفعال ثم الى العقول المجردة • او تنتقل من الجماد الى النامي الى الحساس الى العاقل الى الحليم الى النبي الى الملك الى الله سبحانه • او تنتقل من المركب الذي لا يتحرك الى المركب الذي يحس ثم الى المركب الذي يعقل الى المركب الذي يعلم ثم الى العقل ثم الى النفس الكلية عند الذي اثبتها من القدماء ثم الى الفعال • وأرسطو يرى ان الانسان لا يتعدى هذه المنزلة • وكذلك تطلع وتجرد وتنزه • ولذلك قال بعض الناس ، علم الانسان يبدأ من معقول وينتهي الى معقول • فكأنه دائرة وهمية • ويتبين

هذا عند ذكر الصوفية • والكلام في هذا يطول والمسألة مفيدة والكتاب بصغره وتعجيله لها مانع •

واعلم ان حقيقة الصفة عرض حال في الجوهر ، والصورة هي التي بها هو الشيء ما هو • والوجود ما أدركه الحس ، او تطرق اليه الوهم ، أو دل‌عليه الدليل • والهيولي جوهر قابل للصور وهي أربعة انواع : الهيولي الاولى والكل والصناعية والطبيعية • والقديم هو الذي لا يتغير او هو الذي لم يكن لوجوده سبب ، أو هو الواحد بالذات او هو الذي قام بنفسه وقام به الغير • أو هو الذي لم يكن لبسا (١) ، وهو المحيط بالكلي والجزئي • والعقل الكلي أول موجود أوجده الحق سبحانه ، وهو جوهر بسيط فيه صورة كل شيء ، أو هو الجائز المتقدم على الجائز المتأخر ؛ وهو الكلمة المردودة • او هو الفصل المانع او هو المحب (٢) بذاته • او هو الاثنين بطبيعته بالاضافة ، او هو الانية المنفعلة • او هو نديم الدهر [٢٨ ب] او هو والد النفس • او هو المفارق على الاطلاق ، او هو صاحب الوجهين اذا استفاد أو أفاد • أو هو المكلم (٣) قبل المكلمين كلهم • او هو الذي وجد الكنز وفرق منه • أو هو الصفة الفعلية المتقدمة، وبها واليها يعمل السعيد• او هو بين الذي جوهره وفعله في حيز الدهر ، وبين الذي جوهره وفعله في حيز الزمان اذا قدرته يتحرك ، أو ممتد مع الدهر اذا علم وعاين النظام القديم • والارادة اشارة بالوهم الى تكوين الشيء الجائز الذي يجوز ان يكون هو او غيره ، او الميل الجاذب المراد أو القضاء الحتم أو الانفعال الصادق أو الانزعاج المتعدي أو العلم المتصل • والقادر هو الذي لا يمتنع منه فعله ولا الذي يريد ان يفعله متى

---

١ ـ كذا في النسختين . بين السطرين في أ بسبب وهذا أصح .
٢ ـ كذا في النسختين ، بين السطرين في أ الواجب .
٣ ـ ب ـ المتكلم .

شاء ، ولا يتعذر عليه • والفعل اثر من مؤثر • والحي هو الذي يدفع ويجذب وتتأتى منه الافعال • والعالم هو المحصل للشيء بتمامه ومعناه وحقيقته • والعالم ما يحويه الفلك • والعالم جملة متجانسة • والعالم الجواهر والاعراض • والنار جسم نير يحيل الاجسام الى طبيعته ؛ وهو يقبل الصور بعدما ينقضها ويذهب كيفياتها ، والهواء جسم لطيف شفاف سيال سريع الحركة الى الجهات ، أو هو الذي يقبل الصور بسرعة وتذهب عنه بسرعة • أو هو الذي لا يقبل الصور أو يعسر ان يقبلها الا بخلعه صورته ؛ والماء جسم سيال حول الارض ، أو ما يقبل الصور بالرسم ولا يثبت بالاقامة • وهو المتوسط بين الوسط والى الذي من الوسط أو محرك المولدات في الاقطار الثلاثة بوجه ما • والارض جسم غليظ في مركز العالم أو هو الوسط ونقطة العالم الطافي على الماء والكثافة المطلقة ، والحرارة غليان أجزاء الهيولي • والبرودة جمود أجزاء الهيولي • واليبوسة تماسك أجزاء الهيولي • والرطوبة سيلانها • والطبائع الاربعة هي : الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة • والاركان الاربعة : النار والارض والماء والهواء • والاخلاط أربعة : الصفراء والسوداء والبلغم والدم • فالدم أجزاء معتدلة بين الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة • والصفراء أجزاء الطبيعة احترقت من طبخ الطبيعة للكيموس• والبلغم أجزاء غليظة فجة لم تنضج من طبخ الطبيعة للكيموس والسوداء اجزاء غليظة محترقة من طبخ الطبيعة للكيموس • والطبيعة تقال على انحاء فنقول ان من الموجودات ما هو لاجل الطبيعة ومنها ما هو من أجل أسباب أخر ، فالذي من أجل اسباب أخر مثل السرير والكرسي والسياسة وقيود الجيوش ووجود كثير • وذلك ان من الاشياء ما هو من أجل الصناعة • ومنها ما هو من أجل البحث بالاتفاق ، ومنها ما هو من أجل الاختيار • وأما الاشياء التي هي من أجل الطبيعة ، فمثل المولدات الثلاث في الاشياء التي هي بالطبع وأجزاؤها أيضا بالطبع •

وليس الامر في هذه كالامر في الاشياء الصناعية • فان البيت من أجل الصناعة والحجارة من أجل الطبيعة • وكذلك البسائط من الاجسام أهي الماء والارض [٢٩ أ] والنار والهواء والشيء الذي به تخالف الامور التي بالطبع للامور التي ليست بالطبع هي الطبيعة • والعلم الطبيعي يشمل على النظر في الاجسام وفي كل ما هو في جسم بالطبيعي اي بارادة الانسان • وهذه اللفظة تطلق عند القدماء باشتراك الاسم ، تقال على الخلق وكذلك هي في لغة العرب • وتقال على كل مطبوع بطبيعة وهي المراد من قول الحكماء « نقل الطباع شديد الامتناع » • وجمع المتنبي ذلك في قوله :

يراد من القلب نسيانكم   وتأبى الطباع على الناقل

وتقال الطبيعة انها حركة عن سكون وسكون عن حركة • وتقال الطبيعة أيضا انها قوة جسمية تكون في الاجسام بتوسط النفس والاجرام • وتقال الطبيعة أيضا انها جوهر حكيم بصفة الاشياء المصنوعة• وقيل في الطبيعة انها ابتداء حركة من داخل مقومة للابدان ومقدرة مصلحتها ودافعة عنها الآفات بحسب الامكان والطاقة • وتقال على الكيموسات ، أعني الاخلاط الاربعة التي هي الدم والمرتان والبلغم • وتقال الطبيعة قوة من قوى النفس الكلية الفلكية، وحدّها من مركز العالم الى الفلك الاثير • وتقال على العناصر الاربعة التي هي النار والماء والهواء والارض • وتقال أيضا على الفلك وعلى القوة الفلكية التي رتبها الباري عز وجل في الطبيعة ، وقدرها على تأثير الكون والفساد والنمو والاضمحلال والحركة والسكون • ولذلك حدها بعض الحكماء فقال : الطبيعة خاصة حركة عن سكون ، وسكون عن حركة • وحدها الفيلسوف من ذاتها فقال : ان الطبيعة قوة جسمية عن قوة فلكية ، لانه قال تتكون في الابدان بتوسط الملك بين النفس والاجرام • أراد بقوله قوة جسمية قوة فلكية ، لانه قال قوة جسمية ولم يقل قوة جرمية • وحدّها افلاطون

برسم مأخوذ من فعلها • فقال ابن سينا : الطبيعة جرم حكيم بصناعة الاشياء المصنوعة • وللفاضل ابقراط فيها قول فرق به بين النفس والطبيعة • قال فيه : الطبيعة ابتداء حركة من داخل مقومة للابدان ومقدرة مصلحتها للغذاء وغيره ، ودافعة عنها الآفات بحسب الامكان والطاقة • والنفس ابتداء حركة من خارج تفيض على الابدان من نورها وضيائها ما تصيرها بذلك حية حساسة متنقلة (١) في الاماكن بالمباينة والحلول • ولهذا أراد بذلك النفس الحيوانية اذ لا متحرك حساس الا هي • وتطلق على المبادىء المخصوصة التي وقع فيها الشك بين القدماء هل هي كلية أو جزئية وقد أراد ابن سينا ان يخلص ذلك وخاب سعيه وسفسط سفسطات كثيرة ، لا تصدر الا من أهور (٢) جعل السفسطة مقصوده وعماده ، والشعوذة غايته ومراده • وهي التي رتب الغزالي في المعارف العقلية عندما تكلم [٢٩ ب] في المبادىء ولم يخلص النية فيها ولا وصفها كما وجبت فظهرت ، ولا وقع على معناها ولا كيف صدرت •

وتقال الطبيعة أيضا على ما ينجم اي ظهر في شيء ونشأ فيه • وذلك اما على طريق الالتحام به مثل الاجنة في الارحام والاغصان التي في الشجرة تلقح فيها • وأما على طريق المماسة كالحال في كثير من المتكونات التي لا تتصل بالشيء الذي تتكون فيه • والفرق بين المماسة والالتحام ان المتماسين ليس يكون لمجموعهما شيء واحد فيصيران به واحدا وهو الالتحام والاتصال • لكن المتصلان هما واحد بالكمية لا بالكيفية كالحال في المختلطين ، أعني انهما يصيران واحدا بالكمية والكيفية • وقد فصلت هذه الاشياء في الخامسة من السماع الطبيعي • وتقال الطبيعة أيضا على الاشياء فيها ينجم الناجم أولا ويتكون المتكون وهو موجود فيها • وتقال

---

١ ـ أ ـ مستقلة .
٢ ـ أ ـ أهون .

الطبيعة أيضا على الشيء الذي هو مبدأ السكون والحركة الخاصة لموجود وجد في الموجودات المحسوسات ، وهو موجود فيها بالذات وقد تكرر هذا النوع منها لكن على غير هذه التوطئة • وتقال أيضا على الشيء الذي منه يكون الشيء من غير ان يتغير ذلك الشيء في طباعه ولا ان ينتقل في جوهره ، وذلك مثل النحاس في الصنم ، والخشب للكرسي • وتقال الطبيعة أيضا على الهيولي التي هي بالحقيقة متقدمة لجميع الاشياء الطبيعية وهذه أيضا على ضربين : اما الهيولى التي هي بالحقيقة متقدمة لجميع الاشياء الطبيعية ، واما أولى بالاضافة الى شيء • وتقال الطبيعة أيضا على التركيب الاولي الذي يكون منه الاسطقسات • ومن هنا يطلق الناس اسم الطبيعة على الاشياء المركبة من الاسطقسات • وقد تقال (١) الطبيعة على الجوهر والصورة الاخيرة التي هي نهاية الكون في الطبيعة مثل النفس في الاشياء المركبة والصورة البسيطة في الاجسام البسيطة أعني صور الاسطقسات الاربعة • وقد تقال الطبيعة بحسب المواضع ، فان اطلقوها في المركب ففي بسط اجزائه وأعمها ، وهي المتوسطة فيه ، ففي الطرفين منه وهي قريبة خاصية وبعيدة عامية ، ومتوسطة في القرب والبعد وفيما بين ذلك لانها جملة المركب • والمركب منه موضوع ومحمول ، ومنه ما هو متقدم على بعضه ، ومنه ما هو متأخر عنه ، كالاعضاء الآلية ،والمتشابه الاجزاء والمولدات والامهات والجسم المطلق والمادة والصورة وترتيب النظام • وهي الاسطقس الظاهر للحس والظاهر للعقل دون الحس والبسيطة للحس والمركبة للعقل ، ويدخل الاسطقس تحتها • وهي من المبادىء الاولية وفي الاشخاص المرتبة لا من حيث واحده ، وانما ذلك بأشتراط الاسم وان قيل للكون والفساد طبيعة

---

١ ــ قد قال في أ و ب . والتصحيح من عندنا . لاننا لا نعلم عمن يتكلم ابن سبعين هنا .

ولسائر الحركات فلكونها طريقها [٣٠ أ] الى هذه وموجودة عن هذه ، ولكونها ايضا وسطا بين الطبيعة الموجودة بالقوة وهي الهيولى، والموجودة بالفعل وهي الصورة • والزمان عدد حركات الفلك ، او مقارنة حادث حادثا • والفلك جسم يحيط بالعالم • والليل ظل الارض • والنهار ضوء الشمس • والنور جوهر بسيط مرئي بذاته • والحركات ستة انواع هي : الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغيير والنقلة • والزيادة تباعد نهايات الشيء عن مركزه • والنقصان تقارب نهاية الشيء من مركزه • والتغير تبدل الصفات على الموصوف • والنقلة خروج الجسم من مكان الى مكان والزبد ماء وهواء • والبخار ماء ونار • والدخان نار وتراب • والحيوان كل جسم يتحرك حساس والهوائية عليه اغلب • والانسان حيوان ناطق مايت والنار عليه اغلب • والجن ارواح نارية هوائية والخفة عليها أغلب • والشياطين أرواح شريرة والنارية والتراب عليها أغلب • والنبات ما نجم على وجه الارض ونما والمائية عليه اغلب • والشيء هو المعني الذي يمكن ان يعلم او يخبر عنه • والروائح بخار يتخلل من الاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية • والصوت قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجسام ويتموج تموجا كريا • الغيم والسحاب هي الاجزاء المائية والترابية اذا كثرت في الهواء وتراكمت ، والرقيق منها هو الغيم ، والغليظ المتراكم هو السحاب • الآكام بقاع منخفضة تجمع فيها الامطار والانهار الجارية في الارض • والارض جسم كروي الشكل كثير التخلخل بالاهوية (١) والمغارات والكهوف ، وهي واقفة في وسط الهواء ومركزها نقطة متوهمة في وسط عمقها • ومن تلك النقطة الى سطح الارض الابعاد كلها متساوية • المعروف ما جرت به العادة ولم تنه عنه شريعة ولا حكمة • الخير فعل ما ينبغي كما ينبغي على ما ينبغي في الوقت

١ ــ والاهوية في أ و ب والتصحيح من عندنا .

الذي ينبغي من اجل ما ينبغي • المنكر ما لم تجر به عادة ولم يعرف في حكمة ولا شريعة • الاختيار قبول (١) احد الامور بالوهم • والكراهية نفور من امر ما • الاعتقاد اطمئنان القلب على تحقيق شيء لا يجوز ان ينحل عنه • الوهم قوة من قوى النفس تميز بين الاشياء المتشابهة • الايمان تصديق المستمع قول المخبر سرا او اعلانا • الاسلام هو التسليم لامر الامر ونهيه بلا اعتراض • الدين هو الطاعة من جماعة لرئيس لنيل الجزاء • الصدق ايجاب صفة لموصوف هي له او نفي صفة عن موصوف ليست له • والصدق والكذب في الاقاويل والصواب ، والخطأ في الضمير، والخير والشر في الافعال والحق والباطل في الاحكام ، والنفع والضر في الاشياء المحسوسة •

عودة للكتب المنطقية والطبيعية

وان قيل لك ما كتاب ايساغوجي فقل معرفة ستة الفاظ تستعملها [٣٠ ب] الفلاسفة في مخاطباتهم • فان قيل لك ما قاطوغورياس فقل معرفة معاني عشرة الفاظ ، التي كل واحد منها يقال له جنس الاجناس واعلاها الجوهر ، وهذه الاجناس التسعة هي الاعراض • فان قيل لك ما باري ارمينياس (٢) فقل معرفة تركيب الالفاظ التي في قاطوغورياس وما تدل عليه من المعاني عند التركيب وتصير كلمات وقضايا ويكون منها الصدق والكذب • واما غرض ما في انالوطيقا الاول فهو معرفة كيفية تركيب تلك الالفاظ مرة اخرى حتى تكون منها مقدمات وكيف انواعها وكيف تستعمل حتى تكون سلوجسموسات اقتران القضايا ونتائجها ؟ واما غرض ما في انالوطيقا الثاني فهو معرفة كيفية استعمال القياس

١ ــ قبول ناقصة في ب .

٢ ــ باري اميناس في أ و ب .

الصحيح الحق • والبرهان الصحيح الـذي لا خطأ فيـه ولا زلـل واما افودقطيقي الرابع من الكتب المنطقية فيشتمل على القوانين الخاصة التي بها تلتئم صناعة الفلسفة خاصة • وطوبيقي هو الجدل يلتمس بـه تهـذيب النفس ويعلم البحث عن العلوم • ومخاطبته يلتمس فيهـا قهر المخـاطب وتبكيته وعنـاده بالاشيـاء الفاشيـة المعروفـة المشهـورة • والمخاطبة السوفسطائية يلتمس بها ان يغلب المخاطب غلبة كاذبة وغير صادقة بالاشياء المموهة المحتملة على البعد وليست بحق • والمخاطبة الخطابية يلتمس بهـا اقناع السامع بما تسكن نفسه اليه من غير ان يبلغ اليقـين • والمخاطبـة الشعرية يلتمس بها محاكاة الشيء وتخييله •

وللفلسفة حدود ، فالاول منها ان الفلسفة هي معرفة الاشياء عـلى حقيقتها • والثانية منها معرفة الاشياء الالهية والانسانية • والثالث منهـا ان الفلسفة هي الاهتمام بالموت • والرابع منها ان الفلسفة هـي المعرفـة بالله عز وجل ، على قدر طاقة الانسان • والخامس منها ان الفلسفة هـي صناعة الصناعات ومهنة المهن • والسادس منها ان الفلسفة هـي محبـة الحكمة • وهذه الستة حدود التي تقـدمت هـي بالرسم اولا • وربمـا سميت الرسوم حدودا على استعارة الاسم • فهذا ما حضر يا اخـي (١) من الكلام على الفيلسوف في هذا الوقت الضيق ، فتصفح ما فيه وعرفني بالذي يعسر عليك فهمه وعلم عليه ولا تغفل فيه • وقد ذكرت لك صناعة الفيلسوف كما وعدتك وحدود الاشياء ، واردت بالحدود المذكـورة ان نعرفك بها فيجتمع عندك معرفة الحد والمحدود وكيف تتناولها على الوجه الصناعي • ونحتاج ان نذكر لك العلوم الشرعية كم هي اجناسها العالية • وكذلك الفلسفية ونختم بها الكلام عليهم ونعود للصوفي ، ونلوح بمذهب

---

١ ــ بعد يا اخي لمعظمك في أ .

المحقق المقرب بعون الواهب للخيرات المهدي الى سبلها المنعـم بالمسرات المرشد الى الالات المعينة على نيلها •

اقسام العلـوم

اعلم يا اخي ان العلوم التـي يتعاطاهـا البشر [٣١ أ] ويسعـى في تحصيلها الطالب ويظفر بالآخرة والدنيا بها ثلاثـة اجناس هـي : العلوم الشرعية والادبية والفلسفية • فأنواع العلـوم الشرعية ستـة انـواع ، اولها علم الكتب المنزلة وعلم مدلولها وعما هي ، وعلم الروايات والاخبار، وعلم الفقه والسنن والاحكام ، وعلم الوعظ والتخلق ومكارم الاخلاق ، وعلم المقامات • وانواع العلوم الادبية كثيرة لا تحصى ويطـول ذكرهـا ولكني اذكر منها اليسير • فمنها علم الكتابة ، وعلم اللغة ، وعلم الشعـر والعروض ، وعلم الرجز والفأل والتواريخ والسحر والعزائم والحيـل • وهذه ان كان منها ما يوجد في العلوم الشرعية والفلسفية فهي غير ضرورية ولا مقومة لشيء من ذلك وانما هي من خصال الطالب المحمودة • وانواع العلوم الفلسفية تنقسم قسمين احدهما العلم والآخـر العمـل • وجـزء الفلسفة العلمي ينقسم الى ثلاثة اقسام احدها هـو العلم الطبيعـي وعلم ذوات العنصر • والثاني يقال له الوسط وهو علم الرياضيات ، وعلم مـا ليس بذي عنصر موجود في عنصر • والثالث العلم الاعلى وهو علـم مـا بعد الطبيعة ، وهو علم الماولوجيا وهو الفحص عن وحدانية الله تعالـى • وكل واحد من هذه الاقسام ينقسم الى أقسام أخر • فالعلم الطبيعي ينقسم ثلاثة اقسام : احدها العلم بالاصول التي عنهـا التركيب ، والآخـر العلم بالحيوان والعلم بالنبات • فالعلم بالاصول التي عنها كان التركيب تنقسم ثلاث اقسام : احدها العلم بالفلك والكواكب • والثاني العلـم بالاثـار العلوية الكائنة في الجو • والثالث العلم بالاثـار الكائنـة في الارض • والعلم بالحيوان ينقسم قسمين : احدهما العلم بعلل الحيوان واعضائهـا

ومنافعها • والثاني العلم بمنافعه وطبائعه • والعلم الاوسط الذي يقال له علم الرياضيات ينقسم اربعة اقسام : الاول منها علم العدد ، والثاني علم الهندسة ، والثالث علم التنجيم ، والرابع علم تأليف اللحون • وانما سميت هذه رياضيات لانها تروض الانسان بالاشياء المتوسطة بين ذوات الاجسام والمفارقة للاجسام ، فتنقله من ذوات الاجسام ومن الاشياء المحسوسة الى الاشياء التي ليست بأجسام ولا تدرك بالحواس بل بالعقل وحده • والعلم الاعلى الذي يقال له الالهي ، وعلم الماولوجيا ينقسم قسمين : احدهما العلم بوحدانية الله عز وجل ، والثاني العلم بالاشياء التي يوصف الله عز وجل بها مثل القدرة والحكمة والقوة وغير ذلك من المعاني التي تليق بالله عز وجل • وهذه اقسام الجزء العلمي •

فأما جزء الفلسفة العملي (١) فيقسم ثلاثة اقسام : الاول منها سياسة الذات ، والثاني سياسة المنزل ، والثالث سياسة المدينة • وسياسة الذات تنقسم ثلاثة اقسام : الاول منها اصلاح القوة الشهوانية وخضوعها للقوة [٣١ ب] الغضبية • والثاني تعديل الغضبية وخضوعها للقوة التمييزية • والثالث حفظ القوة التمييزية وتحريكها بالادب على الترتيب الذي ينبغي• وهذه اجناس العلوم الفلسفية قد تخلصت والمطلوب خارج عنها • ومذهب الاشعرية كذلك والفقهاء • غير ان الاشعري ظفر بالبخت والعناية اذ هو مسلم وكذلك الفقيه، والفيلسوف مليح الصناعة صحيح المبادىء محروم الفائدة فاسد الغاية • فالاشعري سعيد بالعرض • والفقيه سعيد بالعرض• والفيلسوف محروم بالذات • فان صرف الفيلسوف المبادىء التي له لغاية الاشعري ، ووقف عند خبر الصادق كان سعيدا بالذات • وان ثبت على ضلالة مذهبه انتكس وخاب وحرم • والاشعري والفقيه ان اعتقدا في مذهبهما ان به يلحقان حقيقة الانسان وغايته فهما احرم من الفيلسوف

---

١ ــ ب ــ العلمي •

وارذل واسخف. وان ارادا به دفع الخصم ومحاربته لا انه في نفسه حق وانه مفيد كانا على الصواب في ذلك . فمذهب الفيلسوف في ذلـك صحيـح الوضع وصادق المقدمات غير ان نتيجته خائبة وغير صالحة بوجه ما . فانه اراد تحصيلها بنفسه دون المعلم المعصوم ورام المحال . فلو اعطى الاشياء حقها ، لوجد وانجح واستقام . والاشعري كثير الكـلام قليـل المعاني لا يصلح ان ينظر لمذهبه ، ولا يلتفت له بوجه اذ هو مكتسب مـن مـذهب المخالف له على غير وجهه، فلا تعول عليه يا اخي ولا تنظر اليه الا بالازدراء فأنه بدعة . والفقيه ليس بعالم ولا بصاحب حقيقة ولا تعرض لهـا . وهو في مذهبه على الحق اكثر من الاشعري فأنه لم يتعـد غير مذهبه ولا تخطاه واشتغل يتصرف به ، وترك اصله صحيحا ولم يغيره ولا زاد فيه وما حرم الفائدة الا من عدم فهمه الذي بين يديه . والاشعري بخلافه ، اذ ومذهبه من عند نفسه واختراعه واصوله اكثرها مـن غير دينه ومذهبه ، فضلالته ظاهرة فلا اصله اقتدى به ولا مذهبه الـذي استنبط يصلح لصالحة فافهم ذلك كله . والذي أقوله لك ان سادة أهل ملة الاسلام هم الصوفية فانهم فهموا الشريعة ، والتصوف نتيجتهـا ، ولا حقيقة الا عنـد الصوفية ولا تقبل لغيرهم . اذ والسعداء من كل ملة وطائفة ولا يقدرون على الوصول الا بالتشبه بهم . فمذهبهم اصل في الوصول وهم السعـداء لا غير ، وهم السالكون لطرق اللـه خاصة ، وسيرتهم احسن السـير وطريقهم اعـدل الطرق ، ونفوسهم افضل النفوس ، وعقولهم ارجـح العقـول واكملها ، والخير فيهم بالـذات والسيادة بالذات والعـزة بالذات والكمال بالذات والمعرفة بالذات . فأما كون الخير فيهم وغير ذلـك بالذات فلأن القـوم لا يتركون للنقص ولا للرذالة ولا للغباوة ولا للجهالة ولا للكسب الحاضر وجودا ، ولا يعقل في طريقهم مـن ذلـك شيء مـن حيث هي . ومكارم الاخلاق [٣٢ أ] عندهم شرط في تحصيلها . والعلم باللـه كذلك وجميع ما يفعلونه مقتبس من نور النبوة . وبالجملة لا يطلقون الصوفي الا عـلى

العارف العامل المدرك • فاذا كان هــذا هكذا فــلا نظير لهم ولا مثل في الذي هم بسبيله • وغيرهم قد يحصل له العلم الذي هــو بسبيله ؛ وهو غير فاضل ولا زاهد ولا ورع ولا متخلف مثل الاشعري قــد يدري يتكلم ويجادل ويحصل مذهبه وهو غير متصف بشيء من ذلك ولا هي الفضيلة في مذهبه بالذات • فانها لو كانت بالذات لكان كل اشعري صوفي وهذا لا يكون عقلا فآنا نجد ذلك يكذب في الاكثر• فاذا رأينا الاشعري يتصف بشيء من الفضائل علمنا انه قد خرج عن مذهبه ودخل في التصوف • فان الصوفي لا يصل ولا يظفر بالتصوف الا حتــى يحصل الذي ذكرناه وهو من المحال ان يكون غير هذا في طريقــة التصوف • والاشعــري والفقيه والمحدث والفيلسوف قد يبلغون الغايــة في مذاهبهم دون مــا ذكرناه ، اذ ليس هذا من المحال في طريقهم ولا شرط ذاتي فيه • والصوفي بضد ذلك وكأنه اسم يطلق عــلى جملة تركبت مــن علم وفضائــل وكمال وسعــد ورضوان الله • وواجب علينا ان نذكر مذهبهم من حيث هو بتقريب ، اذ والشرط بذلك قد تقدم علينا والوعد بــه ، والله يعين عــلى ذلــك بمنه وكرمه •

القول عــلى التصوف

الصوفي هــو العالــم باللــه العارف به الواصل لغايــة الانسان السعيــد عــلى الاطــلاق • ولــولا خوف التطويــل لذكــرت حــد التصوف وما معناه على التمام وانما ضيق الوقت منع من ذلك • والصوفي يتكلم على الغاية وكل علم عنده لا يرشد الــى طريقه بشيء لا يصلح ولا يجوز ، وهو ينظــر العلماء ويسمع اقاويلهم ويمحلهــا وينحل مــا يجب ويقبل الحق ويدفع الباطل ولا يلتفت (الى) العبارات مــن حيث هي لان غرضه ومقصوده الحقائق • مثــال ذلــك في علم الفقهاء المذكورين قبــل يسمع منهم ما يقولونه فــاذا انقضى غرضهم نقضه وخلصه وحرفــه عــن موضوعه • فما يقوله الفقيه من الامــر والنهي لا يقــع الا في الشفع وفي

اكثر من واحد وبين الرئيس والمرؤوس • فكأنه عند الصوفي قسم الواحد في نفسه ، وزعم ان العدم مخاطب فهو ينظره بعين الحماقة ويفقع عينه بعد ذلك • والاشعري اذا صعد بصناعة التركيب ، وينتقل من صفات الافعال الى صفات الذات الى الذات ، ويوحد ويقيم الدليل على توحيده ويدفع الخصم ، يضحك منه الصوفي فانه لا يعلم ما يقول ولا يعقل ما هو عليه • وكونه ينتقل من صفات الافعال الى صفات الذات ويوحد ويقيم الدليل بماذا انتقل ، وهو قد ذهب في الصفة الاولى على زعمه ، وكذلك في الصفة الثانية ، فكأنه قال يوجد المعدوم • والا اذا وصل الى الذات القديمة ما هو عندها هل هو هي ، او لا هو ولا هي • فان كان هو هي فقد قال ان الشيء يصل الى نفسه ويفارق ذاته في وقت دون وقت ، وهذا لا يجوز على [٣٢ ب] المحدث فكيف على القديم • وان كان لا هو ولا هي فمن الواصل ؟ وما هو الوصول ؟ وهذا وان كان من مقدمات الصوفية فهو يتحقق عند النتيجة انه باطل • فالمتصوف ينظره بعين الحماقة ثم يفقع عينه والفيلسوف يسمعه الصوفي • لا تكمل للسعيد سعادته ولا جوهره الا بأن يعقل السبب الاول الذي منه انبعثت الموجودات • الا انه كل موجود يتعدى مرتبة ما من مرتبته لا يمكنه ان يعقلها ، الا ان يعقل ما بينه وبينها من الموجودات التالية له بالمرتبة ، ويرى ان الموجود الثاني لا يحتاج في تكميل جوهره الى واسطة ، والموجود الثالث لا يعقل الاول الا بتوسط الثاني ، وكذلك الرابع والخامس ، ويمر ذلك الى آخرها • وكذلك كل موجود من هذه الموجوات الناطقة يحتاج في كمال جوهره الى ان يعقل ما فوقه وما دونه ولذلك احتاج في كمال تجوهره الى ان يعقل جميع الموجودات كلها على التمام • والعلة في ذلك ان مرتبته من الوجود الفائض من السبب الاول يلي آخر المراتب لانه انما يكون بعد تقدم الحيوان غير الناطق والنبات والمعادن والاركان والهيولى • فصارت هذه الاشياء اسبق منه بمرتبة الوجود ، وان كان هو افضل منها ، لان النفس

الناطقة صورة في النفس الحيوانية ، والنفس الحيوانية صورة في النفس النباتية ، والنفس النباتية صورة في المعادن ، والمعادن صورة في الاركان ، والاركان صورة في الهيولى • فلما كانت هذه الاشياء كلها قبلـــه في رتبة الوجود ، وكان لا سبيل له الى ان يعقل السبب الاول حتى يعقل مـــا بينه وبينه من الموجودات ، احتاج ان يعقل ما فوقه فيقدره عند ذلـــك الصوفي ويستعيذ بربه من نقصه وخذلانه وعدم سعـــده ووجود حرمانه • وكأنه عنده نوع المتفق بوهم المختلف • وعلّل الصحيح بباطـــل الهوى • وقسم الواحد بآعتقاد الضلال • وركب المحال بفساد التصور • وهو عنده بمنزلة المعتوه الذي لا يلتزم ولا يلـــزم ، وتسقط مكالمته • فانـــه جعـــل المثلين منفعلين بعضهما عن بعض ، واحدهما علة في الآخر وجعل العدم مما يحكم به ؛ ويجاز عليه الوجود • وجعل الواحد يتقـــدم ويتأخر في وحدانيتـــه • وجعل السعادة في الخروج عـــن الحـــق بنفسه • وتصرف بالمجاز في جميع احواله • وهدم بأقواله ما يستفيده بأفعاله • وطلب الخير بالنقص لنقصه، وواصل بالمزيد شقاوته ونحسه • وخلط في دلالتـــه وحرم لمدلوله • ووكل الشوق على طلب الحقائق ، وظن الفضائل في اقتناء المخارق دون الدقائق• وهلك بالجملة فلا طب لدائه ومن اعسر الاشياء وجود دوائه • فكف عنه يا اخي واخدم الصوفي ، وارغب في مذهبه ، وعظمه واعز مـــن أعزه (١) القديم في ازله • وانا نذكر لك مذهبه ونعلمك مطلبه •

اعلم ان حد العلم عنده والمعرفة والعالم والعارف والشيء والموجود والحق والامر [٣٣ أ] والواجب ، جميع ذلك يجده في نفسه ، متى حققـــه اعدمه ومتى جهله اوجده • فهو اذا حد كما حده من تقدم كان لا شيء ، ولا حق ولا وجود ولا امر ولا عارف ولا معرفـــة ولا عالم ولا علم • واذا لم يحده كان ذلك كله ، فوجوده يحد المحدود وعدمه ينكره ووجوده كلا

---

١ ــ أ ، عِزّ من عَزّ .

وجود فحده كلا حد • وغيره مـــن الحادين دونـــه في العلم والمعرفة وهو المدرك وحده لا غير • فلا حد اذا الا في الإلفاظ المجازية • فلا علم اذا الا في الاصطلاح الذي يمسك بالاوهام ، ويرمي على ذات الحقيقة بالسهام •

اقسام الصوفية وعلومهم

والصوفية على خمسة اقسام : قسم جمهـــوري ، وقســـم مشارك ، وقسم غير واصل ، وقسم كامل ، وقسم محرر • فالاول العلم عنـــده على خمسة انحاء ، علم غير كسبي ، وهو الموهوب وهو مجهول الوقت له ثبوت غير معين وهو قايم في سريرة الولي يجده اذا اراده مـــن غير استدعاء ، الا اذا هم بالمعلوم علم • وهو المراد بقولـــه (ص) « كنت سمعه الذي يسمع به » ، الحديث • وهذا السر هو له في جميع امـــوره في العلم وغيره ، ولا يفرق بينه وبين غيره في ادراك المدرك له وكأنه روح الولـــي وعقله وجملته فأفهم • وعلم هو الهامي ، ربطت به للولي عادة جميلة ، اذا ضيق نصر بـــه ونصر هو به ، وهو على ثلاثة انحاء يطول ذكرها • والثالث هـــو لدني ، وهو محمول على اشارة الهمة المطلقة على مـــا تضمنه النظام القديم مـــن امرها واطلعها على ذلك هو ، وذلك في وقت دون وقت • والفرق بينه وبين الالهامي ان هذا يعلم القريب والبعيد والمتوسط ، وذلـــك يعلم الحاضر ، وان علم الاقسام الثلاثة فهو لدني • والهمة المذكورة عندهم تعظيم خاص يعطي من نفسه مشارا ما بالنظر اليه يملك كل شيء ويقدر عليه • وهـــذا هو المفهوم من قول الحكيم « من عرف نفسه عرف ربه » بـــل مـــن عرف نفسه تشبه بربه • ولا يعتقد في المتصوف اذا اطلق الهمة انه يريد بها الهمة التي يطلق الفيلسوف • فان الفيلسوف يريد بها شوقا لا يتبدل امـــا العمر كله ، واما في اكثر الزمان الى الشيء الذي هو واجب عـــلى الانسان ان يفعله في حياته • فان كان ذلك الشيء جليلا قيل في الهمة انهـــا عظيمة وان كان خسيسا قيل في الهمة انها خسيسة • وهذه التي ذكرتها لك هي جوهر

الهي ، روح الجواهر المفارقة ومعناهـا الفصيح • والفيلسوف وغيره لـم يصل لاكثر من العقل الكلي وزعم ان العقل الكلي هو اقرب الموجودات الى الله عز وجل ، او هو غاية الانسان • وهيهات على اضمار هـذا حرم عظيما وفقد ما لا يقدر ، وخسر الشرف المطلق ، والعلم الرابع هو تداخل الأنيات ، وتوقف احدهما هو العلم فان تكلم الصوفي بأول وقوفه ورفع صوته بذلك ، رفعت خشيته في عالم الكون ، ونشرت رايتـه في عالـم الغيب • والعلم الخامس مقارنة الهويات بالآنيات ، وما يجتمع في الذات الحاملة للامانة من ذلك علم ، والقسم الاول مـن القسم الاول مـن التصوف ، هو الذي أدركه رجال الرسالة [٣٣ ب] (القشيريـة) واليـه أشار ابن العريف في محاسنه ومفاتح المحقق (١) • وهو مركب من طريق وسلوك ووصول وفناء عن الوصول • ولواحقه مائة وخمسون كالصبـر والحلم والعلم وغير ذلك يطول ذكرها ، وهو مقام الغزالي ، وجميع مـن تكلم في التصوف بالعلوم الصناعية غير انه لم يحققه على مـا يجب • والثاني منه هو مقام ذي القرنين ، وهـو ينقسم عـلى ثلاثـة وثـلاثين قسما • والثالث هو مقام الخضر عليه السلام وهو ينقسم الـى سبعـة أقسام • والرابع منه مقام يوشع بن نون وهو ينقسم الـى تسعة أقسام • والخامس منه ينقسم على ثلاثة أقسام وهو مقام مريم • والقسم الثاني من أقسام التصوف وهو المشارك حد العلم عنده في استقباله وتحقيقه فـي حمده وجلاله • وهو دنو لا هيبة له ولا هيئـة الا اذا انجلى وفـرع وقهر (٢) الاشارة وفهمها واعادها لمثل خطابه بأنا وهـو وعليٌّ • وهـذا مقام الكلام فيه كثير وهو لا ينقسم وهو عثماني • والقسم الثالث مـن التصوف ، وهو الواصل حد العلم عنده صرف المعروف بحروفه المتشابهة

١ ــ مفاتح المحقق . كتاب لابن العريف ؟
٢ ــ ب ، انحل وفرع وقهر . والتصحيح من أ .

وأخذ المألوف المخطوف لقراره وقراءته . وهو ينقسم على عــدد المثانــي وهذا المقام علوي . والقسم الرابع من التصوف وهو الكامل حد العلــم عنده تشطير السر واحتياط اللواحق وأمانة الصدق والصادق بحسب الم وهم عسق وطه (١) . واقسامه بعدد آيات البقرة وهذا هو المقام العمري. والقسم الخامس من التصوف وهو المحرر حد العلم عنــده سلام أهــل اليمين واستفهام ، « واصبر لحكم ربــك فانك بأعيننا » (٢) . واقسامه بعدد حروف يسن ، وهذا هو المقام البكري (٣) ، فافهم واعــذر وسلــم وحسن الظن واحسن النظــر وانصف واعــدل واستفهم وتوقف ولازم واغتبط والله يعينك ويسهل عليك بمنه وكرمه ولا رب سواه .

فهذا الصوفي قد انقضى الكلام عليه عندما طاب والتهم اليــــه . وتحصيله على خمسة ضروب : الاول منها يحصل بالعلم والعمل . وحاصل العلم قطع عقبات النفس والخروج عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة وتجريد القلب عن غير الله وتحليته بذكر الله . وبالجملة مشاره واحــد ، ونفسه سهلة وخير محض واعتقاد وتر في جملة تصريفه ، فلا يسمع الا من واحد ولا يرى الا له ولا يتحرك الا به . والعمل مركب مـــن الاوامــر الشرعية ، واجبها ومندوبها ، والزهد في مباحها والصوم وافعــال البــر ودخول الزاوية ، ويعتزل عن الناس ويخلو وحده في موضــع لا يسمــع فيه كلام البشر ويكثر من التلاوة والذكر والدعاء ويخدم نفسه في جميع أسبابه ويكون قوته قرصة شعير مقدرة الوزن ويقلــل اجزاءها مـــع الزمان [٣٤ أ] حتى يألفها ويتداومها . ويعتزل الشهوات ولا ينام حتــى

---

١ ــ من حروف اوائل السور التي يوليها ابن سبعين اهمية بالغة .
٢ ــ سورة ٥٢ ، آية ٤٨ .
٣ ــ ابن سبعين ينسب هذه الاقسام الى الخلفاء الراشدين . ولا نعلم في تاريخ التصوف طرقا تنسب اليهم . اللهم رغبــة المتصوفين بــرد علومهم الى الخلفاء بقصد ردها بالتالي للنبي (ص) .

تغلبه عيناه • ويغتسل كل يوم عند الـزوال ، ويتبخر بالقسط والبخـور والروائح الطيبة ، ويكون ثوبه وأكله حلالا. ويخلص النية لله تعالى فـي طلب العفو والنجاة والرغبة فيما عنده ، وما يقرب الى الله لا الى الدنيـا وحضرتها والمنزلة عند أهلها • ويقيم معتكفا حتى يبلغ غايته بحسب مـا تكون عنايته ، والعادة المعروفة ستة توابع وهـي اثنـان وأربعون يوما • ويكثر من قراءة القرآن والدعاء والذكر ، وترديد حروف القسم وماهيتها في نفسه ولسانه • ويستحب ان يقول هذا الدعاء وهو : اللهم يا من هـو فوق كل فوق وليس له فوق ، يا من هو تحت كل تحت وليس له تحت ، يا من هو أول كل شيء وليس له أول ، يا من هو آخر كل شيء وليس له آخر • يا واحد لا واحد غيرك كل واحد له شبه ، وأنت الواحد الذي لا شبه لك • يا من هو هو اسألك بألم والرد وكهيعص• يا رب يا رب يا ربنا يا جليل أحد يا أحد أجل يا أحد يا صمد أنت الابد الذي خلقت كل شيء• الباقي الذي لا يفنى ، انما يكفيك من الشيء المشيئة ان تشاء فيكون مـا شئت • يا رب أمرك حتم جزم ، وفعلك عزم ، وقضاؤك عـدل ، وأنـت الاول الدائم • يا مخلص يا مستخلص يـا محقوق بالاخلاص ، يـا ذا المعارج لا اله الا أنت، أنت على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط • هب لي منك علما تورثني به العلم النافع واجعلني خلفا لمن سلف من الاوليـاء انك على ما تشاء قدير • وعلامة صحة الحال في ذلك اذا تم لك سبع ترى نوعا ما ، واذا تم الثاني ترى آخر وكذا الى آخر الامد المذكور ، وبحسب ما يكون الصوفي مرادا ويشاهد أرواح الانبياء ويسمع منهم مـا يحتاج اليه • ولولا خوف التطويل وانحفاز الوقت لذكرت لـك كيفيـة العمل وأنواعه ، والمستحسن منه ، وما هو الذي كان العمل عليـه ، والمشهور عند السلف • فاقنع باليسير ولا تركن الى عادتك بوجه فالعادة هي التـي ترذل بالمسترشد وتبذل في ضلالته حدها وغرضها مـن السعادة فقدهـا وضدها • وهذا الضرب الذي ذكرته لك هو الذي يعظم الغزالي وبه كان

وصوله لمقامه الذي وصفه في غير كتاب • وهذا يا أخي مقام صناعي وهويته ممتدة مع الامل وغايته الفناء عن الفناء والخروج عن الوجود والبقاء بعد ذلك جنته ولذته •

والضرب الثاني ينقسم على خمسة أقسام • أولها الاشارة ، وفهمها والتلاوة وطيبها ، والانفعال الصادق وتحصيل الكا والما والحا وما (١) بالتعليم ، وهل بالتعظيم • وحديث القلب مع ماهيته بغير انيته وسلام التوحيد وارشاد الواحد ولذة المتوحد ويدور على نفسه ويصل بدلالة لا مدلول لها فأفهم • والضرب الثالث يصل ويظفر بالمحتملات ولا يؤمن بالذوات الروحانية ولا بالكلمة ولا بالفصل ولا يقول بذلك • ومقامه أجل وأرفع ولا نسبة بينه وبين غيره • وكأنه كن عائد [٣٤ ب] على مخبره وخبره ويهيم بطبعه لكل ما تقدمه وتأخره وينفصل عن التأخر وبهذا يدرك • والضرب الرابع يحصل أول مبادىء الموجودات بنفس الاولية وما معنى الغايات بنفس الغاية ويميت الكل وتفرق عليه أمثلة الهداية بقدر التذلل ويصل • والضرب الخامس يظفر ويصل بقدر ما يرمي ويرمى عليه ويجد الكفاية وترمى الغاية ويصيب القوسين ويعلل الجرمين ويصل •

وهذه الاقسام يا أخي قد تم تقسيمها ، وما هي والتخلق بها وكيف هي تحتاج الى زمان طويل • وبالجملة المشافهة فيها أبلغ ، والاشارة لسانها وقرينة الحال صناعة براهينها • وهنا نقطع عن الصوفي الكلام بالجملة ونبدأ بذكر من اذا ذكر سكت المتكلم ، واذا علم لم ينتقل عنه لغيره الا في نفسه وذاته وان تنوع فانما تنوع بحسب الشرف والزيادة • والصوفي المذكور قبل هذا هو بمنزلة الظل له ، والخبر للمخبر والكلام للمتكلم ، وسعادته لا يفهم من مدلولها ما يفهم من السعادة • فلا يطلق عليه سعيد ، اذ والسعادة المذكورة قبل احسان وجاه ونعمة وحظوظ •

---

١ — مرة اخرى يستعمل ابن سبعين الحروف والرموز في شرح طريقته .

وهذه تنافر بصناعتها ذلك ، اذ والاشياء على حقيقتها عنـــده • وهـو بالجملة في حروف التقديس والعبودية الخلافية والدعوة الماحية ؛ ولـــه أبواب كثيرة اذا فتحها قال لا ينال ولا علم ولا يعلم ووجد ولا يوجــد • وسريرته في أوضاع الخير مضمنة ومنصوصة • وينظر المسترشدين بعين الاشفاق • وحد العلم عنده ، اذا أراد لحده ، واذا أراد ان يحده لغيره اذا سئل عنه ، هو من المحال ان يذكره بحسب ما هو عليه عنده • وانما يذكر منه ما تحمله الامثلة وعلى قدر قوتها ومفهومها لذلك • فجميع مـا تكلم الناس فيه وما أدركه الفيلسوف عن معنى النفس المدركة الدالة والمستدلة الداركة المفارقة للمادة ، يقول له : النفوس الرئيسة هي ذات ثلاث أفاعيل من أفعالها فعل نفساني ، وفعل عقلي ، وفعل الهي • فامـا الفعل الالهـي فانها تدبر الطبيعة بالقوة التي فيها من العلة الاولى • وأمـا فعلها العقلي فانها تعلم الاشياء بقوة العقل التي فيها • واما فعلها النفساني فانها تحرك الجسم الاقصى وجميع الاجرام الطبيعية لانها حركة الاجرام وعلـة فعل الطبيعة • وانما فعلت النفس هذه الافاعيل لانها مثال من القـوة العاليـة فيقول له الفيلسوف ، هذا لا ينطبق على سؤالي فيقول لــه افهم الرتب واجعلها في ذهنك ، فهي الحروف عند المقرب وهي مثـل الف ب ت عنـد الصبي وكذلك [٣٥ أ] تحقيقك هو عندي مثل الحروف المذكورة • وانّا نريد (ان) نعرفك كيف تقرأ الحقيقة فاذا صح عنـدك مقدماتها تتكلـم معك • وذلك لان الرتب لا تتعدى من أمثلة • والامثلة دافعة والدفع في تقسيم الصدق والكذب وهو بمنزلة تركيب الحروف عند الصبي فـــي المحضر • فافهم كيف يقرأ المحقق حقيقته على علمـاء الارض • والتقسيم صرف تعلق بالقديم الى ما منه وله تعلق ومعرفة الجائز المعلول والواجب المتقدم والعلة لغيره والخير بالذات ؛ وهذا باطل • فان التعلق ربط معلل ومسافته محمولة والتزام مقهور ، فهذا تركيب الكلام فافهم •

ثم يبدأ من هنا يتكلم معه، ويقول له الذي سأله ، فغاية الناس عنده أمثلة لا حقيقة لها وهم عندي في العالم الاول الروحاني منه والجسماني. والصوفي اذا سأله عن ماهية الروح وهل فعل في زمان او تقدمه زمان ، يقول له المقرب : كل جوهر واقع في بعض حالاته تحت الدهر وواقع في بعض حالاته تحت الزمان فذلك الجوهر هوية وكون معا . وذلك ان الشيء الواقع تحت الدهر هو هوية حقا ، وكل شيء هو واقع تحت الزمان هو كون حقا . فان كان هذا هكذا وكان الشيء الواحد الواقع تحت الدهر والزمان هوية وكونا معا كان هوية وكونا لا بجهة واحدة بل بجهة وجهة . وكل مكون بجوهره تحت الزمان متعلق الجوهر بالهوية المحضة التي هي علة الدوام وعلة الاشياء الدائمة كلها والاشياء الداثرة ، وهذا هو الف ب ت عند المقرب . ثم يقدم له مقدمة ثانية تقوم مقام تركيب الحروف في الخطابة . وبعد ذلك يقول له الاول الحق فوق كل اسم تسمى به لانه لا يليق به النقص ولا التمام . لان الناقص غير تام ولا يقدر ان يفعل فعلا تاما اذا كان ناقصا . والتام عندنا وان كان مكتفيا بنفسه فانه لا يقدر على ابداع شيء آخر ولا على ان يفيض على نفسه شيئا البتة . وان كان هذا هكذا عندنا فقلنا ان الحق ليس بناقص ولا تام فقط بل هو فوق التام . وهو مبدع الاشياء ومفيض الخيرات عليها فيضانا تاما لانه تام وخيره لا نهاية له . ولا ابعاد في الخير الاول اذ يملأ العوالم كلها خيرات الا ان كل عالم انما يقبل من ذلك الخير على نحو قوته . فقد بان وصح ان الحق فوق كل اسم تسمى به وأعلى منه وأرفع. فيقول له الصوفي لم يسأل عن هذا فيزيده لذلك ما هو أظلم وأصعب. وقد يقول له الاول مستغن بنفسه وهو الغني الاكبر . والدليل على ذلك وحدانيته ، لانها ليست وحدانية مثبوتة فيه بل هي وحدانية محضة لانها بسيطة [٣٥ ب] في غاية البسط . فان أراد مريد ان يعلم ان الحق تعالى هو الغني فليلق وهمه على الاشياء المركبة وليفحص عنها فحصا مستقصى.

فانه سيجد كل مركب ناقصا اما محتاجا الى غيره واما الى الاشياء التي تركب منها • واما الشيء البسيط الواحد الذي هو خير فانه واحد ، ووحدانيته خير والخير شيء واحد (١) ؛ فذلك الشيء هو الغني الاكبر ، يفيض ولا يفاض عليه بنوع من الانواع • فأما سائر الاشياء عقلية كانت أو جرمية فانها غير مستغنية بأنفسها بل تحتاج الى الواحد الحق المفيض عليها الفضائل وجميع الخيرات • فيقول له الصوفي مثل ما قاله له قبل فيقول له ما هو أعسر وأبعد للفهم بحسب سؤاله : كل جوهر قائم بنفسه فهو غير واقع تحت الفساد • فان قال قائل قد يمكن ان يكون الجوهر القائم بنفسه واقعا تحت الفساد • قلنا ان كان يمكن ان يكون الجوهر القائم بنفسه واقعا تحت الفساد أمكن ان يفارق ذاته ويكون ثابتا قائما بذاته دون ذاته وهذا محال غير ممكن • لانه لما كان واحدا مبسوطا غير مركب كان هو العلة والمعلول معا • وكل واقع تحت الفساد انما فساده من أجل مفارقته علته فاما ما دام الشيء معلقا بعلته الماسكة الحافظة له لا يتبدل (٢) ولا يفسد • فان كان هكذا وكان الجوهر القائم بذاته لا يفارق علته أبدا لانه غير مفارق لذاته من أجل ان علته نفسه في تصويره • وانما صار علة نفسه من أجل نظره الى علته ، وذلك النظر هو تصوره فلما كان دائم النظر الى علته وكان هو علة ذلك النظر كان هو علة نفسه بالعلة التي ذكرنا الا انه لا يتبدل ولا يفسد أيضا ، لانه العلة والمعلول معا كما ذكرنا آنفا • فقد صح ان كل جوهر قائم بنفسه لا يؤثر ولا يفسد • فيقول له الصوفي يا هذا ما سألتك عن هذا كله فيقول له الحروف والكلام غير المفهوم منها • وهذه حروف المقرب فأفهمها وتتكلم معك في المسألة فيبدأ يتكلم معه وهكذا صناعته مع السائل له • واما مع

---

١ ــ ب ، شيئا واحدا .

٢ ــ ب ، يبيد . الجملة بكاملها غير واضحة .

نفسه فلا يحتاج الى ذلك، وهذا يفهم من ألم وحم وف وغير ذلك فانها حروف وسر القرآن جعلت هناك كما ذكرت لك، وهكذا ينبغي أن تفهمها. والصديق يقول لكل شيء سر وسر القرآن في حروف القسم (١) . ولولا خوف التطويل والعهد لبينتها وبرهنتها وذكرت لك كلام المقرب مع السائل يا أخي، ولاي شيء كانت أربعة عشر حرفا، التي في أوائل السور، التي هي أكثر ما في القرآن وعليها دار القرآن وما هي. وانما المراد ان نعلمك بقدر ما تحتمل . فهذا العلم قد انقضى الكلام عليه من الرتب الخمس والرجال الخمسة .

وحدّ العلم عند المقرب لا يحمله هذا الكتاب ولا محدوداته اذ لو تكلم به بطلت وزال المقصود منها . ولولا ما حفزني السفر لذكرت لك من حدود الصوفية ومحدوداتهم كما فعلت بمذهب الفيلسوف وغيره، فاقنع بهذا والله يشرح صدرك له ويفهمك ما يتضمنه بمنه وكرمه [٣٦ أ] وفضله . وهذا العلم ان تكلمت به مع محقق العصر (٢) ورئيسه تمجك طباعه وتشهد عليك بالكفر جوارحه وان سكت عنك بلسانه يحمقك باعتقاده فتكلم مع الناس كافة بالذي ذكرت لك من صناعة الاشعرية والفقهاء والفيلسوف . وتفهم هذا وكن به غريبا فطوبى للغرباء قال صلى الله عليه وسلم . وهنا نقطع ونتكلم على العقل بحسب المراتب الخمسة بحول الله وحده .

---

١ ـ حول معنى حروف اوائل السور راجع :

٢ ـ تظهر عند ابن سبعين نفس فكرة القطب التي دافع عنها ابن عربي . فأبن سبعين قطب عصره، واليه يجب الرجوع وعنه ايضا تصدر المعلومات كما تصدر الموجودات اذ للقطب حقيقة كونية انتولوجية عدا حقيقته الوجودية . قابل مع رسائل ابن سبعين ص : ١٢٢

القول على العقل بحسب الرجال الخمسة والرتب الخمس فنقـــول :
الفقيه يعتقد في العقل ما تعطيه اللغة والنصوص الشرعية وهو عنده صفة يلزم بوجودها التكليف ويقع عليها الخطاب ويتأتى بها ادراك المعلـــوم • وتارة يطلقه بمعنى التعقل كما يقال فلان عاقل اذا كان كثير الصمت قليل التصرف • وتارة يطلقه على النبيه كما قال الله تعالى : « هل في ذلك قسم لذي حجر » (١) اي ذي فهم • وتارة يطلقه على صحة الفطرة الاولى التي في الناس ، وحده انه قوة بها يوجد التمييز بين الامور القبيحة والحسنة • وهو عنده مأخوذ من عقل يعقل فهو عاقل كما يقال فلان يعقل الناقـــة • ولما كان العقل يعقل المعلوم أو يحبس النفس عـــن شهواتها ، أو يقتحـــم الشيء الذي تنافره الطباع وتصبر عليه في حق الفائدة ، مثل قطع القـــدم مع وجود الراحة والحياة ، قيل له عقل • والانسان الذي يتصف به عاقل• وهو بالجملة لا يتعرض له ولا يبحث عنه من حيث هو في نفسه ولا يطلبه بشيء من المطالب الاصلية ولا يعلم ما هو هل هو عرض ، أو جوهـــر أو صفة نقص ، أو صفة كمال ، او روحاني أو جسماني أو قديم أو محدث ؟ وان بحث عنه بشيء من هذه المباحث فهـــو امـــا اشعري أو فيلسوف أو صوفي • والفقيه من حيث هو فقيه انما هو مع الامور المقبولـــة وفيهـــا يتصرف ومنها هي صناعته وعليها يبني واليها يعمل • والعقل جاء فـــــي كتاب الله تعالى في غير ما آية ، اما بالترادف واما بالاشتراك وامـــا وصفا للسعداء والعلماء كقوله عز وجل « لقوم يعقلون » ، « لأولي الالباب » ، « لأولي النهي » « لذي حجر » « لمن كان له قلب » (٢) ، وهو عنـــــد

---

١ ــ سورة آية •
٢ ــ على التوالي . سورة :

الفقيه يصلح يزيد وينقص بحسب الهداية والعمل الصالح .

واما الاشعري فهو انبه بيسير من الفقيه ودون غيره وأشعر للمعنى. وهو ممن تحركه نفسه لطلب الفائدة بصناعة النظر ولا يقنع في البرهان بالخبر . وعلم ان المعقول لا يفيده القبول الا بمعنى الارشاد والافادة والتشويق ، وان الذي يجب عليه العمل خلاف الذي يجب به العلم . ولما فهم ان التقليد قبول الامر بغير دليل وانه لا يعطي العلم وانما يعطي الشوق أو التنبيه لا غير ، لم يقبل العقل من حيث هو اسم وانما قبله من حيث هو معنى ، فاحتاج ان يبحث عنه ويتأمله وينظر فيه من حيث هو ، فطلبه بمطلب هل أول ما نظر فيه ، [٣٦ ب] وصح عنده ان النظر انما هو الفكر في حال المنظور فيه ، فقال هل هو موجود أو معدوم ؟ فلما رآه قد اختص بواحد بدلا من ثان صح عنده انه موجود . طلبه بعد ذلك بمطلب ما هو ؟ ومطلب اي هو ؟ فقال لا يخلو ان يكون قديما أو حادثا ويبطل ان يكون قديما لكونه يطرأ بعد ان لم يكن ؛ فصح عنده انه حادث . ثم نظر هل هو صفة أو موصوف ، ثم حقق النظر فيه فرأى انه يبطل ان يكون موصوفا لكونه ضد الصفة فصح عنده انه صفة . ورأى ان الصفات في الجمادات والحيوانات ورأى ان صفات الجمادات لا يصح لها ذلك فيبطل ان يكون من جنسها ، فصح عنده انه من صفات الحيوانات . وتأمل صفات الحيوانات فرآها قد انقسمت بقسمين : الى صفات نقص والى صفات كمال . ورأى ان صفات النقص خارجة عن العقل لكوننا نمدح به من اتصف به . فاذا صح انه من صفات الكمال وصفات الكمال : ادراك وحياة وكلام وعلم وسمع وبصر وشم وذوق ولمس وارادة وقدرة ، رأى انه يبطل ان يكون قدرة وارادة وحياة وادراكا وكلاما وسمعا وبصرا وشما وذوقا وغير ذلك ، لكونها تصح ممن لا يعقل فما بقي الا ان يكون علما . والعلم ينقسم على ثلاثة أقسام : ضروري

وبديهي وكسبي • ويبطل ان يكون كسبيا ، لكون العقل متقدما عليه ، ويبطل ان يكون ضروريا لان الضروري يتبدل مع بقاء العقل ، فما بقي الا ان يكون بديهيا ، وهو الذي يحكم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات • والاشعري يعتقد في العقل انه عرض وهو مجنون في ذلك ذو عرض ، فينبغي ان لا يخاطب ولا يسمع لكلامه • ومن أطرف الاشياء دخوله في اسلامه وهو لا يميز الجوهر من العرض ولا القدح المرسل من الغرض ، معتوه لا يعقل ويزعم ان العقل قد عقله ، وعزيز لا يحل الدهر ولا يبلغ أمله • وكيف له ذلك وهو يعتقد في الموصوف المبدع الاول الذي به فكر وقدر انه صفة • والصادق يقول : اول « ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر » (١) • هل ابدع اولا ما لا يقوم بذاته او ما يقوم بذاته • كلا لو أبدع أولا ما لا يقوم بذاته للزم ان الصفة تتصف ومن المحال ان تتنوع الحقائق وتختلف ، ولكان خبر النبي لا فائدة فيه ولا حاصل له ولا يقبل اذا تكلم بما لا يجوز ولا يصح وقوعه ولا يعقل • وحاشا الله ان يغلط المعصوم أو يجهل أو يحتاج في العسير من الامور لمطلب ما هو أوهل • ووجب على كل من يعقل عن الله سبحانه ان المبدع الاول ذات قائمة ، لا تتأخر أخراها عن أولاها اذ لم يكن هنالك زمان ولا تستقل بذاتها سواها اذ لم يكن هناك مكان • وبعدها [٣٧ أ] أبدع الازمان والامكنة ووقع الترتيب والتدريج ، وظهر الخلق بعد هذه الذات المحكمة فاستقلت بكل ذات دونها وقامت بكل صفة وتبين بها كل حكمة فافتقرت الاشياء في الصنع اليها ، ولم تفتقر هي بعد الى ذات اذ لم يتقدمها محدث • وافتقارها انما هو للذي أقامها بكلمته وهي كن فافادها بالكلمة نفسها ربها ، وأدامها بها • والكلمة لا تفارق ربها ، ولا تزال دائمة كائنة ثابتة وكل ما افادته

١ ــ حول هذا الحديث راجع : المقدمة ص

الكلمة فانما تفيده ذاته • فبالوجه الذي استفاده بذاته ذاته قامت ذاته بذاته • فلهذا ما أجمع الجميع على ان الجوهر قائم بذاته وان لم يعرفوا معنى ذلك • وهذا العلم ثقيل يا أخي ؛ لا يوجد له في الزمان حملة الا اليسير ، وقليل ما هم • والزمان الذي نحن فيه طمست فيه نجوم الحق ودرست فيه رسومه ، وقلت افراحه وكثرت كلومه فأقنع باليسير فيه من الكلام ، واغتنم ساعة البيان والاعلام • وهذا الرد الذي رددت به على الاشعرية هو بحسب ما سمع منهم وحجة الخصم بحسب ما يتكلم به مع خصمه وبتلك النسبة • ولو سمعت منهم ما هو انبه لكان الجواب والرد عليهم من نسبة ما تكلموا به وهذا الاشعري قد فهم غرضه وبحثه والرد عليه على التمام ، ولم نترك الكلام على الفقيه تسليما له وارتضاء بالذي يقوله ، بل من حيث لم يتخلص عندي فصله من الحيوان غير الناطق ، ولا تمت له الصفة الانسانية • ورأيت ان الكلام معه والرد عليه مما لا يعقل ، فأضربت عنه وانا شاك في انسانيته ، وتركته لكونه غير مخاطب فافهم • واعلم ان للاشعرية في العقل من الكلام والخلاف كثير ولولا ما نحن بسبيله من العجالة لذكرت ذلك وانواعه على ما يجب وهو نحو الثلاثين قولة ؛ لكني ذكرت لك منها انبهها بحسب ما فهمت من مذاهبهم فاعلم ذلك والله يعلمك بمنه •

القول على الفيلسوف في العقل • العقل عند الفيلسوف ينطلق على انحاء • فيقال عقل لما يكتسبه الانسان بالتجارب من الاحكام الكلية ، وحده انه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والاغراض • ويقال عقل لمعنى آخر ، وحده انه هيئة محمودة للانسان في حركاته وسكناته وكلامه واختياره • وله عند الحكماء ثمانية معان دون هذه • احدها الذي ذكره الحكيم في كتاب البرهان وفرق بينه وبين العلم فقال ما معناه هذا العقل والتصورات والتصديقات الحاصلة للنفس

بالفطرة ، والعلم ما يحصل بالاكتساب • ومنها العقول المذكورة في كتاب النفس فمن ذلك العقل النظري [٣٧ ب] والعقل العملي (١) • فالعقل النظري قوة للنفس تقبل ماهيات الامور الكلية من جهة ما هي كلية • وبين الحكيم وافلاطون في ذلك خلاف كثير يطول ذكره • والعقل العملي قوة للنفس هي مبدأ التحريك للقوة الشوقية الى ما تختار من الجزئيات من أجل غاية مظنونة أو معلومة • ويقال لقوى كثيرة من العقل النظري عقل فمن ذلك العقل الهيولاني وهو قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجردة عن المواد • ومن ذلك العقل بالملكة وهو استكمال هذه القوة حتى تصيره قوة بالفعل ، بحصول الذي يسمى في كتاب البرهان عقلا • ومن ذلك العقل بالفعل وهو استكمال النفس بصورة ما أو صورة معقولة متى شاء عقلها أو أحضرها بالفعل • ومن ذلك العقل المستفاد وهو ماهية مجردة عن المادة مرتسمة في النفس على سبيل الحصول من خارج • ومن ذلك العقل الذي يقال له العقول الفعالة ، وهي كل ماهية مجردة عن المادة أصلا • فحد العقل الفعال اما من جهة ما هو عقل فعال فانه جوهر بالصفة المذكورة من شأنه ان يخرج العقل الهيولاني من القوة الى الفعل بأشراقه عليه • وهو بالجملة ، وان كثرت انواعه ، فهو يرجع الى معنيين أحدهما الموجود الاول الذي تقدم ذكره • وهو جوهر روحاني بسيط محيط بالاشياء كلها احاطة روحانية • والآخر هو قوة من قوى النفس الانسانية التي فعلها التمييز والنطق والتصور والتصديق • وبين القدماء فيه خلاف كثير في رتبتها عن الاول وفي جوهره وفي بقائه وفي أنواعه • فمنهم من جعل العقول تسعة كتسعة آحاد، والعقل الفعال هو العاشر ، وهو في الرتبة العاشرة في الوجود • وان قوى العشرة فيه قد اجتمعت وان الانسان بعد الموت لا يتعدى رتبة العقل

---

١ ــ كلمة ساقطة في أ .

الفعال • ومنهم من قال غايته ان يلحق بالنفس الكلية • ومنهم من قال يلحق بالعقل الكلي • ومنهم من قال يلحق بالفصل وظنه انه غير العقل الكلي • ومنهم من قال يلحق بالكلمة • ومنهم من قال يجاوز ذلك كله ويلحق بسببه الاول ؛ وهذا قد جاوز بفهمه المقدار • ومنهم من قال لا يكون ذلك وانما يلحق بالكلي بالتجوهر وبالاول الحق بالعلم خاصة • ومنهم من قال يلحق بمعقول التصريف • ومنهم من قال يلحق بالأنية المطلقة لكونها اذا علمت لم يعلم معها غيرها ولا شيء خارج عنها ، وانها اذا علمت علم الوجود ولا وجود واجب الا هي • ولولا خوف التطويل والذي ربطت عليه وعزمت على حذفه لبينت خلافهم مفسرا أو منسوبا لقائله وللمخالف به •

وبالجملة فيثاغورس وبلنياس وديوجانس طبقة واحدة ، وهم على الاكثر على اعتقاد واحد • وبقراط [٣٨ أ] واقراطيس وامسطلطيس ؟طبقة واحدة وهم على الاكثر متفقون • وسقراط وأفلاطون وأرسطو طبقة واحدة ، وهم على الاكثر متفقون ، وان كان الحكيم يرد عليها فهو معها في الاصول • ويرى في تمام الانسان ما يرى الرجلان وان كان قد رد على سقراط في الصور المجردة والعقل الهيولاني • وبالجملة اعتقادهم واحد ومذهبهم واحد وصناعة كل واحد منهم مختلفة ، وان كان أفلاطون مخالفا بحثه لبحث ارسطو ولولا تعجيل هذا الكتاب لبينت خلافهم وعدم اتفاقهم وفساد اعتقادهم • وكثير من الناس من يزعم انهم متفقون وهم اذا حقق مذهب كل واحد منهم لا يجتمع مع الآخر • والذي جاء من بعد هؤلاء وخالف في الذي يقولونه وشك في أكثر كلامهم فعدد لا يحصى ولهم كثرة لا يأخذهم تقدير ، مثل الاسكندر الافروديسي قد خالف الحكيم في العقل الهيولاني ، وقال انه يذهب بعد الموت ولا بقاء

له . وذلك انه لما رأى ان العقل الهيولاني هو كمال اول (١) لنا ، وان بهذا الكمال هو الانسان مشار اليه وواحد بالعدد وهو به كائن فاسد ؛ اعتقد في هذا الاستعداد الكائن فينا انه كائن فاسد وغلط في كلام الحكيم ولم يأخذه على ما تقتضيه الفطرة السالمة ، وطائفة من اتباع الحكيم وهو مذهب تافروسطيوس . وجماعة من المشائين وتامسطيوس من المتأخرين اعتقدوا ان هذه القوة أزلية ، وان هذا العقل الذي فينا مركب من عقلين أحدهما العقل الذي بالفعل ، والآخر المنفعل الذي هو بالقوة . والذي جعلهم يقولان في العقل الهيولاني انه أزلي شيئان : احدهما انهم اعتقدوا ان القوة والاستعداد الذي في كل شيء لا بد لها من موضوع هو من نوع الشيء الذي هوقوي عليه . لانه قد تبين في الاصول الكلية ان القوة غير الموضوع للقوة . والفرق بينهما ، انه اذا حصلت الصورة بالفعل ذهب الاستعداد والقوة وهي الموضوع . وسمعوا الحكيم يطلق اطلاقات حملتهم على ذلك يطول ذكرها . ثم ان تافرسطيوس ! رجع عن هذا ثم قال بعد ذلك على وجه دون هذا ، ثم ذكر في تفسيره لصور أفلاطون ان ذلك سر لا يعلمه الا من حصل علم الخير المحض وغير ذلك من الكتب كذا وكذا يطول ذكرها . وانعقد اجماع المشائين على ان الامر عسير الخلاص وأكثر كلامهم يدل على ذلك . وتامسطيوس ثبت على اعتقاد واحد كما يظهر في قوة كلامه في غير ما كتاب ، والا من طالع شرح السماع الطبيعي له وكتاب النفس وكتاب الاخلاق ويقف على ذلك كله .

ويزعم ابن الضائع (٢) أنه خلص هذه المسألة وأنه جاء فيها بالصواب وانه بلغ الغاية بذلك . وجملة ما وقف عليه وحققه ان جعل الانسان مؤلفا من شيئين فان وشيء باق . وبحث عنه في رسالة الاتصال

١ ــ جملة ناقصة في ب .

٢ ــ ابن الصائغ هو ابن باجة .

بصناعة البحث وقدم لذلك الكلام على الواحد بالذات والواحد بالعرض وهذا الذي رامه ليس بحق ، وبحثه مكتسب من صناعة [٣٨ ب] أرسطو . وغلط في الذي اعتقده فيه وهذا الرجل مفتون بنفسه وله سفسطة كثيرة ، مثل الذي ذكر في المادة والصورة وانه خلص الخلاف فيها ؛ وكذلك الذي ذكر في صناعة المنطق من انها تكذب في شيء وتصدق في آخر . وسمع أفلاطون يذكر ذلك في بعض كتبه وظنه انه على ما تأوله عليه بكلام ، فلا هو فهمه ولا هو ستر نفسه وعالج جنونه ، وكذلك في المسائل العويصة التي ذكرت لك فيما بعد الطبيعة (١) . وفي المقالة الثانية يزعم أنه خلصها على ما يجب وغلط وغالط . حتى ان ابن رشد قال انه بقي على مذهبه مدة من الزمان ولطف الله به واهتدى بكلام الحكيم وزال عن ذلك . وهذا الرجل ابن رشد مفتون بأرسطو ومعظم له ويكاد ان يقلده في الحس والمعقولات الاولى ولو سمع الحكيم يقول ان القائم قاعد في زمان واحد لقال به واعتقده . وأكثر تآليفه من كلام أرسطو اما يلخصها واما يمشي معها . وهو في نفسه قصير الباع قليل المعرفة بليد التصور غير مدرك . غير انه انسان جيد وقليل الفضول ومنصف وعالم بعجزه ولا يعول عليه في اجتهاده فانه مقلد لارسطو .

وأما الفارابي اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني ، وزعم ان ذلك تمويه ومخرقة . ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة او حدثت بعد ، وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الاخلاق وكتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية . واكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو خمسة وسبعين كتابا وفيها من الالهيات تسعة . وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأدراهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك ومحقق وزال عن جميع ما ذكرته

---

١ ــ كذا . ولا نعلم لابن سبعين مؤلفا بهذا الاسم .

وظهر عليه الحق بالقول والعمل • ولولا خوف التطويل لذكرت ذلك مفصلا • اما ابن سينا فمموه مسفسط كثير الطنطنة قليل الفائدة ، وما له من التأليف لا يصلح لشيء ويزعم انه ادراك الفلسفة المشرقية ولو أدركها لتضوع ريحها عليه ، وهو في العين الحمية • واكثر كتبه مؤلفة ومستنبطة من كتب أفلاطون والذي فيها من عنده فشيء لا يصلح • وكلامه لا يعول عليه • والشفاء أجل كتبه وهو كثير التخبط ومخالف للحكيم وان كان خلافه له مما يشكر له فانه بين ما كتمه الحكيم • وأحسن ماله في الالهيات التنبيهات والاشارات وما رمزه في حي بن يقظان • وعلى ان جميع ما ذكره فيها هو من مفهوم النواميس لافلاطون وكلام الصوفية • وركب شبه ذلك على التمدن والبحث الفلسفي وهما مما لا يعول عليه ولا يسمع منه •

وأما الغزالي فلسان دون بيان ، وصوت دون كلام ، وتخليط يجمع الاضداد ، وحيرة تقطع الاكباد • مرة صوفي واخرى فيلسوف وثالثة اشعري ورابعة فقيه وخامسة محير • [٣٩ أ] وادراكه في العلوم القديمة اضعف من خيط العنكبوت ، وفي التصوف كذلك ، لانه دخل الطريق بالاضطرار الذي دعاه لذلك من عدم الادراك • ورأى في النفس من الصور المجردة التي تظهر للمتخلف في الزلة ، وظنه أن ذلك حق وانه حقيقة الوصول ، وذلك انما هو في النفس من حيث هي نفس فما الحق بعد ذلك وما العلم ، والظاهر من هذا الرجل ان صور النفس والعقل المستفاد كانت غايته ، وينبغي ان يعذر ويشكر لكونه من علماء الاسلام على اعتقاد الجمهور ولكونه عظم التصوف ومال بالجملة اليه ومات عليه بحسب ما أعطاه كلامه وفهم من اغراضه • وهو يعتقد في العقل ما يعتقده الفيثاغوريون فانهم يطلقون العقل على الذي يطلقون النفس • ولا يبحثون عنه بحث غيرهم • وهذا يفهم من كلامه في المعارج العقلية وفي

شرح عجائب القلب ، عندما قال جميع ذلك لطيفه يعني العقل والروح والنفس وكذلك في تقسيمه للارواح في مشكاة الانوار وما أشار اليه في كيمياء السعادة وغير ذلك من كتبه • وكتابه على اكثر ما يظهر في أكثر كلامه هو رسائل اخوان الصفا (١) ، فانه في الفلسفة ضعيف مثل أصله • وان كانت الحكماء قبل يطلقون النفس على ما يطلقون العقل وان الجواهر الروحانية لا تتنوع ولا تختلف فهم لا يضيعون الرتب العقلية والعقول المادية والكلام عليها • والذي أراده الغزالي لا يصح فأنه أراد ان يفهم اطلاق العقل والنفس من التصوف بصناعة القدماء واصطلاحهم فلا هو خلص التصوف ولا هو قيل فيه فيلسوف • وهو مع ذلك كله موقوف وفارح بالذي ظهر له عندما جرد نفسه وانفرد وذلك شيء يصله المرور ويظفر به بأيسر تناول المفرور • والحق عزيز اعتز عليه وعلى من ذكر قبل فكلهم خلط وتكلم وطنطن وتبرسم ولم يأت بفائدة ولا دل عليها • ولو كان في الوقت فسحة لجعلت لكل واحد من هذه المراتب تأليفا وافردت للحق وأهله آخر شبه السراج لغيره ، اذا قرأه المسترشد رأى به خبايا غيره واخرج من قعر مسكنه ما لم يراه بظلام مذهبه وسوء فطرته • ولكني الوح بالحق فاسمعه ودع من تقدم فلا يصلح ولا يجب ان يعلم ولا يفهم • واردت بذكرهم ان أبصرك وادرجك لمنازل الابرار وبضدها تتميز الاشياء •

واعلم يا أخي ان جميع ما ذكروه لم يتخلص لهم فيه الحق ولا هم على شيء ، وجهلهم بالامور الالهية ابين من براهينهم المنطقية والهندسية• وخلافهم في النفس هو في تسعة مواطن • وفي العقل الهيولاني في ثلاثة مواطن • وفي المستفاد في خمسة مواطن • وفي الفعال في خمسة مواطن • وفي ترتيب العقول التسعة في خمسة مواطن • وفي العقل الكلي في جملة

---

١ ــ كذا . وهذه احدى اخطاء ابن سبعين .

مواطن . وفي السبب [٣٩ ب] الاول في ثلاثة مواطن ، وفي الفعال وفي كيفية الصدور في عدة مواطن . وهذا كله كنت أحب الناس ان أفسره لك على وجهه ، لولا ما منعتني بانحفازك للسفر . وهم يا أخي جهلوا ان التقسيم الصناعي والهيئات والوضع والاضافة والعدد . وبالجملة القواطع التي ابينها لك في الكلام على التوحيد ، وهي ثلاثون نوعا وجميع ذلك يترك عند باب الحقيقة ، واذ لا يقدر ما يرد ولا ما يقيم ولا يعول عليه بوجه وهو كذلك دائما . هيهات حملوا وهم القضايا بعضها على بعض وغفلوا عن البداية الذاتية المستمرة والمصدر السيال والكلي الواسع في النظام الجائز المحدث تحت الوحدة المحضة ، التي هي نفس النظام القديم . والا لم يسلموا ان من العقول ما هو عقل الهي لانه يقبل من الفضائل الاول التي تنبجس من العلة الاولى قبولا كثيرا ومنها ما هو عقل فقط لانه لا يقبل من الفضائل الا بتوسط العقل . ومن الانفس ما هي نفس عقلية لانها متعلقة بالعقل ومنها ما هو نفس فقط فما هذا الاستناد الا وضعيا وهذا الترتيب الا ماديا . وأنت يا أخي عليك بالذي عليك ، بالذي يقوله المقرب المحقق بعد الكلام على الصوفي ولا تلتفت لجميع من تكلم .

القول على الصوفية . الصوفي يرى ان العقل والهداية والنعمة والرضوان والسعد وما أشبه ذلك من الاسماء المترادفة . ولا يفرقون بين المحمول والموضوع ولا يتنوع الوجود عندهم من حيث هو . ومنهم من يسمي هذه القضية التي يجدها الانسان ولا يعينها بالضمير . ومنهم من يسميها غريزة يتأتى بها الادراك المعلوم . ومنهم من يسميها احاطة . ومنهم من قسم الانسان الى أربع قوى : احاطة وادراك وخبر وارادة لا غير . ومنهم من اعتقد في العقل انه قضية طرفها المعلل هو العبد وطرفها الاكمل هو ارادة الرب . ومنهم من يجعله سرا مجهول الكيفية كما يظهر من كلام أهل الرسالة (القشيرية) . ومنهم من يجعله قضية تشرح وتترجم

عن الكنز القديم وكأنها خلقت من أجل ذلك • ومنهم من يجعلها نورا اذا اتصل جزؤه بكله احترق الجميع من حيث هو نور ، واضاء من حيث هو حق • ومنهم من يعتقد في العقل انه حديث النفس الذي يقـــوم مقـام المخاطب من خارج • ومنهم من يعتقد في العقل انه ينقسم ثلاثة أقسام • الاول محتمل والثاني صرف والثالث خلاب • فالاول به يهتدى في البداية ويستدل به ويصعد به الى المقصود وهو ما يؤدي الى سعادة واما الـــى ضدها ؛ وهو المحتمل من الاقسام الثلاثة • والثاني ما يحصل بعد الفنـا والنشأة الاولى ولا يجوز عليه النقص ولا يمكن فيه وهذا هو الصرف ، ولاجل ذلك يقول سهل بن عبد الله (التستري) « لو وصلوا ما رجعوا » والثالث (١) وهو ما يزعج ويبلغ الصرف حتى يسلبه ذاتـه ويتركه صرف العدم ، واذا أفاق اعاده لحالته تلك ، وهو رضوان الجنان • ومنهم مـن قسمه لاكثر من هذا وهم مـع كونهم فضلاء وسعداء تنقصهم المقارنـة والنسبة والشيء في نفسه الصادق عليه بجمله ما لديه واللـــه يخلصهم وايانا بمنه وكرمه • فلا تكن صوفيا الا في الخوف والتجـرد والسلب لا غير • وهنا نقطع لضرورة الاختصار •

القول على المقرب المحقق • المقرب لا يجد [٤٠ أ] مـع من يتكلم بمذهبه من حيث هو وانما يتكلم بقدر يفهمه من حيث ما يقبله المخاطب • ولا بد له ان يقدم له كلاما ما هو بمنزلة الحروف وتركيبها عند المتعلـم ، وحينئذ يبتدأ فيشير بمذهبه وكلامه في هذا كله مع المسترشد • مثـال ذلك عندما سمع كلام الناس في العقل وترتيبه عن الاول وما هو عندهـم وكم هو جعل لهم من الكلام بحسب المقدمة التي ذكرتها لك • فقال كـل عقل الهي يعلم الاشياء لانه عقل ويدبرها فلانه الهي وذلك ان خاصية العقل العلم وانما تمامه وكماله ان يكون مدبرا عالما • فالمدبر هو الله عز وجل

---

١ ــ ناقصة في ب .

وتعالى لانه أعلى الاشياء من الخيرات • والعقل هو أول مبدع ، وهو أكثر تشبها بالاله تعالى فمن أجل ذلك يدبر الاشياء التي تحته • فان الله عز وجل وعظم يتقدم العقل بالتدبير ويدبر الاشياء تدبيرا أرفع وأعلى • وذلك انه لا يفوق تدبيره شيئا من الاشياء البتة ، لانه يريد ان ينيل خيره جميع الاشياء كلها • ولا كل شيء يشتاق الى العقل ولا يحرص على نيله حرصا فائقا • ولا يشك في ذلك عاقل • وأيضا فقد صح بالبرهان ان السبب الاول موجود في الاشياء كلها على حالة واحدة ، وليست الاشياء كلها موجودة في الاول على حالة واحدة • وذلك انه لما كان الاول موجودا في الاشياء كلها فان كل واحد من الاشياء يقبله على نحو قوته • وذلك ان من الاشياء ما يقبل السبب الاول قبولا وحدانيا • ومنها ما يقبله قبولا متكثرا • ومنها ما يقبله قبولا دهريا • ومنها ما يقبله قبولا زمانيا • ومنها ما يقبله قبولا روحانيا • ومنها ما يقبله قبولا جرميا • والكلام في المبادىء وكيف ترتبت وكيف تقبله طويل ولا يحمله هذا الكتاب • وانما أردت ان أعلمك بحروف المقرب ، وهذه الحروف قد ذكرتها فاسمع تركيبها • كل جوهر داثر غير دائم اما ان يكون مركبا واما ان يكون محمولا على شيء آخر ، من أجل ان الجوهر اما ان يكون منتقضا الى الاشياء التي منها تكون فيكون مركبا منها ، واما ان يكون محتاجا في ثباته وقوامه الى حامل • فاذا فارق حامله فسد ودثر فان لم يكن الجوهر مركبا ولا محمولا كان مبسوطا وكان دائما لا يدثر ولا ينتقض البتة • فهذا التركيب قد فرغ منه فاسمع الكلام وافهمه بحسب نصه كما تفهم الاشارة مع قرينة الحال ولا تسمعه فتنزل مفهومه على عبارته • وانما تسمعه بالتوحيد وتفهمه بالتمهيد وترد جوابه بالمعجود ، فاعلم ان الدلالة تتصل وتنفصل ، والبداية تخرج وتدرك ، والنهاية تعلم وتعلم ، والهداية تحسن وتفعل • والسعادة تنقل وترشد • والواحد ينافي ذلك [٤٠ ب] ولا يقبله ومحال عليه ذلك • فمن طلبه بشيء من ذلك فقد

اثبت انه لا يقبله • فاذا لم يقبله فلم يصل اليه المتصف بهذه الاوصاف ، وانما العبودية تتداخل أوهامها فتكون تارة ربا وتارة مربوبة والحق فوق هذا كله • وكلما تقدم من الكلام على العقل لا يخرج من هـذا فافهم • فالعقل عند المقرب المحقق الواصل ، هذا المشار اليه بعد الهوية وهـذا المشار اليه بعد الأنية • وهو المقطوع عنـد كذا وهـو الموصول عند كذا وعنه ، الممتد للام السلف وعنها المقصرة عن كاف التلف • وفصيح و و و وصريح ها ها ها (١) واذا سطر قدر • واذا نطق امر • فاعلم العقل عـلى هذه الطريقة ولا تلتفت الى غيرها • فالعقل الذي ذكروه شيطاني وهـذا ملكي ، وذلك سوفسطائي وهذا برهاني • وقد تقدم الكلام عليه والرحمة من الله وله ولديه •

القول عـلى النفس بحسب المراتب الخمسة

النفس عند الفقيه والروح بمعنى واحد واحتج على ذلـك بحديث معاذ وزعم ان الشرع يطلق ذلك بالترادف • ومن الفقهاء من اطلق النفوس (على الـ) ثلاثة التي في القرآن ومنهم من جعلها أربعة وهـي : الامـارة واللوامة والمطمئنة والسوالة ؛ واطلقها على غير الذي اطلق الروح وجعل هذه الثلاثة صفات الروح الذي نهي عن الكلام فيه على زعمه • والعقـل هو الذي يطلب منه عنده بأن يصلحها حتى ترد الامارة لوامة واللوامـة مطمئنة وقد يردها مطمئنة من حينها وقد لا يردها وهذا بحسب ما يهدي ويضل • ومنهم من قال ان هذه النفوس الثلاثة هي أجناش ثلاثة أو أربعة ذكرت في القرآن كما ذكر الانس والطير وهـي تحـت جنس النفس ، والنفس جنسها العالي وهذه أنواعه • ومنهـم مـن قـال الاول نفس الشيطان ، والثانية نفس الهوى ، والثالثة سبب الهدايـة والرابعـة ذات

---

١ ــ مرة اخرى بعض الرموز التي يستعملها ابن سبعين .

الشرير . ومنهم من قال الاولى للشيطان والثانية للانسان والثالثة للملك والرابعة للمحقق ومنهم من قال الاولى للعاصي والثانية للتائب والثالثة للولي والرابعة للرحمن . ومنهم من قال الاولى للطبع والهدى والثانية للعقل والتجلد والثالثة للهدى والعلم والرابعة للخلافة ، وهم يطلقونها بمعنى الذات كما قال سبحانه وتعالى « ويحذركم الله نفسه » (١) أي ذاته ، وتارة يطلقونها بمعنى المصدر . وهم بالجملة يطلقونها باشتراك الاسم . والروح عندهم وهو النفس كما تقدم ، جسم لطيف واختلفوا في صورته وهيئته . فمنهم من قال انه شبه الحمامة . ومنهم من قال انه صورة الانسان مختصرة . ومنهم من قال هو هواء لطيف . ومنهم من قال حرام على المؤمن ان يتكلم فيه . وهو المختار من مذهب مالك لقوله تعالى « قل الروح من أمر ربي » (٢) الآية . والشافعي يقول في بعض رسائله لاخوانه عندما سألوه عن الاله ما هو ؟ وعن الروح ما هو ؟ وعن الانهار المذكورة في الحديث الاربعة ما هي ؟ فقال اعلم يا أخي ان الله تعالى لا تتهمه ولا تتوهمه والروح لا نعلم ماهيته ، غير اني أعلم انه أعلى من جميع ما شاهدت في هذا العالم من الموجودات حتى انه ليس كمثلها . والانهار التي سألت عنها مشهورة العين والله قد أباح لنا التأويل اذا وقع الاضطرار واحتيج اليه . والرسول عليه السلام يقول في الجنة [٤١ أ] ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وابن عباس يقول ما في الدنيا من الآخرة الا الاسماء ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فهذا يا أخي امام قد نبه بمذهبه ولم يصرح به على الاطلاق .

وأما الامام ابو حنيفة فيعتقد فيه (في الروح) انه لطيف رفيع لا كالبدن غير انه عسير التحصيل بالتصور ، والولاية هي فهمه بالذات .

---

١ ـ سورة ٣ آية ٣٠ .

٢ ـ سورة ١٧ ، آية ٨٥ .

والفقيه من حيث هو فقيه ، لا يتعرض للشيء من حيث هو ماهية معقولة ، وانما يبحث عن النصوص وبها يعمل وبها يقتدي ومنها يستدل وهي مراده واداته ، وجملته متعلقة بها . ويبحث عن النفس من حيث هي لغة واسم دون مسمى لا غير . والاسماء المتداخلة مع النفس عنده في بعض الاسم المختلفة في كل المعنى ، وهي قولك هذا نفس فلان اي كلامه ، وهذه أنفاس كرام اي رئيسة وفاضلة . وتقول نفس عني اي فرج عني والنفس بمعنى الريح والبرد . والفقيه لم يتعرض للطلب عليها بشيء من المطالب الاصلية الا بالمطلب الذي يطلب به وجودها . وجميع ما يتكلم به في الشريعة في النفس خارج عن مذهب الفقيه . وهذا اعتقاده قد ذكرته لك ونريد منك ان تسخر به وتجرد اعتقادك بجنونه وتقوي عزمك بالخروج عن مذهبه وتحلف عليه انه غير صحيح ولا هو من الكلام الذي يعول عليه فيقال قبيح أو مليح . ولا ترد عليه ولا تجعله ممن يخاطب أو ينفصل عن غير الناطق الا بالصورة . واهجره بحسك ومعناك وادفعه بنفسك لا بيمناك ، واعلم ان الذي قالوه لهو ولعب وغلط بين وسهو وشيء جعل للهزل والخرافات المستنقصة . ولا تظن من الائمة الاربعة انهم يقولون بالذي ذكرته لك وان قالوا به فهو من باب الاحتياط فافهم . والرد عليهم تركته لموضعه ان شاء الله . واذا علم الحق اضمحل الباطل واهله وان لم يتعرض لذلك بالذكر . فان النور اذا قيل فيه انه لا تظهر به الاشياء ثم ظهرت به عند وجوده بالذات كذب النور بذاته القائل لذلك ، وان لم يخاطبه مع كونه أقرب الى المحال من كونه كذبا . والفقيه اذا قال في النفس انها جسم وهو يبصر الجسوم لا تتحرك من حيث هي جسوم ، وانما حركتها لمعنى زائد عليها كما يتبين بعد بحول الله تعالى . فكأنه غلط في الانوار ولم يجعل الضياء عنها وأضاف الكمال لمعقول النقص وصرف الشرف عن أهله وقلب الحقائق بفساد عقله ؛ ونسب ذلك لمدلول الكتاب والسنة والاجماع والسلف ، وغلط بجهله ولفظ بما تمجه

الطباع ويؤدي الى التلف • ولم يعلم ان الشريعة نور الله الذي به يظهر الاشياء المكنونة في الضمائر وتكشف به المعاني الجليلة المضنون بها عند أولي الالباب في السرائر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رب الملائكة والروح المحفوف بالعزة والتعظيم •

القول على الاشعرية [٤١ ب] في النفس • اعلم ان اعتقاد الاشعرية في الروح جهل ينطق وسخف يتكلم وهذيان يحكم به ويحكم ، وحرمان يطلب لذاته ويتعلم ، ووسواس يبحث عنه ويتهم ، وجنون جمعت جامعها طريقه ومذهب ونار أضرمت حدث عنها لهيب وملهب وضلالة حيث ما وجدت البرهان تقول له اذهب • ومقدمة لا تنتج ، وصورة المحال للوجود منها أقرب • ان كان الفقيه يقول عن الروح انه جسم فقاله لكونه لم ير الا المحسوسات الجسمانية ولا علم غيرها ووقف مع العادة والاخبار، وخاف على نفسه ان يزيد أو ينقص فيكون من أصحاب النار • وأقر بعجزه ولم يتعرض لان يبرهن على ذلك ولا حدث نفسه بشيء من ذلك وكأنه ناقص لا يتعدى وضال من الممكن ان يهدى • وهذا يزعم انه يقيم الدليل على ان الحق هو ضده وان السعادة في ضمن الذي بذل فيه جده وما هو سبيله عين الظلام المعنوي الذي لا يبصر به أين الحق ويخبط في المسألة بالطول والعرض والعمق ، ومثله من خارج الذهن طالب الضالة عند دخول ظل الارض • وأمام الاشعرية خرج عن هذا وشك فيه وعرض انه لا يقول بالذي علم من السفيه فيه • والباقلاني قال بالجوهر المفارق ورمى مذهب الاشعرية بالتمويه والمخارق ورمزه ولم يصرح به وكتمه في سره وفي قلبه • واما صاحب الارشاد منهم امام الحرمين (الجويني) اذا ذكر ابو جهل وهامان هو الثالث للرجلين • صمم على مذهبه ولم ينب للحق ولا اشار اليه ولا عوّل ولا بالجملة عليه ، واغتبط بالسخف الذي جعله بين عينيه وبين يديه • وابن فورك هو من رجال الرسالة وهو يعتقد

ما تعتقده الصوفية ، وان كان من زعماء الاشعرية ومن عظمائهم ، رجع الى الحق واعتقد في مذهبه انه حجة للمخالف له قاطعة لـه عـن مراده وضرورة وداحضة عند المحقق في سره وفي سفره للحقيقة وفي حضره . والغزالي قال بالجواهر الروحانية في جميع كتبه ، وصرح بها ومال بجملته اليها ، وحضر عليها وحذر من غيرها ؛ وأشار بكله اليهـا ولاحت عليـه انوارها وخلص الكلام على ما هياتها على ما زعم . ومن أجلهـا وضـع تآليفه وهي الدقيقة عنده تارة وهي الحقيقة أخرى . وأضاف لذلك مـن كلام الصوفية ومذاهبهم بقدر ما فهم عنه وسلم له في سلامـة مذهبـه واعتقاده ، وحسن به الظن عند الجهلة وبرهن على الجوهر المفارق بينـه في النفخ والتسوية وفي الاحياء والمضنون به على أهله . وبحث عنه ولم يقصر وان كان في ذلك مقصرا . وبالجملة الاشعرية يعتقدون [٤٢ أ] في الارواح انها جسوم لطيفة وفي العقول انها صفات للعقـلاء . وانكـروا الجواهر الروحانية وأقاموا الدليل على ان ذلك باطـل ومحـال ، وان لا موجود الا الجوهر الجسماني والاعراض خاصة . واذا ذكر لهم الروحاني وما هو عليه من الشرف والرفعة والنزاهة كفروا القائل لذلك وقالوا لـه هذا هو الله وفي هذا من النقص ما فيه . اذ واعتقدوا في الحـق انـه بمنزلة النفس . فان البرهان على وجود الجوهر المفارق للمـادة ظاهـر وجلي وهم يجعلونه الحق ، فقد قالوا ان النفس هو الحق وهـذا يلزمهم اذا تدبر وعلم . وقد شعر الغزالي بهذا وفرق بين الروح والالـه والنفـخ والتسوية . والاشعرية فـي الروح وفـي البحث عنه ، مع خبر الصادق ولبعضهم فيه كلام لا يجب ان نذكره لرذالته ونقصه . وهذا مذهبهم قد ذكرته لك واردت به ان نوقفك على عجزهم وكونهم علموا مـن العالـم والوجود البعض ونقضهم البعض ، وجهلوا الجوهر الالهي الشريف . ولا حرمان أكثر من هذا ونعوذ بالله منه ونترك الرد عليهم لموضعه ان شاء الله مع انه يدخل في الكلام الذي يأتي بعد هذا ، وفي النفس بما هـي نفس

اذا بحث عنها • والله يعصمك من جميع ما قالوه في جواهرهم واعراضهم ويعلمك ما هو أنبه من مقاصدهم وأغراضهم بمنه وكرمه لا رب سواه •

القول على الفيلسوف في النفس • الفيلسوف يبحث عنها بجملة مباحث وهو في ذلك على بصيرة ، اذ والمباحث المذكورة ضرورية ومما لا بد منها وكأن النفس هي نفس التسعة من الاحاد وفي رتبتها والباحث عنها في رتبة الواحد فلا سبيل للنفس ولا يمكن ان يصل الباحث عنها لها الا حتى يجوز على الاعداد التي بينها وبينه فحينئذ يعلمها • ولما علموا ذلك كانوا أهل حق في البحث عنها بالنظر الى غيرهم وبالاضافة الى من ذكر قبل وهذا حرمته الاشعرية والفقهاء وظنوا ان ذلك مما منعه الشارع واعوذ بالله من الكذب على المعصوم • والدليل على كذبهم ما أدركه الصوفية وفهموه وهم مؤمنون وسادة الاسلام وجميع ما هم عليه من مفهوم الشريعة • والمباحث المذكورة عند الفيلسوف هي جملة كتب قدمها لمعرفة النفس • ولما أراد ان يطلبها بمبحث ما احتاج أن يخلصه وحينئذ يعلمها به [٤٢ ب] كان البحث المذكور كتابا • وكذلك الامر في سائر المباحث ومعرفة النفس عند الفيلسوف هي نتيجة العلم الالهي وان العلوم كلها فمن أجلها علمت ولها دونت الدواوين ولها درست • اذ والنفس لا تقف معرفتها عنده الا عند العقل الفعال و (من) ثم يكمل جوهرها • فهي عند العقل الفعال بالتجوهر ، وعند العقل الكلي بالعلم ، وهذا مذهب ارسطو ، وغيره يقول بخلاف هذا • وقد ذكرته لك في الكلام على العقل فاعلمه من هناك • وهم بالجملة وان اختلفوا في غايتها فقد اتفقوا على البحث العلمي في بدايتها • وعدد المباحث عندهم مختلفة فمنهم من جعلها ثمانية مباحث وهي هل هي موجودة أو معدومة ؟ وما هي ؟ وأين هي ؟ وكيف حلت ؟ وكيف رباطها مع البدن ؟ والى أين تصير ؟ وهل تبقى ؟ وما لذتها وسعادتها ؟ ومنهم من جعلها تسعة مباحث وهي جميع ما ذكر وزاد

وكيف تسعد ؟ والذي يسعدها هل بينها وبينه نسبة ما أو شبه • ومنهم من زاد على هؤلاء فقال : هل تنتهي رتبتها بعد الموت الى رتبة المبدع الاول أو هي لاحقة بالقديم على ما يعقل من اتصال الجزء بالكل • ومنهم من قال : الباحث عنها لا يجوز ان تكون علمية من خارج ، فان النفس روحانية على كل جهة والعبارة مادية والاشارة معللة والفهم المادي متغير • وانما ينبغي ان يبحث عنها بالوجه الذي علمتها النبوة به اذا لم يعلم انها قرأت ولا كتبت ولا شيء من ذلك • والكلام على المباحث المذكورة وكم عددها ، وما الكتب المذكورة التي وضعت لذلك ، وما الحق منها واحصاء جميعها على التمام لا يمكنني ذلك بسبب الاختصار • لكني آذكر لك من مذاهبهم اجلها ، ومن رجالهم أعلمهم ، ومن كتبهم أرفعها ، ونترك الخلاف لاوسع وقت بحول الله فنقول : ارفع مذاهبهم مذهب ارسطو وكتبه أنفع الكتب لذلك وهو الحكيم باجماع منهم وهو المتبع عند فلاسفة الاسلام وغيرهم • وبكتبه اشتغل الناس • وهذا الرجل بحث عن النفس في كتابه في النفس ببعض المباحث المذكورة قبل وعرض بغيرها وجعل لكل مبحث موضعا لا يمكن ان يكون الا كذلك • وجعله ثلاث مقالات ، الاولى ذكر فيها النفس وحقيقتها وما هي ؛ والثانية ذكر التخليص (١) في ذلك والقوة الغاذية والقوة الحساسة [٤٣ أ] وذكر البصر والحواس كلها، والثالث ذكر الحساسة المشتركة ، والقول في التخيل والقوة الناطقة والقوة النزوعية وغير ذلك • والكلام عليها بحسب المسألة والجواب نتركه لموضعه حيث يستفهم المقرب المحقق جميع من ذكر ويعلمه ويرد عليه بعدما نذكر مذهبه ونبينه على وجهه •

ولو شرعنا في معرفة النفس على الامر الصناعي لطال الامر ودامت المدة • والذي نحتاج ان نذكره من مذهب الفلسوف المذكور وبرهانه على

---

١ ــ أ ، التفحص .

بقائها بعد الموت ، وما هي ، هل هي جوهر جسماني أو جوهر روحاني أو عرض ؟ وكيف وصل لها وما الذي دعاه لذلك ؟ فهذا مما يضطر لمعرفته بسبب الهذيان المذكور قبل واعتقاد المجانين وهذا أشد الاشياء ضرورة في البداية وأكثرها فيها فائدة فأعلم ذلك • فبرهانه على انها جوهر روحاني : كل جسم فهو ذو جهات ستة ، وهذه عنده من المقدمات الكليات الموجبة ، وهي صادقة في اولية العقل ، والمقدمة (الثانية) (٢) ، وليس يمكن الجسم ان يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وهذه من المقدمات الكلية الصادقة في أولية العقل • والمقدمة الثالثة : كل جسم متحرك الى جهة دون جهة فلعلة ما يتحرك اليها ، وهذه مقدمة كلية موجبة صادقة في أولية العقول ، فينتج من هذه المقدمات وجود النفس ، وان المحرك للجسم جوهر آخر ليس بجسم ولا في جسم • وأيضا الحركات ثلاثة ، حركة من الوسط وحركة الى الوسط ، وحركة حول الوسط • ولما رأينا حركة الحيوان الى جهات مختلفة وعلى فنون شتى بارادة واختيار وجهة ما بدلا من جهة أخرى بالقصد علمنا انها لا كالحركة الى الوسط ولا كالحركة من الوسط فيبقى انها نفسانية غير طبيعية وان المحرك للجسم هو جوهر لان العرض فعل له والجسم قد تبين انه لا يفعل فصح بالجملة ان حركات الحيوان حركات نفسانية • وكذلك السماء فانها تتحرك حول الوسط واذا لم تكن الحركة لا ثقيلة ولا خفيفة علمنا انها روحانية بجوهر روحاني • وبرهانه على ان النفس باقية بعد الموت هو هذا : النفس الناطقة انما تفتقر الى الحواس الجسدانية ما دامت عارية من الصور العقلية ، فاذا حصلت فيها صورة من الصور العقلية لم تحتاج الى استعمال الحاسة التي كانت تتوصل بها اليها ، فدل ذلك على ان للنفس استقلالا بذاتها تستغني به عن الجسم ، وان أعضاء الجسم انما هي آلات تلقط بها معارفها • فصح ان

---

٢ ــ أ و ب والمقدمة .

النفوس الناطقة اذا تجوهرت بالمعارف ، وحصل لها العقل المستفاد لم تحتاج الى التعلق بالجسم • وعند كلام المقرب نذكر من البراهين ما يصلح [٤٣ ب] ويجمل بمذهب الفيلسوف • وأما وصوله لها وللعقل وبحثه في ذلك فطويل ، ولا يحمله ما نحن بسبيله لكن نلوح بتقريب حتى تفهم بحثه بصناعة التركيب فنقول : لما فرغ الحكيم من البحث والكلام على الاجناس الاربعة وهي الفضائل النظرية والفضائل الفكرية والفضائل العلمية والصناعات العملية ، وخلص المطلوبات الاربعة عند الجميع والتي يراها الجميع خيرات مشوقة ومطلوبة وكأنها محبوبة بالطبع منذ اول الامر ، وهي أول ما يطلب ولا يتقدمها مطلوب بالزمان ، وهي سلامة الحواس وسلامة القوة على المعرفة وتميز الاشياء التي بها سلامة هذه وسلامة القوى على السعي فيما يكون به سلامة هذه • وبين ان الكمال الانساني خارج عنها ، وعلم كيف يكون ذلك التمام والحكمة فيماذا هي وكيف هي ، وان هذه من اجل ذلك وانها مقدمة لها • وبرهن على ذلك كله الحكيم وخلصه ، وذلك كله في جملة كتب يطول ذكرها • وقد خلصت على ما يجب في جواب صاحب صقلية (١) فاعلمه من هناك • ووجد في الانسان أشياء أخر ليست في سائر الحيوان مما ليس يمكن ان تكون أسبابها ولا مبادؤها لا النفس ولا القوى النفسانية ولا الطبيعية ولا القوى الطبيعية • حتى اذا فحص عن الطبيعة والقوى الطبيعية التي في الانسان ، وجدها أعدت لافعال ازيد وأعلى من أفعال الطبيعة • وأفعال النفس كذلك ، لما فحص عن النفس (٢) والقوى النفسانية التي في الانسان وجدها غير كافية في ان يتجوهر بها الانسان آخر ما يتجوهر به ، فأخطره

---

١ ــ اشارة الى المسائل التي ارسلها فردريك الثاني ملك صقلية للاندلس وقد اجاب عليها ابن سبعين ونشر يلتقايا هذه المسائل سنة ١٩٤١ . والاشارة هذه تدل على ان المسائل كتبت قبل بد العارف .

٢ ــ جملة غير موجودة في ب .

ذلك الى ان يفحص عن الذي جعلت هذه الاشياء من أجلـه • فوجـد الانسان اذا نطق ، والنطق انما يكون بالعقل أو بالمبادىء والقوى العقلية، فاضطر لذلك ان يفحص عن العقل ما هو ، كما فحص عن النفس ما هي ، وعن الطبيعة ما هي ، وهل العقل منقسم او غير منقسم ؟ على مثال ما عليه الامر في النفس ، وهل هو له أجزاء وقوى ؟ فتبين له ان الامر في العقل على مثال ما هو عليه الامر في النفس وفي الطبيعة • وان العقل انما ينقسم الى أجزاء والى قوى وانه مبدأ به ماهية الانسان ، وانه أيضا مبدأ فاعل ، وانه سبب ومبدأ على طريق العناية وعلى مثال ما كانت النفس الناطقـة والطبيعة ، وان له أجزاء وقوى • وان نسبة العقل والقوى العقلية الـى النفس والقوى النفسانية كنسبة النفس والقوى النفسانية الـى الطبيعة والقوى الطبيعية للطبيعة • وكما ان الجواهر الطبيعيـة كانـت ضربين : ضرب أقصى ما تتجوهر به هو الطبيعة ، وضرب تكون الطبيعـة التـي تتجوهر به معدة للنفس ، واما على انها مادة واما على انها آلة • كذلـك الجواهر النفسانية ضربان : ضرب أقصى ما تتجوهر به النفس • وضرب تكون النفس التي بها تتجوهر لاجل العقل • وفحص عن القوى العقلية هـل تنقسم عـلى مثـال انقسام النفس والطبيعـة الـى جوهـر رئيس والـى جوهر خادم • ولمـا كانت النفس الانسانية لاجـل هـذا العقل (١) ، [٤٤ أ] فالطبيعة التي بها يحصل ما هو طبيعي للانسان انمـا هو لاجل النفس ، والنفس لاجل العقل النظري الذي هو أكمل ما يكون علما للانسان من هذه كلها ليحصل الانسان في هذه الرتبة من الوجود • فتناسب فحصه وتماثل على الوجه الصناعي وخلص ما اعتاص عليـه• ثم فحص عن العقل الفعال هل هو ايضا السبب في وجود الطبيعة والطبيعيات والنفس والاشياء النفسانية • وكان قد صح عنـده ان الاجسام السماوية

١ ـ الجملة الاخيرة على هامش النسختين . ولا يستقيم المعنى الا بها .

هي المبادىء المحركة للانسان وللاستقصات والاجسام الاخر • وفحص هل العقل الفعال موافقا للاجسام السماوية في أفعالها • وهل في قوة الاجسام السماوية ان تجعل لكل موجود ما يخصه ويحتاجه دون العقل الفعال • وبحث عنها وكيف هو الشيء على ما هو الامر في الاشياء المعدنية والنباتية والحيوانية وصورة نوع نوع • وبحث هل الاجسام السماوية طبيعية أو عقل او شيء آخر اكمل من هذه • وعلم ان البحث خارج عن البحث الطبيعي ، فان البحث الطبيعي لا يخرج بعد عن المقولات العشر ، وهذه موجودة خارجة عن ذلك وعلمها علم ما بعد الطبيعة • وصح عنده ان آخر ما ينتهي اليه عند النظر الطبيعي هو ان ينتهي الى العقل الفعال والى محرك الاجسام السماوية • وتبين عنده ان الطبيعة في الانسان والنفس الانسانية ولواحقها وأفعالها انما هي القوى العقلية العملية ، لاجل كمال العقل النظري • وان الطبيعة والعقل النفساني ليس فيه كفاية دون الافعال الكائنة عن المشيئة والاختيار التابعين للعقل العملي ، وهذه هي الارادة الانسانية • فان القوة النزوعية التي تنشأ عن الحس قد توجد لكثير من الحيوانات الاخر ، ولا هي أشياء نافعة في كمال الانسان • وما زال يخلص ذلك كله ويميزه بين الاشياء النافعة في الفرض الاقصى • وبين المانعة عنه وبحث عن الافعال الحيوانية والنباتية والاشياء الطبيعية النافعة وهل تلتأم من آلات ومادة • وطلب كيف توجد من الجواهر النفسانية والمعدنية والنباتية ما تلتئم به الافعال المؤدية والسائقة الى الكمال الانساني • ورأى في استعمال الاشياء التي تستعمل في الحيوانات والنبات وغير ذلك مما لا يتخلص بالعلم الطبيعي ولا بالعلم النفساني ، ما لم يحصل النظر والفحص عما بعد الطبيعة وما الذي هو فوقها في رتبة الوجود • فقدم الفحص عنها وحصل ذلك وتخلص له مراده في الفلسفة الطبيعية والانسانية والمدنية • وفحص عن الموجودات بفحص غير الذي تقدم • وصح عنده عندما وصل هذه الرتبة ان هذا

البحث هو الكمال الانساني ، وان الاشياء الاربعة التـي كانـت النفس تتشوق اليها والى تحصيلها في أول الامر لا فائدة فيها ولا هــي المقصود ولا لها معقول عنده [٤٤ ب] ، وانها لاجل هذه المعرفة • وظهر له آخـرا ان الفصل في هذا الذي هو بسبيله بالذات والذي ظنهـا قديمـا فصلا ليست بفصل ، وان جميع ما علمه وفحص عنه وامحن نفسه فـي تحصيله هو لاجل هذا • وان ما بعده يفحص عنه لغرضين احدهما ان يكمل بـه العقل الانسان الذي لاجله كون الانسان ، والآخر ليتم به ما نقصه مـن العلم الطبيعي • وصح عنده ان الفلسفة والحكمة والسعادة لازمة وبالقوة في كل انسان مع وجود شروط الانسانية والاستعداد •

فهذا بحث الحكيم على العقل بعد بحثه على النفس قـد بينته لـك وهو مختصر • ومعرفة النفس في قوة هذا البحث أبين وأنفـع من البحث عنها على انفراد دون العقل • اذ والانسان في البحثين هو الاول والآخر• ولما صح عندي ان فهمك يعلم هذا بأيسر تأمل جعلته كذلـك • وعلـم النفس عند الفلاسفة أشرف العلوم جميعا ما خلا العلم بالمبدأ الاول • فان ذلك يعلم بوجه آخر مباين لسائر العلوم بحسب مباينته هو للموجودات عنه • وشرف العلم انما هو بحسب شرف المعلوم • وعلم النفس مقدمـة ضرورية في العلم الالهي ولا يمكن الوصول اليه الا به • وبمعرفة العقل • على ان العقل والنفس اذا نظرتهما تجدهما عند المسترشد علما واحـدا • وفي الوجود والامر الصناعي اثنين وكيف يعلم غيره أو يمكنـه الوقوف علي غيره وعلى مبادىء العلوم ومن لم يقف على نفسه ويعلم ما هي •

واتباع هذا الرجل ارسطو غلطوا عليه وعسر عليهم كلامه وخلطوا ولم يتخلص لهم في العلم الالهي ما ليس فيه خلاف الا القليل • ويسمعونه يطلق اطلاقات وحدودا ويتصورونها على خلاف ما هي عليـه واتبعوا (١)

---

١ ــ ا ، اتعبوا •

في ذلك مثل ما سمعوه في حد النفس الحيوانية يقول : النفس تمام لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة وظنهم انها الناطقة . ولم يعلموا ان الرجل يتكلم على النفوس الخمسة : وهي الحيوانية والنباتية والناطقة والحكمية والنبوية . وكذلك في العقل الهيولاني وغيره ، وهو قد خلص الحركة والمتحرك في السماع الطبيعي وغفلوا عن ذلك . والذي أراد الحكيم بالحد الاول ان يعلم الطالب ما النفس المشار اليها في الانسان عند الحركة والنزوع فانها أول ما تتحرك النفس لمعرفتها ، وكأنها سلم لغيرها ودرج . ولما كانت النفس تحرك البدن بالحار الغريزي كان لها آلة وأداة. ورأينا ان الصور صنفان : احدهما استكمال الجسم الطبيعي ، لا يفترق فيه المحرك بالمتحرك بالذات وهو ما يتحرك دون آلة بل ما يتحرك بجملته. ومنها استكمال لجسم طبيعي يتحرك بآلات قيل للاول حركة طبيعية وللثاني نفس وحركة نفسانية . [٤٥ أ] فكانت النفس على ما ظهر بهذا البحث تمام لجسم طبيعي آلي . والتمام منه أول ومنه آخر . فان الطبيب اذا علم الطب قيل له طبيب بالكمال الاول . فاذا عالج وعمل الصناعة كان بالكمال الآخر . والنفس هي الاستكمال الاول فوجب حدها على ما ذكره الحكيم والاشياء اذا اتفقت في الاسم واختلفت في كل المعنى تحتاج ان تبينه على مدلولها ، اذ لم يكن ذلك في قوة الدلالة . مثال ذلك اذا أردنا ان نحد النفس الغاذية فنقول تمام الجسم آلي يتغذى . والحيوانية تمام لجسم آلي حساس والخيالية تمام لجسم آلي متخيل . وكذلك في سائر الاشياء المشتركة اما في الاسم واما في المعنى . واذا حققت الكلام على النفس تجدها نقطة متوهمة على معقول الانسان فتارة يطلق عليها ناطقة ، وأخرى عقل بالقوة وعقل بالملكة وغير ذلك . فان الجوهر الروحاني واحد . والواحد لا يختلف ، فما بقي الا ان الاسماء المذكورة تطلق على المستعد اذا تجرد ورام الكمال فيجوز على هذه الانواع ويسميها بتلك الاسماء . واعلم يا أخي ان الانسان في أول الامر وقبل

ان يعلم الفرق والتفاوت بين القليل والكثير يقال له نفس ساذجة ، ثم تتم حواسه وتميزه وتصلح فكرته ورويته ويعلم المعنى الكلي فيكون عقلا غريزيا • فاذا تصرف في الموجودات وعلل المعلل وعلم الجميل وفضله عن القبيح وقدم المقدمات الصادقة وعرف النتائج وخلص البرهان على المشكوك فيه كان عقلا بالقوة وبالملكة • فاذا سعى في الكمال واحب الحكمة وقهر الطباع عن أفعالها الشريرة ، وبحث عن معنى الانسانية كان عقلا بالاكتساب • واذا تخلصت له المعلومات الشريفة وتوحد على الاطلاق ولم يفصل معلومه عن علمه ، وعلم الامور الروحانية والجواهر المفارقة كان عقلا بالفعل • والانسان على وجه آخر من حيث هو نام وتتباعد اقطاره عن وسطه ويتغذى ويتحرك في الكم ويقبل الغذاء ويحيله فهو نفس نباتية • ومن حيث هو ينزع ويتحرك في المكان ويستعمل حواسه ويشتهي وتحصل له الصورة الروحانية المرتسمة في الحس المشترك وفي الخيال وهو المحرك الاول أشبه الحيوان غير الناطق • ومن حيث يعلم المتفق من المختلف ويجيب السائل على مسألته ويفكر في جميع أموره ويميز الصحيح من السقيم هو نفس ناطقة • ومن حيث هو يشتاق ويعلم البعض من مصالحه ويحصل البعض دون البعض ، والذي جهله يعسر عليه بتحصيله بنفسه هو نفس صالحة فاعلة عاجزة من حيث تنظر في الاصول والمبادىء ، مثل علم الطبيعيين والرياضيين وعلم المنطق • وتخليص [٤٥ ب] المذاهب الفاسدة وتوحيد الاله والد لاله القاطعة على ربوبيته وامتناع مشارك له آخر في رتبته وانه واجب الوجود ووجوبه بذاته والنظر في صفاته وما هو المفهوم من لفظ كل صفة ؛ ومعرفة الالفاظ المستعملة في صفاته مثل الواحد والموجود والقديم والعالم والقادر وغير ذلك وما يدل كل واحد منها على حدته ، وهل يمكن ان يكون الشيء الواحد الذي لا كثرة فيه له معان كثيرة وكل واحد منها غير الآخر وتحقيق الصفات المذكورة حتى لا تقدح في وحدانيته ويخلص معنى السعادة وما

الذي يجب ان يطلق على الحق هل اطلاق السلب أو الايجاب فهو من هذه الجهة حكيم ونفسه حكمية • ومن حيث يتكلم في الهوية والوحدة والكثرة والخلاف والوفاق والانانية المطلقة والجواهر الاول الروحانية الي هي أول المبدعات وأشرفها ويعلم الدلالة على كثرتها وعلى اختلافها في مراتبها وطبقاتها وهذه هي الملائكة المقربون • ومن حيث يعلم الجواهر الروحانية التي دون تلك وهي جملة العرش ومدبرات الطبيعة ويتكلم على الكلمة الصادرة عن النظام القديم ويحققها وكيف نشأت منها الجواهر المذكورة وهل الكلمة المذكورة تطلق على الذوات المذكورة بتشكيك أو بالترادف أو بالتقدير ، وهل الكلمة المذكورة مفصولة أو ممتدة ، وما الآنية والذات وما الامانة والذوات والكلي بما حرك ولماذا وماذا هو بعد معرفة جوهره ؟ والوجود الممكن هل هويته والحق بمعنى واحد أو يطلقان بترادف أو جميع ذلك يجتمع ويختلف بالوهم عنده ؟ أو الحق والامر والشيء والواحد والقديم والواجب جميع ذلك بمعنى واحد أو الزيادة من اين يعقل ابتداؤها ؟ من الكلمة أو من الآينة المطلقة أو من الكلي أو من السبب الاول فهو من هذه الجهة وبهذا النظر محقق ونفسه محققة لا على ما أعتقده أنا وأبرهنه • فذلك حق واجب والكلام عليه لا مما علم أو يطمع فيه وهذا حق بالاضافة لما نحن سبيله • ولما قال به الاكثر وعلى الوجه الصناعي ومن حيث هو يخلص السعادة بالامثلة وبالخطابة المعجزة والافعال الخارقة للعادة والبراهين السهلة المفيدة والجملة الكاملة ووجود الشروط التسعة وهي : ان يكون في زمان درست فيه الحقائق • والثاني خرق العادة • والثالث ان يقترن مع دعواه بحد • والرابع ان يوافق دعواه • والخامس [٤٦ أ] ان لا يظهر على وجهه ما يدل على كذب • والسادس العصمة من الصغائر والكبائر ، والسابع ان يكشف القناع • والثامن ان يعجز الخلق عن معارضته • والتاسع ان يكون ما هو بسبيله مما يتعاطاه أهل زمانه •

ويكون مع ذلك يتكلم بما تتضمنه الاحكام الالهية والحركات الفلكية • وترد عليه الموارد من فوق الكلمة وتنزل عليه الذوات المفيدة المغيضة • ويصعد لها ويحل في النسبة الحافظة ويجوز على القواطع المادية • ويتصرف بالاستمداد الالهي ويحذف عن باطنه غير الذات الواجبة • ويخلص للكافة ما يحتاجون اليه ولا يترك للسعادة حجابا ولا للمسترشد حجة ، فهو من هذه الجهة نبي ونفسه نبوية • واعلم يا أخي ان الرتب والنفوس المتقدمة كلها مما لا يعجز عنها معنى الانسانية الا النفس النبوية • فانها رتبة ممنوعة كأنها مبدأ من المبادىء الاولى وكلي من الكليات لا طمع فيها • كما ان الطمع والرجاء ممنوع من وقوع المحال ، كذلك النبوة • وهذا من العدم الذي عدمه الانسان وان كان في طبعه أو في طبع جنسه ان يوجد له والكلام على ذلك كثير • وقد اخرجنا عما نحن بسبيله ولولا ما تعرض في الكلام المتقدم ما لزم منه هذا لم تتكلم عليه فاعلمه •

فالانسان له جملة محركين كما تقدم • منها النفس النباتية والحيوانية والناطقة والشوقية القاصدة والحكمية والصارفة والنبوية • وللنفس الكلية قوة علامة وقوة فعالة عند شيعة فيثاغورس ، وغيره انكرها بالجملة ، واثبتوها آخرون • غير انهم جعلوا رتبتها دون العقل الفعال • ومن أخذ الموجودات على رتبة العدد قال بها ومن أخذها على نسبة القصدين انكرها • ومن أخذها على التخصيص كفر بها فافهم ذلك • فتحرك بنفسك يا أخي لرتبتك الطبيعية لك • واطلب معناك بقدر الطاقة• واعلم ان الحركة الالهية فيك ذاتية لان النفس ليس لها جوهر سوى الحياة ولا للحياة جوهر سوى جوهر الحركة • فالنفس هي الحياة والحركة ، وكل متحرك من ذاته دائم الحركة ، وكل دائم الحركة لا يموت ، والنفس دائمة الحركة فالنفس لا تموت • وما من نفس من

النفوس التي ذكرتها لك الا وهي للنفوس الاخر التي تحتها مثل الشمس والنفوس الاخرى كالقمر ، تقبل النور منها دائما • واعلم ان نفسك اذا تجردت عن الحواس كان فعلها كليا • [٤٦ ب] واذا مالت الى الحواس كان فعلها كلها جزئيا • وهي جوهر خالد والا اذا فارقت الجسد هي في التقدير اما حية واما تدثر • فان كانت باقية بعد فراقها الجسد فلا محالة انها باقية لا تموت • وان كانت دائرة فليس بينها وبين الجسد فرق • ولا بد حينئذ من ثالث هو الذي كان يربطها في حال حد البقاء والحياة • فان الذي هو حي بالقوة اخرج حياته من القوة الى الفعل ما كان وجوده بالقوة لم يقدر على اخراجها اذ هو والجسد في ذلك واحد فما بقي من القسمة العقلية الا انه كان بالفعل • فالنفس حية بالفعل والجسد حياته بالقوة ، وحياة النفس بالذات وحياة البدن بالعرض • فعليك يا أخي بالبحث عنها وعن جوهرها وماهيتها ولا تسمع من المجانين الذين تظلم الشمس في أعينهم ويقولون علم النفس وماهيتها قد علمه الله علما صحيحا ، وما كل واحد من الناس فعلمه بذلك مقنع فقط • واستعذ بالله من نقص المحروم وازهد في دليله وخبره ولا تركن الى مذهبه فيحرقك بشرره • وهذا الفيلسوف قد ذكرت لك فيه ما أمكنني بحسب ما عزم عليه فاقنع ففيه الكفاية اذ بالبداية الصالحة تبلغ النهاية • وهذا الفيلسوف كلامه على النفس بالاضافة للاشعري والفقيه صحيح ووجيز وحكمة بالغة وان كان في نفسه لا تنطق به الا قلوب عن الله عاقلة • وانا لم نرد بذكر مذهبه ان نرشدك عليه ولا نحضك على شيء مما خلفه ولا مما بين يديه وجميع ما تكلمت لك به على النفس هو بحسب صناعة الفيلسوف • واردت بذلك ان تفهمك رتبته على ما هي عليه ولا تخلط معها غيرها لئلا يكون الرد عليها محتملا بينها وبين الذي داخلها وتخرج عن الذي شرطناه والذي يجب عقلا • والذي أوصيك به ان تجمع الفقيه والاشعري والفيلسوف ونفوسهم المعذبة المخبية المشغبة الامارة المنكوسة

ونجعلهم في وعلى التلف • وتغطيهم بغطاء العدم • وتبني عليهم بطين السلف • وترميهم في بحر المحق وتقول عند ذلك لا رجوع لا رجوع لا رجوع • وما حملني على ذم القوم والرد عليهم بعد سرد مذهبهم الا الفتنة التي زرعوها وسقوها بتخليطهم وحفظوها حتى أثمرت البعد عن الله • واطمعت الارذال ، وحيرت بسمها السادة الابدال • وتنعم بها بدن اعتقاد المغرور ، واضمحل بها فهم الصالح الشكور • تبا لآنيتهم وأمنيتهم، وبئسا لهويتهم ورويتهم • ولا حسن الله [٤٧ أ] الفاظهم المخرقة وقبح المقيدة منها والمطلقة • فتعليل فروع الفقيه علة معبئة وحقائق حدود الاشعري لنور الحق مطفئة • وسهام شبه الفيلسوف للضعيف قاتلة وسعادة الانسان بالجملة في مذاهبهم باطلة • كيف يظفر بالبيان الغمر أو يناله ، أو يسعى في البرهان حائرا ويناله • أعوذ بالله ممن ازله لبه عن كماله وغايته ، وأسعفه جهله في حذف هدايته وولايته • ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، الذي أدنى وأبعد وعلم الانسان ما لم يعلم ، وأقام وأقعد وسهل العسير على المقربين ، وعسر اليسير على المتكبرين • وله الحمد على معرفة الحمد والمحمود والكبير المتعال الفرد سبحانه وتعالى على عدد مدد العدد والمعدود بالزوج والفرد • وصلى الله على المعلم الذي فهمه الخاصة وكان لهم فيه اسوة ومرشد • وعظمته العامة بالوهم لا من حيث هو فما منهم من أحد الا منعم بذكره أو منشد •

القول على الصوفية في النفس ــ النفس عند الصوفية يطلقونها على انحاء وفي مواطن بحسب المنتقد والمسلم • فتارة يطلقونها على الاخلاق المذمومة وعلى العقلات مثل ما يقول الصوفي للمتخرف هذا صاحب نفس اي غير متخلف • وهي عندهم كيفية لا فائدة لها ومكروهة • ومنهم من قسم الانسان على أربعة خواطر (١) ، وجعلها موازين بها يحفظ بدايته

١ ــ حول تقسيم النفس الى خواطر انظر ــ الرسالة القشيرية ــ القاهرة ١٩٤٨ ص ٤٦ تابع •

ويخلص طرف نهايته • والاربعة هي خاطر الرحمن ، وهذا هو عندهم على ثلاثة أقسام • الاول يسمى المزعج متى يجده الولي ويهجس في نفسه لا يتمالك وهو لا يحرك الا للخير ولا يعقل الا به وفيه • والثاني الباسط ، اذا تقدمه خلوة او انفصل عن غيبته أو وقع الكلام على حقيقته • وهو اذا اقيم فيه الولي لا يتمالك الا ان ينبسط بما يجب كما يجب على ما يجب • والثالث القابض ، وهو ما يسلب الولي عن حالة البسط ويقيمه في الاول والآخر • وهو ثلاثة أقسام : اما ان يكسب الولي الشرف وهو استدلال وصعود الى أرفع مما كان فيه • واما ان يحذره عن القواطع ويعلمه قطع العلائف ويجرده عن جملته ويكون مقدمة لغيبته • واما ان يكون يذكره على هفواته ويقعده في حضرة الهيبة والجلال ويردد عليه لا يأمن المكر ويلهمه لوعيد الشريعة ويحمده على الاعمال الصالحة المنجية وهذا كله بتقريب • والعذر مقبول اذ والانموذج جزء المدون وترجمته • والخاطر الثاني وهو خاطر الملك وهو الذي يعظ الولي وينبهه نحو الصواب ويحذره من المكروه ويأمره بالمعروف ويجهزه لاكتساب الفضائل ، [٤٧ ب] ويعلمه جميع ما يحتاج اليه ويتممه ؛ وكأنه استاذ الولي وزاجره من داخله • وهو ينقسم على ثلاثة أقسام • القسم الاول هو تنبيه الولي على طرق التصوف وارشاده لها وتمهيدها حتى يتصورها ويبصر ما لم يبصر ويسمع ما لم يسمع • والثاني يعلم الولي السلوك على الطرق المذكورة ويحفظها عليه ويخلصها ويبين الصعود الى منازل الابرار ويمنعه من القواطع عنها ويكمله على الاطلاق • والثالث يعلم الولي الوصول وكيف هو البقاء بعده ، والعدم المقيد والوجود المقيد ، والعدم المطلق والوجود المطلق والخروج عن نفسه وعن خروجه ، والرجوع الى حقه بأدب الحقيقة وتوبيخ الدقيقة • ويعلم الغلط الخفي هناك وكيف يجب ان يعلم الموت والحياة وما ينبغي على ما ينبغي ، وهنا غلط كثير • وأحوج ما هو الولي للملك عند بدايته أو نهايته اذ الوسط بينهما منازل

الفقهاء والمسلمين واكثر أهل الملة • والبداية ان لـم ترشد بقيت مـع الضلالة الذاتية • والنهاية ان لم تعلم شبهها وما يظهر فيهـا ، والا ضـل الولي على علم ، وأعوذ بالله من الفتنة المهلكة • والخاطر الثالث خاطـر النفس وهو يميل الولي ويندبه عـلى الشهوات البدنيـة الملذوذات وان كانت من المباح ويحضه على حفظ الصيت والجاه وهو بالجملة يتداخـل عندهم مع خاطر الشيطان • وهو ينقسم على خمسة أقسام • الاول يطلب الولي بالظهور ويريد منه ان يتظاهر بأفعال البـر • والثاني يطلب عنـده التعظيم وكيف ينزل في رتبة التبرك والتقديس • والثالث يكـره الخلـق عنده ويبغضهم ويرى انهم مما لا ينبغي ان يخاطبوا ولا ينظـر اليهـم • ويصده عن الاكل معهم والشراب ويكسبه اليبس في دينه حتى لا يأكل الا من كذا أو كذا مما يعسر وجوده • ويتورع حتى يبتدع في روعه وينير المنكر حتى يوديه له • والرابع يأسه عن رحمة الله وجعله ينتظر الكرامات ويكسبه الحزن عليها وعلى عدم نيلها ويهون عنده الرخص ويحيله عـلى الشبه القاتلة ويقربه من هدف التعطيل ويهيئه لقبول التضليل • والخامس يشوقه لمراتب النبوة والاتحاد وغير ذلك ، ويعينه عـلى تأويل المتشابهات ويفهمه كيف ترتكب بالقياس المحرمات ويشوقه الـى جحيم الحلـول والضلالة ويصده عن طاعة الله ويرشده الى طـوع هـوى نفسه بالاباحة ويدخل له من المواضع الخفية ويبليه بأعظم البلية • وهذا الخاطر يستمد من خاطر الشيطان وهو مادته الاولى ومنه تفرعت فروعه • الخاطر الرابع خاطر الشيطان [٤٨ أ] وهو يجذب المسترشد الى النقص بقدر الطاقـة • ويمنعه الكمال الانساني ويزين في عينه المحرم الظاهر ويعلمـه العلـم الضار • وينسيه العلم النافع ، ويحتال عليه بالشبه المؤديـة الى ذلـك والالفاظ المتشابهة المعينة على ذلك • ويعميه ويسلبه معنـى الفـلاح والانسانية ويصرفه الى رتبة الكفار والبهائم غير الناطقة • ولا يمل دهره كله ولا يقنع بيسير الضلالة ولا يرشد لشيء من الطاعة الا بحسب الحيلة

على المعصية • وهو بالجملة السبب في انتكاس الولي • وهذه الخواطر أعزك الله تدور على الولي • وهو نقطة متوهمة وموضوع لها وهو المراد بجميعها • وعليك يا أخي ان تستقيم وتتبع المعصوم وتجعل الشريعة في يمينك والعقل في شمالك • فما قبلته الشريعة اقبله وما منعته ادفعه • وجميع ما في شمالك اعرضه على ما في يمينك ، فان قبله فهو المقبول عند الله ، وان لم يقبله فليس بمقبول • ولا تحسن الا ما حسن الله ورسوله والعالم بكل قبل ان توجد هو أعلم بالذي يصلح بك فله الجأ وعليه توكل •

واعلم ان خاطر الملك متعلق بخاطر الرحمن ومتصل به ومباين لخاطر النفس والشيطان • وخاطر الرحمن متصل بالارادة القديمة ومتعلق بكن وواقع على المكون وهو مما لا يجهل زمانه ويدهش الولي عند كيفيته • والخاطر الملكي يعرف زمانه وأصله ومنشأه • والهداية فيه متعلقة بالخاطر الرحماني ، وكأنه فيه لا بالذات بل بالاكثر • وكل خاطر رحماني فيه غاية الملكي • ولا كل خاطر ملكي فيه غاية الرحمن فاعلم • والخاطر النفساني متعلق بالشيطان ومتصل بالجسم ولواحقه • ومواده شيطانية وقواطعه جسمانية • ولا يرشد للسعيد من حيث هو بل يقبل الكسر والزجر والتوبيخ • وينسلخ ويقبل التسليخ ويفهم على بعد • وتعلقه بالخاطر الملكي بالعرض لا بالذات • وتقسيم أجناسه يطول الكلام عليها • والامر عظيم والدخول فيه سهل والانفصال عنه عسير فاعذره فاني مقصر • والخاطر الشيطاني مادته مجرد الهوى وهو متعلق بصورة النقص ومتصل بالاباحة والتزين بالوجه المنكوس من النفس • وكل خاطر نفساني منفصل عن الشيطان بذاته وقابل له بذاته وخروجه عنه بالعرض • وللنفس وجهان : وجه ينظر للملك ووجه ينظر للشيطان • فاذا نظرت للشيطان انتكست وقيل لها اخسأي • والوجه الثاني هو الاعلى ، اذا نظرت به للملك قيل لها [٤٨ ب] ادخلي • فهي من حيث تنظر للشيطان أمارة ، ومن

حيث تنظر للملك لوامة ، ومن حيث تقبل مطمأنة ، ومن حيث تنال ما عنده وتسمع منه في جنة الله مع عباده الصالحين • وهذه أحوال النفس عند هذه الطائفة بحسب ما فهمت من اغراضهم ومقاصدهم والفاظهم • وجوهرها عندهم محل مجهول الذات وحقيقته من عالم الامر • وهو ينقسم ثلاثة أقسام : الامر بمعنى الكلمة ، وهي المفيدة الوجود لكل موجود • والثاني الامر بمعنى المفارق للمادة وهو كل ذات لا تتصل بجسم ولا هي في جسم ولا جسم • والثالث الامر والهواجس والخواطر التي تخطر عند الولي ولا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب • ومنشأه من المشيئة الاولى المنفردة الواجبة • وغايته الصمدية الجائزة السهلة المحدثة• والكلام على هذه وكم هي وما هي طويل • وفي هذا الكفاية فاقنع به في الوقت • وهؤلاء الطائفة هم عوام الصوفية • والخاصة منهم لا يرضون بشيء من هذا كله ويقولون ان جميع ما يتكلم به هؤلاء يدخل في معقول الاضافة ؛ وشكله ينافر الحق • وكأنهم قسموا النقطة الناطقة ، والواحد وخلطوا وعددوا الوتر وسلبوا التوحيد وأوجبوا التكرار والعدد في محل ضيق • وزادوا على الحكيم الاعظم في اشارته • وهؤلاء الخاصة منهم المنكرون ويعتقدون ان النفس المذكورة حكم تتنوع أحكامه عليه ويخرج تارة به عنه ويدخل اخرى به اليه • وما بين الداخل والخارج مسافة متوهمة على مكان لم يكن وهي العبودية • ومعقول الاول منها والآخر جوهر النفس فافهم • وهؤلاء طائفة وصولهم لا كالوصول وادراكهم لا كالادراك وبلغوا حيث لا يصلح ان يبلغ ولا هو صحيح •

وطائفة من الصوفية تزعم ان النفس لها من الذات القديمة نسبة ، ومن المبتدع الاول نسبة ، ومن النفس الكلية نسبة • وجميع ذلك في موضوع الجسم على التجاور في ذلك • اذ الجسم غير مفارق والذوات الروحانية مفارقة • وانما ذلك كما يقال الواحد من العشرة • فهو من حيث يطعم حيوان ، ومن حيث يعقل انسان ، ومن حيث يكاشف عقل ،

ومن حيث يتصف ويتوحد ويحصل أنواع الشرف والاتصاف بها وهي لمح صفة قديم وحق • وهذا يفهم من قوله (ص) « كنت سمعه الذي يسمع به » الحديث • وجوهر النفس عنده معنى يتعلل [٤٩ أ] ولا يفهم ويعلم ولا يعلم وجهله بذاته وجوده في عالم الملك ، ومعرفته بذاته وجوده في عالم الملكوت ، وخروجه عن جملته حلوله في الجبروت ، وزواله عن جميع ذلك وموته الذي يعقل منه ما يعقل من العدم المطلق هو وصوله لغايته ، واعادته لمجازه واخباره عنه هو كأسه الذي متى شربه في البقاء المعقول بعد الفنا قتله الكون وهجره المحروم وكفره المحبوب • ومنهم من يعتقد في النفس انها خط طرفه الاول أزلي ووسطه مستعار للنقطة المتقدمة • والطرف الآخر مركب من الوسط الاول • فمن حيث هو يتكلم ويعلم ويسبح الله هو في الآخر وهو عبد مسلم • ومن حيث هو يحب ما فوقه ويرجع على خطه ويحجبه وسطه عن أوله هو صالح • ومن حيث هو تظلم عليه العبودية ويزهق عن الوسط للطرف الاول ويذوق الجلال بفكره واعتقاده ويعرف النظام القديم هو ولي ويتصل هنا ، وينشد هنا « بذكر الله تكثر الذنوب » • ومن حيث هو لا يستطيع ان يدعي الطرف الاول لنفسه ولا يصل اليه ولا يعلمه ولا يخرج عنه ويصعب عليه الجمع بين وسطه وبينه هو صديق يقول «العجز عن درك الادراك ادراك» (١)• ومن حيث هو ينتقل من رتبة الصدق الى الطرف الاول فيموت عنده ويحيى عند الصديق • وهو معقول بينهما هو نبي من حيث يستطيع على الرجوع لارشاد من في الطرف الآخر ونقله المسترشد الى الوسط أو الى غيره بحسب المشيئة التي قصدتها الكلمة ولا يطعن ذلك في مقامه ولا يثرب عليه هو رسول رب العالمين • فافهمه والله ينجح السعي بمنه وكرمه •

---

١ ــ شطر من بيت شعر ينسب لابي بكر الصديق . وابن سبعين يكثر من الاستشهاد به .

وجوهر النفس عند هذه الطائفة تبدل أوصاف ، ومحو واثبات لا غير • وهذه الطائفة المباركة وغيرها على غير النظر الصحيح والمبرهن وهم مع الاوهام • وهذا الفرض الذي فرضوه ، وان كان فيه ما يصدق فهو كاذب الغاية والحق في غيره • اذ والحق لا يختلف وهو متفق من جميع جهاته وهؤلاء قد اختلفوا في معقول البداية والنهاية • وهذا كلام الصوفية في النفس قد وصفته لك فافهم ما يقوله المقرب ويصح عندك ان حسنات الصوفية سيئاته •

القول على المقرب • المقرب كما قد ذكرت لك لا يتكلم مع المسترشد الا بعد ما يقدم له مقدمات [٤٩ ب] تصلح به ولا تتعلق بالمقرب من حيث هي ولا مدلولها يدل على مذهبه وعلمه • وانما غايتها وفائدتها ان يتصرف بها في الاشارات لا في العبارات وهي له كالحروف • وها انا اذكر لك صناعته وكيف يجمع علماء الارض ويعلمهم ما في ايديهم، وحينئذ يتكلم معهم بما عنده • وانت اذا خاطبت نفسك ونظرت الحقيقة من حيث هي فكن مع المقرب • واذا جادلت فكن مع الفيلسوف • واذا اعطيت الاقناع ودفعت الخصم عن نفسك فكن مع المتصوفة • واذا خلطت وخاطبت المجانين فكن مع الاشعرية • واذا شرعت في التخلق العملي فكن فقيها • وكلام المقرب مع الفقيه في النفس اذا احضر بين يديه يسأله عنها فاذا سمع الذي يقوله كما تقدم قبل في مذهب الفقيه ، فيقول له يا هذا الرجل جهلت وحرمت وظننت بالنبوة ما لا يجوز عليها ولا جاءت به ، وافتريت بقياسك الفاسد وركبت هواك ، ولم تر في الحق سواك ، فأقلع عن جملة اعتقادك وزلزل قدم اجتهادك وطهر نفسك من دنس التعجب والهوى ، واصرف همتك لفك سر كلام الذي لا ينطق عن الهوى • واعلم ان علوم الدين انواع خمسة فمنها : علم ظاهر بين جلي ومنها باطن مكنون خفي • ومنها متوسط بين الاول والثاني • ومنها ما يفهم اذ فهمت الثاني ومنها ما يقذف وهو في اصله السبب ، ومعلوماته تفهم لا من جنس ما

يكتسب • فالاول منها هو الذي يصلح للعامة وهو ما كان منها سهلا ظاهرا مكشوفا كعلم القراءة والرواية والاخبار والقصص المقبول دون تفهم الوعد والوعيد من غير تحقيق وما شاكل ذلك • والثاني الذي هو المتوسط هو الذي يصلح بالعامة والخاصة والجمهور وهو التفقه في أحكام المكلفين • ومعرفة المفروض والمسنون والبحث على السير الجميلة والتفسير لكتاب الله ومفهوم مدلول التنزيل ، والنظر في المحكم والمتشابه وطلب الدليل على ذلك والبرهان ، وان لا يقنع بالامر ويقبل من غير صحة • والثالث للاولياء السادة وهم الذين ينظرون في اسرار الدين والبحث عن حقائقه وغايته ، وما هو على التمام بالتصور الصحيح والتصديق التام ووضع المطالب الصادقة وبواطن معاني الاديان وفهم القرآن على وجهه ولاي شيء سجدت [٥٠ أ] الملائكة لآدم • وما هو الابداع والمبتدع الاول وهل يمكن ان يتجوهر بالعقل او يتصل به وما المفهوم من قوله تعالى « خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش » (١) • وما الامانة والميثاق الذي اخذه على آدم وعلى ذريته ولاي شيء كان من الملائكة العتاب على خلقه او كيف يفهم قولهم ، وما الوسيلة (٢) وغير ذلك • والرابع هو الذي يصمت به ويماق عنده ويقام على بابه ولا يسلم على حجابه • وهو من لدن الكلمة الى المحب الاعظم له نغمات سر ركبتها الارادة الازلية ونظمتها المشيئة الاولية • وجميع ما يحصل من هذا العلم الاعظم حقيقة مفهوم الاسم الاعظم (٣) الذي يفهم على ما هو عليه عند العارفين بالواحد العلام ، لا المشار اليه

---

١ ــ سورة ٣ آية ٥٤ .
٢ ــ على التوالي اشارة الى سورة ٣٣ آية ٧٢ . و
ــ الى سورة ١٣ ــ آية ٢٠ و
ــ الى سورة ٥ ــ آية ٣٥ .
٣ ــ كلمة ناقص في ب .

والمتطوف به بالالف واللام • والخامس صاحبه هو المتكبر بذات الافادة، والمحقر ببذل الاستفادة والوجود المضاف • والخليفة اوقاف والخير المفهم والعظيم المعظم ، والنديم السالم ، والعليم العالم ، والكون الدائم والروح القائم ، والوتر المخصص بقصد انا والنعت المباين بمحو لنـــا ، والمهــدن المخدوم لكل الجملة ، والممجد عند الكهوف المعللة والصراط المستقيــم للبررة والمذكور في سورة الرقيم والبقرة • وهو ينظر وجه اللــه وخلفــه الكلمة قد اصرف وجهه عنها وعن الذوات المكلمة وان نظرها على الدوام زجره الاستحقاق وان اضرب بالجملة عنها احرقه الاشراق • فهذه يا فقيه انواع علوم الدين وهي المخلصة ليوم الدين • وجميــع مــا تفقهت فيــه واعتقدته لا يجب ان يذكر ولا ينبغي ان يتدبر فيــه ولا ان يفكــر • فاذا خلص الفقيه من نقصه وضلالته وعلمه ما يجب في بدايته ونهايته استفهــم الاشعري في مذهبه واعتقاده وما هو عليه في اجتهاده واستبداده • فقــال للاشعري يا هذا ما عندك لا يلحق بالمعقول ولا بالمنقــول ولا انت علــى شيء فتنسب للسائل والمسؤول وجميع معقولاتك لا تجمل بالعاقــل ان يعقلها ومرآة بصيرتك لا تستطيع اداة الوعظ ان تصقاهــا • ولاي شيء حكمت على الروح انه جسم ووصفته باللطيف ؟ وعلمــك لا يميــز بــين الثقيل والخفيف والنص لم يتعرض من حيث هو له ، وانما اعطاه بالجملة من حيث تأوله • والله تعالى يقول « وفي انفسكم افلا تبصرون » وقــال تعالى « الا له الخلق والامر » وقد بينت معناها قبل • والله تعالى يقول : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » ، وقال سبحانه وتعالى : « لقــد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقال تعالى : « شهد الله » الآية وقــال تعالى : « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض » • وقال تعالــى : « انما يخشى الله من [٥٠ ب] عباده العلماء » (١) وخاطب النفوس وكلمها

١ ــ الآيات على التوالي : ٧ ــ ٥٤ • ١٥ ــ ٢٩ • ٣ ــ ١٨ • ٣٣ ــ ٧٢ • ٣٥ ــ ٢٨ •

وكلفها وحذرها بالوعيد وفرحها بالوعد ، وامرهـا ونهاهـا وجعلها عـلى مراتب ، فتارة لوامة وامارة ومطمئنة ، هيأها للوحي والكلام معه وانعـم عليها بالنظر اليه وانزل عليها الملك • فكونه احالنا على النظر لانفسنا هل احال الجسم على الجسم وخاطب العرض وجعل الصفة تتصف ؟ وهـذا مما لا تعقله العقول ولا يجوز بوجه • وقوله : « ألا له الخلق والامـر » اراد بذلك الجسم والصورة والكيفيات والتصريف والابداع الذي هـو خلق الشيء من غير شيء وسماه الامر • والخلق خلق الشيء مـن الشيء كما قال « خلـق الانسان مـن صلصال كالفخـار » (١) او الروحانـي والجسماني او المفهوم من قوله تعالى « قل الروح من امر ربي » الآية • واراد بذلك صفاته الخاصة والعامة وصفات ذته واصفات افعاله • هيهات هذا لا يظفر بفهمه الا الخواص ولا يحققه الا الاخلاص • ولو كان المراد بالامر والخلق والجوهر والعرض لكـان احدهما قديما والآخر محدثا • فأن الذي يطلق عليه اسم الخلق هو محدث او تكون الآية مختلفة الدلالة ذكرت المعنى الواحد من حيث هو مفعول ، والآخر من حيث يتعاقب على الآخر • ولا ينبغي (ان) يفهمه العالم فهم الجاهل • فنقول اراد بـذلك الخلق اسم الجنس على الاطلاق ، وبالامر الاحكام عليه • ولا ينبغـي ان يفهم الامر بمعنى ان الاشارة للمحدث في مفهوم الخلق وهو الجوهر مـن حيث هو والعرض والامر هو ما يعقـل مـن خلـع الصور والاكـوان والتصريف فيهما بعد الخلق الاول لهما • ولا ان الخلق هو الظاهر والامر هو الباطن ولا ان الامر هو صفة لله والخلق هو عباده فهذا مـا لا يصح من مفهوم الآية • فانه قد اضاف ذلك للملك ، وقال « ألا له » والموصوف لا يملك صفته وانما الصفة يعقل منها ما يعقل من جملة الذات وهي هي • والكلام على ذلك والله في ماية ورقة ما بلغت الكلام عليها مـرادي • لا

---

١ ـ سورة ٥٥ ـ آية ١٤ .

والذي وهب العقل وانعم به .

واذا حققت هذه الآية ما تجد في القرآن اصغر منها شكلا ولا اكبر معنى ولا اجمع ولا اعم . والمقصود منها وصف الجنسين المفارق كالروح والعقل ، وغير المفارق كالجسم . اضيف الواحد للابعاد والمقدار والآخر للكملة والاقدار والله يخلق من كل زوجين اثنين ما يشاء . والدليل على ذلك ان الله تعالى يقول : « والله خلقكم وما تعملون » (١) فقد دخل العرض والتصريف في الخلق . وبقي الجنس الآخر وهو الامر ، فان جعلناهما حادثين وهذا كفر وبهتان . واذا فهمت [٥١ أ] ما تعطي الآيات بعد هذا والاخبار والاثار والاستلال والنظر ، تعلم ان الامر في ذلك كما ذكرته لك . والكلام اذا بني على مسألة وقسم وطول فيه مفهومه يرجع للمعنى الاول والذي وضع من اجله وشرع فيه ؛ ويكون برهانه يحصل من المتأخر على المتقدم فافهم ذلك . وقوله تعالى « فاذا سويته » الآية اعطاك في مفهوم الخطابة المعنى المقصود . فالتسوية هي الصفة التي يقبل بها القوة الناطقة ، وفصل الانسان من غير الناطق . والخلق هو الجسم الموضوع لذلك ، وهو المراد بقوله تعالى : « اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » (٢) . فالظاهر ان التسوية متوسطة بين الجسم والنفخ . وبذلك قال بعض الناس ان النفس الحيوانية موضوع للنفس الناطقة ، والا لاي شيء لم يقبل الحمار ما قبله الانسان . ولنفخ اشارة للجوهر الروحاني وهي الصورة المتقنة المتممة لمعنى الانسانية والمقومة لها وكأنه جعل ذلك بمعنى التشريف والمدح . فانه جعل الجسم للخلق والنفس للامر . والجسم لما امتد في اقطاره وتناولته الافعال ولم يقبل الا صورة واحدة فاذا أريد لغيرها فسخت الاولى وكان معقول

---

١ ـ سورة .
٢ ـ سورة ١٥ ، آية ٢٩ .

الكلام والسكون والموت سماه بالخلق اي لا حقيقة لـه ولا وجـود الا بتصريف الامر له . ولما كان الجوهر الروحانـي هو معقـول الحركـة ، والعقل والعلم بالله والسعادة اضافة للنفخ فانه خاص بالروح ومتصل بـه وهو من مادة الروح ، اذ بالتنفس يتروح الحـار الفريـزي . وبالترويح يصلح مزاج القلب وبصلاح مزاجه يصلح الروح الحيواني وبه يستقيـم تدبير البدن . ولما كان الحق سبحانه في اوله كنزا لم يعرف فخلق الذوات الروحانية فعرفته . وكان المبدع الاول اول ما خلق وهو في رتبة الاثـين وذاتها معقولها عشق الواحد الذي قبلها والنظر اليه وكأنها معه . والعرب تسمي الشيء باسم الشيء لمعنى الجمع بينهما او لشبه ما . فكان الجوهر الروحاني احق بالنفخ اذا اردنا بالنفخ العناية والشرف . وايضا لمـا كانت حركة الفلك اصلها العشق وبالحركة الدائمة كان نظـام العالم كان بالنفخ اولى . اذا وهذا من الامثلة الصادقة المنزلة على المعنـى ونفس الانسان متماثلة الجوهر معه . فلما كان هو اقرب الموجودات الى اللـه تعالـى ، والنفس منه ، وقع الخطاب على الجنس العالي وصرف على النوع الاخير . وهذا جنس لا انواع له مختلفة الحدود ولا فيها نوع أخير الا بالهيولـي ولا يلحق الجوهر المفارق بوجه . والنقص المضاف هـو للنفوس بحسب الاستعداد والقبول هنا . والعرب تقول فلان هو روح الملك اذا ارادت بذلك القرب والاعتناء . ومن الناس مـن قال النفخ التناسب . ومنهم من قال النفخ الاضافة الخبرية . ومنهم مـن قال النفـخ الارادة . ومنهم من قال النفخ كن والجسم التكوين . ومنهم من قال النفخ الحلول المتماثل . ومنهم مـن قال النفخ اضافـة الجزء للكـل . ومنهم مـن قال النفـخ الصورة المجردة . ومنهم من [٥١ ب] قال النفـخ الكلمـة والتسويـة والهيولى الاولى والخلق والجسم المطلق . ومنهم مـن قال النفخ العقل ، والتسوية النفس والخلق الطبيعة . ومنهم مـن قال النفخ الخلـق الكمية والتسوية الكيفية والنفخ الجملة المشار اليها . ومنهم مـن قال النفخ هي

الصورة المتممة وهي آخر العلل الاربعة : الهولانية والفاعلة والصورية والمتممة • ومنهم من قال النفخ انا والتسوية هو والجسم كن • ومنهم من قال النفخ مني والتسوية بي والجسم لي • ومنهم من قال الجسم بعد ، والتسوية مع والنفخ قبل • ومنهم من قال الخلق سخط والتسوية ورضى والنفخ تضرع • وهذا يتحقق اذا فهم ما بين هاذين وقت فافهم •

واما قوله تعالى « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » (١) اشارة تفهم باستقراء انها بينت الجوهر الروحاني • فانك تقول الجسم لا يكون حسن التقويم على الذي اراده تعالى • فالزيادة انما هي للانسانية ولمعنى زائد على الجسمانية • وقد قلت فيما تقدم ان الكلام كله متناسب والآخر متصل بالاول فاذا كان ذلك كذلك قلنا لاي شيء استحق الانسان ان يكون في احسن تقويم ، بما هو جسم والجسوم والجواهر كثيرة ، او بما هو عرض والاعراض كثيرة ، او بما هو مجموع منهما والمركبات كثيرة ، اذ والموجودات واحدة بهذا النظر وكلها جواهر واعرض • او بما هو على هيئة ما وتركيب خاص• فهذا يرجع الى كيفيته والكيفية لا توصف بالسعد ولا بالنكس والله تعالى يقول : « ثم رددناه اسفل سافلين » (٢) اراد بذلك الا الشقاوة والامتحان او الرتبة • وجميع ذلك لا توصف به الهيئة اذ وهي من لواصق السعيد والاحوال لا تخاطب ولا تخاطب فما بقي الا مخاطب ليس بجسم ولا متصل بجسم اذ لو اتصل به لم يكن حسنا ، أي في احسن تقويم • ومن الناس من قال الحسن العقل البديهي • ومنهم من قال لم يكن حسنا الا لكونه يفهم الخطاب ويرد الجواب • وقيل لكونه وصف بالعلم • ومنهم من قال لكونه كلّف • ومنهم من قال لم يطلق على الجنس كله انه حسن الا لكونه من أنواعه من يعرف المحسِّن والمقبح

---

١ ــ سورة ٩٥ ــ آية ٥ .
٢ ــ سورة ٣ آية ١٨ .

والذي خلقهما فافهم • واما قوله تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو »(١) الآية • فالشهادة هنا لو جعلناها للجسم في قوله تعالى وأولوا العلم لوضعناه بصفة الكمال وهذا من المحال • ولما كان الانسان جوهرا روحانيا اعطاه الله قبول الشهادة • وهيأه لقبول الصفات الكاملة حتى ان العالم يحصل التسعة والتسعين الاسماء الحسنى بالتصور والاكتساب، ويقدر من عند نفسه ان يتصف بها ويحصلها • وعند حصولها يحصل الاسم الاعظم ، وكأنها مقدمات له وهو النتيجة لها • ولو كان جسما لوجب [٥٢ أ] ان يعلم بعضه ويجهل بعضه ، اذ الجسم منقسم والروح واحد وهذا هو المفهوم من خطاب الله تعالى فافهمه •

وأما قوله تعالى « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال » (٢) الآية ، فهذه الامانة ان جعلناها عرضا وجعلنا الحامل لها كذلك قلنا الصفة تحمل نفسها ، ووجب ان يكون المحمول موضوعا • وان جعلناها عرضا في جسم قلنا ان الخطاب بآخر يمنعنا مفهومه عن ذلك• وذلك ان السماوات والارض لم تحملها ، والله تعالى قد أخبر بذلك • ولو أراد ان يكون ذلك الا وكان • اذ لو جعلنا مفهوم الانسان وجوهره هو الذي يفهم من السماوات والارض • وانما جاء الخبر عنهما بمعنى العجز ، كما يقال تعجز الثلاثة ان تكون في رتبة الاربعة ، بمعنى لا يمكن ذلك • والعرب قد تطلق الالفاظ العدمية على ما تطلق السالبة والمتقابلة • وجوهر الإنسان مفارق للمادة والسماوات مادية فوقع البيان بحسب رتبتها في الوجود • وكان قبول الانسان للامانة ذاته ، ووصف بأنه ظلوما لكونه ضيع عظيما ، لكونه زهد في كماله بترك ما يجب من حمل الامانة• وعرض الامانة على الجبال والسماوات تعريفا للعلماء ان جوهر الانسان ، وان كان في عالم الكون ، هو أرفع من جوهر السماوات الجسمانية •

---

٢ ــ سورة ٣٣ آية ٧٢ •

وان الامور الروحانية ليست في مادة ولا مادة • وان الشرف والفضيلة لا تكون من الجهات والفوق والتحت • واما نفوس الافلاك وعقولها فهي الامانة والعهد الاول وفضلها أشهر وأجل • ولا تظن الامانة هي التكليف بهذا النظر ، وانما الامانة بحسبه هي بحسب اتصال الجزء بالكل ، وفهم النفس ذاتها وحلولها فيها وكيف رباطها مع البدن • وان قلنا في الامانة انها جسم على جسم فقد قلنا غير الذي يفهم منها لان المفهوم من الامانة كيفية محمولة • والا ما هي في الحس حتى تعجز عنها السماوات والارض • وجواهر الانسان ظاهرة للعين المتشابهة الاجزاء والالية ، وهذا شنيع من الكلام • وان قلنا عرضت على جملة المركب دون الروحاني وتركيبه ، ومجموعه هو من تركيب ومجموع السماوات • والارض جواهر واعراض • وان قلنا جعلت للانسان ولم تجعل لغيره قلنا ، الكلام اذا كان اكثره على مفهوم ما لم ينسخه البعض منه مع كونه يبطله الدليل العقلي ويفسده • ومن الناس من قال الامانة هي النفس • ومنهم من قال العقل المستفاد • ومنهم من قال الفعال • ومنهم من قال الكلي • ومن الناس من قال الامانة هي الانسانية ؛ وذلك لما كان هو من معنى روحاني وجوهر جسماني وجمعت فيه الصفتان الجسمانية والروحانية فهو ملكي انساني ومن حيث هو له موازين ترده لمعناه وتصده عنه اذا فسدت كان صاحب أمانة [٥٢ ب] اذ هو وحده بهذه الصفة • ومنهم من قال الامانة سر أمن عليه العبد وهو له صورة مقومة ، وغفل عنه وظنه انه من الصور اللاحقة بعد المتممة • وهو العهد الذي أخذ عليه في ظهر آدم ، وهي الفطرة التي فطر الله عليها الانسان ولها وقع الخطاب لرسول الله (ص) اذ قيل له « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (١) • وبها آمن ابو بكر الصديق رضي الله عنه دفعة واحدة • فمتى غلبت على الانسان اغراضه البدنية

---

١ ــ سورة ٩٦ آية ١ .

كانت أمانته ضائعة • ومتى غلبت عليه احواله الروحانية كان نعم العبد • ولذلك قال (ص) : « اول ما تفقده أمتي الامانة من دينها » لغلبة حب الدنيا عليهم ، والميل اليها حتى تضيع بالجملة الامانة التي شبهت هذه بها وكانت ترجمانا وهي أخذ مال الغير بعد السكون اليه والركون له والميل • ومن الناس من قال الامانة هي الخطاب الالهي ، ومنهم من قال هذه الامانة جاءت للجنس والمراد بها النوع ، وهي الرؤية التي دك بها الجبل • ومنهم من قال الامانة « لا اله الا الله » ومنهم من قال هي معرفة التوحيد على التمام • ومنهم من قال هي ادراك الفناء •• وأقوال الناس كثيرة ، وعند ترجيح المقرب تفهمها فاعلم • وأما قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١) • لو قلنا ان الجسم يعلم لقلنا ان الحق يتصل بالاجسام اذ والعلم تعيين يلحق العالم حتى يحصل معلومه في نفسه صورة • فلو قلنا ان الانسان جسم لقلنا ان الحق يحل فيه حلول الاعراض في الاجسام • فما بقي الا انه روحاني والروحاني لا يتغير كتغير المواد • وانما ذلك في الابعاد والكيفيات الجسمانية • والروحاني لا متصل ولا منفصل ولا يعلم في زمان ولا له اليه سبيل اذ والزمان اثره وهو المتقدم عليه في الوجود • وأيضا العالم ان جعلناه من عرض جسماني وجوهر جسماني فمن يعلم ومن يوصف بالعلم هل العرض ؟ والعلم عرض أو الجسم والجسم ليس بحي ، والحياة شرط في العلم • فان قلنا المركب منهما هو الذي يخاف الله قلنا ان السلب يصح في الواحد ولا يصح في الاثنين فما بقي الا ان يكون الذي يخشى روحاني • ولو قال القائل يجعل في المركب من الجوهر والعرض وهو الانسان عرض يقال له خشية قلنا له هذا العرض بما يتعلق بعرض ام بموصوف ليس بعرض • فان قال بعرض سقطت مكالمته وان قال بموصوف قيل له ما تريد به • [٥٣ أ] فان قال

---

١ ــ سورة ٣٥ آية ٢٨ .

الجسم ، قيل له الجسم واحد والجسوم لا تعقل اذ الحجر لا يخاطب ولا يخاطب • فان قال هذه الصفة صفة كمال وهي خاصة بهذا الجوهر ، قيل له الكمال لا يتعلق بالنقص ويبقى على حاله متعلق بموضوعه الخاص به الذي هو ذاتي له ، وبتخصيص القصد الاول فاعلم ذلــك • ولــو قدرنا النفس غير روحانية للزمنــا ان الجسم يتحــرك بالجسم • ونحــن نبصر الجسوم لا تتحرك الا بمعنى زائد على معنــى الجسمانية فالنفس ليست بجسم • والله تعالى كلف عباده ووصف في كتابه النفوس وقسمها عــلى أربعة أقسام مطمأنة ولوامة وامارة وسوالة • فلــو كان معقول التكليف يتعلق بجسم من حيث هــو لوجب ان تخاطب الجمادات وتكلف • ولــو كانت النفس من الجواهر الجسمانية لم يجعلها الحق سبحانه على أربعــة أقسام اذ الجسم من حيث هو واحد • والجواهر الجسمانية متماثلة فــي كمياتها ومقدارها واحدة ولها أبعاد ثلاثة • فبماذا تحتج يا معتوه ولمــاذا تعمل يا غائب ؟ وبماذا تتصرف يا جاهل ؟ وعماذا تسأل يــا بليد ؟ وكيف تسعد يا خسيس ؟ وذاتك مجهولة وانت تسخر بالجواهر الرئيسة ونفسك معقولة • نعوذ بالله من سوء المعتقد والمنقلب ومــن الاقدار التــي تبدل الايجاب بالسلب • وهذا كتاب الله ينطق بالحق وقد فسرته لك على مــا يجب وبينته على قدر الطاقة وبحسب ما يعقل ويجمل مخاطبتك يــا خلف ومسألته امام ويا مأموم ليس له امام •

وها أنا أذكر لك من حديث رسول الله (ص) مــا يصلح بمذهبي ويخالف مذهبك اذ الحق بضد الباطل والذهن الحاضر انفذ من الغافل • قال رسول الله (ص) « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثــم قال له أدبر فأدبر » وقال عليه السلام « كــل ابن آدم يأكلــه التراب » • الاعجب الذنب منه خلق واليه يعود وفيــه يركب وهو عنــد العقلاء أس صفة العالم والقطب الذي يدور عليه التدبير • ومهما التبس عليك أو على

ذي حجا فانه لا يلتبس على أهل الحق ، ان الله تعالى كان ولا شيء معه سواه فأبدع العقل لا من شيء • فيا أيها الجاهل ما أنت قائل : هل أبدع أولا ما لا يقوم بذاته ؟ كلا لو أبدع أولا ما لا يقوم بذاته لم يكن لوجوده ولتكوينه معنى ، ولكان صفة عبثا ، اذ أراد ان يقيم ما ليس في الحكمة ان يقوم وان يثبت ما لا يصح بذاته ان يثبت • ووجب على العقل ان يفهم عن رسول الله (ص) ما يليق ببلاغته وعلمه وهدايته ، ويتأول عليه المتشابه متى لقيه في مدلول حديثه محال ، والعاقل لا يرجح فيما تمنعه العقول ، ولا يسمح في تغيير ذلك عن واجبه وطبيعته اذ التأويل في شريعة الاسلام حكم من أحكامها وواجب فيها • وحده : صرف الكلام [٥٣ ب] عن ظاهره الى وجه يحتمله والظاهر فيها كذلك • وحده : ما احتمل أمرين احدهما أقوى من الآخر • والنص كذلك وحده : هو اللفظ الذي لا يحتمل الا معنى واحدا ، وقيل هو اللفظ الذي لا يحتمل التأويل فيما يجده العاقل نصا ويختبره بالفكر والتمييز والتقدير حكم به ولم ينفصل عن مدلوله • وما يجده يحتمل بطبعه التأويل زال عن مفهوم ظاهره الى ما يعطيه النظر والفكر المسالمة • كما قال الله تعالى « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » (١) وجب على المؤمن العاقل ان يزول عن ظاهره باعتقاده • وينظر الكلمة ما هي عند العرب يجدها من الاسماء المشتركة والاسم المشترك هو المتفق في الاسم المختلف في الحد • والله تعالى لا عين له ولا كمية فيه ولا صفة نقص • وبالجملة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير علم بالبرهان ان الآية تقتضي الحفظ والكلاة كما يقول الملك انت في عيني اي عزيز علي وفي حفظي • وقال (ص) انما نسمة المؤمن طائر يعلق في اشجار الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه والحس لا يراه هنا ولا يمكن (ان) يحمل على ظاهره • وانما الشارع قربه لافهام

---

١ ــ سورة ٥٢ آية ٤٨ .

العامة بالمثل المنزل على المعنى المعقول ، وذلك ان الموت اذا حققته هو كمال النفس السعيدة وولادتها وتركها عمارة البدن فاذا تركته عاد الى طبعه وهو عدم الحركة الحيوانية ، وان تحرك فانما يتحرك بالعرض على وجه طبيعي . وكونها ترحل عنه دون زمان وتحمل فيه دون زمان وعند تركها له تحل في العالم الا على المفارق للمادة . وهذا مما يعسر على العامة فهمه ضرب لهم بذلك مثلا . فان الطير سريع الحركة وأشد الحيوان الحركة وأخفها وألطفها جوهرا وكأنه يتحرك حول الوسط . ولما ظنهم العامة ان الجنة في السموات وان الجنة محسوسة لا غير ولا جنة معقولة موجودة الا المحسوسة وقيل لهم ان النفس تصعد لها وشاهدوا الجسوم لا تتحرك ولا لها ذلك فكان الطائر أبلغ مثل في هذه القضية . واستعاذ (ص) من عذاب القبر وحذر منه وعظم عذابه فهذا المعذب ما هو اذا قدرناه في قبره ونحن نبصره هل الجسم أو النفس التي لا تحس ولا هي من عالم الحس ؟ فان قلت الجسم غالطت نفسك في الحس وركبت العناد في المحال وافتريت على الرسول في ذلك كله . ولا لمقالك في ذلك حجة الا المغالطة والتلبيس على الضعفاء مثل ان تقول جائز ان يخترع الله سبحانه لأرواحنا أجسادا تقبض فيها ، وقد تسمى الاجساد المخترعة لقبض أرواحنا أرواحا مجازا فتنعم تلك الاجساد وتعذب فيخرج التأويل اظلم من ظل الارض وضد البياض . وقال رسول الله (ص) ان المجاهد في سبيل الله اذا استشهد انه لا يموت [٥٤ أ] وانه يأكل ويشرب في الجنة. وأخبر (ص) انه تكلم مع آدم ورآه في السماء ولغيره من الانبياء وأجسادهم في الارض هيهات ما أبصره الا بنفسه . ولا يعذب الميت كمثل ما يعذب النائم وانت معه في سرير واحد ولا يأكل الشهيد الا بروحه من فاكهة الارواح وطر فيها وأجناس خصبها . أما ان للروح من المكانة في الفكر والمرتبة في الهمم ما دعى الى اختبار النبوة بالسؤال عنه والبحث عن حقيقته . قال الله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر

ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » • وحيثما ذكر الله عز وجل الروح في كتابه فبالتعظيم ذكره • قال الله عز وجل : « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك » (١) • ولم يقل الجسم الامين علـى قلبك وقال : « ينزل الملائكة بالروح من أمره » وقال « تنزل الملائكة والروح فيها » وقال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » • ولئـن نازعت فـي الروح البشري فلا جرم ان فيما ذكره الله سبحانه من أمر الروح أوضح دليل على اتضاع الجسم دونه • وكيف لا يتضع له وقـد طوقه الله تعالى أمثلته وجعل الهيئات منقادة له • قال الله تعالى : « فأرسلنا اليها روحنـا فتمثل لها بشرا سويا » • ثم يرجع الكلام بنا الى أصل مسألتك وتقريـر حجتك والدليل بحول الله على دحوضها بالمعقـول الصحيح والكـلام الوجيز اذ المنقول قد خلص غرضنا في الروح وأخذ جميع مـا كان بيدك واحرق يابس اعتقادك فنقول :

الروح على ما تزعمه لا يخلو اما ان يكون عرضـا أو جسمـا أو جوهرا فردا ، اذ لا يعقل العالم الا على هذه الفصول • فـان كان جسما احي الله به جسما فيجب ان يحيي الآخر بجسم وذلك الجسم بجسم الـى ما لا نهاية له ، وهذا فاسد • وان كان جوهرا فردا لـم يتعدى محلـه ويستحيل حياة الجسم به لتباعد اقطاره واتساع مقاديره • وان كان عرضا فهو لا يخاطب ولا يعقل ، اذ الصفة لا تتصف والواحد لا يتنوع فـي وحدته • فان قلت انا لا نوجب حياة الجسم بجسم آخـر لانه جسم لكن نوجب حياة جسم ميت كثيف بجسم أبدعه الله حي لطيف بحياته لانه حي لا لانه جسم • ولا يجب على هذا تسلسل الاجسام الى ما لا نهاية لـه ويسقط قولك • ويقال لك ما يقرب من مذهبك ثم تنقل عنـه • وهـذا

---

١ ــ على التوالي سورة ٢٦ آية ١٩٢ ــ ١٩٤ • ٢٦ ــ ٢ • ٩٧ ــ ٤ • ١٩ ــ ١٧ •

بحسب ضعف تصورك يا أبله لا يفهم كلامه فنقول : اذا كان اللـه تعالى أحي الجسد الميت بجسم حي أبدعه ، والجسم انما يكون حيا بقيام الحياة به فابداع الله لحياة تقوم بالجسد الميت يحي بها تغنيه في الحيـاة عـن الجسم الحي فلا ثمرة له بل الثمرة للحياة • والحياة عرض فهـي الروح لا معنى سواه • فنجيب على معارضتنا بأن نقول : ان اللـه تعالى أتم النعمة وأكمل الحكمة لآدم عليه السلام بين تباين سماوي عالـي وارضي سافل ليفوز بفضل التباين وشرف الصنعتين • ألا تسمع الصادق يقول تنام عيني ولا ينام قلبي الا تسمع [٥٤ ب] الحكيم العليم يقول « وتـرى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وريت » (١) ، ان الـذي أحياها لمحي الموتى افتراه جل عن قولك يلزمه في حكمته ان يحيي الماء بالماء الـى مـا لا نهاية له او يكون ذلك الا زائدا على الجسم ومعنى مفارق له • وهذا مذهبك قد وقع الكلام معك بحسبه • والذي نعتقده ونحضك عليـه اذا كنت بصيرا وانسانا تعقل وحيوانا تنطق هو هذا • فاسمعه ودع الجميع عنده ولا تلتفت الى غيره بعدما تفهمه • فان الذي يتكلم معك به من كلام المقربين عند موضح الطرائق بأهل الحقائق الذين سربلوا بالانوار العالية وقدسوا في الانهار الصافية ، وجمـع لهم بين الارض والسماء فهم ورثـة العلم المخزون وأمناء الله على السر المصون • آه ثم آه عليهم أترى الدار تجمع بهم فيشفي الغليل ويكثر العويل على غربة الاسلام وفساد الديـن وكساد العلم ونفاق الجهل وضعف اليقين ودروس سبل الدين •

هذا والقرآن قد أفصح بلسان البيان مديـد الصوت لذيـذ الاذان لكن عدّ كالصهيل والصغير تستلذ نغمته ولا تدعـى حكمته حـين مـال الاعجاب بالنفوس الى هواها • فأراها سرابا بقيعة يحسبه الظمآن مـاء فجاءته بظمأها فسقاها ماء الآل في كؤوس الخيال فهي من الدين ظمآنـة

---

١ ــ سورة ٢٢ آية ٥ .

ومن الظمأ ريانة • ثم أعينها بعد بين الحق والباطـل سكرى فجالت بهـا رياح الحيرة في صحارى تيهها بحال شجرة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فألبسها الله رداء سريرتها وانطقها بحالها عنده عـن ضميرها • فقالت : أرواحنا جسوم وعقولنا أعراض لا تدوم فوضعت الرفيع ورفعت الوضيع • ويحهم لعبت بهم الاغاليط • هيهات اما ان للروح من المكانـة ما لو بثثت سره لكان ذلك سبب خراب الارض وفساد الرفـع والحفظ لكني الوح به فاسمعه •

الروح على مذهبي هوية هويتها هدف • والروح عـلى مذهبي انية (١) انيتها سلف ، ونقطة تنقطع بزيادة الخط وتمد ولا تحتمل فـي وسطها وأخرها اللفظ • وقد يكون ذلك في بعض الاوقات عـلى حساب الايام والساعات ويعدم عند التقدم والتأخر والدفع ويوجد عند محـو الاضافة والشفع • والروح على مذهبي قلـم يكتب بالتعجب ولا يشكل ويجهل مدلول خطابته ويعيدها على لوح اصابتها ويسمي المعدوم ويضمر المعلوم ويتكلم بمرسومه رمزا ويشير بمفهومه ولا يسمع بمجيئه ركـزا براه الازل ونقضه الاجل [٥٥ أ] ومده القول وكتب به الحول وكسر قلم يخبر ويخطف ولم ينظر ، والروح على مذهبي هيئة تحاكي الدهر وتقـدر الحركات المستندة وترشد الهداية الـى عدم الغاية وتميت الجسد الممتد على الترتيب وتقدر الخواطر المنكوسة بالحبيب ، والروح عـلى مذهبي فقد طالع الحفظ وطوله ، وجذب ساحر الطرف وطلولـه ، وفصل صدور الاوليات ، وقتل اخوة الكليات ، وهكذا بعد العدد وهكذا عند المدد • والروح على مذهبي تسعة كلمات : اذا ركبت محيت ، واذا قرأت نسيت، واذا بينت قتلت ، واذا خلصت نشبت ، واذا علمت جهلت ، واذا عددت سطرت • فطوبى لمن رسمها ولم يقرأها وطوبى لمن نشرها ولـم يحفظها •

---

١ ـ انية ساقطة في ب .

والروح عندي خبر ووصفه أثر وحقه غير هذه الحروف يا أيها الاشعري فاسمع تركيب الكلام وحينئذ تتكلم معك •

القول في لا أول والازل دون في الفعل (١) • والكلمة في القصد والمبدع دون لي والكون في لي وبي • والعدد دون اليكـم ، والسلام قديم وذاته اليه والسلام عليهم ورده عليـه ، والسلام خبير ورده منـه • وهذا الكلام قد انتظم وها انا أتكلم به • قاهر منع فزال بلام الم بعـد طه • وتضعيفها وفاطر علم بعد يسن ووسطها • وقديم عدد بعد « لا الـه الا الله » بعدد حروفها وتركيبها على مذهب ، وماتوا وماتوا وماتوا الاول للام لم اكن • والثاني لها فلم أزل والثالث لميم ملكتك • فهذا يا اشعري آخر الكلام معك فافهمه على قدرك فانه على نسبتك • فكلامي مع كـل طائفة بحسب ما تفهم • وآخر المذاهب وعنـد خلاصها وتعليمها تتكلـم بمذهبي • وان كان جميع ما تقدم على مذهبي وارشدتك اليـه فذلـك بحسب عالمك وكلامي فيه معك هو بحسب ما وجدت استعدادك • ونرجع لقوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فنقول جـل وعز مـن قائل حكيم عليم خبير : أراد بقوله كمال صفة العلم المشتملة عـلى كليـة الانسان ، التي هي جسده وروحه • فاذا قامت صفـة العلـم بجميعه استأهل ان يسمى عالما قولا [٥٥ ب] مطلقا لاشتمال الصفة على جميعه • واشتمالها على جميعه وجودها في جوارحه وقلبه ولسانه • وفي وجودها في جوارحه وقلبه ولسانه كمال دينه • وحسبك بكمال الدين خاشيا لله • فهذا وربك الحق فماذا بعد الحق الا الضلال • وقد وصف النبي عليـه السلام ما يكون من العلم نافعا وما يكون حجة ، فجعل النافـع علم القلب وجعل الحجة علم اللسان • وفي هذا الحديث أيضا دليل ان كل عالم غير صالح فعالم لسان لا عالم قلب • وفي عكسه اذا كان عالـم قلب فصالح

---

١ ــ كلمة ساقطة في ب ومثبتة على هامش أ .

وان لم يكن عالم لسان • فافهم والله المفهم والمعلم سبحانه •

القول على الفيلسوف بمذهب المقرب وتشكيكه له وتعليمه •

المقرب اذا سمع الفيلسوف يتكلم ويبرهن على مذهبه ويعظمه ويصفه ، يسلم له في صناعته بحثه ويشكرها ويستحسن مبادئها ، ويثني عليها ويخالفه في النتيجة ، ويوبخه على دعواه فيها ويعلمه طريقها ، ويبين عليه جميع سقطاته ، ويخرجه من ظلمات غلطه وزلاته ، وينقذه من سجن زعمه ويصرفه بالجملة عن عزمه • فأول ما يستفهمه في النفس عن مطالبها فاذا ذكرها له على حسب ما تقدم في مذهبه يقول له يا هذا ان كنت تريد تخلص البحث عن النفس بالمطالب المذكورة وتحصيها وتقيم عليها

برهانك ، فأنت خائب السعي وباطل القصد وظالم لها • فانك طلبت العسير وهو في الاصل لا حقيقة له • فأنت تطلب ضالتك في ظلام الليل غربا وهي سارية دونك شرقا • وهذه المطالب التي تطلبها بها ان شرعت على احصائها على التمام وتجعلها الاصل في نجاتك وفوزك ، فأنت كمن يقول سعادتي مشروطة بخروج الجوهرة التي القيتها في البحر ويشرع في احاطته باصبعه • وان ظننت ان مطلوبك وكمال انسانيتك في سبب خارج ، وان الحق والوقوف عليه صعب من جهة ، سهل من جهة كما ذكر ارسطو في المقالة الاولى من كتابه في ما بعد الطبيعة أولها ، فأنت مثل رجل

راكب على ضالته وهو يطلبها من ظلها وظله بضالته • وان عزمت على تخليص الثمانية عشر مسألة العويصة المذكورة فيما بعد الطبيعة وعلم الماولوجيا وبالجملة الصنائع العلمية والنظرية وانت كما انت واعتقادك اعتقادك وهو لك هو لك ومذهبك مذهبك فأنت رجل تطلب السماك الاعزل من جهة مركز الارض وتزعم ان الوسط يتحرك الى فوق [٥٦ أ] الحفظ • وان تخيلت ان الفوز والنجاة والتمام والكمال والسعادة والغاية الانسانية في اتصال الانسان بالعقل الفعال على مذهب أرسطو وشيعته ،

أو بالعقل الكلي على مذهب بلنياس السماوي ، أو بالنفس الكلية على مذهب فيثاغورس ، أو بالقصد المتوهم على مذهب ديوجانس ، أو بالكلمة على مذهب هرمس الاعظم ، على زعم القائل ، فأنت رجل يقسم الواحد ويجمعه على ظنه • ويحسب انه مختلف في نفسه ، وان الواحد مؤلف من شيء لا يتجزأ ولا ينقسم ومن كونه مكيال العدد وبه يقدر • ومن اضافة ووجود وشيء به كان واحدا • أو من أصل يعود الى فرعه هو هو بعينه الفرع ، ومن فرع يعود الى أصله وهو هو بعينه الاصل • ومن تقدم هو بالقوة تأخر ، ومن تأخر هو بالقوة تقدم • ومن شريف شرفه بالعرض ، ومن مشروف ذلته بالذات • ومن هوية كهوية السلب ، ومن انية كانية السبب • وهذا بكليته بعد هذا بحول الله يشرح لك •

وها انا أذكر لك من مطالبك ما يجمل بالمسألة واختصر لك الحشو الزائد الذي لا منفعة له في مذهبك ، ويحرم على أهل الحق ذكره ، ونفهمك ما يجب علي تفهيمه ، ونعلمك ما ينبغي تعليمه • ونلوح لك بمذهب أهل الحق ونشير عليك بشهاب الصدق • ونلقي اليك بحجج البيان، ونريك طرائق الحق بالعيان، حتى تبصره أوضح من نار على علم • واقطع للبهتان من سيف ومن جلم • واعدل في أحكامه اليقينية من كفة الميزان • واقدر على باطل المبتدعة من جور الزمان • فأصخ لقولي ان كنت ذا فطنة مسددة ثاقبة ، وبصيرة صائبة • ودع الكلي والقوة والطبيعة من حيث تركت الهدى والغباوة • وتجرد عن التعصب والتعجب والبس الانصاف والسراوة ، واستاك باراكة لا أدري والله المعلم ، وتردى برد لا حول ولا قوة لي وأنت العالم السالم المسلم • وقف في محراب الخشوع والعجز ، واستفهم ذوي الابصار • واطلب العارفين بالله في الفلوات والامصار • فالذي عندك وما أنت بسبيله هو من لدن

الكلمة والعقل الكلي وكأنك غلطك ما رشح من زق تقصيرك بسوء تقصيرك (١) وخفي عليك بحر العلماء • اني تعرف حين تندم حيث تحرم يوم تبعث انت مع عشيرتك • ومعلمنا الاعظم المعصوم يقول لنا [٥٦ ب]: « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » ، والحكمة تشهد ان النفوس النبوية هي الطبيبة لداء الحيرة • والانبياء عليهم السلام مجمعون على ان بالله يعرف الله • وان المقدمة على معرفته مشيئته ، والنتيجة في ذلك قدرته • وان الحكيم بحدود براهين التوحيد جزء من أجزائها • وسلبه هو ايجاد برهانه وتحقيقه • وغاية السعيد عندهم في دير الحب سكرة تغنيه عن وجوده وتجعله يشهد بالحق في عينيه ومشهوده ، ويحد بحدود توسع العدم وتخلد في نار ضد التي ملئت بالقدم • ويحرق بالجلال ويبصر محبوبه أظهر من الهلال • وترد عليه الموارد التي من مثلها وبعضها ترد على العقل الكلي ما يفيضه عليك على زعمك يا ظالما لنفسه • والعجب منك كيف تسلم ان الذوات الروحانية مفارقة للمادة وانت تفضل بعضها على البعض وتجعل السبب في ذلك رتبتها في الوجود ، وان الرئيس منها والمرؤس انما هو بحسب مكانه وشرف جوهره هو من أجل قربه من الاول • وهذا هو في وضع المبادىء وطبيعتها بالذات لا بما يقتضيه القصد القديم وما تعطيه المشيئة في النظام الاول عن الوجود المطلق • وهذا ما غلط فيه كثير من قدماء الفلاسفة وتحيروا فيه • وهذه المسألة عندهم من المسائل التي يرجعون عنها عند ادراكهم ووصولهم ، غير انهم اذا وصلوا رمزوا الحق • وانا نريك الحق في ذلك كله بمثل بحثك وضاعتك ونفهم لك ما يبخل به الغير عليك فاعلم ما أقول وتصوره على ما يجب بحول الله فنقول :

---

١ ــ ب تنصيرك .

الاضطرار يطلق عند القدماء على انحاء ، احدها اللازم الـــذي لا يمكن ان يكون الشيء الموجود الا به وهو له بالـذات مثـــل التنفس للحيوان • ويقال الاضطرار على الشيء الذي يبلغ الى غايــة ما ولا تنال الا به وهو لها شرط ذاتي ، مثل قراءة لسان العرب للكتاب ، والحركـة في الامور الارادية اذا عزم على تحصيلها • وهــذا الاضطرار في الاشياء الاختيارية مثل الاول في الاشياء الطبيعية • ويقال الاضطرار على المانـع لنا عن مرادنا بالقسر وكأنه ضد ما نريده ويحيلنا [٥٧ أ] بالقهر عليه وهو غير محبوب لنا • ويقال الاضطرار عن الاشياء التي تتبدل عــن ذواتهـا ووضعها ولا يمكن ان توجد على خلاف الذي هي عليه ولا في وقت من الاوقات وهذه هي الضرورية التي لم تزل ولا تزال ولهذا الصنف يقــال مضطر وعلى مثله يطلق الاضطرار بحق • وجميع مـــا تقــدم من اصناف الاضطرار • ويقال له مضطر انما هو لشبهه بهــذا النوع • والمضطرات بالحقيقة هي الاشياء التي لا تتغير عن حالها ولا تتبدل عــن الذي أعطانـــا البرهان عليها • ولو سمحنا في جواز تبديلها على طريقة الجدل • فقلنـــا يمكن ان تتبدل او تنتقل للزمنا ان للاسباب أسبابـــا وللضرورة ضرورة وللحق حقا ويمر الامر الى غير نهاية • فما بقي الا ان يكون شيء ضروري بذاته وهو الشيء الثابت بالذات وسائر الاشيـــاء ضروريـــة • فاذا صح الشيء ان الضروري لا يمكن ان يكون على نوع غير النوع الذي هـــو عليه ، ووجدنا هنا أشياء مبسوطة أزلية غير متحركة علمنا انه ليس تلحقها بالضرورة التي بالقسر ولا بشيء خارج بالجملة عن الطبع فان ذلك يلـــزم الامور الممكنة فافهم هذه المقدمة • وها انا أقدم لك ثانية • الواحد يطلق عند الفلاسفة على أنحاء فيقال واحد بالذات وواحـــد بالعرض • فالواحد بالذات منه ما يقال على الكلي • والـــذي يقال على الجزئي منه ما يقـــال

على المتصل برباط وغير ذلك ومنه متصل بذاته مثل العظم الواحد • وما يتجزأ على الشيء مثل الملتحم الذي يتصل في بعض الكم ويفترق في بعض الكيف وهو ينقسم على قسمين مستقيم ومعوج • والواحد الكلي يطلق على أنحاء فمنه ما يقال على الاشياء التي لا تنقسم بالموضوع لها • وذلك على ضربين موضوع أول وموضوع آخر فالموضوع الاول اللبن والخمر هما واحد بالتمييع • والآخر مثل انهما واحد في الاستقص الغالب عليهما ويقال الواحد بالجنس والواحد بالنوع • ويقال واحد للاشياء التي حدودها واحدة وترجع الى شيء واحد • ويقال واحد للمعنى الكلي المعقول الذي لا ينقسم • ويقال اسم الواحد أولا وبالحقيقة على الاشياء التي جوهرها واحد اما بالاتصال واما بالصورة • والحد الواحد بالعرض يقال بالجملة اما لان شيئين يوجدان في شيء واحد ، واما لان شيئا واحدا

يوجد [٥٧ ب] في شيئين • وحقيقة الواحد المطلق هو انه مبدأ العدد ، وهو مكيال الاول له ، وهو أقل جزء يقدر به العدد ، وهو المتقدم في كل واحد من الاشياء المعدودة ، وهو المتقدم على المعدودات بالطبع ، اذ به تعرف وبه وتحصل ، سواء جعلناه في مادة أو في غير مادة أو فيما يقدر فهو المكيال وفيما يحد فهو الحد • وهذا هو الذي يزعم فيثاغورس انه اذا علم على وجهه هو العلم الالهي وبالجملة الواحد هو الشيء على الاطلاق والوجود والحق والذات والاثنان ضد ذلك • والكلام على الواحد بمذهب المقرب نتركه لموضعه بحول الله • وانما غرضي أن أعلمك باصطلاح شيعتك وأقطعك بمقراضك وأسلبك بأمرك واختبارك وأزيل عنك تشتتك بارشادك • وهذا الواحد قد ذكرته لك على (ما) تعطيه الفلسفة فاعلمه •

وها أنا أقدم لك مقدمة ثالثة في العدم • العدم تطلقه الفلاسفة على انحاء ، احدها ان يعدم النوع ما في طبعه ان يوجد له ، مثل عدم الحجر

الحس ، والثاني ان يعدم الشيء ما في شأنه ان يوجد له في طبعه أو في طبع جنسه مثل الانسان الاعمى فانه عدم من البصر ما في طبعه أن يوجد له • او يعدم ما شأنه ان يوجد له في طبع جنسه لا في طبعه • والذي يعدم ما في طبعه ان يوجد له نوعان : احدهما ان يعدم ما في طبعه ان يوجد له في الوقت الذي يوجد له ، مثل ان يعدم الطفل البصر خارج الرحم • والنوع الثاني ان يعدم ما في طبعه ان يوجد له في الوقت الذي يوجد له ، مثل البصر للطفل في الرحم والاسنان في الشهر الاول من

مولده • والعدم هو ما لم يكن ايسا ولا هو في شيء على الاطلاق وليس له ذات ولا هوية له ولا انية • ومعقولة هو في القوة الوهمية لا انه موجود وله ذات ولا يثبت في ضمير ولا يعقل الا صحبة السلب وهو محمول عليه حملا علميا واصل حمله هو غير خبر الوجود • واما العدم المضاف للنفي فأصله المحرك الاول والاستحقاق ، وهو بالجملة لا يمكن أن يكون فاعلا ولا مفعولا ولا يعقل خارج الذهن ولا داخله ولا يتصوره فاعلم ذلك كله • وهذا العدم قد وصفته لك على مذهبك فاسمع الذي أردت بذلك كله ، والذي من أجله قدمت المقدمات ، والذي أريد أن أعلمك به ، وما الذي حملني على ذلك • والله المعين والموفق لا رب سواه • فنقول لما صح ان الوحدات التي توجد لكل ذات روحانية ذاتية ومتماثلة مع مثلها واضطرارها فيها لها وما هي وكيف هي اضطرار واحد•

وما عدم من نوعها يعدم عن كل واحد منها وضدها [٥٨ أ] واحد • ولا يقال عليها متشابهة بالكيف والانفعال ولا بالكيف دون الانفعال • ولا مختلفة بشيء من ذلك كله • وان القول عليها والكلام فيها دال على وجه أجل وأعظم وان الزمان لا يدخل عليها ؛ وانه حركة محركها وانها علة ، وان الوجود فيها واحد والجوهر واحد والشرف مبدأه واحد بالاضافة لكل واحد منها فمن اين وقع الخلاف فيها والتفضيل من حيث هي

ووحدتها واحدة • ومن المحال ان يختلف الواحد في نفسه أو يعدم ما في طبع جنسه ان يوجد له • وهو فيه من حيث هو واحد في نفسه ولو كان ذلك كذلك لكان كاملا ناقصا من جهة واحدة أو زوجا وفردا من ذاته فاعلم ذلك وتفهم الاضطرار والواحد والعدم • وانظر بذلك ما ذكرت لك وقس به • والوهم الذي حمل القدماء على القول به في البداية هو الصدور الاول وصعوبته على الاذهان وتحصيله ، وكونهم أرادوا ان يفهموا المبادىء بأصولهم الاولى وان البحث عنها من جنس ما يكتسب وان كان مما بعد الطبيعة • وظنهم ان علم التوحيد وما بعد الطبيعة واحد بالعدد • وغلطوا في ذلك كله وتخبطوا بأجمعهم ، والحكيم وافلاطون وسقراط وبليناس وفلاسفة الاسلام كلهم رجعوا عن هذا وخلصوه • فلا تتخيل فيهم انهم وقفوا عنده والكلام على ذلك يترك لموضعه ان شاء الله تعالى • والحق في ذلك أن فضيلة الذوات الروحانية وترتيبها هو بحسب ما أعطاه النظام القديم والقصد الازلي والكلمة المؤثرة المطهرة • وان الذوات من حيث هي لا تعلق لها الا بالنظام القديم ومنه فينبغي ان يبحث عن الفضيلة • ومنه يجب ان تسأل وتطلب • والامر فيها عندنا مجهول الرتبة وتحصيل الشرف هو من نفحات القديم الواجب • والرتبة التي ظنها الفيلسوف انها ذاتية هي اختيارية للذي ذكرنا • وكأنه يقول معدود ما هو في رتبة الثلاثة لا يمكن ان ينقله العاد الى رتبة الاربعة ولا يسميها بها • وهذا جنون ، اذ العقول الهيولانية قد جوزت هذا وقالت به فكيف من هو العالم والعلم والمعلوم منه واحد • والذي يريده الفيلسوف ان العدد الفرد لا يمكن أن يكون زوجا أبدا وان رتبة الثلاثة بالذات بعد [٥٨ ب] الاثنين وقبل الاربعة والذوات الروحانية كذلك • والحق سبحانه في رتبة الواحد وان المبادىء تسعة على رتبة العدد في الوجود• والمقدم منها مقدم بالعقل والمؤخر منها مؤخر بالعقل • فهذا كله كما ذكره هو في النظام القديم لا حيث ذكره ولا كما

ذكره . وهو على الاطلاق تكلم على ظل الحقيقة ويجهل شخصها . وهذا نزيده وضوحا عند ذكر المحرك للجرم الاقصى بحول الله . والذي أوصيك به ان تعتقد في الكلي والجزئي وبالجملة في العالـم الجسماني والروحاني اعتقادا واحدا ، ولا تنوعهم في ضميرك من حيث هم قضايا فـي الصدور الاول . ولا ان النظام القديم مختلف التعلق وكذلك لا تفضل الـذوات الروحانية تفضيلا عقليا بـل اختياريا وبحسب القصد الاول ، والامــر المحمول على الكلمة . ولا تظن (١) ان الواردات التي ترد على الكلي من الحق بالضرورة هو تقدمها وان تبرهن هذا في العلم الالهي فهـو عنـد التحقيق غير صادق . واعلم ان المقرب يعتقد ان الذي يصل اليه هو من فوق الافلاك وان المحقق اذا ظفر بحقيقة الوصول كان حاله أعلى وأجـل من الذي يظنه الفيلسوف انه خاص بالعقل الكلـي . اذ المقرب لا يقنـع الا بالوجود المطلق وما يشير اليه الضمير هو في الوجود المقيد ، ومعقول الاضافة غير منفصل عنه . والفيلسوف لا يخرج عن هذا بوجـه وجميع ما يمـوه به من علم الوحدة وما بعد الطبيعة والتوحـد المطلوب والكمال والتمام وغير ذلك لا حقيقة له اذا تفهم ، وان كان صحيح الاصل ومحقق المبادىء ومتعلق بالقلب وتبينه المقاصد . فهو دون الـذي نحضك عليـه ونريد (ان) نعلمه لك . ولا يخدعوك بالتوحيد الذي تسمعهم يطلقونه، بأن العالم والعلم والمعلوم واحد وان الواجب الوجود لا يصدر عنـه الا واحد . وبالجملة اصطلاحهم كله وصناعتهم وبحثهم ، منه ما يقبل ومنـه ما لا يفيد الا العلم الالهي . أعني الغاية منه لا ينبغي ان تقبل منهم شيئا ولا تعول عليه بوجه . وهم بأجمعهم قد رجعوا عنه وكل واحد منهم رمز وصوله ولا يفشيه كما جرت عادته في غيره من العلوم . ولا تسمع أنـت مني ما نخطيهم فيه من العلم الالهي فتتخيل انـي أنكـر عليهم الجواهـر

١ ــ أ ولا تطلق .

الروحانية أو العقول المجردة أو الكلام على العلوم النظريـــة أو علـــم الماولوجيا • وانما ننكر ونكفر بالذي زعموا انه لا حقيقـــة الا الـــذي عرفوها في العلم الاول • وانا مؤمن بالذي يعطيه الدليل غير منكر لشيء منه • والحق أحق ان يتبع • والقوم [٥٩ أ] يجهلــون الغايات بأصولهم الفاسدة • وهذا كله لا يصل اليه الا بالنبوة • فان الذي جاءت به هــو من نسبة ذلك المبحوث عنه ، وكأنه انموذج منه والكلام في ذلك يطول• وانا نبين لك الامر عند ذكر مذاهبهم والكلام عليها عــلى شبــه المسألة والجواب فنقول :

ان الذات التي هي أول(١) وأحق علل الموجودات بالوجود والوحدانية وأولاها به ، واقربها فيها ، هي المبدأ الذي عنه تنبعث القوى متكثرة نحو غاياتها المختلفة واليها تتصاعد متأخرة • وهي العلة الاولى التي بها يتعلق ما سواها من سائر الموجودات تعلق المعلول بالعلة وترتبط بعضها ببعض منتقلا من رتبة دنيا الى رتبة قصوى ارتباط معلول بعلـــة عــلى حسب تواليها ، الى ان تتوارد بأجمعها اليها فتكون علة العلل ومبــدأ المبادىء الفائضة على ما دونها بخيرها ووجودها معطية كل واحد من الذوات بقدر ما تحتمله منها ومن الوجود اللائق به • فمنها ما هو عند الوجود بوجوده مستكمل الخيرات والفضائل مبرأ مــن الشوائب والتغيرات يرتب كــل موجود مرتبته ويوفيه حقه في لزوم النظام • وهذا هو أول معلول ومبتدع من المبتدع الاول وهو القوة الحافظة على الموجودات وجوادتها الخاصة بواحد واحد منها • ويشار الى ذاتها باسم الفعل الصادر عنها وهو العقل اذ فعله ذاته • ثم يتلو هذه القوة القوة التي تعطي الذوات أفضل أحوالها في الوجود التي هي الحياة ، وهــي النفس المصورة للاجسام أفضــل صورها • واذا تصورت بها وانطبعت فيها حصلت صورة مخالفة لصورة

---

١ ـ ان الذوات هي اولى •

أخرى ، وهي الطبيعة التي رسمها انهـا قوة تنفـذ في الاجسام فتعطيهـا التخلف والتصور بالصورة الخاصة بواحد واحد منها • ويتحرك كـل واحد منها نحو ما قصد به دون غيره • وترسم أيضا ، أعني الطبيعة ، انها مبدأ حركة وسكون للشيء الذي هو فيه بالذات لا بطريق العرض • ثم تتوزع عليها القوى من هيولانية وطبيعية ونفسانية وعقلية والهية ويستند كل واحد منها الى الذي هو أولى بها ثم تقع الاشارة الـى الاول بحسب الائتلاف الذي حصلت لها عندها • فأما منها بمـا هي فاعلـة وموجدة • وأما اليها بما الموجودات قابلة لها ومنفعلة عنها • وأما بما يخصها [٥٩ ب] في ذاتها من غير اضافتها الى ماسواها • فقد صح بهـذا النظر ان جميـع الجواهر الجسمانية والروحانية لا وجود لها الا بالاول ومن لاول وعـن الاول والى الاول بحسب ما تبين من رتبتها قبل • واذا كان هـذا عـلى الوجه فالاولية ممتدة في الجميع ملازمة لها • وهي لغيرها من الموجودات ذاتية في وجود كل واحد منها ومقومة لطبيعتها • وكان الكل داخل تحت انيتها ويشبه ان يكون وجود غيرها مستعارا منها • الا انه يفهم مـن الاستعارة هنا ما يفهم من المثال الذي (١) لاحقيقة له الا تخليص المسألـة ويمحق بعد ذلك فرضه ولا يلحق بالوجود بوجه • اذ الاستعارة مـا بين اثنين والوجود واحد • وقد خرج بنا الكلام الى غير الـذي أردنـاه ، والمقصود من هذا كله والحاصل منه ان تعلم ان الوجود اذا علم مـا هو على ما تقتصيه السفر والعلم الاكبر المكنون المهـدم لغيره من العلوم لـم يتقدم ما هو عند الغير مقدم • ولا يتأخر ما هو عنـد الغير متأخر • ولا يعقل تناسب ولا تهمل ذات بأفضل وارفع ولا تهان حقيقة بأقل وأكثر وان الشهادة عاملة على الفرق دائمة غير كاذبة وورود الواردات وهبية بالذات لا بحسب الجهات والترتيب فان الميل الى مشار ما محله في كلمة • وتلك

١ ــ الذي ناقصة في ب .

الكلمة لكل مشار جوهرية والكلمة أثر دون انية ما • والانيـة تردد لا يقف الا فيما منه بدأ ، وكأنه قوة كن غير محاطة ولا محيطة • فافهم ذلك كله واعلم ان المقرب ترد عليه الواردات من فوق الافلاك لا دونها • وهذا اردنا ان نبينه لانه عظيم المنفعة اذ الحكماء الاجلة قد غلطوا فيـه ووقفوا دونه • وأيضا كل محرك أول بما هو محـرك أول فلـه متحرك أول • والمتحرك الاول بما هو متحرك أول فله الحركة التي هي أول الحركـات الاولية وهي المكانية • ومنها الحركة التي هي أشرف أصنافها وهي الحركة الدورية • وكل متحرك اما ان يكون متحركا بالـذات أو بالعـرض • والمتحرك الاول الذي هو متحرك عن محرك أول أقدم وأشرف من كـل متحرك أول • والمتحرك الاول الذي هو عن أول محـرك فانـه لا أول متحرك بالذات • والمتحرك مبدأ حركته فيـه • ولست أعنـي بالمتحرك الاول محركا ما [٦٠ أ] بعينه ولا بالمتحرك عنه متحركا ما بعينه ، كما ظن من ظن بأرسطو انه قال في المقالة الثامنة من السماع الطبيعي حيث يشير ان محركا ما أولا ومتحركا ما أولا عنه وان المحـرك الاول في المحيـط ، أراد بالمحرك الاول الذات التي هي العلة الاولى ، وبالمتحرك الاول فلك الكل ، وان ذلك المحرك في المحيط منه • وقد اعتقد ابن رشد فيه هذا في حرف اللام • وهذه حماقة بينة اذ الفصل المقدس والكلمة المبتة والانيـة الوجودية لا تتعلق من حيث هي بالمحرك الاول وانما تعطي الاثر وما في النظام القديم • ولو كانت هـي نفس المحرك للجـرم الاقصى لـم تستقم الدورة بذلك اذ الامتداد لا يقوم بغير كنه والكنه في المقـدر بالاحاطة لا يجوز • وان كان المحاط روحانيا فالانفصال في المحرك والمتحرك أمثلـة متساوية • اذ الذي يوجد في الصورة المجردة عن المادة هي المادة بالتقدير الذهني والمعنى الكلي • وارسطو أنبه من ان يعتقد هذه الشناعة الفارغة• وانما لما اضطر ان يظهر الفلسفة الطبيعية ويجرد النظـر في الدستورات

والقوانين الكلية للامور الطبيعية بما هي طبيعية في السماع الطبيعي ، وان يأتي بالفلسفة الالهية ويجرد النظر في الطرق المؤدية اليها بما أوردوه في كتب ما بعد الطبيعة • وان كان النظر فيما بعد الطبيعة غير النظر في ذوات الامور الالهية لكنه هو النظر في كيفية البحث عن الذوات العامة بما هي الهية وتكلم على المبادىء الكلية والقوانين العلمية للامور الطبيعية بما هي كذلك ولم يعرض لذوات الامور وأراد بذلك ان يعلم الناظر اذا سلك مسلكا طبيعيا طابق تلك القوانين ما رام اصابة الحق فيه منها • وهذا كله دعاه له حكم الضرورة الحكمية التي يطلب ان تجعل في كل موضع ما يليق به من المقدمات • فتخيل له البليد انه أراد ما تأوله عليه بسوء فهمه ، وهو لم يرد الا الذي ذكرته لك • واعتقاده في الاول الحق وفي المحرك الاول للجرم الاقصى غير الذي تأول عليه • ولولا خوف التطويل لبينت اين تكلم على ذلك لكنه في هذه الكفاية فافهمها ونرجع للمتحرك بالذات فنقول :

لما صح من المتحرك بالذات الاضطرار للمحرك الاول فأي شيء يعود الى أمثلة النظام القديم على زعم الفيلسوف اذ هو القايل الذي فرضته [٦٠ ب] قبل هذا كله هل العموم والخصوص • فان جعلناه عموم الصور فقد جعلنا ما لا أول له يكتفي بما عنده من له أول • وان جعلناه على الخصوص فقد انصفنا في الكلام على كل مبدع • وأيضا الحركة انفعال والانفعال تغير والتغير له محرك ولا ينبغي ان يتماثلا اذ لو تماثل لتسلسل النقص ولم يعقل لذات روحانية شرف فالذوات متساوية • وحقيقة المقرب لا أول لها الا من الاول الحق ولا آخر لها اذ هي ببقاء الحق • وبعد ذلك كله اليست الفلسفة أقيسة من الفلاسفة مسلمة ان كل عقل فهو مملوء صورا • الا ان من العقول ما يحيط بصور أكثر كلية ، ومنها ما يحيط بصور أقل كلية • وذلك ان الصور التي في العقول الثواني

السفلية بنوع جزئي هي في العقول الاول بنوع كلي • والصور التي في العقول الاول بنوع كلي هي في العقول الثواني بنوع جزئـي • وللعقول الاول قوة عظيمة لانها أشد وحدانية مـن العقول الثواني السفليـة • وللعقول الثواني السفلية قوى ضعيفة لانها أقل وحدانية وأكثـر تكثرا • وذلك ان العقول القريبة من الواحد المحض أقل كمية وأعظـم قوة مـن العقول التي هي أبعد من الواحد المحض (١) • والعقول الثواني أكثـر كمية وأضعف قوة • فلما كانت العقول القريبة من الواحد المحض أقـل كمية عرض من ذلك ان تكون الصور التي تنبجس من العقول القريبة من الواحد المحض الاول انبجاسا كليا متوحدا تنبجس من العقول الثوانـي انبجاسا جزئيا متكثرا ، اذ تنبجس مـن العقول الاول انبجاسا متوحدا • وهذا ظاهر من كلام القوم وفيه ما فيه • وكأنهم الزمـوا أنفسهم الضعف بحسب النقص اللازم على ما تعطيه طبيعة كل موجود له بعد مـا أو قرب ما • فان الاضافة هي المعقولة المعرفة لكل واحد من هذه التقاسيم وعـلى معقولها دار التفصيل الاعم والاخص ، وتحقيق التوحيد يخلص هـذا كما تقدم • والذي أقوله ان العقول التي ذكروها ان كـان أرادوا بها شرف الذوات ولم يتعرضوا لجواهرها فالامر قريب • وان أرادوا بذلك مـا تعطيه طبيعة الجوهر وان الفضيلة والتمام جوهرية لجوهر مـا بحسب جوهره وله وبه ، فهؤلاء قد صرحوا ان التقويم الطبيعي هو المنطقي وان النظر العلمي هو العملي • اذ الذوات هي الجوهـر الفاضل وان الرتب التي هي أوهام في القوة الحيوانية هي نفس الذوات الفضيلة وترجع عليهم الامور بعكس مقدماتهم بغير الحد [٦١ أ] البرهاني • والكلام على هـذا يطول وانما المقصود ان تعلم ان المقرب ترد عليه الاحكام من فوق الفلك

---

١ ــ الجملة هذه غير واضحة في النسختين . وقد اكملتها من حواش على هامش النسختين مما يدل ان لهما أصلا واحدا نقلتا عنه .

ولا مسافة هناك وانما نريد بذلك أجل وأعلى وأرفع بالمكانة لا بالمكان فافهم •

والعقول الثواني تؤثر الصور المائلة المتزايلة كالنفس فانها من آثار العقل الثاني الذي يلي الأنية المبتدعة سفلا • وانما كثرت الانفس بالنوع الذي تكثرت به العقول وذلك ان انية النفس أيضا ذات نهاية • وما كان منها سفلا فغير متناه • فالانفس التي تلي العقل كاملة تامة قليلة الميل والزوال • والانفس التي تلي الانية سفلا هي في التمام والميلان دون النفس العالية • والانفس العالية تفيض بالفضائل التي تقبل من العقل على الانفس • وكل نفس تقبل من العقل قوة اكثر ، فهي على التأثير أقوى ويكون المتأثر منها تاما قائما وتكون حركته حركة مستوية متصلة• وما كان منها قوة العقل فيها أقل تكون في التأثير دون الانفس الاول ويكون المؤثر منها ضعيفا مستحيلا داثرا • الا انه وان كان داثرا فهو متشابه الاحوال في جملة احواله وذلك هو له صفة نفسانية وكذلك الذوات الروحانية لا تختلف من حيث هي روحانية وانما خلافها في عالم الكون بسبب المادة • فاعلم ذلك كله والذي ذكرته لك معلوم عند المقربين في أذهانهم واذا صح هذا وتبين ما هو عليه ، فنرجع للكلام على المقرب فنقول :

الذي يجب ان تعلم هو فهم كلام اصطلاح المقرب اذ هو المحقق المرشد وحده لا غير • وقد استبان لم صارت الصور العقلية كثيرة وانما هي انية واحدة مبسوطة لا خلاف فيها • ولم صارت النفوس كثيرة وبعضها أقوى من بعض وانيتها واحدة مبسوطة لا خلاف فيها • فاعلم ذلك وقس بتناسب الذوات وشبهها على ما بينته لك وحقق اتفاق جميعها في وحدة ما وخلافها في أخرى ، واطلب كل واحد منها في تعلق الحامل والاول للجميع والمفيد وجود كل موجود انية تابعة لمعنى يمسك مدلول

هويتها ويحفظ عليها • تجد الصدور فيها واحـــدا والتوحيـد متماثلا والتركيب منحطا عنها وباطلا في جواهرها فلا فضيلة للاعم منهـا عـلى الاخص ولا مزية لواحد منها على الآخر من حيث هــو جوهــر مفارق • وانما الفضيلة للذي خصّص الترتيب والمرتب والرتبة • ومن طلب الفضل في مثل ما ومنع ان يكون ذلك الطلب بعينه في مثله المتفق معــه في جميع الاوصاف ، وبالجملة في الكيف والانفعال والذات فهو معتوه لا يعقــل ولا يخاطب • فصح من ذلك كله ان المقرب ترد عليه الموارد مــن فــوق الافلاك والكلمة • اذ المقرب تردد الاولية [٦١ ب] واثرها وشهيد انيتها وحتى هويتها وخبير بها وهادم فصلها بأدوات كن • ولا تظــن بالادوات الصفات العامة والخاصة ولا شيء زائد على الذات ، فجميع ذلك مـــن لواحق العبودية ، وكونها تسمي الشيء باسم الاثر عنــه ، فافهم ذلــك ، ولا تغلط في الذي ذكرته لك كما غلــط الفلاسفة وزعمـــاء النصارى فوصفوها بالحياة والعلم والقدرة بحسب القوى الثلاثــة أعني العقــل والنفس والطبيعة التي هي أول القوى المنبعثة عنهـا • وذكروا ان الذات واحدة بالموضوع كثيرة بهذه الصفات فاذا وصف بالحياة وعي ابـا ، ولا يقع لها اتحادا اذ لا يحي حياته شيء من الموجودات • واذا وصف بالعلم دعي ابنا ، اذ كان به الاتحاد من قبل ان كل من علم شيئا عـلى حقيقتـه وعرفه حق معرفته فلا فرق بينه وبين غيره مــن العلمـــاء • واذا وصف بالقدرة دعي روحا ، اذ به تظهر قوته في اصحاب الحوائــج والافعـــال المعجزة لمن سواهم من البشر • ومعنى الحياة التي وصفت بها تلك الذات غير معنى الحياة التي توصف بها ذوات الانفس • ومن الناس مــن وصف تلك الذات بالصفات التي تخصها في ذاتها لا بحسب اضافتها الى الاشياء واضافة الاشياء اليها وهم فرقة من النصارى المحققين في هذيانهم وقالوا انها العقل وأشاروا اليها باسم العقل والمعني به الذات • مــن قبــل ان الشيء الذي في غاية البساطة ولا تركيب فيــه بوجه في الوجوه فعله ذاته

لا تمييز بينهما ولا فرق الا من جهة التمييز المنطقي • فاما اذا لحظت الذات المحيطة بالكل الفائضة عليه السارية فيه لم يقع تراخ في الوهم بين الذات والفعل ولا تمييز بينهما • ثم ذكروا ان هذه الذات من حيث هي عقل تعقل ذاتها وتصير أيضا هي معقولة لها فيما هو عقل دعي ابا • ولا يقع فيها اتحاد ومن حيث هي عاقلة ذاتها دعي ابنا ، وجاز به الاتحاد • ومن حيث هي معقولة دعيت روحا وجاز به ظهورها في المستعدين لذلك • اذ جميع الموجودات بما هي معقولات ثوان متراجعة الى المعقولات الاول التي هي في تلك الذات بالنوع الذي به يجوز ان يقال انها فيها فصار لذلك عندهم الجوهر أعني الذات واحدا • والاقاليم ثلاثة : أعني الذات اذا أخذت مع صفة من الصفات الثلاثة • [٦٢ أ] فيكون أقنوم الاب اذا أخذ الجوهر بما هو معقول تتحصل له الوحدانية المحضة بالجوهرية والكثرة بالاقنومية ولم يلزم محال من ان يكون شيء واحد واحدا وكثيرا • اذ ذلك انما هو بجهة وهذا بجهة وذلك غير محال • وقد كمل ما أردنا بيانه • وأردت به ان أحذرك وأنبهك من هذه الاغاليط والبواطل فانها مشككة جدا لا سيما في الوحدة التي ذكرتها قبل وفي أقسام الواحد • وها أنا أبين لك باطل ذلك وبهتانه وما الذي غلط الحائرين المجانين حتى قالوا بذلك بحول الله فنقول •

الواحد الحق ليس بعدد لان العدد مركب • والمركب له أجزاء والحق لا يتجزأ ولا ينقسم لا بالوهم ولا بالعقل ولا بالحس • وهذا بين بنفسه وظاهر لذي حجا • فاذا لم يكن بشيء من ذلك كله ويتنزه عن هذا فهو واحد ووحدته بالذات وجميع الذوات معللة المبدأ اذ لكل واحد منها استناد (١) لغيره وله أول وانية مشتقة ونوعها متكثر ولها معان عامة

---

١ ــ ب ــ استثناء

وخاصة فاعلم ذلك • ونرجع للمقرب ، فنقول في المقرب : ما يرد عليه هو من عالم التأمل • والعوالم عنده كثيرة وتتكثر بحسب النظر الى غاياتها عنده فافهم • ولا تعتقد فيه انه يقول بعوالم كثيرة فتظلم نفسك وتفتري على سيد عظيم بما لا يجوز عليه • وارسطو قد خلص الكلام في السماء والعالم على الذي يقول بعوالم متعددة وهو خديم المقرب ان رضيه لذلك • وانما قرنته بالخديم لعظمته عند الجمهور ولان تعظم عندهم ذات المقرب اذ بالمثل المشهور يقنع الخصم ويرضى به وتسكن نفسه • فاذا كان الخديم يخلص المبحوث عنه على ما يجب فكيف المخدوم • ونريد بالخديم المتعلم المسترشد الذي يقلد معلمه في جميع أموره كلها • والدليل على عزة المقرب وذلة الفيلسوف أن الفيلسوف يبحث عن الوحدة والانية المطلقة ويخلص البحث عن الهوية والذات المشار اليها ويتجوهر بالفعال ويتمم شرف نفسه بالنزاهة في أثر النظام القديم وتستغرقه لذة الادراك الالهي • وبالجملة الكمال والسعد عنده انما هو في القرب من الواجب الوجود فاعلم والله يعلمك ويفهمك بمنه وكرمه • والمقرب هو ذات العناية والسعد ، وهو مبدأ الكمال والذي من أجله عقل الفضل ، وكأن الكمال الذي يشير اليه الفيلسوف هو عنده عين النقص • وكذلك يقول بعض رؤسائنا الصوفية « حسنات الابرار سيئات المقربين » • وان كان بحث الفيلسوف يبلغه للاول الحق ويصل به الى غاية الانسان بالنظر والاستدلال فهو ليس بحق وغير واجب • [٦٢ ب] واما المقرب فالحق والسعد والكمال عنده داخل تحت نعت عبوديته ، لكونه يخاف الفوت على الواحد والوقوع في خلال الشفع وحرمانه ، وهو يهدد نفسه بالوجود ويخوفها ويوبخها بالطمع فيه وفي دعواه ، كما يهدد ويخوف ويطمع ويوبخ أحدنا بالموت والذنب القبيح وغير ذلك وهذه بدايته • وانما غايته فنذكرها في اعتقاده في النفس ويعود الكلام على المقرب في العوالم ما هي عنده •

اعلم ان العوالم هي أدراجــه المعنوية الــى مقصوده • ولمـا كانت رتبتها مختلفة ويتقدم بعضها على البعض بحسب شرفهـا في الموجودات وكانت جملة متجانسة كل رتبة قيل لها عوالم فاعلم • وها أنا يا فيلسوف أتكلم ذلك على النفس واصف لك مباحثها التي تبحث انت بها واخلصها بصناعتك • وبعد ذلك اخلص المسألة على مذهبي ، فاني لا أستطيع على ان ألقي اليك ما عندي دون هذا كله كلما لم يتمكن في الكــلام عـــلى النفس وما هي ، واستفهامك فيها • ونعلمك الحق دون ان نعلمه بالفــرق بين الذي يرد على الفيلسوف والذي يرد على المقرب ، وبين الذي يصله

المقرب • ويبني غايته عليه وبين الذي يطلبه الفيلسوف ويسعى له ، وان نبرهن لك على الذي يرد على المقرب هو فوق الكلمة وفوق فصل كن • وقد تقدم القول على الحروف التي يقدمها المقرب والكلام كيف يركبــه فاعلم واعذر واغتبط وسلم وابحث ولازم واصبر وفكر وتدبــر واطلب اجتهد واقنع وارض واحفظ واحمد الله • ولا حــول ولا قوة الا باللــه العلي العظيم والحمد لله على نعمه • وها انا أتكلم على مذهبك • واحصر لك المطالب التي تطلب بها النفس عندكم واقررها بالبرهان وأحصيها على التمام اما مفسرة واما على الاطلاق مجملة • وأخذ من يدك ما نعطيه لــك من مذاهبهم بالذي نعطيه لك من مذهبي • اذ الحق لا يجتمع مع الباطل والحق أحق ان يتبع • والله يعين على ذلك كله بمنه وكرمه فنقول :

البراهين على وجود النفس

أول المطالب التي ينبغي تحصيلها وتخليصها عنــد الفلاسفة فـــي النفس ، هل هي موجودة أو معدومة ؟ او انها شيء يتولد مــن امتزاج الطبائع ضربا من المزاج ؟ ومن أجل ذلك احسب انه لا شيء أعون عــلى معرفتها من ان النفس ليست عرضا بل هو جوهر قائم بذاته من نحو الظن

وابطاله اذ كان لا [٦٣ أ] يتعلق الفكر ولا يتـردد الضمير ان النفس لا تصدق على شيء من المقولات ولا يطلق عليها منهـا شيء الا الجوهر • فانها بالضرورة تعلم انها ليست كمية ولا كيفية ولا المضاف فانها لو كانت كيفية لكان معقول الانفعال نفسا • وبالجملة الخجل والوجل والحركات الست المذكورة في كتب المنطق والسماع الطبيعي كذلـك • ولـو كانت كمية لكان معقول المقدار والابعاد والعظم والمكان والزمان والقول والعدد وغير ذلك من اصنافها المتصلة والمنفصلة • وهذا يعلم بالضرورة أنه باطل فلو كانت اضافة لكان الضعف والنصف والمتقابلات المسندة الى الفصول المحضة منها وغير المحضة والمتساوية وغير المتساوية • وبالجملة الامـور الرابطة والمتفقة فيها لزوم الوجود والذي ثبات كل واحـد منهـا بثبات صاحبه الذي ثباته بثباته يدور عليه ولا ينافيه جميع ذلك نفسا وهذا يعلم

بالضرورة انه محال • وما يتخيله الجاهل فيها انها يلحقها الكيف لكونها لها قوة خيالية وانفعال وان الخجل فيها من حيث هي عاقلة فيسميها بهذا الاسم وهو باطل ؛ لان الجوهر المفارق لا يلحقه ذلك ولا يليق بـه هـذا كله ، ولو كان مما يلحقه هذا لم يكن مفارقا للمادة • وانما جميع مـا ذكره هو في لواحقها واثر لها وافعال تلزم عنها والفعل غير الفاعل والذي يلزمها من الكيفية هو مما لا يخل بجوهرها ونزاهتهـا • ولـولا خوف التطويل لبينته على التمام لكنه يتبين بعد هذا • وكذلك ما يتخيل مـن الكم فيها هو عين المحال • لان الروحاني لا يتجـزأ ولا يدخـل تحت الزمان ولا ينقسم ولا يدخل تحت العدد • والدليل على ذلـك هـو ان الجواهر الجسمانية تنقسم وتصفر وتتركب وتكبر ويظهر فيهـا النمـو والاضمحلال • والنفس لا توصف بشيء من ذلك ، ان المريض الضعيف المهزول نفسه هي التي كانت وهو صحيح لم تتبـدل وان ضعفت قوتـه وفسد خياله فذلك لفساد آلتها وهو البدن الذي به تفعل أفعالها • وهي له كالنجار مع منشاره • وان احتج علينا بالمولود الذي لـم تظهر النفس

الناطقة فيه قيل له تقدم الاستعداد مع كونها فيه بالقوة بالاضافة الى الصورة المتممة • وبالفعل من حيث هي تدبر النفس الحيوانية ولولا مفيض الصور لم تعقل المولدات بوجه • وهذا يتبين بعد ، والكلام عليها يرتبط بعضه ببعض • انما يجب لكل مطلب ان يتكلم عليه بما هو ويترك [٦٣ ب] ما يلزم فيه لمطلب غيره آخر اذا لزم الانتقاد فيه • وبالجملة الكمية في الهيولى الاولى بالقوة ، وفي هيولى الكل بالفعل ، وفي الهيولى الصناعية بالفعل ، وفي الهيولى الطبيعية بالفعل • والنفس فاعلة للجميع ومتقدمة عليها اذ العالم لم يعقل قبلها نعني بذلك (١) الافلاك والاستقصات • بل هي المتقدمة على الجميع بدليل ان الفلك دايم الحركة ولم يسبقها من حيث هو جسم • والحركة فعل النفس فالنفس غير الفلك • ولو كانت النفس لها كمية او هي كمية لكان كل جسم نفسا ، وهذا عين المحال • وكذلك النفس لا ينبغي ان تكون اضافة ، لان الاضافة نسبة ، ما بين شيئين • ولو كانت النفس اضافة لكان المعنى الرابط بين الاب والابن نفسا • والذي ينبغي ان يطلق عليها من الاضافة هو تعلم العلم بها والذي تجده النفوس الجزئية من الفرق بينها وبين الكلية وان الناطقة منها تلحق بجنسها والحيوانية تفقد • اذ الاستعداد لم يتم لها وجوهرها فاسد منحط • فهذه الاضافة اذا اطلقناها عليها فانما يطلقونها بالمجاورة للمادة وما يتعلق بأفكار النفوس • فاعلمه وهذه ثلاثة أجناس من المقولات قد علم منها ان النفس ليست هي في شيء منها • وكذلك سائر المقولات الباقية وهي الاين والمتى والنصبة والملكة والفعل والمنفعل • فان الاين تركيب الجسم مع مكان • فلو كانت اينا لكان تركيب الحجر في البيت اينا معقول النفس والهوى المنطبق عليه • ولو كانت متى لكان امس نفسا واليوم نفسا والغد نفسا وهذا محال لا يجب ان يتكلم به • لكنه نزيل

---

١ ـ أ و ب نعنيك . والتصحيح منا .

به وهم الجاهل ، اذ الحمار لا يتأتى منه المقصود الا بالتحريك له والقهر والفرس • ولو كانت نصبة لكان الاستلقاء والاضطجاع نفسا وهذا شنيع من الكلام • وكذلك لو كانت ملكة لكا نالسيف في يد الرجل والقلم في يد الكاتب نفسا • وهذا محال فان النفس موصوف والفعل صفة • وكذلك لو كانت المنفعل لكان النفير ومصير الجوهر من شيء الى شيء وحاله من امر الى امر والامر نفسا • وبالجملة ان ينفعل هو اثر الفاعل والفاعل موصوف والانفعال صفة ، وهذا محال • فالنفس ليست في شيء من المقولات العشر الا في الجوهر • والنفس هي الفاعلة والفاعل هو الموصوف [٦٤ أ] والموصوف جوهر فالنفس جوهر • وايضا الجسم هو لا يتحرك والنفس حية • والحياة لا تعقل الا فيما هو وجوده بالفعل وهو دائم الحركة والجسم ساكن ولا يعقل الا ساكنا • فمتى وجدناه يتحرك علمنا ان حركته لشيء هو بالفعل والا لم يجز ان يخرجه الى الفعل وهو بالقوة فانه لو كان كذلك لكان مثل الجسم سواء • مثال ذلك كل موجود بالفعل من الاشياء الطبيعية فقد كان موجودا بالقوة ثم وجد بالفعل فيخرجه الى الوجود شيء آخر هو موجود بالفعل • كالماء الذي هو حار بالقوة ويخرجه الى الحرارة بالفعل النار التي هي حارة بالفعل • وهذا اضطرار لا يصح ان يوجد الشيء نفسه ولا يصح أيضا ان يخرجه من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل ما هو موجود بالقوة لانهما قد تساويا في العدم وكل واحد منهما مفتقر الى موجد • واذا استحال الامران صح ان مخرج الشيء من القوة الى الفعل لا يكون الا غيره ولا يكون الا موجودا بالفعل • فاذا ثبت هذا قلنا ان بعض الاجسام حي بالقوة ثم يصير حيا بالفعل بمقارنة النفس له • فيخرجه اذا الى الحياة جوهر آخر غيره حي بالفعل • والجسم انما يصير حيا بمقارنة النفس له فالنفس اذا حية بالفعل • وما هو حي بالفعل لا يعدم الحياة • فالنفس اذا لا تعدم الحياة • والحي هو الذي يتأتى منه الافعال والعرض لا يفعل • والجسم

لا يفعل من حيث هـو جسم فالنفس جوهـر ليست بجسم ولا بعرض • وقد يتعلق بالفكر ويشكك في الوهم والنفوس الجاهلة ما يحدث عـن الاشياء الممزوجة من الالوان والقوى والافعال التي هي غير موجودة في مفرداتها وتحدث من أشياء بأعيانها لاختلاف كمياتها • ويحدث عند المزاج أشياء مختلفة ، ومن أجل ذلك يظن من لم تكمل دربته ونظره ان الارض والماء والهواء والنار اذا امتزجت ضربا من المزاج كان عن ذلـك النفس • ونحن مبينون ان النفس ليست شيئا يحدث عن امتزاج هذه • فنقول : لا تخلو النفس ان كانت مزاجا لا عرض له ، أو مزاجا ذا عرض • فلو كانت مزاجا لا عرض له لم يوجد شيئان ذا نفس الا وهمـا مستويـا المـزاج بالدقيق • لكن ذلك باطل لانا نرى أشياء ذوات أنفس وهي مختلفة المزاج فانه لا يوافق مزاج أحد من الناس مزاج آخر بالدقيق ، فضلا عن مـزاج سائر الحيوان • ثم اذن ان كانت مزاجا ذا عرض لكـن [٦٤ ب] الاشياء التي هي في عرض مزاج واحد لا تبلغ الى المضادة في المزاج • وقد نجـد ذوي انفس مضادة المزاج كما سنبين ذلك بعد هذا الكلام عنـد ذكـر المطالب الباقية • فليست النفس مزاجا اذ كان لا يخلو المزاج مما قسمناه وليس ان تكون النفس ولا واحد منها • وأيضا الاجسام المتفقة الكيفيات اذا اختلطت وامتزجت واتصل بعضها مع بعض لـم يعـط الاختلاط والامتزاج فيها تغيرا الا في الكم ، أعني انها تعظم فقط كالماء يمزج بالمـاء او قطعتان تسبكان معا • والذي يحدث بينهما هو النمو والزيادة في الكم وكيفياتها الخاصة بها محفوظة العين وثابتة الاصل • والتي هـي مختلفـة الكيفيات يحدث اجتماعها فساد كيفياتها وخلوع جـزء منها مثل مـزاج الخل مع العسل ، وغير ذلك من المتضادات التي باجتماعها يقع التغير فـي واحد واحد منها أو الفساد ، مثل سم الافاعي للانسان • وبالجملة العلاج لا يكون الا بالضد ، ولا يمكن ان يكـون وجـود كيفيتين متضادتين في عرض واحد • فصح بهذا النظر ان النفس ليست تتولد من امتزاج وهذا

يبين فاعلمه •

وأيضا أصناف التركيب أربعة : أحدها تركيب الاستقصات في المادة والصورة ، وتركيب المولدات في الاستقصات ، وتركيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء في المولدات ، وتركيب الاعضاء الالية في المتشابهة الاجزاء • فان جعلنا النفس صدرت عن التركيب الاول فيلزم ان الارض حية من حيث هي لا ما يطلقه اهل اللغة ، من حذف المضاف كما قال الله تعالى « واسأل القرية » (١) وهو يريد أهلها ، وكذلك الجماد • وان جعلناها حدثت في التركيب الثاني فالنبات والمعدن والحيوان واحد • وهذا تخليط ، اذ المعدن ليس بحي والنبات كذلك وان كان فيه بعض حس ، وقد يوجد فيه نوع من الحار الغريزي • وبالجملة النبات ليس له نفس • وقد رد ارسطو على الذي جعل له نفسا فانظره هناك • وما لنا به هنا حاجه فاعلمه • وان جعلناها في التركيب الثالث لزمنا التناقض، لكوننا انكرنا النتيجة الصادقة المقدمات وغلطنا في صورة البرهان واثبتنا الاصل وأبطلناه بفرعه • وكأننا قلنا كل انسان حيوان ، وكل حيوان يتحرك فكل انسان لا يتحرك وهذا لا يكون بوجه ، اذ المحال هو هو بعينه [٦٥ أ] والحد الاوسط هو ميزان العقلاء • ونحن نجعله غير مستقيم فنحن لسنا بعقلاء (٢) • وان جعلناها في الرابع لزمنا اشنع وأقبح وأعظم فساد • ومثلنا مثل من يقول كل حجر ليس بحي وكل حي متحرك فالحجر يتحرك • وذلك ان النفس قد قلنا فيها انها لم تحدث من تركيب الجسوم بوجه ولا يمكن ذلك كما تبين قبل في أصناف التركيب • ولا هي مركبة فانها لو كانت مركبة أو حدثت عن مركب لكان الجزء منها يفعل والآخر لا يفعل • وان جعلنا اجزاءها متشابهة وجعلناها جسمانية ،

---

١ ـ سورة ١٢. آية ٨٣ . والنص وسأل القرية .

٢ ـ أ و ب فنحن ليس بعقلا .

لزمنا ما تقدم عن عدم الحياة في الجسم وغير ذلك ٠ وان جعلناها روحانية وقلنا فيها مركبة ، لزمنا التناقض لان الروحاني مفارق للمادة ٠ فالنفس ليست مركبة ولا مزاج ولا ما حدث عن مزاج ٠ وأيضا المفردات التي تختلط وتتماس كالفول والحمص والشعير ليس يتولد منها وعنها شيء آخر غيرها ، وطبيعتها واحدة ويلزمها من طبعها ما يلزم واحدا واحدا منها ، ولا يقدر على دفع طبيعتها ٠ والانسان مركب من الاجسام النارية والمائية والترابية والهوائية ٠ وهذه طبائع مختلفة ولها حركات مختلفة والانسان يمنعها ويقصرها للحركات الارادية والاختيارية ، فمن ابن له ذلك ؟ فان جعلناه لكيفية ما تولدت عن هذه الطبائع ، فقد قلنا ان الطبائع محفوظة الاصل لا تتبدل ولا تتغير عن طبعها وعن كيفياتها ٠ اذ الحجر يتحرك الى الوسط والنار تتحرك من الوسط ، ولا يوجد منها ما يزول عن هذا الا في الحيوان ، فالنفس ليست من اختلاط الاستقصات ٠ ولا تولدت عن مزاج بوجه ، هذه الطبائع حافظة لطبائعها وحركاتها الطبيعية ، لانه يلزم من ذلك ان تكون هذه حافظة لطبائعها غير حافظة لطباعها (١) وهذا محال وبهتان ٠ وأيضا انا نجد القوى النفسانية في بعض المرض كالفكر والذكر والخيال ثابتة الاصل ، ثم تذهب في أقل زمان ويموت المريض ٠ فنقول : ان كان الذي به ثبات هذه ان كان شيئا حادثا عن مزاج ما ، فذلك المزاج ثابت بحاله لكنا نجده قد فسد بعد قليل ٠ فصح ان تغير المزاج في هذا الوقت الضيق القصير المدة ، انما هو لغير الجسم وانما هو الذي ترك تحريكه وتدبيره ٠ اذ الموت ترك النفس عمارة البدن ، والا في اي زمان وقع انفصاله وخروجه منه ٠ ونحن نجد القوى التي للنفس قبل قد بطلت مثل الشهوة والهضم ٠ والنفس الناطقة ثابتة وكاملة وعلى حالها بل نجد لها تحقيق [٦٥ ب] وثبات ورجوع الى

---

١ ـ في النسختين . لطباعها والترجيح منا .

الحق ووقوف عنده واستعداداليه • فالنفس ليست بجسم ولا مزاج ولا ما صدر عنهما • وأيضا ميل الانسان الى الشهوات الطبيعية وانغماره في اللذات الجسدانية يمنعه من تصور الحقائق وقبـول المعارف ، ويكتسب ذهنه بلادة • واقلاله من ذلك يفيد ذهنه حدة ويعينه على قبـول المعارف وتصور الحقائق • فدل ذلك على ان المادة الطبيعية آفة للنفس الناطقـة • وأيضا كلما انسلخت منها كانت أكثر تميزا وأصح معرفة • وينتج من هذه المقدمات ان يكون الموت أصح تميزا وأبصر للحقائق وأجل مقدارا لهـا لانسلاخها من جميع المـادة ، ولا يكون التمييـز والتصور الا بنفس • فالنفس اذا حية بعد موت الجسم • فصح ان النفس جوهر روحاني قائم بنفسه مستغن عن البدن وهو المحرك له والمفيد الحياة فيه وباق بعده كما تقدم البرهان عليه •

وقد وافق هذا البرهان الفلسفي من النص الشرعي قوله عز وجـل « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنـك غطاءك فبصرك اليـوم حديد » (١) • وقول نبينا (ص) « الناس نيام فـاذا ماتـوا انتبهوا » • وأيضا الحياة عرض ولا بد لها من حامل ، فان جعلناها محمولة على عرض فقد قلنا ان العرض يتصف ، وان جعلناها على الجسم فيلـزم ان تكون الجسوم كلها حية ، وهذا عين المحال • فبقي ان الحامل لهـا جوهر ليس في مادة ، ولا هو مادة ، وهو النفس • وأيضا لو جعلناها تابعـة لمـزاج البدن لكانت النفوس كلها واحدة بالصورة في كل واحد من المولدات من حيث هي مزاج • اذا المزاج واحد في كل واحد منها ، وهو كيفية تحدث من امتزاج الاستقصات بعضها مع بعض • ونحن نجد ما في الانسان مـن الفكر والروية والنطق ما يشبه شيئا من هذا كله وهو مباين لمـا ذكـر •

---

١ ـ سورة ٥٠ آية ٢٢ •

فالنفس ليست عن مزاج وهي جوهر مفارق للمادة موجود في العالم الروحاني .

وأيضا الجسم قد علم منه انه يتحرك اما الى الوسط أو على الوسط واما من الوسط ، كالنار والارض والفلك . والانسان مجموع من الجسوم التي تتحرك من الوسط الى الوسط . فلو كانت النفس من امتزاج الطبائع لوجب ان يكون نازلا طالعا في زمان واحد أو هابط الى مركزه ، ونحن نجده يتحرك [٦٦ أ] الحركات الارادية ويقسر الجسم عن طبعه . فصح ان ذلك الذي يقسره عن طبعه ويرده عنه شيء ليس بجسم ولا عرض وكذلك محرك الفلك . ولم نجد في عالم الكون من يشبه الفلك غير الحيوان ، لكونه يتحرك بارادة واختيار . والحركة في المكان تشبه الحركة عن الوسط والكلام عليها والجمع بينها وبين حركة الفلك يطول الكلام عليه وما لنا اليه حاجة هنا فاعلم .

وهذا المطلب يا فيلسوف قد تخلص على صناعتك وبحثك ، وهو هل ، وما دخل تحته من الذي شرطناه في أوله . وأنا أتكلم معك بحسب ما فهمت من فهمك وادراكك . واعطيك اشارة تفهم عزة المقرب على غيره وما هو من المكانة وقد قدمت عندك على ان الذي يرد عليه انما هو من فوق الافلاك وانما هو من شيء أعلى وأجل . والذي حملني عليه ضرورة ما يأتي بعده . واذا كانت المقدمة شرطا في برهان ما لا يحرز الحكيم من تطويلها وقلة انطباقها على الذي يفهم من مدلولها أولا ، فان الآخر يخلص معناها ويفسره . وكذلك لما أردت أنا ان أعلمك بحقيقة النفس وتكلمت معك على الوحدة والاضطرار والعدم وغير ذلك ، جاء الكلام غير متناسب وغير منزل عليها اذ البحث بهذه عن معنى آخر وصعب الجمع بين الاول والآخر من ذلك . فاعلم ان المقرب لما كان اعلم أهل الارض وان الذي يعرف من الاشياء هو الحق الواضح صارت مقدماته

مخالفة لغيره وبحثه كذلك • وليس لـه لارشاد الضعفاء سبيل الا بهـذه النسبة التي وضعتها لك • لان الغاية عنده متصلة بالذي بدأ به ويظهـر هذا بآخر أوضح من الشمس عند الزوال الصيفي فافهمه • وها أنا أرجع للكلام على النفس بحسب مذهبي وما يصلح ان يقال على هـذا المطلب المتقدم • وكذلك نفعل معك على كل مطلب من المطالب المذكورة ، اتكلم على كل واحد منها وبآخر اجعل لنفسي كلاما هو الحـق ، الذي لا شيء أبين منه ولا أظهر لكل ذي بصيرة ، وان ذكرت على كل واحد من هـذه المطالب من الكلام المنسوب للمقربين فهو دون ذلك فاعلمه فنبدأ بذكـره فنقـول :

روحانية النفس وعدم قابليتها للقسمة

العقل جوهر لا يتجزأ وذلك انه ان كان ليس بعظـم ولا جسم ولا يتحرك فلا محالة انه لا يتجزأ وأيضا فان كل متجزىء فانما يتجزأ اما في الكثرة واما في العظم واما في حركته • [٦٦ ب] فاذا كان الشيء على هذه الحال كان تحت الزمان لانه انما يقبل التجزؤ في زمان • وليس العقـل في زمان بل هو مع الدهر فلذلك صار أعلى وأرفع من كل جسم ومن كـل كثرة • فان الفيت فيه الكثرة فانما تلقى موحدة كانها شيء واحـد • فاذا كان العقل على هذه الصفة لم يقبل التجزئة البتة • والدليل عـلى ذلـك رجوعه على ذاته ، أعني انه لا يمتد مع الشيء الممتد فيكون أحد طرفيـه نائيا عن الآخر • وذلك انه اذا أراد علم الشيء الجسماني امتد معه وهـو قائم ثابت على حاله لانه صورة لا تضيق عـن شيء ، وليست الاجـرام كذلك • والدليل أيضا على ان العقل ليس بجرم ولا يتجـزأ ، ان جوهره وفعله شيء واحد • والعقل كثير من قبل الفضائل التي تأتيه مـن العلـة الاولى ، وهو وان تكثر بهذا النوع فانه ما قرب من الواحد صار واحدا لا ينقسم • والعقل لا يقبل التقسيم لانه أول مبدع أبدع مـن العلـة

الاولى والوحدانية أولى به من الانقسام • فقد صح ان العقل جوهر لبس بعظم ولا جرم ولا جسم ولا يتحرك بشيء من أنواع الحركة الجسمانية فلذلك صار فوق الزمان ومع الدهر كما بينا • والنفس صورة فيه ، وجوهرها مثل جوهره ، لكونها مفارقة للمادة • والجواهر المفارقة متماثلة وبالجملة منها ما يدخل تحت الزمان بوجه ، وان كان الظاهر منها انها ممتدة معه ، ودون الدهر كما ذكره افلاطون ، فهذا لا كما يظن وعلى ما يسبق الوهم اليه • فالدهر الذي هو العقل ممتد معه وهو الفصل حيث يتوجه خطاب كن بالكلمة الاولية • والزمان الذي يظن بالنفس انها ممتدة معه هو الفصل الذي يتوجه عليه خطاب أقبل بالكلمة الثانية ، لا حركة الفلك ولا مقارنة الحوادث ولا المعنى الكلي الذي يعقل من الليل والنهار والاثر المردد على أحوال العاد والعدد في [٦٧ أ] افكار النفوس ولا شيء من ذلك فافهم • والله المفهم فالنفس روحانية غير متجزئة وجوهر حي قائم بنفسه • لان العقل الكلي فيه صورة كل شيء وهو روحاني نوراني علام بالفعل وفعال بالفعل وجملته حب واستغراق في نظر الجلال والنظام القديم • والنفس منه مشتقة وكأنه لها مادة وغاية ومبدأ • الا انه لما كان لها اقبالين ، اقبال على مبدئها ، واقبال على الجرم الاقصى ، كانت علامة بالقوة فعالة بالطبع • وذلك ان وجهها الذي يتلو العقل الكلي لا حقيقة له ولا علم الا ما يرد عليه من الكلي • فهو بالقوة عالم بالنظر الى اكتسابه على الدوام • وبالنظر الى عالم الافلاك والكون علام بالفعل • والظاهر ان لها قوة علامة بها تعطي النطق لنا ، والفهم والعلم ، وقوة فعالة بها تصور جميع ما في عالم الكون من المولدات • وهذا على رأي فيثاغورس الذي اثبت النفس الكلية والمقصود من ذلك كله ان النفس جوهرة روحانية فانا نقول على هذا المذهب : العقل (١) روحاني غير متحيز ولا

١ – في أ . تحت كلمة العقل : العقلي ولا يعقل الا به ومنه .

ينقسم والنفس عن العقل ولا تعقل الا به ومنه ، فالنفس غير متجزئة ولا منقسمة • وهذا ما أردنا ان نبينه لك • وهذه الحروف يا فيلسوف قد ذكرتها لك فاسمع تركيبها كما هي العادة ، والذي نريد بها ان نجعل غايتك هي البداية ، بل لا نسبة بين الحق والباطل الا بحسب المجاورة • وجميع ما تسمع من المقربين في حروفهم المذكورة قبل كلامهم لا يعول عليه ، لانهم لا يعتقدونه • وارادوا بذكره ان يثبتوا للناس ما ليس عندهم من نسبة ما عندهم • وايضا اذا تكلموا بمذاهبهم مع غيرهم حسبتهم مجانين وتسقط مكالمتهم عنده • فنبدأ بتركيب الحروف فنقول :

العقول والنفوس والروحاني والكلمة والقضايا والفصل والصدور والوجود والشيء والحق والامر والذات والانية والهوية والوحدة جميع ذلك محمول على قضية ثابتة • والقضية تتفرع الى قضيتين مرددتين على ذاتها وممتدتان معها • وامتدادهما هو معقول ما ذكر • وهما مخبران عن احوالها السالفة والحاضرة • والقول [٦٧ ب] عليهما هو بعد تحصيل العدد فان العدد هنا هو المعدود • ولكل واحد ما هذه قضايا تخدمها والكل هو معقول المراجعة والفرض والتردد على قضية ثابتة ولا معينة • وان تعرض لتحصيلها ذهبت الثابتة التي هي اصل الانسان وهي المذكورة قبل ، فلا يعرف الله الا قضية لا تذهب بأخرى وكل قضية تذهب فانما هي معقولة • والعقول والنفوس لا تثبت قضاياها لانها موكلة بالم معين وطسم مخصص وكهيص مقدر (١) • فهي اذا ذاهبة والذاهب لا يعلم والذوات الروحانية ذاهبة فهي لا تعلم • ولا بد للقضية الثابتة ان تعلم وعلمها فيها وعنها ومنها واليها وبها • وبهذا استحقت العزة وانفردت بالبقاء فالله يعلم الله • والعبد يذهب عند الله • وان علمه فبه كأنه هو

١ ـ من حروف اوائل السور .

الوكيل على علمه وذلك لاجل عجزه عن علمه . ولذلك قال رسول الله اصدق كلمة قالها الشاعر « الا كل شيء ما خلا الله باطل » . والصدّيق يقول عند وقوفه على القضايا الذاهبة « العجز عن درك الادراه ادراك » وسهل بن عبد الله (التستري) يقول العالم عدم والارادة وجود والحق هو الله والله تعالى يقول في محكم كتابه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » وقال تعالى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقال الله « لا اله الا هو الحي القيوم » (١) . فافهم ذلك كله وهذا الكلام قد ركبته فاسمع الكلام على النفس بمذهب بحسب المطالب واعذر في ذلك . والا يحكم عليك بالادب الماضي لوجودك وما عندك من وجود هو داخل تحت قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » (٢) . فنقول : النفس صراط الخواص وكوكب القصاص ونور التدلل وجهد التذلل وغبطة القرائن وسراج افي وكون فن لكن ، وعذاب نفي وسلام يميز رضيت وحساب شمال وعيت ، ونعمة الزيادة ونقمة العبادة وخليفة النظام المضاعف بما وفاصل الجهاد [٦٨ أ] المحاسب والحروف على حرف بكلاّبهم . انقضى الكلام على مبحث هل ، وما لزم عنه ووجب عنده وفهم منه وعلى مبحث على والله يعين على الخير ويرشد اليه بمنه (٣) . فنبدأ بذكر مبحث اين كانت النفس قبل حلولها في البدن فنقول :

اين كانت النفس قبل حلولها في الجسد

زعمت الفلاسفة ان النفس الناطقة كانت قبل حلولها (٤) في البدن

---

١ ـ السور على التوالي : ٥٧ ، ٣ ـ ٨ ، ١٧ ـ ٢ ، ٢٥٥ .
٢ ـ سورة ١٦ آية ٥٣ .
٣ ـ نلاحظ بوضوح ان ابن سبعين عندما يريد الكلام على طريقته الخاصة انما يلجأ الى الرموز والتعقيد .
٤ ـ ١ ـ أختلفت الفلاسفة في ذلك فقائل كانت النفس قبل حلولها . . .

في الفلك المايل والشمس . ومنهم من قال هي في العقل الفعال . ومنهم من قال في النفس الكلية . ومنهم من قال في العقل الكلي . ومنهم من قال في معقول التركيب . ومنهم من قال في حركة الفلك وما يعطيه في عالم الكون من الامتزاج. ومنهم من قال في الكلمة. ومنهم من قال في القصد الاول. ومنهم من قال في العلم القديم . ومنهم من قال في النظام القديم . ومنهم من قال في الانية المطلقة . ومنهم من قال في الهوية المشار اليها بعد الانية. ومنهم من قال في الهوية المشار اليها قبل الانية . ومنهم من قال في تردد العلم القديم . ومنهم من قال في المشيئة القديمة التي هي غير زائدة على معقول القديم . ومنهم من قال كانت النفس قبل حلولها في البدن في الحروف المترددة على اقبل ، وزعموا ان ذلك صحيح واحتجوا عليه بقوله عليه السلام : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » . وجميع ذلك كله غير صحيح ولا هو حق في نفسه. والكلام على برهان كل طائفة من المذكورين قبل وما الذي حمل كل واحدة منهم على القول بذلك يطول الكلام به . وانا نختار لك منها ما هو انبه واجل حتى يظن بها انها هي الصادقة . فاعلم ان الطائفة التي وعدتك بذكرها ، تعتقد في النفس انها كانت قبل حلولها في الجسد في العقول المجردة صورة ممكنة بالقوة ، اذا نظر لها هنا . وان نظر جوهرها وماهيتها وغايتها ومبدأها فهي هي اعني العقول بالفعل . وهذا بالنظر الى الاعم من امرها والاولى بالنظر الى الاخص والممكن هي قوة منحطة ممكنة صدرت عن جنس شريف وجوهر رئيس ومحرك منزه ، ربطت بالاجسام الطبيعية لتدبرها وتحفظ نظامها. وبحسب قوة الاستعداد في المركب الطبيعي ولطافة جوهره وما يعطيه الحكم الفلكي والقصد الاول ترجع القوة المربوطة به بالقهقرة الى جنسها العالي وتتصل به . وكأن هذا الخط المذكور صراطها ، ان جازته جعلت في العالم المفارق للمادة، وان لم تجزه وغمرتها الاعراض المادية وحجبتها عن معناها [٦٨ ب]

الشريف انتكست • ولا تسمع انت معي هبطت وطلعت واتصلت ولها جنس وربطت فتظن ان ذلك هو على ما يعلم من الربط الحسي والطلوع الحسي والهبوط الحسي • والجنس الذي هو مقول على كثيرين فله انواع متوسطة وقسمة ونوع أخير وفصول مختلفة • وهو بالجملة الذي له الاشخاص الطبيعية والاعراض المادية فتظن المحال وتجهل الكمال • وجميع ذلك انما هو في المادة واعراضها ولواحقها • واما الجواهر الروحانية لا جهة لها ولا مكان ولا مسافة ولا زمان • وبالجملة نزاهة مطلقة ومفارقة محضة • وفي المطالب بعد هذا نبين برهان ذلك كما تبين قبل في الكلام على الفيلسوف فاجمع الذي ذكر لك في آخر هذه العقيدة بأولها يحصل لك الحق الواضح كما يترتب الحد الاوسط في المقدمتين المقترنتين • وجملة الامر عند الطائفة ان النفس الناطقة كانت قبل حلولها في الجسد في النظام القديم واجبة ، وفي الكلمة ثابتة ، وفي المبدع الاول صورة ، وفي العقل الفعال فعل واثر وسبب وصورة ، وفي النفس الكلية قوة ونوعا ، وفي الطبيعة محمولة ممكنة ، وفي المركب محركة ومدبرة ومتممة ومفيدة الحياة • وهي في الفلك معقولة في الحركة وفي نفس الفلك بالذات وفي عقله بالانية المطلقة وفي الشمس والكواكب والبروج بالقوة والاستعداد • وكما تعقل الصنعة والمصنوع في النجار والآلات فاعلم ذلك كله • وهذا المبحث هو الذي اين كانت النفس لا تتوهم انه اين المكان ، او ما يعقل منه المنطبق والمنطبق عليه فتجهل الصواب • وانما هو اشارة الى معقول المبدأ كما تقول اين العدد فيقال في الواحد • وفي مطلب اين نتكلم على اطلاقه الجسماني واطلاقه الروحاني فاعلمه من هناك • وهذا المطلب يا فيلسوف قد خلصته لك على مذهبك على مرادك وهو مخالف للحق واهله ومعين على الضلالة بجزئيه وكله • فاسمع حروف المقرب كما جرت العادة في كلامه معك ، فنقول :

الاولية ممتدة بذاتها وهي شرط في وجود الغاية • ووسط الخط الذي بينها وبين الغاية وكأن الخط بجملته اذا حقق أولية ومبدأ ، فان النقطة المتقدمة أولية بالاضافة الى الاخرى والغاية توهم الطرف الذي يلي غاية الخط • فاذا أخذناه مقدسا اجتمع الطرفان وان جعلناه مسرح الطرفين [٦٩ أ] علم الاول وانحاز في الذهن ومر الآخر الى غير نهاية • فان جعلنا النفس في أول الخط فهي متماثلة ولا تتقدم عليها الا اولية الخط المقدرة وان جعلناها في آخر الخط لم نعلمها لانها ممتدة ولا وقوف لها • وأيضا هذا الخط ان كان هو متشابه النقط فلا مقدم ولا مؤخر فيه وهو أمثلة وقضايا • وان جعلناه مختلفا فهو غير متشابه والمتشابه لا يصح فانه قد حكم على انه معقول الطول والامتداد والترتيب • والا اذا قلنا في النقطة المتقدمة انها انية اولية وهي المقومة للثانية ، وفي الثانية انها انية ثانية ومتممة للخط وشرط في وجوده اذ الخط معقول الطول والنقطة رأس الخط لا كالجزء منه ؛ فقد جمعنا المفترق وفرقنا المجتمع وهذا لا يصح • والمختلف لا يصح فانه ان قلنا انه اختلف فاختلافه اما ان يكون في الصورة او في المادة او في الغاية او في الفاعل او في الوضع او في الرتبة او في الكيف دون الانفعال أو في الكيف والانفعال أو في الجملة • والخط الروحاني لا يحمل هذا وانما هو معقول في الذهن • وأيضا ان جعلنا هذا الخط يبدأ من موجود وينتهي الى موجود وهو هو بعينه واحد فالاول منه هو الآخر فلا اين لبعضه على الآخر اذ الكل والبعض منه واحد ، والجميع في معقول الامتداد • وان جعلنا الطرف الاول معلوم المبدأ والآخر مجهول فقد قلنا بانقسام الواحد وجعلنا الامور المتوهمة موجودة خارج الذهن • فهذه الحروف قد تمت فاسمع تركيبها اذا حذف الوسط لا يعقل في المتقدم والمتأخر قبل ولا بعد ولا اين ومن وحد افرد ، ومن أفرد لا يعدد • والاضافة في اين ولا اين في الواحد وما طلب

بالاضافة وأريد به الوجود فهو ضده لان الوجود بنفسه واحد والاضافة ان جعلناها وجودين كان الواحد بعد الآخر بما هو وجود ، وهذا شنيع • وان قلنا واحد وانقسم فهو اشنع • فحقيقه مطلب اين كانت النفس ، ان أريد به ذاتها التي هي وجود وحق وشيء وذات وثبوت فهذا لا يصح ولا يجوز لان ذلك كله كله لا يكون الا في واحد • وهذا الواحد هو واحد ولا يضطر ولا يتبدل ولا يتغير ولا يتقدم ولا يعلم معه آخر • ولما صح له ذلك واتصف به وعلم منه ووجب له ان لا واحد الا هو ولا يعلم واحد دونه كانت النعوت المذكورة له واجبة واستحقها • وان أريد بذلك اين كانت وهي في رتبة الاثنين وهي شفع ووجود مقيد [٦٩ ب] ومخصصة وان ذاتها بذات وحقها بحق ووجودها بوجود فهي في الارادة • والارادة لا تكون هناك ميلا ولا قوة جاذبة ولا انفعالا ولا صفة غبطة ولا تمن ولا استحبابا وانما هي دائرة ونقطتها ذاتها ولا اول ولا آخر ولا محمول ولا موضوع • وكأنها مريد وهي هو وهو هي والعلم أعم أنواع هذه الانيات الروحانية والذات القديمة معقول وجودها • واختبر هذا بصناعة التركيب مثل اختبارك في الاينات الجسمانية كما تقول الفكر في النفس ، والنفس في العقل الفعال والفعال في الكلمة والكلمة في ذات الحق فأين النفس ووجودها ؟ اذا عبر عنه وسكرة التحقيق موجودة والمحقق المخبر نشوان• قيل الحق والله والقديم في مدلولها وهذه الانية اذا تذكرها المدرك وهو مستدل ولم تحذقه العلوم ولا ادبته المعارف قال « انا الحق » • « سبحاني » ، « ولا اله الا أنا » • لانه رحل الى منزل لا يدخل فيه بشفع ولا بوجود مقيد وحصل شروطه تلك ولم يضيع منها شيئا ، وانسته سكرة الوصول ان يفرق بين المطلق والمقيد • ووجد الخطاب فأطلق الجواب وحفظ الشروط فما وسعه الا ان قال « انا الحق » (١) • وان

---

١ ــ اشارة الى الشطح الصوفي الذي شهر به البسطامي والحلاج .

كان محققا ثابت القدم وحق لا حق ، وحق ان لا حق (٢) قال : « العجز عن درك الادراك ادراك » • فان الذي يشطح ويقول انا الحق هو اما في فترة من الفناء أو في قرب منه وكأنه آخر الرمق ، والقرب من الموت او غلبة مثل ما يحدث للمريض من الهذيان أو طيبة البقاء الذي يجده بعد الفناء • وبالجملة هو في غير تحقيق الوصول اذ هو حاضر ومخاطب • ومن مات لم يتكلم والموت هناك حياة فالشطاح غير ميت فهو غير حي حياة السادة • فهذه الحروف يا فيلسوف قد ركبتها فاسمع الكلام بها والله يسمعك بمنه وكرمه خيرا •

الاين علل الاينات المستعارة والاين خبر الهويات المضطرة • والاين في النفس سلام بمجرد أريد • واين النفس جواب سحقا سحقا • واين النفس لا سلف ولا رجوع وقهقرة الصدق فيها عامة ، ولا صبر لها عند لن • واين النفس حساب « أفي الله شك » • واين النفس عدد [٧٠ أ] ابواب جهنم وما هي أبوابها وكيف هي هي جهنم • وهذا المطلب يا فيلسوف قدانقضى الكلام عليه واقنع بالكلام الاول فيه • وابكي في الحروف على نهايتها واضحك في تركيبها واحكم في الكلام بها والله يعينك على الخير ، يا ظالما لنفسه اذا سألت عنها ، وبحثت عن العدم بالوجود ولم تستخر الله في ذلك ، وكنت مع الغافلين حتى اهملت طرق البيان والحق ، وقطعت صلة رحم الصدق وحجبت عن نور اليقين والسعادة ، وفتح لك باب البغضاء والعداوة• فخذ ما بيدك والقه كما القت الارض ما فيها وتخلت ، واتبع قول المقرب في كل مبحث وها أنا أذكر كيف حلت •

حلول النفس في الجسد

مبحث حلول النفس في الجسد اختلف فيه جماعة من الفلاسفة فمنهم

---

٢ ــ كذا في النسختين .

من قال حلولها فيه من اجتماع الطبائع واستعداد المزاج الانساني وذلك بمزاج ما وصورة ما ، وهذا قد تقدم بطلانه • ومنهم من قال حلولها ما بين الحركة الفلكية واحكام النجوم وخصوصا العقل الفعال واذا تمحضت المادة وتحركت في الكم ربطت بها قوة من العقل الفعال ؛ وذلك هو مبدأ كلي من المبادىء الاولية والقول فيها ينقسم بعد وهذا صحيح • فان الحركة فعل جنسها العالي وجنسها العالي هو هي بالجوهر وباطل ان يفعل المثل مثله • وانما الذي ظنه هذا القائل هو ما غلط الذهن في الجزئيات والكليات الروحانية وهذا انما هو بحسب الموضوع لا بحسب المحمول والجواهر المفارقة للمادة منزهة عن هذا كله • وما ظنه الغالط انما هو تدبير الذوات الروحانية لعالم الكون • ولما كانت النفس لا متصلة ولا منفصلة بالجسد وجب ان لا يقال حلت حلول الماء في الاناء ، ولا حلول العرض في الجوهر ولا شيء من ذلك كله • وربما يسبق الى الوهم انها مركبة او محتوية او حاوية او لبست الجسد او لبسها • كما ظن بعض الناس ان الجواهر الروحانية لبست العالم • وانما يقال في النفس انها تمام للجسم او محركة له • وبالجملة هي الحياة والحركة ، والجسد [٧٠ ب] هو السكون والموت • وهي في العقل الفعال صورة والفعال في العقل الذي يليه صورة • وهكذا الى الكلي والجميع مقيد بوجود الحق• وهو علة كل شيء وفاعله وغايته وصورته • وانا لا أريد بالصورة التي هي شكل وتخطيط ، ولا الصورة التي هي النوع ، لانه لا يوصف بالصورة • ومعنى ذلك ، لما كان وجود غيره مقتبسا من وجوده كان من هذه الجهة كأنه صورة الموجودات اذكانت انما توجد بوجوده كما يوجد المصور بصورته وصار وجوده كالجنس الذي يجمع الانواع والأشخاص • وان كان الله تعالى يتنزه عن ان يوصف بجنس او شخص ولكنه تمثيل وتقريب لا حقيقة فيصير المعلوم أيضا من هذه الجهة واحدا• فنرجع لحلول النفس في الجسد كيف كان حلولها من الانية القديمة ،

والانية المبدعة الاولية ، والنفس الكلية ، والاشخاص الفلكية ، والاجسام الطبيعية والكيفيات المفردة • واعطى كل واحد مما ذكر في حلولها مـــا عنده وما في ذاته بالذات • فالحق يعطي الوجود ، والمبدع الاول يعطـــي التعريف • والنفس الكلية تعطي الصورة المجردة في الهيولي الاولـــى • والاشخاص الفلكية تمحض الزبدة في محمول الطبائع • والطبائع تعطـــي الموضوع لذلك • وهي مع الجسد غير حالة فيه ولا مركبة وكأن تركيبها نوعي فانا نقول الانسان مركب من نفس وجسد وروح طبيعي ، فالنفس غير الجسد والروح غير النفس ، اعني الحيواني • وأما الروح الامـــري فهو هو النفس عند الشرائع او كما نقول الوجود فيـــه الرب والعبـــد ، والعبد عن الرب • ولا يطلق الجسد مع النفس الناطقـــة الا كمـــا يطلق الشيء على كل ذات وشيء كل واحد خاص به ولازم له ومفارق لغيره • ومعرفة كيف حلت النفس في الجسد بهذا النظر غير صحيحة وهذا ممـــا غلط الفلاسفة فأضر بهم ان وقفوا عند صنائعهم وتركوا أهل [٧١ أ] الحق وسخروا بهم • وان اجتمعوا معهم في البعض فهم ينكرون عليهم الكل • ولم يعلموا ان النبوة جاءت بأمور أجل وأعلى • وقد سلم افلاطون فـــي ذلك في كتاب طيماؤس حين تكلم في العوالم العالية • وها أنـــا أبين لـــك فضل الشرائع على الفلسفة وتحقيقها للامـــور فنقول : قولهم في حلـــول النفس في الجسد انه من العقول والنفوس والحركات الفلكية والاجسام الطبيعية وقيام الاشياء كلها من عنصر وصورة وحركة ، والاشياء القائمـــة ثلاثة حيوان ونبات ومعدن • والعناصر أربعة نار وماء وارض وهـــواء • والحركة حركتان حركة الكلي من المشرق الى المغرب وهي حركـــة الفلك التاسع • وحركة الجزئي من المغرب الى المشرق وهي حركـــة النجـــوم وسائر الافلاك السيارة • والصورة صورتان آليـــة وهيئية ، وهي تنقسم الى حيوان ونبات واحجار • وألفوا العنصريـــة مأخوذه مـــــن العناصر

الاربعة ، وألفوا الحركية مأخوذة من الفلك واشخاصه . فالقوى الصورية وهي الامثلة لا محالة مأخوذة من عالم الصور وهـي عالم الملائكة . ثـم لا ظهور لشيء من الحيوان والنبات والمعدن الا بصورتـه . فالعنصر اذا والحركة في احاطة الصور والمحاط بـه داخـل في حكم مـا أحاط بـه ، فأفعال العناصر داخلة في احكام أفعال الفلك . وأفعال الفلـك داخلـة في أحكام افعال الملك . وافعال الملك داخلة في حكم أمر الله، وافعال العناصر والفلك والملـك داخلـه فـي حكم أمـر اللـه تعالـى . فاحاطة امـر الله سبحانه من وراء كـل احاطة وامـر الله تعالـى قدرتـه وعلمـه . قال اللـه تعالـى : « اللـه الـذي خلـق سبـع سموات مـن الارض ومثلهن يتنزل الامر بينهن ليعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما » (١) . وتنبه يا أخي لقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير . فلام لتعلموا في اللسان العربي تسمى بلام كي ، وهي تعطي التعليل . وكأنه قال ذكرت لكم هذا لكي تعلموا وتبحثوا حتى يقع لكـم العلم بقدرة الله عز وجل وعلمه . ويحتمل ان يكون الامر اتصل بكـم بنور النبوة لتعلموا ان الله على كل شيء قدير ، وتدبر هذه الآيـة فهي تشمل جميع ما سألت عنه على الوجه الصذحيح مثل قوله تعالى ، والامـر عند المتشرعين هو العقول المفارقة عندكم البرية . فان قلتم كيف يصح على المفارق للمادة ان ينتقل وهو لا يدخل تحت الزمان ولا يطلق عليه المكان وهو لا يزول ولا يتحرك وهو بالجملة جوهر منزه عن المادة واعراضها . قلنا لكم العرب قد تخبر عن الشيء بالسبب الموقع له وعلى هـــذا قال الشاعر :

اذا نزل السماء بأرض قوم رعينـاه وان كانوا غضابـا

---

١ ـ سورة ٦٥ آية ١٢

فيسمي النبات باسم ما هو سبب المطر ، وسماه به لما كان منه [٧١ ب] وهو الاصل في وجوده • ألا ترى ان الكتاب اذا بلغ الى المرؤوس من الرئيس وهو يتضمن الفاظا تدل على أمره ونهيه فيقول هذا أمر الملك ورد بكذا وكذا • وامره صفة قائمة بذاته وصفة من صفاته لا يصح ان ينتقل عنه لانها غرض لا يقدم بنفسه • ولما كان سبب حركات الفلك جواهر مفارقة لا يجوز ان تكون في مادة سميت امرا ، ونفوس الآدميين من الامر المذكور• كان الامر يتنزل في الارض كما يتنزل في السماء ولذلك قال : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » • والانسان من عالم الامر ومن عالم الخلق وقد أخذ من كل من العالمين بقسط وضرب له في كلا الطرفين بخط • فمن حيث هو يطعم ويتحرك ويغضب وينكح وينام ويجهل ويبكي ويضحك هو في عالم الخلق • ومن حيث هو يعلم ويعقل ويتهدى ويجوز عالم الافلاك التسعة وحركاتها ويجوز عالم النفس حتى تحل في عالم العقل وهو الجبروت ، وهي الكلمة التي لا تخض عنها خافية ولا يحوزها صورة ومنها انبعثت الصور ، وليس فيها مكان ولا زمان ولا كيفية ، ولا حركة ولا هيولى بل الاشياء فيها مجردة ومفردة ومتكثرة وليس فيها قوة بل الصور فيها ثابتة وراجعة على انفسها وغيرها لما فيها من مطالعة الباري عز وجل تحت شرفها ، فهو أعزك الله بهذا الوجه، في عالم الامر • ونفسه جوهرة قائمة بنفسها ليست بجسم ولا منطبعة فيه ولا تفنى بفناء البدن بل تبقى ابد الدهر اما ملتذة واما متألمة •

أعزك الله هذا الطلب قد تكلمت معك فيه على ما تقتضيه صناعتك واصطلاحك فافهم كلام المقرب ، المقرب يرى ان حلول النفس في الجسد ربط خصص عن كلمة قاهرة صادقة وانية منفردة ونظام متوحد لا صورة فيه الا واجبة وكأن الذي هناك واحد يظهر على كثيرين والكثيرين مراجعة ممتدة بالجواز وأصلها الوجوب وجملتها اذا ظهرت في قضايا وسميت

عالما معقول كن بالفتح المبين وغايتها اذا فقدت بقضايا وسميت هالكة معقول فمن بالنصر العزيز الرفيع . هذه الحروف فاسمع تركيبها . الا بد قضايا ، والقضايا أزل ، والازل على مشار ، والمشار على ذات ، والذات واحدة ، والواحد غير زائد على طبيعة الوجود . والموجود في الهوية حق ، والحق في الانية ثابت والثبوت يخبر عنه بالضرورة فان حذفت القضايا العدمية اخبر عن نفسه وهو الخير الحق . وان اثبت القضايا العدمية [٧٢ أ] يخبر عنه غيره وغيره به ومنه وعنه وله وفيه . وهذا هو المراد بقوله (ص) عن ربه : « كنت كنزا لم أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني » . وهذه الحروف قد ركبت يا فيلسوف فاسمع الكلام : المعروف هو هو بعينه الذي قبل والمقبول هو هو بعينه الذي صرف . والعبادلة القول عليهم واحد . والصمدية النظر اليها مختلف . والتعريف اذا كان عن مراجعة فهو الكلمة . واذا كان في وجوده الثابت فهو الاول . واذا كان جمل وتعدد فهو الآخر . والجمل والعدد والثبوت والكلمة والمراجعة والتعريف والصمدية هو القديم . والقديم اذا اخبر به وعنه يقال له اله فالله هو الاول والآخر والثابت والمتكلم المعرف . وبالجملة كل شيء هالك الا وجهه . وهذا المطلب قد تم وقد صح عندك ان كنت ذا بصيرة ممن يجب ان يسمع منه ويعقل عنه ومن هو الميت من النفوس الجاهلة بالاضافة الى نفوس العلماء . واعلم ان قلوب المقربين مفتوحة وصدورهم مشروحة ، متسعة بنور الهداية والتوفيق والعلوم والمعارف والتحقيق . وقلوب الفلاسفة الذين لم يسمعوا من المقربين حرجة وضيقة ومنغلقة ومظلمة . وعقولهم قاصرة وافكارهم تائهة ، ونفوسهم ممتلئة من وساوس حديثها . وفي القرآن آية تشرح أحوال المقربين السنية وآية تشرح احوال الظالمين الجهلة . مثل قوله تعالى : « الله نور السماوات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة

كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار • نور على نور يهدي لنوره من يشاء • ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم » (١) • ومثل احوال الظالمين قوله « أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها • ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٢) • فارجع يا فيلسوف للجادة واستفهم عليها يبلغك المطلوب الشريف ودع الحيرة ولا تتبع الحائر فتهوى في النار الف خريف • واعلم ان ما عندك هو عين الظلام وذات الضلال ، والذي تطلبه هو نفس النقص وضد الكمال وانت على الاطلاق في مهواة من التلف ، وتحمل وان لا تعلم الى غير دار السلف • وعلمك لا نجاة فيه [٧٢ ب] ولا رشد ولا يؤدي الى فلاح وعشيرتك بئس العشيرة لا عافية لها وما لها سبيل الى الصلاح ، فعليك بالبحث الشرعي ، والهداية المحمدية وتفهم الالفاظ البكرية والعمرية وتحصيل اشارات أهل البيت ونصوصهم واقتدي بهم في قصصهم واقتصاصهم ان اردت أن تسعد وتصعد وتجزى وتكرم ولا تبعد • وجميع الفلاسفة لا أصل لهم فيطلب منهم الفرع ولا زريعة زرعوا فيتكون لهم الزرع والذي عندهم هو مكتسب من الهرامة والمقربين فيما سلف • وهو على غير ما هو عليه عندهم ومعناه قد تلف ، والا تصفح ما اذكره من كلام هؤلاء وهؤلاء وقس الحق بالباقي وانظر سعي المقربين والمتفلسفين ومن ظفر منهم بالسعد والشقاء • والله يشرح صدرك وينجح سعيك ويكثر خيرك بمنه وكرمه • وها أنا أذكر لك مبحث كيف رباط النفس مع البدن واحوالها معه وتعريفها له واقامتها فيه وجملة امرها

---

١ ــ سورة ٢٤ آية ٢٥ .

٢ ــ سورة ٢٤ آية ٤٠ .

في عالم الكون كما جرت العادة معك فاعلم والله (١) يعينك ويعلمك ويفهمك بفضله •

اعلم ان تركيب النفس في الجسد والبحث عنها وعنه على انفراده بحسب اجتماعهما وما الكل منهما والى كم ينقسم الكلام عليه والى اين ينتهي وما فائدته وما المقصود من كل واحد منهما ، لا يحمله هذا الكتاب، وقد تكلم الغير في ذلك وخلصه على زعمه وتقدر ان تنظر ذلك في كتب القوم • وانما غرضي ان أذكر مذهبك بحسب ما يظهر لي ونريد بذلك ان نقدم الكلام معك مقدمة فنبني عليها جوابي وخطابي • فان غرضي ارشادك والله يعلم ذلك وكفى به شهيدا • فنقول : الكلام على تركيب النفس في الجسد ينقسم على خمسة أقسام • احدها العلم بأحوال الجسد وما هو والى كم تنقسم بسائطه ومركباته وما هو وكيف هو وتركيب اجزائه واعراضه اللائقة به كم هي والامور التي انفرد بها دون النفس والقوى التي حدثت عن مزاج البدن كم هي • وهذا تقف عليه من كتب القوم على التمام • وها انا نلوح لك بقدر ما تحتاج اليه فاعلمه فنبتدأ فنقول : الجسد هو المجموع من المفردات الاربعة ، النار والهواء والماء والارض • وهو أحد المولدات الثلاث وهو مركب منها وحدث من اجتماعها وامتزاجها كيفية يقال لها مزاج • وهو المحمول على اخلاطه والاخلاط الاربعة وما هي • وقد ذكرتها لك في كتاب العلم على مذهب الفيلسوف • والجسد بالجملة هو الطويل العريض المتحيز الذي له الجهات الست ، الثقيل النازل بطبعه الى الوسط اعني جسد الانسان الميت من حيث هو على انفراد من النفس المتحرك ، والمشار اليه بالحركة اذ كانت [٧٣ أ] النفس فيه • الحي بالقوة الاولى المتمم بالنفس لا الحاوي على

---

١ ــ الله ساقطة في ب .

الطبائع والعناصر المجموع منها • وينقسم الى الاعضاء المتشابهة الاجزاء• وهي تسعة جواهر وهي المخ والعظام والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر ، وكل واحد منها هو الشيء الذي تركب منه تركيبا أوليا وهو موجود فيه غير منقسم بالصور أعني غير منقسم الى أشياء مختلفة بالصورة • وقد يطلق على كل واحد منها انه هو الذي الجزء منه والكل واحد ، وجواهره متماثلة متفقة • وقد يطلق عليه انه الاول الذي تركب منه الجسد والثالث في اصناف التركيب الذي في عالم الكون فان الاستقصات مركبة من المادة والصورة ، والمولدات مركبة من الاستقصات • والاعضاء المتشابهة الاجزاء مركبة من المولدات • والاعضاء الآلية مركبة من المتشابهة الاجزاء والقوى والافعال والحركات محمولة على الجميع فافهم ذلك • والاعضاء الالية هي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان والقدمان والفخذان والساقان والوركان • والمتوسطة : الدماغ والنخاع والقلب والكبد والطمحال والمرارة والمعدة والامعاء والكليتان والاثيان • والرئيسة أربعة : الدماغ والقلب والكبد والاثيان (١) • وهذا كله تقف عليه من كتاب التشريح • وأردت بذكره هنا لكي تعلم ان الجسد بجملته آلة تصرفها النفس ونبني على ذلك مقصودي • والابواب التي في الجسد اثني عشر بابا وهي : العينان والاذنان والمنخران والسبيلان والثديان والفم والصرة • والقوى سبعة وهي : الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغازية والمنمية والمربية ، وتلحق بها قوةأخرى هي المولدة • وهذه القوى تنقسم الى خادمة والى مخدومة • وجملة الامر الجسد والاعراض المادية آلة وأشياء لا فعل لها دون النفس ولا حركة • وهذا القسم الاول قد تم الكلام عليه بتقريب •

---

١ ــ كلمة غير واضحة في . والجملة بكاملها على هامش أ . وهذه الكلمة فيها كذلك غير واضحة ومصححة . والترجيح من قرائتنا لها في أ.

والقسم الثاني هو النظر في الحواس وما هي ولماذا توجد وتفقد عند واحد واحد وفي أي نفس هي • وما القوة الخيالية والمفكرة والذاكرة والحافظة والصانعة والناطقة والنزوعية والوهمية • والنفس النباتية والحيوانية والناطقة والحس المشترك • وهذا القسم ينظر في لواحق الجسد بما أعطته النفس واظهرت عنده وتممت له [٧٣ ب] ينظر في صدور ذلك عن النفس المشار اليها وفي انفعالها ، وبالجملة ينظر في الامور المشتركة بينها وبين الجسد • والقسم الاول ينظر في الجسد خاصة دون النفس وان انجر في معرفة الكلام عليها فذلك بالعرض • وها أنا نتكلم لك على كل قوة وعلى كل ما عددته في هذا القسم مما يطلق على الانسان ويعقل فيه فنقول :

اسم الانسان يقع على مجموع النفس والروح والجسد وهو جملتها ، وهما مقومان لوجوده • فمن حيث يطعم وينكح ويشرب ويبول ويغوط هو بهذا الجسم وكأنه بيت للنفس على وجه ما وآلة على وجه آخر وقشر على وجه ثالث • وهي اللب له (١) وساكن ومصرف • ومن حيث يفعل ويعلم ويتحرك في المكان ويفكر ويحس وينطق ويتخيل يغتذي وينمو وتتباعد اقطاره عن وسطه هو نفس ناطقة وحيوانية ونباتية • وسعادة الانسان ليست في شيء مما ذكر الا في النفس الناطقة وهي العاقلة والمكلفة • والنفس الحيوانية لا تعقل وهي ذاهبة ، والنفس النباتية كذلك • والجسد لا يتصف بالفضيلة ولا بالرذالة ولا بالسعد ولا بشيء من ذلك كله ، وان كان بعض الجسوم معظم في ظاهره ، فهو بحسب المحمول عليه لا بما هو جسد ، كاجسام الانبياء عليهم الصلاة والسلام • وهذه القوة التي بها يدرك الانسان المعقولات هي جوهر بسيط ليس

١ ــ له ساقطة في ب .

بجسم ولا يخرج من القوة الى الفعل ولا يصير عقلا تاما الا بسبب عقل مفارق ، وهو العقل الفعال الذي يخرجه الى الفعل • ولا يجوز ان تكون المعقولات منحصرة في شيء متجزىء أو ذي وضع • وهو مفارق للمادة ويبقى بعد موت البدن وليس فيه قبول قوة الفساد ، وهو جوهر آخر وهو الانسان على الحقيقة • وله قوى منه تنبث في الأعضاء وظهوره من واهب الصور يكون عند ظهور الشيء الصالح لقبوله وهو البدن المستعد لقبوله فحينئذ يستحق الظهور • وذلك الشيء هو الجسد والروح الكائن فاعلم ذلك • وانا نتكلم لك عليه ونخلص الكلام على كل واحد من مجموعة فنقول :

معنى الجسم والحواس

قد تقدم الكلام على الجسم انه الشيء الطويل العريض العميق وهو بالجملة مركب من جوهر [٧٤ أ] وصورة • والجوهر هي المشار اليه بالشيء والصورة ما يفهم من الطول والعرض والعمق ومجموعها يكون الجسم جسما • وهذه الابعاد صورة مقومة لوجوده ، ولا تلتفت للذي يجعلها صورة متممة ، ولا يجب ان يقال له جوهر دون ان يتبين ما هو من الجواهر ، هل هو روحاني أو جسماني فان العقل والنفس جوهران ولا يوصفان بالطول ولا بالعرض ولا بالعمق • وهذا أحد الفروق بين الجواهر الروحانية والجسمانية فاعلمه وهو بطبعه لا يتحرك ولا يحس ولا يعلم ولا يعقل ، وله ست جهات ، ولم تكن الحركة عنده لجهة أولى من جهة من حيث هو جسم • ولما رأيناه يتحرك بجهة بدلا من جهة أخرى ، ويفرق بين الخشن والاملس ، والطيب من الروائح والخبيث ، والحد من الصوت والضعيف ، والمالح والحلو والابيض والاسود ، علمنا ان ذلك بجوهر آخر هو يصرفه وكأنه له آلة ، وهو الحي • اذ الجسم قد علم منه انه غير

متصف بشيء من ذلك • وقد تبرهن في السماع الطبيعي أن الحركة صورة روحانية داخلة على الجسم متممة له والاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون التي يقال ان الجسم لا يفقدها ولا ينفك عنهما فذلك وهم ، وباطل ان يثبت للجسم من حيث هو جسم • وانما ذلك لبعض الاجسام دون بعض • مثال ذلك حركة الطبائع تابعة لحركة الافلاك ، وحركة الافلاك تابعة لنفوسها ؛ ونفوسها مرتبطة بالجوهر الاول • والمولدات التي هي لكل واحدة منها قوة محركة فان كان الشخص المتحرك نباتا حركته النفس النباتية ، وان جعلناه حيوانا حركته النفس الحيوانية ، وان جعلناه معدنا حركته الطبائع التابعة لحركة الفلك • وانا نبين لك ذلك عند الكلام على جملة المركب • وأول ما نبدأ بالحواس الخمس وان كان الكلام على القوة الغاذية اولى ان يقدم • فنقول : الحواس آلات وأسباب متوسطة بين النفس والجسد والمدرك وهي خمس [٧٤ ب] تحتاجها النفس لمعرفة الاشياء المحسوسة ، كما تحتاج القوى الروحانية لمعرفية الاشياء الروحانية ، وكأن الجميع لها شباك تصطاد بها جميع المعلومات وتحصلها بها وهذا لضرورة المادة وعمارة البدن • فاذا رحلت عنه واتصل العقل بها ، وصار العلم والعالم والمعلوم عندها واحد فلا تحتاج لشيء من ذلك كله • والحواس فصول متوهمة بين الحاس والمحسوس وآلات رابطة بينهما ، والحواس موصوفات مقيدة تحت موصوف عام وهي بالجملة اثر وفعل للنفس ولاجل ما وقع في النفوس الجزئية الغير والخلاف والعدد من أجل المادة ، اقتضت الحكمة الالهية ان يتم الادراك النفساني ويجعل فيه من كل عالم آلة مبلغة لمعناه ومفهمة له والانسان مجموع من جوهر جسماني وجوهر روحاني ؛ فأعطي من العالمين بما يحصلهما • كما ان الانية الثانية المبدعة لها هويتان ، هوية متعلقة بكلمة الانية الاولى وهي ذاتها بالنظر المحرر وهوية تتمم صور

الانية الثالثة • وتقيم معنى العالم ، وهي ترجمان النظام القديم • وهي خمس العين والاذن واللسان والانف واليد اكثرها حسا • وعند ذكر حاسة اللمس يتبين الامر في ذلك • وكل واحد من هذه عضو لجسد الانسان يخدمه بقوة حساسة نفسانية • والحواس آلات جسدانية والقوى الحساسة قوى روحانية نفسانية والحس تغير مزاج الحاس ، والاصح ان يقال تغير مزاج كيفية الحواس عن تناول المحسوسات لها • أو يقال صورة تنشأ ، تقلب طبع الحواس الى ذاتها اما بالذات واما بالعرض • أو يقال صفة تنوع هيئة الحواس وتتصل بها وتحمل عليها مع الهيئة ويقال للحس صفة تطرأ على الحواس تخلع منها صفاتها وتحل هي فيها صفة لها وهذا بالضرورة • ولا وقوف لها عن ذلك ولا تعقل الا هكذا • ويقال الحس صفة تعطي خبرا وتسلب خبرا ، والاحساس ادراك تلك القوى الحساسة التي زاد على أمزجة الحواس • ويقال شعور تلك القوى الحساسة بتغير كيفية أمزجة الحواس • ويقال الاحساس حذف الحادث الذي حدث على الحواس للحس • والاحساس انفعال طبيعي مقوم لطبيعة الحس ومحمول عليه • والمحسوسات هي الاشياء المدركة بالحواس ، وهي اعراض محمولة على الاجسام الطبيعية متعلقة بالحواس ومؤثرة فيها ، حتى تغير الكيفية أمزجتها • ويقال المحسوسات، هي الابعاد الثلاثة ، وبريق [٧٥ أ] شعاعات سطوحات الاجسام • ويقال المحسوسات الجواهر الجسمانية والاعراض الجسمانية غير ان الجوهر لا يحس الا بواسطة العرض • ولولا ما شرطت معك يا فيلسوف ألا تتكلم معك الا بحسب مذهبك ، لذكرت لك في الحس والمحسوس والاحساس ، ما لا تصل اليه بعقلك ومعقولك • ورب الناس ، وها انا نبدأ بذكر كل حاسة ما هي واجناس مدركاتها وماهيتها بحول الله فنقول :

اللمس قوة تدرك الملموس • والملموسات كثيرة ، وانواعها لا تحصى

وأجناسها محصورة كما نبين بعد . وقد يظن بقوة اللمس انهـا أصناف كثيرة على موضوع واحد لانها شائعة في جسد الحيوان ، ولا يوجد لهـا عضو مخصوص مثل ما يوجد لسائر الحيوان وانها قابل معروف النـوع ومحدود الذات وهو نوع اللحم وما أشبهه أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له . وهذا هو الظاهر في أمرها ، فان الجلد ان جعلناه هو الـذي يعطي الحس نظرنا فيه لم نجده يعطي الحس الاول ، لانه اذا سلخنا الجلد وجدنا اللحم يحس أشد مما كان والجلد لم يسلخ . وهذه الحاسة موجودة فـي كل حيوان وبحصولها يكون الحيوان حيوانا . وهي للحيوان بالاضافـة للقوى الاخرى قوة مقومة لوجوده . وان فقدت من الحيوان ارتفع معنى الحيوانية عنه وعن عضو من أعضائه اذا فقدها ، وكل حاسة لها لمس ما . وهذه الحاسة في الانسان أظهر لانه رقيق الجلد وخاصة في راحة اليدين وفي وجهه ورأس ذكره . وكذلك الالطف فالالطف وهي عامـة في سطـح بدن الحيوان وقد يظهر انها متوسطة بين الجلد الخارج والجلد الذي يلي اللحم. وقد قيل هي مشتركة بين الجلد والعصب واللحم. وقيل هي محمولة على الدم . وقيل موضوعها الاخلاط ومحمولها الحار الغريزي . والكلام على خلاف الناس في هذا يطول ذكره ، اذ أكثره لا يصلح واللحـم هـو أظهر في ذلك . واعلم ان المدركات انحصرت في أربع وهي أجناس عاليـة وهي : الحرارة والبرودة والرطوبـة واليبوسة . ويتبعهـا في أشخاص الملموسات مثل الخشونة والصلابة والرخاوة والملوسة واللين وغير ذلك . وهذه متضادات وكل مدرك منها له كيفية خاصة به تعطى منها للحس غير الذي يعطيه غيره من الاضداد المذكورة . وذلك ان الذي يحصل للقـوة الحساسة من ادراك الحرارة غير الذي يحصل لهـا مـن أدراك البرودة وادراكها لها بقوة واحدة وهـي موضوعة للمتضادين . والشعور بكـل واحد منهما واحد والخبر خبران بالشعور المذكور ، فان القوى الحساسة

تتبع الموجودات في ترتيب وجودها وكأن كل قوة على مدركاتها المتضادة وادراكها بقوة واحدة حساسة مشتركة جزئية • مثـل اجتماع الحواس الخمس في الحس المشترك • والحس المشترك في النفس أو هو هي بنظـر ما فافهم ذلك • وانظـر كيف نطـق مـن الاخص فالاخص والانقص فالانقص • ولما كانت [٧٥ ب] هذه لا تنفصل في وجودهـا في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة •

ولما كان كل جسم من الاجسام الغير المعتدلة خارجا عـن الصورة المتفقة والهيئة الواحدة والتناسب في الاجزاء فقد أدرك اللمس والشعور به وهذه الآلة ، آلة اللمس ، معتدلة بين الحار والبارد والرطب واليابس • والمعتدل بالجملة هو على وجه ما ولا واحد من الطرفين وهو بوجه آخـر كل واحد من الطرفين بالقوة • وهذا مما شك فيه بعض الناس بأن جلـد اليد هي المعتدلة بين الاطراف فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة الى بعض آلات اللمس • وهذا الجسم هو الحار الغريزي • وما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلت بـه الاجسام التـي يسميها ارسطو (١) سبيلا ، ويسميها جالينوس عصبا • لانها تأتي بالبرودة النفسانية التي في الدماغ ، وكذلك أي عضو لم يتصل به سبيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى و لاالعروق الضوارب وهي مملوة من الروح الغريزي • فاما كيف تكون برودة نفسانية وذلك مما قـد تبين خلافه • فان آلة النفس هو الحار الغريزي • لان البرودة تقال على الاطراف وعلى الاوساط والتي في الدماغ لا يمكن ان يكون طرفا وانما هـو وسط • وهو ما بين المعتدل والطرف وانمـا يكون الوسط وسطا لمخالطـة الضد

---

١ ــ قبل ارسطو بزيادة الحار في ب .

٢ ــ فكرة الحس المشترك تعود لارسطو . وقد قال بهـا ايضا فلاسفـة القرون الوسطى والاكويني خاصة .

فتلك البرودة يخالطها حرارة نفسانية . وبما يكون في تلك المرتبة فهي نفسا نفسانية من جهة ما هي حرارة ، لا من جهة انها برودة . أو هي بالرتبة تلقب الطرف . واعلم ان الحواس الخمس تتحرك عن المحسوس حركة وهمية وبالجملة كلما ينفعل عن الشيء فهو متحرك عنه ، وكل متغير عن شيء آخر غيره فهو منفعل عنه . والحس كما تقدم الكلام عليه تغير مزاج الحاس عن مزاج المحسوس . فالحواس متحركة عن المحسوسات . وأنواع الحركات قد تقدم الكلام عليها وخلص القول عليها فطالعها وحققها تعلم ما أقوله لك في المتحركات كلها . فان المنفعة في معرفة الحركة كبير جدا لا سيما في الطبيعيات ، وفي الذي نريد بيانه من المبادىء الالهية ، واذا حقق أمر الحركة وماهيتها حصل في النفس من معرفة الفلسفة المقصود . وانظر ذلك في كتاب السماع الطبيعي للحكيم ارسطو . وهذا الرجل لم يظهر له في جميع مصنفاته انبه منه وكأنه في المنطق [٧٦ أ] وغير ذلك من كتبه هو فيها مع الناس ودونهم . على ان الرجل نقصه من آخر الفلسفة التعاليم بجملتها . وان كان يظهر من كلامه انه يذكر منها فلا حقيقة لذلك . وانما هو يحكي ويضرب للسامع بها مثلا بحسب ما يظهر في كتبه المنطقية والطبيعية . وقد شكك بعض الناس في مسائل من المنطق لعدم تحصيله علم الهندسة وذلك انه تكلم على المسألة بكلام جملي ، وضرب لها مثلا من أشكال الهندسة غير صحيح . فرام المسترشد ان يجمع بين الامرين وصعب عليه ذلك مع كونه غلب عليه تعظيم الحكيم فبقي في المسألة محيرا . وقد ذكر عن بروس في تمثيل الدائرة لما تكلم على الحد ما لم يفهمه على الوجه الذي أراده بروس (١) في تربيع الدائرة . واما حاله في الالهيات فحال الاكمه في الشعرة . والشاك في ترجيح أحد

---

١ ــ كذا في النسختين تقريبا ومرة برويس .

أقسام الحيرة (١) ولولا ما يخرجنا الكلام عليه لغير الذي أردنا لبينت ذلك كله على اتم ما يجب • لكني تركته لموضعه في هذا الكتاب ، أو نجعل للكلام على سفاهته تأليفا خاصا به • فان حكمته غلبت على جميع الناس حتى انه عندهم هو الحكيم على الاطلاق • وهيهات والله لو علموا الحق أو لاح لهم شهاب الصدق ما عادت حكمته عندهم الا أزمة ورحمته نقمة وحسنته سيئة وكلامه هذيان • وهو بالجملة في الذي يقوله ويفعله نشوان • ونرجع لبقية الكلام على حاسة اللمس فنقول :

المدركات بحاسة اللمس كثيرة الانواع وأجناسها العالية على الاكثر عشرة وهي : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والليونة والرخو والشدة والصلابة والثقل والخفة (٢)• وكيفية ادراك القوة اللامسة لمدركاتها تكون على ثلاثة أقسام : الاول منها هو الطبيعي وهو ان مزاج الحي المدرك هو على تركيب خاص به وعلى نسبة محفوظة وقدر ما من الحرارة والبرودة والرطوبة وغير ذلك من الاحناس المذكورة • فاذا لاقاه موضوع آخر وجسم غيره نظرناه وجدناه اما ان يكون أشد حرارة أو أشد برودة من مزاج الحاس المدرك أو مثله أو مساويا له في مزاجه • فان فرضناه أكثر حرارة أو أشد برودة من مزاج الحاس المدرك أو مثله أو مساويا له في مزاجه • فان فرضناه أكثر حرارة وأزيد منه تضاعف ما عنده ، وزاد على مزاجه الاول الطبيعي له عند اجتماعه به وملاقاته له • وكذلك في البرودة اذا بردت مزاجه تشعر القوة الحاسة بالكيفية الطارئة على مزاجها [٧٦ ب] واستحالة ذلك لها ، فتؤدي التغير المذكور وتحمله على ما هو عليه للقوة الخيالية • وهذا على رأي بعض الفلاسفة وطائفة منهم تقول الحساسة هي المدركة وهي المنجدة معا • وطائفة ثالثة منهم

١ ــ ربما الدايرة . في ب الكلمة واضحة وهي كما كتبنا .
٢ ــ ١١ كما نرى وليس ١٠ . وفي أ بزيادة الصلابة .

تقول القوة الحساسة هي جوهر النفس الحيوانية الا ان جوهرها معقول الامتزاج الطبيعي عندهم • وطائفة منهم تقول شعور النفس بالاحساس انما هو محمول على معنى الحياة لا غير • وهذه التقاسيم كلها أوهام وظنون لا حاصل لها ولا فائدة تحتها ولا حقيقة لنتائجها • وعند كلام المقرب نذكر لك الحق في نفسه بقدر الطاقة فان القوم لا يتطرقون الا في المحسوسات والمشهورات والمعقدلات الحاصلة في العالم الاول الذي هو أول ادراج المحققين عند صعودهم للعوالم الشريفة • ولا تظن ان العوالم التي تسمع مني هي عوالم هيولانية ، والعوالم التي يطلقها الصوفية مثل ما نسمعهم في مصنفاتهم يسمون عالم العقل وعالم النفس وعالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت • وكذلك الذي يطلقه الفلاسفة من العوالم الروحانية والذوات المجردة • فجميع ذلك عندي هو العالم الاول وهؤلاء كلهم الذين نسميهم بالصم أعني رجال الرسالة (١) وجميع علماء الملة والفلاسفة على الاطلاق وجميع المصنفات الموجودة • وهذا الذي نريد ان ننبه عنه هو مما لم يسمع في عصره ولا قيل انه ظهر في دهر ولا مما دون أو علم في فلاة ولا مصر وهو مأخوذ من كلام الله تعالى ورسوله (ص) •

والقسم الثاني من الاقسام الثلاثة في كيفية ادراك القوة الحساسة للمحسوسات هو شعور النسبة الطبيعية الواحدة بالجنس في كل مركب ، المختلفة بالنوع فيه ، أعني المركب من الحيوان • فان الامور المتفقة في الاصول اذا اخبر عنها تكون واحدة بالقول كثيرة بالموضوع • واذا أخذت في الذهن كلية تكون من حيث هي مضافة متفقة في الاكثر ، ومن

---

١ ـ الرسالة القشيرية . وابن سبعين لا يعترف كما نلاحظ بهذا النوع من التصوف وينعت رجاله بالصم .

حيث هي محمولة أو موضوعة مختلفة على الاكثر • والقسم الثالث من الاقسام الثلاثة في كيفية ادراك القوة الحاسة للمدركات هو خلع الكيفية الطبيعية صورتها من الموضوع الذي حكمت فيه وعرضها وقهقرتها فيه وانبعاث المحسوس وكيفيته من خارج فتنتشر الكيفيات • ومن شأن النفس ان تحرك وتشعرنا بالحركات لانها فعالة بالطبع • فان الحي هو الذي تصدر منه الافعال • فهي اذا جذبت المحسوس ودفعت [٧٧ أ] كيفية مزاج الحاس وخلعت الاول ولبست الثانية قيل لها حساسة • فاذا صح الامر في ذلك قلنا الحس تغير مزاج الحاس واستحالة الكيفية الطارئة على الطبيعية أو جذب النفس لاحد الكيفيات وهذا فيها بالطبع لانا نجد المحسوس الذي مزاجه كمزاج الجسم وكيفيته ككيفيته أعني الحرارة في هذا مثل الحرارة في هذا والبرودة كذلك لا يغير ولا يشعر به ولا يؤثر فيه ولا تحس القوة بشيء • ولكن لا يخلو ذلك الجسم من أن يكون أخشن من البدن أو ألين منه فتحس القوة بذلك التغير والاستحالة وان كان مسلوبا له أيضا في هاتين الصفتين فلا يؤثر فيه شيئا ولا يقع الحس • ولكن لا يخلو ذلك الجسم من ان يكون أشد صلابة من البدن أو أشد رخاوة منه فيؤثر فيه ، فتحس القوة بذلك التغير • وقلّ ما يوجد المحسوس ومزاج الحاس متساويين في هذه الصفات كلها • واما كيفية ادراك هذه القوة للصلابة والرخاوة فهو ان بدن الحيوان متى صدمه جسم آخر فلا يخلو ان يؤثر احدهما في الآخر • فان وقع التغير في ذلك الجسم مثل ما يغمر الاصبع في العجين تحس القوة الحساسة بذلك وتؤديه للمتخيلة او للذي ذكرته لك قبل هذا • وكذلك تفعل في الصلابة مثل ما اذا مست الحجر وغيره مما هو في مزاجه • وكذلك الخشونة والملاسة اذا نظرناهما بهذا النظر • وذلك ان الاجزاء التي في ظاهر سطوح الاجسام اذا كان بعضها متفاوتا ، وبعضها مرتفعا ، وبعضها منخفضا وبعضها

معتدلا ، اذا كان وضعها كلها في مسطح واحد أملس . واذا تلاقى جسمان أملسان انطبق السطحان المتماسان احدهما على الآخر من غير خلل بينهما. وكذلك ان كانا غير أملسين أو أحدهما فلا ينطبقان ، لانـه يبقـى بينهما خلل . وكذلك الخشن اذا مـا لاقـاه جسم خشن صلب ردت الاجـزاء الثانية منه بعض اجزاء البدن الى داخل فيصير سطح البدن خشنا فتحس القوة بذلك التغير فتؤدي خبره الى المتخيلة [٧٧ ب] أو لما ذكرته لـك . والاملس اذا لاقاه جسم املس رد ما كان من اجزاء البدن ناتئا (١) الـى داخل فيصير سطح البدن املس فتحس القوة بذلك التغير ، وهذا النوع من الحس يختلف بحسب اختلاف مزاج أعضاء البدن ، وذلك ان الانسان اذا وضع يده على ثوب فوجده لينا ثم مسحه على خده لوجده خشنا لان خد الانسان ابدا الين مسا من يده في أكثر الاوقات . وكذلك لـو مسح بيده على مسح فوجده خشنا ثم مسحه برجله لوجده لينا ، لان الرجـل أخشن من اليد . وكذلك اذا دخل الانسان الحمام وهو مقرور وجـد البيت الاول حارا . واذا خرج من البيت الحار وجد البيت الاول باردا . لان المزاج قد تغير وهذه حاسة اللمس قد تم الكلام عليها بحسب رأيـك يا فيلسوف . وعند كلام المقرب تسمع الحق في نفسه . وهذا وان كـان يصدق بوجه ما فهو في الحقيقة ليس بحق وبالجملة اذا لحـظ الوجود الطبيعي من حيث هو هو جملة يشار اليها . فقول الفيلسوف يقبل ويعمل به واذا لحظ الوجود من حيث هو في القصد القديم ، وفي القصد الثانـي وفي الوجود المقيد المعلل للاضافة فقوله غير صحيح . والصورة التـي تحصل منه وعنده لا تنسب في التمثيل لا للمليح ولا للقبيح فكأنه مـن الالفاظ العدمية والمعاني المدلول عليها بالقوة الوهمية .

القول على حاسة الذوق

اعلـم ان الطعم لا يكـون فـي الرطب ولا فـي اليابس ولذلـك

---

١ ـ ب ناديا .

لا يوجد للرماد طعم ولا للماء الصرف ولا للهواء ويوجد لماء البحر الطعم ولماء الاجرام ، وتلك اليبوسة التي تخالط تلك المياه . فموضوع الطعم الرطوبة ، لذلك اذا فقدنا آلة الطعم باليبس اذا يبست لم نجد طعم الاشياء الغالب عليها اليبس . والرطوبة تحرك رطوبة الفم فتقبلها كما يقبل الهواء اللون . وكيفية (١) [٧٨ أ] ادراك القوة الذائقة لمدركاتها هو ان تتصل رطوبة هذه الطعوم برطوبة اللسان بحسب ذلك الطعم فان كان حلوا فحلوا ، وان كان مرا فمرا ، وان كان مالحا أو حامضا وغيرهما فحسب ذلك . اذ ومعقول الحس ان يرجع مزاج الحاس مثل مزاج المحسوس بالكيفية . والاحساس شعور النفس لتغير تلك الامزجة فالطعم على الاطلاق مزاجه الرطوبة . ولذلك ما كان رطبا قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية فالرطوبة بالجملة يفتقر اليها الطعم اما اولا ، ففي ان يكون موجودا واما ثانيا ففي ان يكون محسوسا. وهذا هو الذي يروم الطبيب اذا فقد المريض طعم الاشياء اجباره على قدر قوته في الصناعة . وقد يظهر ان هذه القوة أعني حاسة الذوق ممتزجة من رطوبة ويبوسة نحوا من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة المذكورة لا طعم لها في نفسها لئلا يعوق طعمها قبول الطعام المضاد لها . ولذلك يجد المحموم الطعوم كلها مرة لان الرطوبة التي في فمه مرة لمخالطة الدخان اياها . واجناس المدركات بحاسة الذوق على الاكثر تسعة أنواع وهي: الحلاوة والمرارة والملوحةوالدسومة والحموضة والحرافةوالعفوصة والعذوبة والقبوضة . وهذه الحاسة موجودة في أكثر الحيوان بل في كله وكأنها في وجود الحيوان مقومة له وضرورية في معاني الحيوانية ولذلك لا يوجد ما لا يطعم الا قليل مثل جنس ذوات الاصداف واسفنج البحر . واعلم ان ما له طعم هو الذي يقال فيه الذ واكره لانه يضاف الى الطبائع

---

١ ــ ب وطبعه . ربما كانت وطبيعة .

وتحمل عليه ، ويقال فيه هو أرطب وأيبس وأحر وأبرد وهذا جلي •

القول على حاسة الشم

الشم رائحة المشموم في الانف وهذه الحاسة في أكثر الحيوان لا تكون الا مع الاستنشاق وهو ما له رئة • ولو جعلنا له المشموم على الانف من خارج لما احسه ولا أدركه الا ان يستنشقه وحينئذ تتصل رائحته به • لان الحيوان الذي له رئة يستنشق الهواء دائما لترويح الحرارة الغريزية التي من القلب ، فيدخل ذلك الهواء في منخريه فيبلغ الى خياشيمه فيصير الهواء المخزون فيها على صفة الهواء المتغير الداخل ويتكيف بكيفيته فيكون ما هناك قد تحرك وتنوع ولبس• وهذا كله تحس به تلك الحاسة لانها من أعضاء الحيوان • والحيوان هو الحساس لا غير • وان كان في النبات بعض حس فهو غير الحس الذي يعقل في الحيوان وانما هو بحسب الافعال الطبيعية التي تحفظ القوة النباتية وتعطيها حقها بقدرة الله تعالى الملك الحق • فاذا شعرت بتلك الرائحة القوة الشامة حملت ما عندها لما ذكرته [٧٨ ب] لك ، فان كان ما تحمله في طبعه من الروائح الطيبة ويكون مما يوافق مزاج الحاس قيل في تلك الرائحة طيبة • وان كانت خبيثة وتخالف مزاج الحاس قيل لتلك الرائحة خبيثة • وهذه الحاسة لا تدرك الا بحسب الحاس الذي يصرفها ، فان الحيوان المطلق لا يحمل عليه انه يدرك الطيب المعروف عندنا ، والخبيث على ما هو عليه • وانما يحمل عليه بالحمل الجوهري انه يدرك الطيب الخاص به وغير الطيب بحسب ما هو في طبعه • وذلك ان من الحيوان ما يستلذ استنشاق العذرة والجيف مثل الخنافس وبنات وردان والذباب وغير ذلك • ومثل العقاب والغراب والكلب بأن هؤلاء يستنشقون الجيف كما يستنشق الانسان الطعام الطيب • وقد يوجد في هذه الحيوانات ما يتكره أو يستضر بالرائحة الطيبة • مثل الخنفساء اذا

جعلناها في الورد سكنت حركتها وتعطلت وكأنها ميتة ، فاذا قربت لهـا الرائحة الخبيثة التي الفتها وكانت موافقة لها انتبهت اليها وردّ اليهـا ما فقدته ، وذلك لموافقتها لمزاجها • ونجد ذلك في الانسان مثـل الكنافين الذين يحبون الروائح الخبيثة فاذا استنشقوها لـم تعفهـا نفوسهم ولا استضروا بها وذلك من أجل العادة وكان ادراك ذلك مما يوافق طباعهم ، وان الهواء الذي في خياشمهم هو من تلك الروائح ومزاجـه كمزاجها • ولو قدرنا ان أحدهم عند خروجه وانطلاقه مـن تناول شغله يجتاز عـلى العطارين لقلنا ان الذي يصيبه منها غير مألوف لـــه • فكذلـك المرضى يصيبهم مثل هذا لان الصفراوي يتأذى برائحـة المسك ويلتـذ برائحـة الطين • واعلم ان هذا الاختلاف انما يكون بحسب مزاج الابدان وبحسب الخلط الممرض • وهذه الحواس الثلاثة المتقدمة ادراكها روحاني • وهذا الكلام وان كان فيه تشكيك ففيه الفرق بينها فاعلم ذلك • وهذه الحاسة في بعض الحيوان بها يستعمل الغذاء وهي المدبرة لمعاشه كما وجدنا ذلك في الدواب والكلاب • لانا نجد الخيل تنكر الاغذية الخارجة عن الادراك الطبيعي وهذا معلوم عند الكافة • ولما كانت هذه الحاسة في غير الناطق قوية لانه اليها أحوج وهي له مدبرة ، وقد جعلها الله فيه يدبر بها نفسه مثل ما يفعل التميز فينا كان الانسان أضعف الحيوان وأقله شما • ولولا ما يخرجنا الكلام عن الذي أردناه لبينت العلة في ذلك بأعظم مما أنا ذاكره وأحسن منه وأكثر فائدة والله يعين بمنه وكرمه • وهذه الحاسة ، حاسـة الشم تنقسم قسمين ، طيبة وكريهة • فالطيبة [٧٩ أ] كمـا ذكرتها لـك بحسب المدرك والخبيثة كذلك • غير ان الطيبة في الحيوان الناطق هـي التي تعدل مزاجه لانها تقوي روحه • وان كان الكناف (٢) كما ذكرته لك يلتذ بالرائحة الخبيثة ، فذلك المرض أصابه• والا انظر الى وجهه تبصره على غير الامر الطبيعي فاذا قدرناه قد أضرب عن شغله مـدة ، واشتغل بغيره

١ ــ ب ــ وكمزاجها مزاجه .
٢ ــ أ ــ الكناس .

ودام على المطاعم الطيبة والروائح الطيبة حتى تألفها طباعه ويحصل جميع ذلك له صورة مألوفة ينكر الروائح الخبيثة ويستطيب الطيبة ويصلح لون وجهه وذلك لرجوعه لحد الانسانية ومعناها • فالطيب عندنا من الروائح هو المعروف لا غير • وقد يكون الطيب على غير ما ذكرته لك الا انه كما ذكرته وعلى الوجه الذي ذكرته • وكذلك في الامور الخبيثة على ما هو عليه في الطبيعة فأعلم ذلك • ولما كانت الروائح ابخرة تتخلل من الاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية لا غير ، وهذه اجناس مدركاتها كان الحس يتنوع الى طيب وخبيث وكريه اعني الى مألوف وغير مألوف • وقد قال بعض الفلاسفة ان البسائط تنحل عنها روائح طيبة وكريهة مثل التراب اذا نزل عليه المطر • وهذا القائل لا عقل له ولا علم اذ هو بحيث لا يفرق بين المركب والبسيط، فان الارض الظاهرة لنا مركبة والبسيط مقدر في وسطها، وانما هو الذي يتحلل منها البخار المختنق فيها الذي تكثف هناك بحسب جوهر تلك الارض فاعلم ذلك• وقد قال الحكيم(١): الرائحة الطيبة تجد جوهرها بجوهر الروح ويصلح كيفيته فلا يشم احدكم الا ما يصلح به روحه • وكتب للاسكندر في رسالته المشهورة بالتنبيه المحكم : عليك يا اسكندر بالملبس الحسن والاكل المتوسط والمشموم الطيب • فاللباس الحسن يحفظ بدنك ويزينك ويقيم جاهك •والاكل المعتدل يدبر بدنك وهو الطيب لك• والرائحة الطيبة تقوي نفسك وتشوقك لعالمك كما يفعل المسموع الحسن • ثم اوصاه بأشياء معروفة في رسالته المذكورة ولا نحتاجها نحن هنا •وهذه الحاسة عليها حجاب لا ينفتح فاذا وقع الاستنشاف انفتح ذلك الحجاب فيتصل الجوهر بالذي فيه الرائحة الى الحاسة ولذلك متى اراد الذي يشم اتصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل او يجعل التنفس متتابعا • وقد يظهر بهذه الحاسة ان الهواء الذي يصل اليها من المشموم يتكيف بكيفية المشموم ويعطي تلك الحقيقة للهواء الساخن في

١ ــ الحكيم هو أرسطو .

الخياشيم • وكذلك يظن بالبخار الذي يتحلل من المشموم انه يدفع الهواء امامه وكأنه يقرعه حتى يدخل الهواء المقروع الى الخيشوم ثم يتضاغط مع الهواء الساكن هناك حتى يكسبه بالحركة تلك الكيفية ، او بحركته يتصل به من بخار المشموم او يخرج بالجملة ويدخل بخار المشموم • والصحيح ان الروائح هي اما بخار او دخان يتحلل من الاجسام المعدنية والحيوانية والترابية والنباتية ، يمتزج بالهواء ، ويتصل بالحاسة المذكورة • فيكون الهواء شبه الموضوع وما يتعلق به منه هو بحسب المماسة ، ومن حيث [٩٧ ب] يتحلل البخار المذكور • ولذلك تبقى الرائحة في الاوعية وفي اواني النحاس بعد غسلها زمانا طويلا • واعلم ان حاسة الشم والسمع كل واحدة منهما تفارق محسوساتها لموضوعاتها وحواملها الاول وليس كذلك البصر ولا اللمس ولا الطعم • ولذلك نجد المشموم ولا يخصص جهته بالقصد الاول بل بالعرض وبالقصد الثاني• مثال ذلك اذا ورد المشموم من جهة واحدة تميزت لنا جهة المشموم لعدم الرائحة في الاخرى • ولما كان الشم هو ادراك معنى المشموم وكان وجود لمشموم هو هذا الوجود وجب ان لا يدرك الشم شيئا من لواحق المشموم عند الطعم فاعلم ذلك • والله ينجح سعيك في مدرك الحس ومدركه وفي مدرك العقل ومدركه بمنه وكرمه •

القول على حاسة البصر

البصر هو روح العين ، وهو لها كمال أول ، وهو الذي يقال له النفس الباصرة • فاذا أبصرت وأدركت المبصر صار بصرا ، وكانت بالكمال الاخير وكذلك الضمير في سائرها يعود على الحواس اذ لم يفارق مدركها وتحصله هي بالقوة فقط وقوة مفردة • وبهذا النظر نقول في الانسان النائم انه ذو نفس فاذا فعلت نفسه افعالها كانت حساسة • وهذه القوة في الرطوبة الجاذبة ، والدليل على ذلك ما يعرض للذي ينزل في عينيه الماء من عدم النظر • وهذه القوة وسائر القوى الحساسة المشتركة هي صورة فيها • ولذلك لا تطلق العين على الحي

وعلى الميت بالاسم المتواطىء ما اتفق في اسم ومعناه ، وتطلقها باشتراك • وحاسة البصر لا تدرك من الموجودات الطبيعية الا عشرة أنواع وهي الالوان وسطوح الاجسام ، والاجسام بذواتها ، وشكل كل جسم على كيفيته وصورته ، والابعاد الثلاثة ، والنوم والظلام وحركات الجسوم وسكناتها وهيئتها ووضعها • والمدرك الحقيقي الذي هو بذاته يظهر وتظهر به جميع الاشياء هو النور لا غير ، وان كان الظلام أحق ان يقدم على سائر المدركات بعد النور ، فلا يقال فيه انه مدرك حقيقي لانه يرى ولا بد (١) • فنقول : اول ما يدرك النور ثم الالوان ثم سطوح الاجسام • لان اللون لا يكون الا في سطح الجسم ، والسطح لا يوجد الا في الجسم • فالجسم يظهر بتوسط السطح ويتأخر في الادراك عن سطحه والجسم لا بد ان يكون له ما تنسب به الاشكال والاوضاع والابعاد والحركات والسكون • فقام من ذلك كله ان المدركات بحاسة البصر عشرة أنواع ، غير ان البعض منها يتأخر عن البعض ويظهر بتوسط المتقدم عليه والمبصرات كلها مرئية بالعرض الا النور والظلمة • والنور مشاكل للبياض والظلمة للسواد • والبياض هو أبسط الالوان وعنده وفيه يمكن ان تكون الالوان كلها ويقبلها فانه يتقدم عليها وكذلك النور فيه نرى سائر المرئيات • والنور والظلام يسريان في جميع الاجسام الشفافة ، وذلك في غير زمان ويذهبان عنها • ومن شأن الضوء اذا سرى في الاجسام الشفافة حمل معه الالوان وجميع ما ذكرته قبل من أنواع المرئيات حملا روحانيا ، وحفظها على ما هي عليه حتى يعطيها للقوة الباصرة المستبطنة في رطوبة العنبية (٢) التي في الحدقتين • فان الحدقتين

---

١ ــ أ ــ بعد ولا زيادة : ولا يرى به .

٢ ــ أ ــ العينية . ومما تجدر الأشارة اليه ان إبن سبعين في كلامه على الحواس انما ينقل بعض الاحيان نقلا حرفيا عن اخوان الصفاء . قابل هذه المقاطع مع طبعة ديتريشي ص ٢٠٢ فصاعدا . أو طبعة صادر ــ بيروت بدون تاريخ ــ الجزء الثاني ص ٤٠٠ فصاعدا .

[٨٠ أ] هما مرآتا الجسد ، وهما نقطتان من الماء صافيتان محبوستان بين غشاوتين شفافتين فاذ سرى الضوء في الاجسام المشفة ، وحمل معه الالوان للاجسام الحاضرة واتصل بحدقتي أعين الحيوان الباصرة هناك ، وسرى فيه كسريانه في سائر الاجسام المشفة ، انصبغت الحدقة بتلك الالوان كما ينصبغ الهواء بالضياء • وقد اختلف النـــاس في ادراك القـــوة الباصرة للمبصرات ، وقالوا انما يكون ذلك بشعاعين من العينين وينفذان في الهواء وفي الاجسام المشفة ويدركان هذه المبصرات •

ولا تظن ان الحواس الخمس هي أجـزاء مــن النفس او تتبعض النفس بها ، او المدرك من كل واحدة من هذه غير الاخرى ، فهذا لا حقيقة له • والقائل به في غاية الجهل والحرمان واعلم ان كل واحــدة من هــذه الحواس هي النفس بعينها • فاذا استعملت حاسة السمع قيل لها سامعة ، واذا استعملت حاسة اللمس قيل فيها اللامسة ، وكذلك سائرها • والقول على هذه الحواس الخمس وعلى القوى الروحانية كذلك ، أعني القــوة المفكرة والقوة الذاكرة والخيالية والناطقة وجميع ذلك لها أدوات تتصرف بها في الذي تحتاج اليه • وهذه الحاسة ، حاسة البصر ، لا تدرك الالوان الا بتوسط الهواء ، ولو قدرنا جعول اللون على البصر لمــا أدركه • ولا يمكن الهواء ان يخدم البصر في ادراكه الا مع الضوء وذلك لأحد أمرين اما لان الالوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها او لان الهواء انما ينقــل الالوان بالضوء الذي يكون فيه • والظاهر ان الالوان في الظلام بالقوة لان السحب اذا حالت بيننا وبين الشمس لم نبصر النبات على مــا كنــا قبل نبصره وظهر لنا فيه من الاختلاف ما لا يمكننا دفعه • وكذلك تأمــل الالوان في الظل ولذلك قيل في المضيء هو الذي يفيد الضوء والمستضيء هو الذي فيه الضوء • والضوء هنا هو كمال المستضيء من جهة مــا هو مستضيء • وقد يوجد من المبصرات ما لا يقال فيه ان النور أفاده بل هو انفعالات تحدث في العين مثل الذي يحرك ماء البحر في الليل ومثل قشور

الحوت في الليل ونار الحباحب • وهذه لا لون لها فالضوء حقيقة (١) هو الذي يكون عن حضور جسم لـه هذه الحال في المستضيء • ولا نقـول الشمس هي التي تعطي البصر فان الامر المذكور قبل يكذبنا ولو كان مـا يبصر انما هو راجع لضوء الشمس لم نجد من النجوم المنيرة الا هو تابع لنور الشمس وهذا يكذبنا فيه العيان فحاسة البصر انما تبصر بحسبه مـا يمكن لها من مبصرها • والابصار انما هو معنى في العين • والبصر هـو الموضوع الاول له • والمبصر هي القوة المتقدمة قبل • والمبصر هو المدرك من خارج • وهو على ما ذكرته لك من انطباع الشكل في العين لا على ما يقوله بعض الناس من أن الادراك بحاسة البصر انما هو والمدرك له واحد بالعدد وان المدرك له واحد بالعدد (٢) وان المدرك والمدرك واحـد وهذا خطأ • اذ هذا لا يصح الا في الذوات الروحانية وهـي التي منهـا يمكن [٨٠ ب] ان يكون العالم والمعلوم والعلم واحدا لان العدد غير زائد على ذاتها • وهي بالجملة لا تتعدد الا بالموضوع كما نقول في عقـول الافلاك التسعة تسعة عقول وفي الحقيقة واحد • لان الـذوات الروحانية لا كمية لها ولا تدخل تحت المكان والزمان فاعلم ذلك كله •

والبصر للانسان يحفظ ذاته وهو آلة يخدم بها سعادة نفسه • فـان النفوس الفاضلة تترك من صورها في الرسوم ما ترشد النفوس الشريرة فان الصور العقلية تكتسب بالرسم والعبارة والنطق لانها جوهرية بالقوة• وكذلك حاسة السمع وسائر القوى الحساسة ما لها في الانسان مثل مـا لهذه من الفضائل ، فان الانسان بسمعه يعلم وببصره يبصر ويقرأ ويعرف لمن يخاطب وبه ينظر في الملك والملكوت • وحاسة الشم والطعـم واللمس جميع ذلك انما هـو تصريفه في موضوعه القريب فاعلم ذلك كله • وبعد يتكلم المقرب على ذلك كله بحسب المسألة والجواب والحق في نفسه ان شاء الله • ولا تظن ان الحق في شيء مما ذكرته لـك الا في الامـور

---

١ ـ هذه الكلمة في ب غير واضحة ابدا والتصحيح من أ .
٢ ـ كذا مكررة .

المشهورة والعالم الاول ، ومـا دام الانسان في عالم الشهادة الهيولاني . وأما العوالم الروحانية فالقول فيها غير الذي أنا ذاكره لك وعند ذكـر بعض انموذجه يتبين لك في ذلك الحق . ولو شرع المحقق في بث الاسرار على كل شيء يراه ويسمعه لهلك ولأهلك ، وذلـك ان الامور المألوفة هي طبيعة الناس والجمهور . والذي عند المحقق هو مـن الامور التي ليست من جنس ما يكتسب . مثال ذلك لو قال أحد : المحقق يبصر على خمسة أيام ، والذي تستبطنه الارض لأنكر عليه ذلـك جميع الناس . وهـذا هو المشهور عند المحققين مثل المحسوس عند الجمهور . وانظر الى عمـر رضي الله عنه حين قال « يا سارية الجبل » (١) . وذلك ان البصر هو من اعراض القوة الباصرة ، وهو مبثوث في عين الباصر انما هي في الموضوع الهيولاني ، والعين التي ذكرتها لك عند المحققين هي البصيرة. وموضوعها العقل المستفاد ، وغرضهـا مبثوث في صورة التحقيـق . فمـن انسدت بصيرته عمي عن مدركها وادراكها . ومن تخلصت بصيرته بصر وشاهـد المشاهد العظيمة . والحال فيها على الجملة كالحال في البصر المحسوس لا غير . وجميع الجمهور لا يقول بحاسة البصيرة ولا يصدق بها الا انهـا عسيرة التحصيل ومما لا يمكن ادراكها الا بالبحث والنظر ، وبالجملـة لا يقول بها منهم الا القليل والاكثر منهم مكذب لها . وهؤلاء قد جهلـوا السعادة الانسانية وحرموا أنفسهم الخير المحض . والنبوة لـم ترسل الا بتعليم هذه الحاسة القلبية وبينت انموذج ذلك وأظهرته للعيان . والعاقل يعلم من حالها انها لم تطالع العلـوم ولا بصرت المغيبات بحاسة البصر . وانما كان الباصر منها عين القلب في لوح الملكوت وجميع ما جاءت بـه معجز ، عجّز جميع من جاء في عصرها ؛ وما مـن علم الا وهي تعلمه على أتم ما وضع له وأريدت به وهي على الاطلاق غير عاجزة . ومـا يعلمـه

١ ــ راجع حول ذلك كتاب اللمع للسراج ص ١٢٥ .

الناس بالبحث تعلمه هي بالوحي والالهام والنوم • وما يستطيع الناس عليه بالتعصب والقوة الطبيعية والمالية والجمع والغلبة [٨١ أ] المحسوسة تقهره هي وتقدر عليه وعلى كل قادر هيولاني يجمع الهمة والفكر والنظر والتوجه لله سبحانه وتعالى والمعرفة القلبية وما يبصره الغير في النوم تبصره هي في المشاهدة فمن سمع منها وعلم مدلولها ودليلها يصل الغاية العظيمة وينال السعادة الكبرى فاعلم ذلك كله • وأردت بذلك ان أعلمك ان المبصر المعروف عندك هو انقص مما انا ذاكره وان المدرك بالبصر لا غير هو الناقص وما حملني على الكلام على هذا في هذا الموضع الا ضرورة الكلام على هذه الحاسة ولاجل انها هي تقال بتشكيك على عين البصيرة والبصر وسائر القوى ما فيها تشكيك بوجه فاعلم ذلك • وعند ذكر المقرب على الحواس وما هيتها تسمع الحق الذي لا تقدير يلحقه ، والبرهان الذي لا تعليل يقطعه والنور الذي أرادت الاستنارة به العقول المسددة ، والحق الذي قصدت تحصيله الاحلام المرشدة ، والحكمة التي أرادت افشاءها هرامسة الدهور الاولية ، والسعادة التي رامت افادتها السياسة النبوية ، والسر الذي كتم في الاعصار الماضية والحقيقة المكنونة في الايام الخالية •

القول في حاسة السمع

القوة السامعة هي استكمال قوة السمع وفعلها ادراك التغيير الحادث في الهواء وهو الاثر من تصادم جسمين متقاومين • فاذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج الى جميع الجهات ، وحدث من حركته شكل كوري ، واتسع كما تتسع القارورة عند نفخ الزجاج لها • وكلما اتسع ذلك ضعفت حركته وتموجه الى ان يسكن ويضمحل • فاذا حضر عند ذلك من الحيوانات التي لها آذان بالقرب من ذلك المكان تموج ذلك الهواء بحركته ودخل في أذنه وبلغ الى سماخه في مؤخر الدماغ • وتموج الهواء أيضا

الذي هناك فيقع الادراك عند ذلك للقوة الحساسة . وبالجملة هذه الحال التي بها يكون الشيء مسموعا واحساسها (١) هي سمع . وذلك ان كل الاجسام المحدثة للصوت هي اما صلبة واما رطبة . فالرطبة لا يحدث عنها صوت الا ان تكون حركة القارع الى المقروع أسرع من انحراف ذلك الرطب فيقاومه ، فيتحرك الجسم الذي عليه تلك الحركة فيقرعها ويندفع الى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع والهواء ، مع انه يندفع عن القارع ليقبل عن القارع اثرا خاصا به كما قد يظهر ذلك في الاجسام المتحركة . واعلم ان كل صوت فله نغمة وله صيغة وهيئة وخلاف غيره من الاجسام . ولكل جسم صفة قائمة به وصوت يخصه . والاصوات منها ما يتشابه ومنها ما يختلف . والهواء بلطافة جوهره وشرف عنصره ورقته يحمل الاصوات الطبيعية والحيوانية والآلية جميع ذلك ، ويحفظها ويحيط بصورتها ويحملها حملا روحانيا ، لئلا يقع الاشتراك فيها بين البعض والبعض الى ان يؤديها الى أقصى غايتها . وهذا كله بتقدير العزيز العليم الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون . [٨١ ب] ومدركات هذه الحاسة تنقسم الى طبيعية وحيوانية. فالطبيعية تنقسم الى ما روح له ، والى ما فيه شبه روح مثل النبات فان فيه النفس النباتية . وتنقسم الى الاصوات الاولية فالاصوات التي لا روح في موضوعاتها فهي أصوات الجمادات . والالية هي الاصوات المركبة من حيوان وطبيعة مثل اصوات الاوتار (٢) والعود والمزمار ، فانها من الانسان والمعدن والنبات . والطبيعية منها اصوات الاجسام الشفافة وهي أصوات الاثار العلوية . ومنها اصوات الاجسام الكثيفة ، وهي أصوات الاجسام الارضية والمعدنية والنباتية . وهي اما اصوات تحدث من انبعاث الطبيعة وما يصدر عنها ويختص بها . واما ما تحدث

---

١ ــ ب : واجناسها .
٢ ــ ب : الانفار .

بمشاركة الحيوان مثل من يحرك الحجر أو يهزه أو يدفعه أو يرسله الى فوق أو الى أسفل • والاصوات الحيوانية تنقسم الى صوت ناطق عاقل والى صوت ما لا نطق له ولا عقل ولا تمييز • واصوات الحيوان الناطق تنقسم الى ما له هجاء والى ما ليس له هجاء • فالاصوات التي لا هجاء لها ولا حروف تقطعها ولا تركيب كلام هي التي تحدث من الضحك والعطاس وحك القدم والجسم • والتي فيها معقول الهجاء هي الاصوات التي لها حروف وينتظم منها الكلام المفيد ، وهي الالفاظ المركبة المفيدة بالقصد ، وهي اما جازمة أو غير جازمة ، والاصوات التي لا نطق لموضوعاتها ولا لمحركها هي أصوات الحيوان غير الناطق كالفرس والحمار والطير ، وهذه الاصوات لا هجاء لها ولا هي مفيدة • وان وجد بعض الطير يتكلم فذلك غير طبيعي له ، وهو اما بالتعليم مما اقتنصته بالقوة الخيالية أو بالاتفاق • وبالجملة لا يعطي الفائدة بالقصد ولا تحقق منه مخارج الحروف على ما هي عليه عند العاقل بوجه ولا كلام له وانما صوت • والهواجس التي تهجس في النفوس لا يقال انها اصوات ولا حقيقة لها خارج الذهن وانما هي موضوعة في القوة الخيالية ، فاعلم ذلك كله ؛ وهي من قبيل الصور الروحانية الكاذبة مثل الذي يبصره المريض في الحائط من الحيوان الذي لا وجود له من نفسه ولا خارج الذهن • ومثل الذي يبصره المقرور من الصور الكاذبة وقد يظن بهذه الحاسة انها مادية وهي في نفسها روحانية • وكذلك حاسة البصر مثلها لا مادة لهاوذلك ان الحواس المتقدمة تدرك بمماسة وبحضور المحسوس وهو هو بجوهره يتصل بها ، وبالعضو الحساس ، والاحساس لا يكون من هذه الاحاسيس الثلاثة الا بجوهر المحسوس وامتزاجه • وهذه الحاسة السامعة والحاسة والباصرة يفارق كل واحدة منها مدركها ولا تتصل به بل [٨٢ أ] بعرض من اعراضه ولواحقه والهواء هو الحامل لمدركها وهو الخديم وهو الموضوع لمعقوله وهو العلة القريبة في تغيير مزاج الحاس • مثال ذلك اذا

قرع جسم جسما فر الهواء من بينهما وانضغـط حتـى يتصل بالاذن الحاضرة ويعطيها من التمويج بحسب ما في صورته • وما عندهم مـن صورة القرع والقارع لا تغير يلحقه ولا نقلة له عن مكانه ولا يبرح حيث هو وانما وصل للقوة الحساسة منه الاثر لا غير فاعلم ذلـك • والقول عليها كالقول على حاسة البصر • أعني ان مدرك البصر لا يتغير من موضعه حيث هو • والانسان لما كان في رأسه كوة وفيها صماخ وهي الاذن وهي قريبة من الروح النفساني • والهواء المقروع من شأنه اذا فر أمـام القرع ان وجد في طريقه كوة دخل فيها وان لم يجد مر على تموجه الى ان تنتم مادته • فاذا قدرنا اذن الانسان في طريقه دخل فيها كما يدخل في كـوة الحائط ، وتموج الهواء الساكن هنا كما يتموج الهواء الذي في الحائط • وجسم الانسان فيه الحياة ، والحي اذا لم تفسد آلته يدرك بذاته فيحس بذلك كله على أتم ما يجب ، وهـذه الحاسة تقـوى في بعض النـاس وتضعف • وكذلك الامر في سائر الحواس كلها • وقد قال بعض النـاس ان الحواس لا حقيقة لها من حيث هي وانمـا الادراك والمدرك والمدرك منها انما هو بحسب ما يجعل فيها ويخلف في الوقت ، واحتجاجهم في ذلك ان الجسوم لا تدرك وهذه جسوم فالادراك انما هو خلق قوة الادراك في وقت القرع وبالجملة عند اجتماع الحاس والمحسوس • وقد قال بعضهم الحس عرض والمحسوس ولواحقـه عرض والعرض لا يدرك ولا يقـوم بنفسه • وقال بعضهم الادراك والمدرك واحد بدليل ا نالحس انما هـو قائم بنفس الحاس • والمحسوس فانما هو من قبيل الاجسام المركبة ، وان سمينا كل مركب جسما فالجماد يحس • وهذا الكلام كله هذيان لا حقيقة له وحرمان لا يحتاج العاقل ان يقرب منه ولا يأخذ عنه وهو اركّ من ان ينسب الى السفسطة وأسخف من أن يضاف الـى الطنطنـة • والصمت للجاهل فيما لا يدري زينة وستر • والكلام له في الذي يجهله نقمة وكسر • والحق الذي لا يحتاج معه الى غيره ولا يضطر الى شيء دونه ولا فائـدة

في سواه ، هو كلام المقربين ، والله يعينهم على تعليم الجاهلين المتحيرين بمنه وكرمه .

واعلم ان حاسة السمع بالجملة هي المفيدة للحيوان العاقل في تعليم العلوم . لانا نقول الاعمى يعلم بالسمع والذي [٨٢ ب] يقطع لسانه ، وكذا الذي لا يطعم والذي لا يلمس ، والبصر بعد هذه الحاسة في الشرف فان به يقرأ العالم اذا لم يسمع ، واذا عدم سائر الحواس لكنه دونها وهي المتقدمة عليه لاجل الذي يقرأ ببصره ، لو لم يعلم بسمعه كيف يقرأ ولم يكتب (١) . وتقدمها وشرفها وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز فقال « صم بكم عمي » (٢) الآية . وفيها من الاسرار الروحانية انها تسمع فحوى الخطاب فتزيد على مدلول اللفظ معنى آخر غيره . وفيها انها اذا سمعت الصوت الحسن يدركها الانفعال والاحوال المذكورة عن الرجال والسادة ، وبالجملة عند كل واحد من الناس ، حتى أن بعض الناس يصيبه من ذلك الموت والمرض . وهذا اذا حققته من الاوجاع اللذيذة مثل ما تقدر النكاح وما أشبه من الاشياء التي يلتذ بها الانسان ويتألم معا . وهي على الاطلاق حاسة روحانية . وما من حاسة الا ولها من نفسها على مبدعها الحق الاول الواجب الوجود الاستدلال عليه . وهي مطلوبة بتعظيمه لانا اذا استطبنا العسل حمدنا الله الذي لم يطعمنا ضده . ومع ذلك تعجبنا من خالق الاضداد من عنصر واحد وهو الماء ، ومن اربعة عناصر أو غير ذلك . وكذلك حاسة فيها من الاستدلال على وحدانية الله وقدرته ما لا يسعها تركه ولا دفعه . والانسان مطلوب بذلك ومحاسب عليها ومطلوب باستعمالها فيما يجب في الوقت الذي يجب .

---

١ ــ كذا في النسختين . والجملة مضطربة كما يظهر . والاصح حذف لم يقرأ ولم يكتب .

٢ ــ سورة ٢ آية ١٨ .

ومدركاتها هي من المعلومات الضرورية فانها حصلت في نفس الانسان بغير تعلم ولا بحث ولا نظر وكذلك المدرك منها هو الذي يدرك بطبعه مدركه. فان أجناس العلوم التي لم تعلم لا بفكر ولا روية ولا نظر تنقسم الى أربعة أقسام وهي : المقبولات والمشهورات والمحسوسات والمعقولات الاول . فهذه الحواس قد أخذت من هذه الاقسام أكثرها . وهذه الحاسة هي التي سمع بها نبينا وجميع الانبياء ، صلى الله على جميعهم ، الوحي وبها رحم الله عباده . ونبينا (ص) كان لا يقرأ ولا يكتب الا بسمعه وبه ساد واستحق السيادة . فان الكتاب الذي جاء به العزيز لم يتقدمه به نبي قط ولا جاء بمثله . وهذا الكتاب أخذه على ثلاثة أنواع اما بالوحي أو بالالهام أو في النوم . فقد دخلت هذه الحاسة في أحد الاقسام الثلاثة التي قام بها شرف النبي (ص) وفضل الغير . وكذلك [٨٣ أ] عقله ساد به على جميع الخلق العقلاء . وهو السيد وحده بدليل قوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » . وهو الصادق في الذي يقوله ويفعله . وهذا لم يتكلم به الا بالوحي فانه قال قبل ذلك « لا تفضلوني على أخي يونس بن متى » . وكونه ينهى عن شيء ثم يقوله ويفعله دل على ان الشيء قد نسخ .

وهذه الحواس قد تم الكلام عليها وفي أي نفس توجد على مذهب الفيلسوف وهي من مبحث كيف رباط النفس مع البدن وهي في القسم الثاني من أقسامه وهي في أوله . وأقسامه خمسة فانظرها في أول المبحث، ويستقيم لك الكلام على هذا المبحث بحول الله تعالى . وعند تمامه يشير عليك المقرب ببعض اشاراته لا بكلها ، فانه يجعل للنفس كلاما خاصا بها وغرضه ان ينبه على غلط الرجال الاربعة . وحينئذ يتكلم بالحق في نفسه فاعلم ذلك . فنبدأ بذكر القوة الخيالية فانها ترتبت في القسم الثاني بعد الحواس فنقول :

القوة الخيالية هي التي تجرد المدرك عن مادته وتعطيه للنفس الحيوانية ، والنفس الحيوانية تعطيه للناطقة وهي خادمة الانسان في الصور الطبيعية وشبكته ، وهي على الاطلاق تدبر الناطق وغير الناطق . وهذه القوة قد شك بعض الحكماء هل هي علم أو ظن أو حس ؟ وهذا قد خلصه أرسطو في كتابه في النفس . وذلك ان الذي من قبيل الظن يقال له الظن ، قد يصدق في وقت ما فيكون علما . ونجد الحيوان غير الناطق يتخيل فيخرج من هذا ان الحيوان الغير الناطق قد يعلم في وقت ما . وكذلك الذي قال فيها انها علم ، يقال له الحيوان الغير الناطق لا علم له ، ولو جعلناه عالما لجعلناه ناطقا ، وهذا شنيع من الكلام . وكذلك يقال للذي قال انها من قبيل المحسوسات والمحسوسات تفقد ولا تفقد القوة الخيالية . وبالجملة الدود تحس ولا تتخيل . والقمل ، وان وجدنا فيه النفور ، مثل الذي يوجد للبرغوث وغيره فانما ذلك فيه بالطبع . وقد قيل فيها انها مركبة من رأي وحس فهذا كله قد اضطرب فيه الناظرون بنظرهم (١) . ويجب ان نقسم الكلام عليها ونحرره ونفصله من غيره بالبرهان ، فنقول : الظن قد يصدق على من ظنه ، ومن التخيل عند المتصف به ما لا يصدق مثل ان يتخيل ان الانسان له صورة غزالة على رأسه أو له رأس على موضوعه الذي [٨٣ ب] هو منتصب القامة شبه رأس الحمار . وهذا يكذبه الظن وهو مما لا يظنه المتخيل ولا يمكنه وجوده عنده . والظن هو التجول في المسمعات . وقد يقال تجويز أمرين لا مزية لاحدهما على الآخر ، ولا نقول فيه انه هو الشيء الظاهر لا من حيث الحق ، وهو على التحقيق يتقدر بالصدق والكذب ، وهما فيه بالقوة لا بالفعل . والمعلوم الصادق اذا ظهر بعد الممكن صار في حكم الوجوب والتخيل الفاسد الذي يتخيل به المحال لا يصدق بوجه ولا على

١ ــ الجملة الاخيرة مضطربة في ا . وهي اصح في ب .

حال • ومعقوله الاول هو معقول الشك • ومعقوله الثاني هو التوسط بين الشك واليقين وبالجملة لا يظن الا من يرجح أو يردد المعلوم على معتقده على نحوين ويتفهمه على أمرين لا مزية لاحدهما على الثاني • وهذا لا يمكن من البهائم • فنقول : الظن لا يوجد في غير الناطق ولا يمكن ذلك منه • والتخيل يوجد في الناطق وغير الناطق ، فكل حيوان يظن متخيل ، ولا كل حيوان متخيل يظن • فالناطق يظن ويتخيل وغير الناطق يتخيل ولا يظن • وكذلك القول عليها انها حاسة مما لا حقيقة له لا بالتخيل الذي قد تلف واضمحل ولا وجود له • والحس انما هو تغير مزاج عن الحاس وهذا بمقايسة او باتصال ما • والخيال انما هو تجرد صور المحسوسات عن موضوعها • فلا يصح عليها انها قوة حساسة ؛ الا ان قال القائل عنها انها حساسة بمعنى ان عندها انفعال الصور التي تعطيها الحواس الخمس • ويسمى انفعال المطلق حسا بنوع ما من التشكيك ، فيصدق له ذلك من وجه ويكذب من آخر • وذلك ان الحس يحكم بحضور المحسوس والقوة الخيالية يحكم بها ويحكم عليها بعدمه والاشياء قد تكون تحت معنى كلي ويكون من المتقابلات والاضداد فاعلم ذلك • فلا يقال عليها انها قوة حساسة بوجه • فاذا صح ذلك فنقول : الحس شائع في بدن الحيوان ومحمول عليه ، والمحسوس هو المتغير بهيئة الحاس بالفعل ، والقوة الخيالية في الحواس بالقوة • فالقوة الخيالية متأخرة في الوجود عن الحواس • ونجد من الحيوان ما يحس ولا يتخيل كالدود والديدان وحب القرع وغير ذلك • فنقول كل متخيل حساس ولا كل حساس متخيل • وكذلك التخيل لا نقول فيه انه مركب من حس ورأي • فان الحس قد قام الدليل على بطلان وجوده في الخيال • والرأي حده اعتقاد شيء ما وهو يدخل في رسم المعرفة • لانا نقول ، [٨٤ أ] المعرفة رأي ثابت غير زائل •والخيال موجود في الحيوان الذي لا يمكن ان يعلم ولا يعقل ولا يعرف • وحد الناطق ممتنع وجوده في غير الناطق •

وبالجملة قد قام الدليل على ذلك في الكلام على الظن والحس • فاذا صح لنا ان الخيال ليس هو في شيء مما ذكر فنحتاج ان نعلم مـا هو في نفسه ونحققه ونخلص القول عليه • فنقول وبالله التوفيق •

القوة المتخيلة هي التي بها تدرك خيالات المحسوسات • لانا ندرك بقوة التخيل الامور التي تقدم الاحساس بها وهي غائبة عنا (١) ، امـا بفسادها أو بكونها غير معترضة للمدرك وهذا أبين بنفسه • ونجد هـذه القوة ليست للانسان خاصة بل هي لكثير من الحيوانات غير الناطقـة • وهي للحيوان غير الناطق قوة متممة له ، وهي أشرف ما فيه • والامر فيها وفي الظن من جهة الصدق والكذب واحد وصدقها انما هو بعـد ادراك حس البصر ، وكذبها يقع في الامور التـي تسمعها وتتخيلها • مثـل اذا سمعنا عن البلدان الغائبة عنا ونحن لم ندخلها فنتخيل اقطارها في وهمنا • فان القوة الوهمية الاولى منفعلة عن القوة المتخيلة ومحركة لها ، وفيهـا وبها تحكم ويكون صدقها في جميع المحسوسات بعـد تناولها وحصولها فيها • وقد تكذب بنوع ثان ، وهو ان الصور اذا أخذتها وهي على مـا هي عليه تزيد عليها ما لا يمكن ولا يعقل ، مثـل ان تبصر الانسان يمشي على قدميه فتتخيله يمشي على رأسه • فكذبها اولا انما هـو بحسب وضعها صورة غير حاصلة عندها ، وانما قامت عليها بغيرهـا ، واخترعت هي من عندها ما ليس بحق ، مثل البلدان التي ذكرتها لك • وكذبها الآخر انما هو ان تجعل في الواجب عندها ما ليس بحق ، مثل البلدان التـي ذكرتها لك • وكذبها آخر انما هو ان تجعل في الواجب زيـادة لا تصـح خارج الذهن وهي بالجملة تكذب في الاكثر ، وهذه القـوة بالطبـع اذا كانت صادقة فانها ضرورة تدرك الامور وهو بالحال الذي أدركه الحس•

---

١ ـ ب ـ وهي غايته وعنا ، والتصحيح من أ .

وهذه الامور التي تدركها ليست للمحسوسات فانها تدرك محسوسات قد فسدت • وأيضا لا تمكن ان تدرك بالذات المحسوس الا بعد ان يتقدم ادراك الحس له الا بعرض ، وهي تقال بنوع ما يقال الحس المشترك مع الحاسة • لانا نقول الحس المشترك يبقى [٨٤ ب] فيه اثر المحسوس بعد غيبته عنه وهذا الاثر في الحاسة • فالحاسة محسوسة للحس المشترك بهذا النمو ، وهذه هي التي تسمى قوة حافظة ؛ لان الاثر الذي قبل الحس المشترك هو الاحساس ، لان له مع قوة قبول صورة المحسوس قوة على التمسك بها وهي الحافظة ، وبها اتفق للانسان اذا حصلت له هذه الصورة ان يرى شخصا من غير ان يكون ذلك بالحضرة • وهذا واقع وبين في المرضى والمحرورين الذين يعرض لهم ذلك في اليقظة ، وذلك ان الحس المشترك اذا قوي وضعف مزاج الحاس انفعلت الحاسة عن الحس المشترك وقبلت الاثار • وهذه القوة تقال بتقديم وتأخير وهي تقال بالجملة على ما يحاكي الشيء • فاذا قيل بتقديم قيل على ما يحاكي شخصا من اشخاص المشار اليه • وقد يقال على ما يحاكي النوع • وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحاكي وهذا النحو هو الذي يقال به في الصور الروحانيات انها خيالات المحسوسات مثل صورة الالف في الذهن • وبالجملة المحسوسات خيالات (١) الموجودات ، ويقال على النوع من جهة مشابهته للمحسوس وكيفية ادراك هذه القوة ووصول اثار المحسوسات لها ، هو ان هذه القوة مسكنها في مقدم الدماغ • وينشأ من مقدمات الدماغ عصبات لطيفة لينة وتتصل بأصول الحواس وتتفرق وتنتسج في آخر جرم الحواس كنسج العنكبوت • فاذا باشرت كيفيات المحسوسات مزاج الحواس وغيرتها عن كيفياتها ، وصل ذلك التغير في تلك العصبات التي في مقدم الدماغ ، لان منشأها كلها من هناك ، فتجتمع

---

١ ــ ب ، خيال .

آثار المحسوسات عندها • ولما كان كل متحرك له محرك كانت هذه القوة محركها هي الاحساسات الموجودة في الحس المشترك • وتبين ان صور الموجودات اذا كانت خيالات هي أشد انتزاعا عن المادة من الاحساسات • وان القوة المتخيلة نسبتها الى القوة الحساسة هذه النسبة الا انها غير متبرئة جملة عن الصور الهيولانية من جهة ما هي هيولانية (١) ، ولكنها بعيدة في الرتبة عنها • لان هذه قد تفعل وان لم تكن تلك حاضرة موجودة لكنها في وجودها مفتقرة الى تلك ضرورة• وهذه القوة تعطي المفكرة (٢) [٨٥ أ] الموجود وتحكم فيه ، وللمفكرة يضاف الخطأ والصواب • مثال ذلك اذا رأينا السراب فقد اعطتنا القوة الباصرة الذي وجب عليها ، اذ لون السراب كلون الماء ، ومن شأنها ان تدرك الالوان • والقوة المتخيلة جردت الصورة من المادة وحفظتها الذاكرة ، اما حفظا كاذبا واما صادقا • فاذا رأيناه بعد ذلك أصابت الباصرة وصدقت الخيالية وانصفت الحافظة واخطأت المفكرة التي لم تفسر ولم تحكم انه ليس بحق • ولو صنع لنا انسان أترجة من قير وصبغها فليس للقوة المفكرة ان تحكم عليها انها النباتية الصادقة ، حتى تشمها حاسة الشم وتذوقها حاسة الذوق وتخيلها المتخيلة • فاذا اخبرت كل واحدة بما عندها حكمت القوة المفكرة فاعلم ذلك • فالانسان انما هو أسير بين اجناد القدرة وعاجز في جميع أموره فاعلم ذلك •

القول على القوة المفكرة

حد الفكر قوة عقلية تجول في الاشياء ، وهي قوة من قوة النفس الناطقة ، ولذلك قيل في كل مفكر ناطق • وهي قوة من القوى الخمسة الروحانية • ومدركاتها وانفعالاتها ومعقولها غير مدرك وانفعال ومعقول القوى الخمس الجسمانية ، وهي القوة المتخيلة

---

١ ــ هذه العبارة مبهمة جدا في ب والتصحيح من أ .
٢ ــ ب ــ لا تعطي .

والمفكرة والحافظة والناطقة والصانعة • وادراكها رسوم المعلومات كما بينا قبل • وهذه القوى الروحانية تتناول رسوم المعلومات ادراكا روحانيا من غير هيولاها (١) • وأما القوى الجسمانية فلا تدرك محسوساتها الا في الهيولى بعضهن من بعض على غير سيرة الجسمانية • وذلك ان القوى الجسمانية كل واحدة منها مختصة بادراك جنس من المحسوسات كما تبين في الكلام على كل واحدة منها • وذلك ان حاسة السمع لا تستطيع على ادراك القوة الذائقة ، ولا الذائقة على مدرك الباصرة ، وكذلك الامر في كل واحدة منها • وهذه القوى الروحانية تجتمع عندها مدركات القوى الحساسة وهي في مدركاتها الخاصة بها متفاوتات في ادراكهن [٨٥ ب] رسوم المعلومات • مثال ذلك ، القوة المتخيلة اذا اقتنصت المعلوم جملة حملته على ما هو عليه للمفكرة من ساعتها • فاذا حكمت فيه القوة المفكرة رفعته عند القوة الحافظة ، فاذا أرادت اليه وجدته • وكذلك الناطقة اذا أرادت الاخبار عنها لاحد جعلت لها الفاظا تصلح للسامع وتفيده • فاذا أرادت اثبات تلك المعاني رسمتها بالقوة الصانعة • فهذه الحواس الروحانية لا تتداخل فيها معلوماتها ، ولا تضيق بها والصور فيها الى غير نهاية • والهيولى لا تحمل منها الا صورة واحدة • مثال ذلك اذا أردنا أن نجعل صورة ما في الطينة ثم أردنا أن نضيف اليها أخرى لم يمكننا ذلك ، الا ان تفسد الاولى فاعلم ذلك • وذلك لضيق الهيولى وسعة الصور المجردة • وهذه القوة تحكم على رسم المدرك المعنوي مثل ما تطبع في فص الخاتم في القير فتبقى صورته بالعرض لا بالجوهر • وهي صورة روحانية مجردة عن هيولاها فاعلم ذلك • وهذه القوة المفكرة بها قيل عند بعض الفلاسفة للعقل الهيولاني

---

١ ــ الجملة هذه مضطربة في أ و ب . وفي أ الجملة بمعظمها على الهامش ولكن دون اسهم تشير الى ابتدائها أو انتهائها .

هيولاني • وذلك انها اذا أرادت أن تعلم الشيء ترجع الى ذاتها وتنظره فيها • فصارت النفس الناطقة فاعلة والقوة المفكرة آلة والتمييز مرشد ، وجاء من هذا كله شبه قبول الصور والتغيير وهذا خطأ من قائل هذا الكلام • ومنهم من قال ان العقل الهيولاني انما قيل فيه ذلك لقبوله من المستفاد وتجرده عن القوة الخيالية ، فقيل له منفعل وهذا أرذل من الاول• وعند الكلام على النفس الناطقة يتبين الامر في ذلك كله بحول الله • ونرجع للقوة المفكرة فنقول : انها هي الفاعل الاول للمعلوم وهي الفرق بين الفعل والفاعل والمنفعل • وفي ذلك شك اسطانيس (١) حتى قال ، ما دام الانسان يفكر فلا يجد جوهره الخاص به فلو وجده لكان العلم والمعلوم فيه واحد • فان الفكر بحث والنفس ما دامت علامة بالقوة ليست تامة • وهذا الكلام وان كان فيه بعض حق فليس بصادق على الاطلاق • وهذه القوة أعني المفكرة تمحض الموجود وتخلصه من حيز الاجمال وتحققه في النفس وهي مقومة لجوهر النفس الهيولاني وبها يقع الانفعال في القوة [٨٦ أ] النزوعية والوهمية • لان القوة النزوعية لا حقيقة لها الا بالمحرك أعني النزوع النطفي لا البهيمي والقدماء مطبقون على انقسام العلم الى تصور وتصديق • وان التصور مباين للتصديق بأمر يرجع اليهما من جهة معلومهما • فان التصور متعلق بحقيقة أمر مفرد والتصديق متعلق بنفسه بين امرين فهو تركيب وعلم بمركبين على جهة الاسناد • والنفس الناطقة هي المتصورة والمصدقة وهي المقولة على القوى الروحانية المذكورة قبل• كما ان النفس الحيوانية هي المقولة على القوى الحساسة • ولا سبيل لادراك المعلوم الروحاني ولا مدلول لمعنى ما دون التفكير والتصور • ان كان هو في النفس بالذات فلا حقيقة له اذا جردت عنه ماهية التركيب ،

---

١ ـ اسطانيس ، هو على الارجح أستاخانيوس راجع فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ج ٤ ـ ص ٢٨ ، (بالالمانية) .

ويجعل لاحدهما معنى يرجع اليه وهو الامر المفرد والتعلق الذي هو ما بين أمرين وهو تركيب وعلم بمركبين • وهذا المحرك لو جعلناه نفس النفس الناطقة لكان كل ناطق يركب المعلوم ويقيس به ، ولا يصح ان يكون ذلك في الذكر ولا في الخيال ولا في الوهم ولا في النزوع ولا في النطق الداخل على انفراد ولا في الخارج كذلك ولا هو في غير هذه • ولكنه هو الفكر وقد قلت لك ان النفس الناطقة هي المقولة على القوى الروحانية وكأنها واحدة بالموضوع كثيرة بالقوى وهي هي المقومة لكل واحدة من هذه القوى ، وهي معنى الجملة ، وهي مع هذه القوى مثل اطلاق لفظة الوجود على سائر الموجودات • واذا حررت القول في ذلك فهي صانعة وجميع القوى الجسمانية والروحانية آلة لها • وظاهر ان المبرد الذي يبرد به النجار غير المنشار والململسة • وكل واحد من هذه الآلات مخالفة للاخرى وهي واحد في اسم الآلة ولاضافة الصانع • ولولا هو ما سميت بتلك الاسماء ولا تصرفت في تلك الصناعة• فهذه القوة المفكرة هي العلة الفاعلة لصورة المعلوم في نفس العالم • والخيالية هي المادة اذ هي المتقدمة وفي الذي تعطيه للمفكرة تتصرف المفكرة • والقوة الناطقة علة صورية والصانعة متممة والقوة الحافظة والحواس الجسمانية من لواحق الجميع وهذا الكلام انما هو على جهة الاقناع [٨٦ ب] لا غيره وبالجملة فهي السيدة للقوى النفسية الثلاثة وهي المنطقية والحسية والمحركة •

فأما القوى المنطقية فهي الوهم والفكر والحفظ ، وهذه الثلاث هي في ثلاث مواضع من الدماغ • أعني ان الوهم في مقدمه والفكر في وسطه والحفظ في مؤخره • وأما القوة الحسية فهي ست أصناف منها قوة حس البصر وحس السمع وحس الشم وحس الطعم وحس اللمس والحس الحاس لهذه الخمسة حواس كما فسرتها قبل • وهذه تؤدي ما تقبله الى

القوة الخيالية التي في مقدم الدماغ والقوة الحسية والقوة الخيالية وتكونان في وعاء الدماغ المقدم • فأما القوى المحركة فانها تفعل في البدن كله بالعصب والعضل على ما وصف في الكتب الطبية ، تحركا اراديا كالقيام والقعود والرفع والذهاب والمجيء والقبض والبسط وسائر الافاعيل الارادية وكونها في مؤخر الدماغ • وقد ضرب بعض الناس في تصريف النفس لهذه القوى مثلا فقال القوة الخيالية وما اجتمع عندها من اثار المحسوسات التي أعطتها لها الحواس تشبه صاحب مسائل السلطان ، وكون صاحب الرسائل يرفع ما عنده الى الملك ، والملك هو الذي يتصرف فيها ، وهو الذي تجري احكامه فيها ، وهو الحاكم عليها • والملك من شأنه (ان) يرفع مسائله عند ثقته أو خازنه أو خزانته حتى يحتاج اليها • فالملك هو القوة المفكرة • وصاحب المسائل هو القوة الخيالية • والخازن هو القوة الحافظة • وهذه القوة ، أعني المفكرة وهي التي يقال فيها عالمه ومن أجله قيل للنفس الناطقة علامة بالقوة ، أي لا تعلم العلوم بالبديهة الا بالاستدلال والتفكر • وهي تغوص في قعر جوهرها حتى يخرج ما عنده للفعل بحركتها وهي باحثة ومقومة ومتممة تبحث عن العلوم وتقوم وجود المطلوب وتتمم النتيجة • وقد صح بالبرهان ان الاشياء المقومة للشيء هي اسبابه ، وهذه هي السبب المتقدم لحصول المعلوم في النفس فهي الواجبة وهي الحد القريب لمعنى الانسانية والضرورية فيه •

القول في الذكر

والقوة الذاكرة تذكر الاشياء الكامنة في النفس بالبحث والطلب ، والتذكر طلب القوة المفكرة اجتلاب شيء وقد نسي • ويقال الذكر انبعاث في القوة المفكرة يتردد [٨٧ أ] على القوة الوهمية والخيالية حتى تبرز المطلوب • ويرسم برسم ثالث ، وهو الذكر تجرد النفس للصور الخفية بالتخيل والفكر والوهم والبحث الاول والالحاح والثبوت على الاثر المغير • ويقال الذكر حفظ متصل لا انقطاع له • ويقال

الذكر معقوله احالة الرأي في الخواطر دون ترجيح و لاتقديم ولا تأخير ، وكأنه مركب من الروية والفكر وهما جميعا مقومان لوجوده • واما القوة الذاكرة فهي قوة من قوى النفس الناطقة ، وهي قوة من القوى الروحانية ؛ وهي خادمة للمفكرة ومتأخرة في الوجود عنها • والقوة المفكرة هي المتممة لها ، وهي التي تخلص جوهرها وتفصله من غيره وتحرره للحدود • لانا نقول المعاني الحاصلة في النفس انما تصدر فيها اما من جهة الحس والخيال واما بالمقايسة واما بالجملة • والمدرك الحاصل في النفس من القوة الخيالية لم يحصل لها الا بعد ما جاز على رتبة الحس المشترك • والحس المشترك لم يحصل منه للقوة الخيالية مقصودها الا بعد ما جاز على الحواس الخمس • والحواس الخمس لم يكمل لها ادراكها الا بالنفس النفسانية • والفكر مسكنه في وسط الدماغ • فاذا رأينا الحيوان الناطق يقيس ويتصرف في الاشياء ويركبها ويقتنص منها المعنى الكلي قلنا فيه حيوان يفكر • والحيوان الغير الناطق تجده يتصرف بخياله بعض تصريف ويشككنا أمره هل تصرفه بقوة مفكرة أو بتمييز ضعيف أو بالوهم مثل ما يقوله ديوجانس ، لكل حيوان قوة عقلية خاصة به ولولاها ما وجد • واحتج برسم العقل الكلي وقال لما كان العقل الكلي يقال فيه انه جوهر بسيط نوراني ، علام بالقوة فعال بالفعل وفيه صورة كل شيء، وقد أفاض عليه الواجب الوجود من وجوده بحيث يقدر على ذلك • وكان الذي يفعله هذا بالقصد الثاني والذي يختص بجوهره هو بالقصد الاول وجب ان لا نبصر موجودا ولا نعقله الا وفيه من المبدَع الاول نسبة • وهذا الرجل جاهل بالمبادىء وبالالهيات والطبيعيات ، اذ العقل يفعل بقوتين هذه علامة وأخرى فعالة ، وهذا قد أقام الفعالة مقام العلامة • ولا حرمان أعظم من هذا • وهذا انما هو بعدما نسلم لهم ان هذا الفرض [٨٧ ب] الذي فرضه صحيح وحق • ووالله ما هو صحيح ولا حق ، وقد تبين لك فيما تقدم ما تخلص به نفسك من هذا • وعند ذكر المقرب

يتخلص هذا وغيره • والفلسفة الصحيحة انما هي المشهورة عند سقراط وأفلاطون وأرسطو • ومع هؤلاء يحتاج العاقل ان يتكلم ولهم يجب ان يخاطب وهم بجملتهم لا يقولون بهذا ، فهذا ليس بفلسفة ولا صحيح في نفسه فنرجع لتصرف الحيوان غير الناطق بما هو فنقول :

قد يظن الانسان من الحمار اذا رآه يعرف داره ، ان ذلك عنده انما هو من القوة الخيالية والقوة الذاكرة • فان القوة الخيالية هي التي جردت صورة الدار واعطتها للحمار ، وليس من شأنها ان تتذكر ولا تحس المدرك من حيث هي خيالية وانما هي من حيث هي ذاكرة • فهذا الظن فيه احتمال وقد يقوى بقرينة ما وهي تعليم بعض الحيوان الرقص وغير ذلك مما يصعب على البليد من الحيوان الناطق أن يتعلمه • وانا نبرهن لك الحق في ذلك كله ، ونخلص القوة الذاكرة ومنشأها من اين هو فنقول وبالله نستعين • الحيوان غير الناطق توجد فيه القوة النزوعية والقوة الوهمية والخيالية والذاكرة • الا ان النزوع الذي فيه لا ترجيح له يحركه لذلك ولا انفعال من طريق الاولى والاخرى • وكذلك الوهم الذي فيه يطلق عليه على وجه الاستعارة والمجاز ولا حقيقة له في جوهره • وذلك ان الوهم هو قوة غريزة (١) في الممكنات ، وتستعمله القوة النفسانية وهو يطلق على القوة الشاكة في الشيء المطلوب هل هو كذا وكذا أم لا • وهذان القسمان لا يصدقان على الغير الناطق اذ هو من شأنه لا يشك ولا يرجح ، فان الشك والترجيح انما هو من حيوان ينظر من الاخص فالاخص والأنقص الأنقص • وهذا الحيوان لا يمكن ان يكون بهذه الصفة ، الا وهو ذو نطق كما تقدم قبل فانظره من هناك • والوهم يطلق باشتراك الاسم ، فتارة يطلق بمعنى الغلط ، كما يقول الرجل وهمت في الشيء • وتارة يقال على القوة الناطقة ، اذا بحثت عن الموجود بالاستقراء

---

١ ــ ب ــ غرائز •

والقياس • [٨٨ أ] وتارة يقال على الذهن اذا وقف ما بين الفكر والخيال مثل ما يطرأ للمهندسين • وهذا يعرفه من فكر في كتاب اقليدس • فان هذا الكتاب فيه اشكال تعمل بالوهم • ومما يطلق على صورة الخيال اذا أضافها الحيوان الى أنواع مدركاته ويفصلها بالطبع ، وهذه هي الموجودة في الحيوان الغير الناطق • فان الحدود التي هي مقومة لمعنى الحيوانية وذاتية فيها ، يشترك فيها الناطق وغير الناطق • وتباين الناطق عنها انما هو بفصله او بخاصته • فهذه القوة الوهمية هي التي بها يفعل الحيوان غير الناطق ما سمعتني أذكره قبل • وهذه القوة هي فيه منفصلة عن الطبيعة الحيوانية لا غير • وهي المحرك الاول • واذا حركت بالقصد الثاني الى شبه التمثيل والاستقراء كانت للعاقل من الحيوان ، وهذا هو الفرق بينهما فاعلم ذلك • فهذه القوة صادقة في الناطق على الكمال وكاذبة في غيره ، الا بالوجه الذي ذكرته لك • وهي واقفة بين الخيال والحس • وفي غير الناطق داخلة بين الفكر والحس وخارجة كما هي في غير الناطق • وهذا اتفق للانسان لان فيه نفوسا خمسة ، وهي النباتية والحيوانية والناطقة والحكمية والنبوية • وكما ان الانسان يزيد على غير الناطق كذلك النفوس الاخرى تزيد على الناطق وتتأخر النفس الناطقة عنها وعن عالمها • فمن يحرر الكلام في ذلك يقول البهيمية تقال بتقديم وتأخير ، ولا ينفصل عنها الا من عرف الاول الحق ، والا قيل في نفسه بهيمية على الاكثر • اذ الكمال فوقه وهو دونه ، والبهيمية هي الناقصة والانسان بنظر ما بهيمي• والله تعالى يقول : « ان هم كالانعام » الآية (١) • فهذه القوة الوهمية قد ظهر منها انها في غير الناطق بخلاف ما هي عند الناطق وبقي الكلام على القوة الذاكرة فنقول :

الذكر الذي في الحيوان غير الناطق انما هو [٨٨ ب] صفة متعلقة

---

١ ــ سورة ٢٥ ــ آية ٤٤ .

بمعنى الخيال وخارج عن الذكر المتأخر عن القوة المفكرة ، وهو محمول على الخيال • وكأن الخيال يقال على نحو ما منها فلا ذكر روحانيا لغير الناطق بوجه ، وانما هو كما ذكرته لك فاعلم ذلك • ولولا خوف التطويل لبسطت الكلام على ذلك والله يشرح صدرك بمنه وكرمه لا رب سواه ، ولا معبود الا اياه ، فهو المنان وهو الرحيم ، وهو الجواد سبحانه وتعالى • ويرجع الكلام للقوة الذاكرة ومن اين منشؤها فنقول : الذكر الاول محمول على الخيال • والذكر الثاني المضاف للنفس الناطقة هو بعد القوة المفكرة ، كما ذكرت لك قبل • وهو ينشأ عنها ويتكون فيها ومنها • والاشياء المتكونة منها طبيعية ، ومنها صناعية ، ومنها من الذي من ذاته ومن الاتفاق • وبالجملة جميع الاشياء التي تتكون ، فان المتكون منها هو شيء من شيء وبشيء ، وأعني بقوله شيء كل واحد من الاجناس العشرة التي هي أجناس الموجودات • والمتكونات الطبيعية هي التي كونها عن الطبيعة • والصناعية هي التي كونها عن الصناعة • والذي منه يكون الشيء الطبيعي وهو العنصر والذي به يكون الشيء الطبيعي هو شيء آخر مثله • فالقوة الذاكرة هي متكونة على نحو ما من التكوين الصناعي اذا قدرناها في الخيال • وهي التي وقع فيها الاشتراك بين الناطق وغير الناطق • وهي على نحو آخر من التكوين الذي به يكون الشيء الطبيعي اذا قدرناها في التنبيه للقوة المفكرة وهي على نحو آخر من التكوين الذي به يكون الشيء وهو وجودها صحبة المفكرة وشريكتها لها في القوة الروحانية فاعلم ذلك كله • وهذه القوة الذاكرة في مقدم الدماغ ، وهي مركبة من الخيال والفكر متداخلة مع القوة الحافظة وتطلق عليها بتواطؤ وتنفصل عنها بنوع لطيف • وهذا الكلام عليها انما هو على وجه التخليص فاقبل العذر يا مخلص • والله المخلص •

القول في القوة الحافظة

الحفظ ذكر متصل غير منقطع • ويقال الحفظ ثبوت الصورة في النفس على ما هي عليه خارج الذهن وداخله •

فان كانت الصورة من اثار المحسوسات فمعناها المجرد فيها صادق المثل • وان كانت الصورة الحاصلة من اثر الصور الروحانية فمعناها صادق على ما هو عليه وان كانت الصورة مما يوضع بالابتداء والتوهم والتصور وتحمل عليها جملة القوة النفسانية، فكذلك• وهذه القوة في مؤخر [٨٩ أ] الدماغ ، وهي هي الذاكرة اذا اظهرت ما يطلب منها وما يجعل فيها الى الفعل ، وهي غيرها بنوع لطيف اذا كان المعلوم فيها بالقوة ، وكأنها من المتلائمات • فانا نقول الفعل والقوة هنا اذا اطلقناهما عليهما غير صادقين على الاكثر • وذلك ان الذكر انما هو في النفس الناطقة • والذي يظهر الى الفعل انما هو بالنطق او بالقوة الصانعة • وان سمينا الامر الذي لم يظهر على الناطقة ولا على الصانعة قوة ، فقد ادخلنا ما لا يمكن ولا يتناسب على متفق في نفسه غير مختلف وطبيعته واحدة في كل وقت وزمان • وان قلنا الحافظة هي الذاكرة فقد جعلنا السكون المتوهم هو الحركة المتوهمة • لانا نقول الحافظة معناها هو اختزان العلوم حتى تحتاج اليه والقوة الذاكرة هي التي تزاد عند وقت الحاجة • وكأن القوة الحافظة سكون ما ، والذاكرة حركة ما • وهذه الذاكرة أيضا ، ان جعلناها انما تحدث وتتكون عند طلب القوة المفكرة للمعلوم الذي رفعته، فقد قلنا الذاكرة هي المفكرة اذا مالت الى معلومها • وبالجملة هذه القوى انما هي رتب وهمية وجواهر ذهنية ، اذا جمعها الذهن ونطق بها اللسان قال فيها نفس او كان بعضها لبعض في الاضطرار والتقدم والتأخر والالتزام والمشاركة • وكون الواحدة منها تقوم وجود الثانية ، والثانية (١) تتمم الاولى ، دائرة وهمية ومعقول الدائرة هي النفس •

القول على القوة الصانعة (٢)

والصناعة وضع صورة ما في مادة ما من غير فساد

١ ــ ب والثالثة .
٢ ــ أ و ب القوة الصانعة مكررة .

المادة والصورة المطبوعة فيها عند فراغ الصانع من وضعها ولا تعد ذلك • ويقال الصناعة هي عمل صورة وثبوتها في المصنوع واقامتها بحسب قبول الموضوع واحتيال الواضع والقصد في ذلك • ويقال الصناعة موضوعة ومحمولة ولا تنفك عن المحمول الكلي والموضوع الكلي بالقوة والفعل • وهي مخرجة الامكان من نفس الصانع وجاعلة الممكن في المصنوع ، وذلك بقياس واستقراء ما وتقدير ما ، وعلم متقدم وعلم متوسط وعلم متأخر وفعل واجب وفعل لاحق وفعل حافظ • والقوة الصانعة هي اثر النفس الحيوانية بالقصد الاول ، ورتبتها في النفس الحيوانية قبل رتبتها في النفس الناطقة • ولذلك نجد الحيوان غير الناطق له صنعة مثل ما للنحل والعنكبوت وأعشاش [٨٩ ب] الطيور • واما القوة الصانعة التي تقال بالقصد الثاني هي المتأخرة عن جميع القوى الروحانية وهي اثر النفس الناطقة • وهي اثر النفس الناطقة • وانا أضرب لك بهذا مثلا يتبين لك به ذلك كله فنقول : المعلوم الذي يحصل للنفس الناطقة اذا أرادت أن تعلم به غيرها ألفت لها ألفاظا من الحروف المعجمة وجعلتها كالظل والقالب والنوع لتلك المعلومات الحاصلة في نفسها ، وعبرت عنها للحاضرين والسامعين • فاذا ارادت اثبات ما عندها فان الحاصل من الاصوات لا حقيقة له ، وانما هو وجود حركة الشفتين واللسان ، ثم يضمحل وجوده عند نفاذ تلك التي جعلت معاني تلك الالفاظ في موضوعاتها وقيدتها ورسمت تلك الالفاظ التي نطقت بها ، وهذه هي صناعة الكتابة • وقيل لها صناعة لانها صنعت من الحروف اشكالا بالاقلام وأودعتها وجوه الاوراق والالواح فيبقى عند ذلك مقيدا، وتبقى الفائدة للمسترشدين وفائدة من الاولين للآخرين • وهكذا الامر في كل صناعة تضمرها النفس وتخرجها بالفعل للوجود خارج الذهن • وهذه القوة الصانعة تتعلق بالقوة الناطقة وهي متأخرة عنها في الوجود والفضل ، وهي غير متممة للنفس الناطقة المطلقة • وانما تحتاجها النفس

لان تعلم بها الخير والفائدة للمتعلم بالقوة الصانعة من المعلم أكثر من فائدته واستفادته من نفسه الناطقة • فان معناه النطقي انما هو مختص به والصفات تحكم في محلها • وهذه القوة الصانعة هي مثل المعنى الحاصل في نفس المسترشد • فلذلك (١) يمكن بها وفيها ومنها ان يعلم المتعلم وان استفادبالناطقة فبالقرائن والاحوال والهيئات لا غير ، وهذا الى المحال أقرب منه للوجود فاعلم ذلك كله ، والتعليم اذا جعلناه باللفظ فقد جعلناه بالقوة الصانعة وان جعلناه بالرسم فهي هي • وهذه القوة كان الواجب ان تتكلم عليها بعد الناطقة ، وانما يمنع من ذلك مانع وهو عدم القبول • والجمهور انما ينظر لهم ما ينفعهم لا ما يجب بالنظر الى فهم العاقل • والله يصنع معنا خيرا ويعيننا عليه وييسر علينا كل عسير ، ويحملنا بزاد التقوى اليه بمنه وكرمه وفضله ونعمه • لا اله الا هو ولا كيفية لذاته ولا يبحث عنه بما هو وكم هو •

القول على القوة الوهمية

الوهم ينقسم الى [٩٠ أ] خمسة أقسام • القسم الاول هي القوة التي تصرفها القوة النفسانية وتتصرف بها في جميع المحسوسات • وذلك ان الصور التي يعطيها الحس على ما هي عليه في عناصرها وطبعها تحصل في القوة النفسانية صادقة وتقر في الذهن مجردة من طبعها وعناصرها ، وتقيس بنفس المحرك الاول على المحرك الثاني في الانسان وهي محمولة على الخيال وموضوعة (٢) للفكر • وبالنظر اليها والى تصريفها شكك ثامسطيوس في جوهر العقل الهيولاني حتى قال فيه ما قال • والقسم الثاني هو قوة شاكة في المعنى المرغوب فيه وهي التي يبحث عنها بها بهل و او و لم و ام وكيف • والقسم الثالث هو

---

١ ــ أ و ب : وذلك. وعلى هامش أ تصحيح لذلك. وقد إخترنا التصحيح.
٢ ــ ب : وموضعه .

الانفعال الحادث في النفس من حديثها وتصريف الخيـال واضافة الصورة التي اعطاها الحس للاعتقاد وتحريك ما وقع في الاعتقاد بالقوة الشوقيـة او بالتكييف الذي ترجحه القـوة المفكرة وتمثله ، حتـى يظهر في داخل الحس الصور الشبيهة بتلك او الغريبة المخترعة بالالحاح عـن رجـوع النفس الى قعرها وقهقرتها الى رتبتها الذهنية ٠ وهـذه القـوة مفتننـة وملذوذه عند بعض الصوفية ، وعند من لم يحصّل الصور الروحانية على التمام ويحقق عالمها ووجودها، حتى يعلم الصادقة منها والكاذبة والمخترعة والمنبعثة والمحركة بالعقل الهيولاني ٠ وقد غلطتْ الغزالي ومن كان قبله٠ والحكيم لم يعط في الخلاص منهـا قانونا ولا نبه عليه ٠ الا انه اعطى في الكلام على النفس مجملا بغير تفصيل ٠ ولو شرعت في ماهيتها ومن ايـن يغلط فيها وبها ومنها ، ومن غلط من المتقدمين فيهـا ومـن لـم يغلط ، وتقسيمها وكيف تميز من غيرها ، وما الذي يمنع من الوقوع فيهـا لطال الامر وكثر الكلام ، والغرض الاختصار ٠ وعنـد الكلام علـى الامور الالهية والمعارف الرحمانية ، والحقائق الوهمية ، والدقائـق الصمديـة ، والاشارات النبوية ، والرموز الهرمسية، والتنبيه الازلي والروح المستولي نذكر لك بعض ما تحتاج اليه في هـذا الشأن ، فانظره فيما بعـد ان شاء الله تعالى ، واكتم خبرها واقطع بـك عنك ضررك ٠ والقسم الرابع هـو المعنى المحرك للذهن في مواده التي حصلت له من خارج الذهن وانفعـال النفس له وحركتها بين الخيال والفكر ٠ وهذا هو الذي يتصور بـه فـي الصنائع العملية وبعض العلمية ٠ والقسم الخـامس هـو اخبـار غلط الخيال [٩٠ ب] او مقايسة المعنى الحاصل في النفس مـن الخيـال بغيره فاعلم ذلك ٠

القول على القوة النزوعية

القـوة النزوعيـة هـي التـي يظهـر فيهـا المحـرك النفسانـي

الذي يصدر عن الانفعال وهو بالخيال والاجماع • ومفهوم هذا هو ان الخيال يحصل في النفس والروح صورة ويثبت فيها • وهذه الصورة قد تكون مستحسنة وقد لا تكون • فاذا قدرناها مستحسنة وأردنا تحصيلها بعد او الوقوف عليها ورأينا في النفس ما يمنعها من ذلك ويردنا عنه ، وكأنه بخبرين احدهما يقرب الصورة والآخر يدفعها ويبعدها ، علمنا ان ذلك لمعنى آخر • وهذا المعنى نسميه بالاجماع • واذا اعطانا الانزعاج وحملنا على الشيء المتخيل حتى يلحق به ونظفر ونناله • مثال ذلك اذا تشوقنا لنزهة خارج المصر ونعلم ان ذلك خير وصواب غير انا لا نتحرك اليه • فاذا اجتمعنا على ذلك ووقع العزم النفساني خرجنا وتنزهنا • وهذا الاجماع وماهيته وكيفيته وكيف يكون انبعاث الحركة عنه في وقت دون وقت ولماذا وبماذا يطول بنا الكلام عليه• والغرض انما هو تنبيه الفيلسوف على الحق بعد ذكر مذهبه • فاذا وقف على هذا الكلام من حصّل علم الفلسفة فيعلم ما حذف منه ويقبل العذر في ذلك • واذا وقف عليه غير الفيلسوف يكفيه منه ما ذكرته اذ المقصود من هذا الكتاب هو ما يتضمنه كلام المقرب وما يعطيه كلامه على الصوفي والفيلسوف لا غير • وكذلك يجب ان تنظر العاقل من حيث هو فان هؤلاء الرجال هم الذين يخاطبون في الارض • واما الفقيه والأشعري منهما لا فصل لهما يميزهما من الحيوان غير الناطق • ولا لهما مقدمة على معرفة كلام الصادق ، ولا سبيل لهما الى العلم بالواحد الخالق الا ان رجعا الى اصولهما الاولية ، اعني النصوص الشرعية والاقاويل البسيطة النبوية ومنهم اطلاق المعصوم البشير والوقوف على مدلوله فنعم الرسول هو ونعم النذير • واما دليلهما اذا تفهمه النحرير والابله والساكن المفكر والمتحرك الموله سخر منه وفر عنه وضحك وتأسف عليهما واستعاذ بالله منهما وزال بجملته عنهما ، وقال : اما انا فلا شك عندي في ضلالتهما • فعليك يا ايها المسترشد بترك اوهامهما وما ابرزته من الخرافات اذهانهما•

[٩١ أ] واعلم انهما ذوا ريب ضللتهما احلامهما • وعليك بفهم الشريعة بحسب مذهب المقرب • فنعم المرشد هو ونعم المدرب والمجرب • ولا تمل وقف الليل كله وتذلل واعتكف في محراب الخشوع وتعرض لنفحات الرحمة الرحمانية ، وتشبه في كل افعالك بالاخلاق الربانية وطالع وابحث واستعد واسأل من الذي لا يغيب عن المحدث ولا يفقد واعبده في وقت البسط والقبض حتى ينشدك التوفيق اذا كنت تسهر ليل الوصال وليل الصدود متى ترقد • ويظهر لك والله من العلم والطرق ما يتقرر في بصيرتك انه خير ما يلجأ اليه وما اليه ينتسب • وبالجملة يا اخي تحدث — والذي خلق الجميع — امور لا من جنس ما يكتب فمن خدم الكريم كانت مقدماته مطلوبة موجبة ومن طلب المعروف من اهله تصورت نتيجة صادقة • من طلب شيئا ناله فافهم قوله « يراها او ترى له » • وانموذج النبوة يسري في قلوب العارفين كما يسري الفلك الأطلس والكوكب • واشارة الصديق (١) تتكون في اذهانهم كما يتكون المولد والمركب • ولا يهولك ما تسمع من الجمهور والخاصة الخسيسة من الترهات والمحال واسمع من ابي الطيب المتنبي في قوله :

خذ ما تراه ودع ما سمعت به   في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فهذا البيت والله شارح احوال السادة السعداء • فقاتل السعادة لئلا تقتلك هي وتصير الى ضد الذي صار اليه الشهداء • واضرب الارض في طلب العلماء بالطول والعرض ووجه وجهك للذي فطر السماوات والارض • وعالج جراحات جهلك بخير الادوية والمراهم • وافعل فعل ابيك المسلم ابراهيم • واعجز واسأل واخضع وقل : يا الله يا سميع يا

---

١ — اشارة على الارجح لابي بكر الصديق . وابن سبعين يشير في أكثر من موضع لذلك . والاشارة المقصودة هي ما ينسب لابي بكر من قوله : العجز عن درك الادراك ادراك .

بصير • ففي مثل هذا قال النبي المكلم : « رب اني لما انزلت الي من خير فقير » (١) • وانس نفسك بصفة الكريم الاول الحق الذي لا يسأل عما يفعل ، فهو الذي يسعد وهو الذي يحرم وهو الذي يرفع وهو الذي يجعل • وبالجملة اجعل اسوتك [٩١ ب] الممجد عند الله الذي قال فيه « وانك لعلى خلق عظيم » (٢) • وكن بنفسك وبغيرك رحيم ، ولغيظك كظيم • ولقد نعلم انك يضيق صدرك بوصيتي ولقد نقول انك تقول زدني لمسألتي ودعني مع همتي ونيتي • ونرجع لبقية الكلام على القوة النزوعية بعدما نقول : اخرجني من الكلام عليها غيرتي على الحق واهله والنصيحة التي تعصم المسترشدين من فعل الشرير • وقوله وذلك ان الخيال يفارق الحس وقد صح ان مع كل تخيل حسا • وقد يظن انه يكون حس دون تخيل وهذا يتفسر بعد • وهذا الاجماع الذي ذكرته لك هو معقول النفس اذ النفس هي المقولة بالذات على جميع القوى الروحانية• لانا نقول المحرك الاول الذي فيها مؤلف من خيال ونزوع • والجزء النزوعي هو الذي يعبر عنه بالنفس النزوعية• ولذلك يقول القائل نازعتني نفسي وقالت لي نفسي • وهذه القوة اذا نظرناها في جملة الانسان قلنا فيها قوة • واذا رأيناها قد اخرجت المراد الذي كان بالقوة الى الفعل قلنا فيها نفس • والمعنى الذي نجد فيه المخالفة والمخالف هي القوة المفكرة • وقد قلت لك ان القوى الروحانية مع النفس دائرة وهمية وجواهر ذهنية ورتب وهمية • والانسان يجد فيه المحرك والمتحرك • وبالضرورة ان المحرك فيه هي النفس والمتحرك هو البدن ، والفاعل هو النفس والمنفعل هو البدن • غير ان الفاعل البعيد في الحيوان هو الحار الغريزي والفاعل القريب هي القوة النزوعية ، والحار الغريزي يعطي المادة وهي الحياة • وبالجملة به تفعل النفس افعالها والقوة النزوعية محمولة على الوهم •

١ ـ سورة ٢٨ آية ٢٤ •
٢ ـ سورة ٦٨ آية ٤ •

وقد نجد الوهم ولا يكون نزوع . وقد يتشكك في الوهم فنقول هو المحرك من اجل ان الحركة التي بين الخيال والاجماع معقولها هو الوهم. ولا تقدر ان تقول النزوع في الوهم لئلا يمنعنا الترجيح وصدق العزم في وقت ما ، ولا ننكر انه في الوهم فان الوهم هو الذي قام في ذلك لكنه الظاهر ان النزوع ليس بحق في الوهم انما هو في شيء آخر وهو الحار الغريزي. اعني انه لزم له، اذ المحرك الاول هو الاصل في حركة المتحرك. لانا نقول : الامير حرك الحرب ، ولا نقول الاجناد حركته . فان الفاعل حقيقة هو الامير ، وفعل الاجناد متأخر عنه ، ولذلك يسكنه اذا شاء ، ولا يقدر الاجناد على ذلك . وايضا الوهم انما هو صورة مصرفة وقائمة في افق الخيال ومحمولة على الفكر وما هو كذلك . فالمحرك له على ما يعطيه النظر الطبيعي انما هو القوة النزوعية مثال ذلك الغذاء وقد تخيلناه وتوهمناه فضيلة ، ورجحنا مزاجه على غيره ومنعتنا النفس النزوعية بصوم ما واختبار ما بالتمرن ، واما قهرتنا على ما توهمناه بالجملة . وايضا الفعل في القوة النزوعية بالقوة ووقوع المطلوب فيها بالفعل . والوهم لا يدخل [٩٢ أ] في شيء من ذلك اذ هو لا يتصرف الا في لواحقه خاصة ، اعني في تكييف المطلوب وماهيته . والنزوع يفضي فالوهم يفضي بوقفه. والنزوع انفعال صادق او مانع لمعنى او فاعل له .

اقسام النفوس

القول على النفوس المعقولة في عالم الكون ، وهي النفوس الجزئية ، وهي المشتركة بين الحيوان الناطق وغير الناطق . فالحيوان الناطق تكمل فيه جميع انواعها اما بالذات واما بالعرض . فالذي بالذات منها النفس النباتية والحيوانية والناطقة . والذي بالعرض النفس الحكمية والنفس النبوية ثم المراتب التي نذكرها عند ذكر الناطقة بحول الله تعالى،

وقد ذكرتها فيما تقدم من الكتاب • والمقصود من ذكر هذه النفوس وحصرها التنبيه على المراتب المذكورة• وصف مذهبك يا فيلسوف لا الحق الذي يعول عليه ويسعى اليه ويرام تحصيله ويطلب من الله كثرته وقليله • فانك وان كنت ممن يتكلم في المسألة ببعض الحق وظهر لك فضل مزيته على كثير من الخلق ؛ فما انت ممن يسلك على سواء الجادة المشار اليها بالحق ولا ممن يسمع عنها ، ولا انت ممن يرشد اليها ما دمت تطلب الحقيقة بضدها وتعلل كنهها وانت فيها ومنها • فنبدأ بذكرهما كما شرطنا فنقول :

النفوس خمس ، نفس نباتية ، ونفس حيوانية، ونفس ناطقة• وهذه اجناس النفوس الجزئية الا ان الناطقة منها قد تكون على وجه التمام نفس حكمية ونفس نبوية ، وعقل بالقوة وعقل بالفعل بحسب ما يتفسر بعد • وهذه النفوس هي المشار اليها عند الشرع الكريم والفلاسفة بالفضيلة ، وهي الجوهر الخالد ما بين الاجناس المذكورة قبل خاصة • ولكل نفس من هذه الانفس خواص وافعال وقوى ولواحق نذكرها لك بعد هذا مفسَّرة ونبين لك ما جوهر كل واحدة منها وما مبدؤها وغايتها بحول الله تعالى • فنبدأ بالنباتية وهي الموضوعة للنفس الحيوانية ، والحيوانية صورة فيها • وهي الشهوانية وافعالها في جسد الانسان والنزاع الى الغذاء وطلبه والتلذذ به عند حلوله ، والاستضرار بفقده اذا فقدته ، وجذب الموافق من الاغذية الواردة عليها ؛ ودفع المخالف لها وحفظ الشيء بشخصه ونوعه • فحفظ شخصه بالغذاء وحفظ نوعه بالتولد وهو التقويم الطبيعي • وفيها بعض حس مثل ما يوجد في النبات اذا ارسل عروقه للمواضع الندية ، وكونه يحول اوراقه للشمس • واذا لقيت عروقه ما يمنعها عن طريق حركتها زالت عنه وطلبت اسهل منه • وفيها هو معقول النمو في بدن الانسان وبها قيل في النامي انه هو الذي

يقبل الغذاء ويحيله وتتباعد اقطاره عن وسطه على نسبة محفوظة ، وهو الذي يرد عليه الوارد وهو باق ويتحرك [٢٩ ب] في الكم على موضوع محفوظ ، وفيه الكيفية محمولة وهي صورة النبات الكلية وبالجملة الكلام عليها يطول ويخرجنا عما كنا بسبيله • وانما المقصود بذكر هذه النفوس وما هيتها ولواحقها ، وهو ان نعلمك ما الباقي منها وما غير الباقي بالبرهان ، وواجب ان يخلص الطريق المعلم للمتعلم على اي وجه خلصه ويزيده في سؤاله فان المقصود صورة البرهان في نفسه وتحصيل المطلوب لا غير • وهذه النفس النباتية تذهب وتفنى عند نقص المركب • فان ذاتها متعلقة به والموضوع المركب مقوم لها • وهي وان كان لها الهياكل النباتية غير اللحمية والاعضاء المتشابهة الاجزاء والقوى السبع ، الجاذبة والماسكة والهاضمة والغاذية والدافعة والمنمية والمصورة ، وتميز الجهات الست بقوتها التي تنحلّ وتتلاشى عند فساد الهيكل الحامل لها ؛ وهذا يشهد له الحس في النبات وغيره • وانما كان ذلك فيها لعدم الاستعداد والقبول وبعد النسبة من الفيض الالهي • وفي الكلام على باقي النفوس يتبين لك ذلك كله • ولا خلاف بين الفلاسفة في هذه النفس انها فانية فانها لا حياة لها ولا عقل • وكل موجود مركب من عنصر ما ، اذا انحل عاد الى ما منه تركب • وهذه النفس عنصرها عنصر طبيعي ولا تعلق لها بالذوات المفارقة ، فهي تعود لعنصرها فاعلم ذلك •

القول على النفس الحيوانية

فأما النفس الحيوانية وهي الغضبية وفيها شهوة النكاح والمأكل والمشرب والغلبة والانتقام وطلب الرئاسة ولها الهياكل المنتصبة اللحمية والاخلاط الطبيعية ، وقد يوجد من موضوعاتها ما لا دم فيه • ولها الحركة الارادية والاختيارية • وفيها الحواس الخمس الا البعض منها اعين من النفوس الحيوانية ينقصه بعض الحواس • وبالجملة لها الالم واللذة ولبعضها التخيل والوهم ، والانس

بالانسان والركون اليه وفهم الاشارة واحكام بعض الصنائع العملية بحسب الخيال والتصور الوهمي لا بالتمييز والفهم العقلي ، كالنحل والعنكبوت ودود الحرير • والى النفس الناطقة اشار ارسطو بقوله النفس تمام لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة • وهذا غلط فيه بعض المتأخرين • وظن انه اراد بهذا الحد النفس الناطقة وركب من ذلك انها تذهب بذهاب البدن • اذ وهي تمامه اي محركة له ومدبرة فيه ، فان غيره من الجسوم لا يتحرك، فلما تحرك هو علم ان ذلك من الامتزاج الطبيعي• وان النفس هيئة تتحصل من امتزاج الاستقصات وتذهب بانحلال المركب اذ هي من معقول التركيب • والتركيب ينحل بسائطه [٩٣ أ] فالنفس تذهب • والذي حمله على هذا الوجه جهله باطلاق القول بنحو من التشكيك الذي يقال به الكبير والضعيف ، وقلة مطالعته لكتب الرجل ولم يعلم انه برهن عليها في غير موضع من كتبه • والامر في هذا بيّن جدا وانا نذكره على ما تقتضيه الفلسفة ونبنيه على ما يجب • فنقول : هذا الحد الذي حدها به ارسطو هو حد على الاطلاق ولم يقيد فيها اي نفس هي المحدودة • ولو كان الحد على التعيين لوجب ان يطلقه بتخصيص • فنقول : اذا قيل ما النفس الغاذية فيقال : هي استكمال الجسم الآلي الحساس • واذا قيل الخيالية قيل : هي استكمال الجسم الآلي المتخيل • ولم يطلق عليها انها تمام لجسم طبيعي الا لكونها تحرك الجسم بالحركة الارادية والآلات بخلاف ما تتحرك الجسوم التي تتحرك بنوع واحد من الحركة بالطبع الذي فيها • وهي قوة لا يضادها في الجسم الذي تحركه غيرها ؛ اذ المتحرك قوة فقط مثل حركة الحجر للوسط بطبعه • واما ذوات الانفس فان المحرك لها يحركها حركة مضادة لحركتها الطبيعية كرفع الرجل رجله الى ركبته ، ومثل الذي يصعد الى اعلى ثم ينزل والذي يرفع يده الى فوق • فلذلك قال في النفس انها تحرك بآلة وهو الروح الحيواني وغير ذلك كالعصب والنخاع • وبالجملة الآلة لها في الحركة على التمام

انما هو الحار الغريزي • ولما كانت الجسوم تتحرك ثلاث حركات ، حركة مضادة لحركتها الطبيعية كرفع الرجل رجله الى ركبته ، ومثل الذي يصعد الى أعلى ثم ينزل والذي يرفع يده الى فوق • فلذلك قال في النفس انها تحرك بآلة وهو الروح الحيواني وغير ذلك كالعصب والنخاع • وبالجملة الآلة لها في الحركة على التمام انما هو الحار الغريزي • ولما كانت الجسوم تتحرك ثلاث حركات ، حركة الى الوسط وحركة من الوسط وحركة حول الوسط ، ورأينا الحيوان يتحرك الحركات الارادية ويميل الى اي جهة شاء ، علمنا ان ذلك لصورة زائدة على الجسم غير الجسم وانها تحرك الجسم بمثل الحركة التي هي حول الوسط (١) • وهي قوة زائدة على معنى الجسمانية • فانها لو كانت الجسمانية لم تتحرك لجهة بدل جهة أخرى • ولا يمكن ان تتحرك الجسوم لجهاتها الست دفعة واحدة • فقد صح ان الصور على ضربين احدهما استكمال لجسم طبيعي لا يفصل بين المحرك والمحرك فيه وان كان هو معنى زائدا على الجسم لكنه من لواحقه ومنقسم بانقسامه • وهذا النوع يتحرك بغير آلة بل بجملته والنوع الثاني استكمال لجسم طبيعي يتحرك بآلة • والاول يقال عليه الطبيعة بخصوص ، والثاني يقال له نفس • فلذلك قيل في النفس انها استكمال لجسم طبيعي آلي • والاستكمال الذي يطلق على النفس منه أول ومنه آخر • كالكاتب اذا أحكم ادوات الكتابة وحصلها صورة في نفسه يقال له كاتب بالكمال الاول • واذا كتب واخرج تلك الصورة للوجود قيل له كاتب بالكمال الاخير • والنفس هي الموصوفة بالاستكمال الاخير وهي هي الفعالة بالطبع • فانها حية بالذات فان [٩٣ب] الحي هو الذي تتأتى منه الافعال ويتحرك بضد الحركة الطبيعية ، فالنفس استكمال أول لجسم طبيعي آلي • ولما وجدنا الجسم

---

١ ــ ب ــ حول الجسم ، والارجح كما اثبتنا من أ .

بهذه النفس التي تقدم رسمها قلنا فيه ان له حياة • وكـل جسم متنفس حي فاعلم ذلك • فاطلاق الحكيم فيها انها تمـام لجسم طبيعي آلـي ذي حياة بالقوة يصدق بهذا النظر • وهذا الذي أراده والـذي تأول عليـه خلاف هذا هو جاهل لا عقل له • فان الحكيم أنبه مـن ان يدخل الجسم في حد النفس الناطقة ، وانما هو تكلم على الحيوانية التي هي الموضوع الاول للناطقة ؛ والناطقة صورة فيها • ولما بحث عن النفس بالعلم الطبيعي احتاج أن يتكلم عليها مطلقة ومن حيث هي في الانسان • وبعد ذلك نظر في الناطقة ثم في العقل المستفاد ثم في العقل بالفعل كما جرت عادته فـي الصعود الى المطلوب بصناعة التركيب • وكتابه في النفس يشهد بذلـك وهو بيّن لا شك فيه لمن يعقل عنه ، وهو ثلاث مقالات • الاولى ذكر فيها النفس وحقيقتها وماهيتها ، والثانية ذكر فيهـا شبه التلخيص في ذلـك والقوة الغاذية والقوة الحساسة والحواس ، والثالثة ذكـر فيهـا الحاس والحس المشترك والقول في التخيل والقوة الناطقة والقوة النزوعية وغير ذلك • واعلم ان النفس اذا اطلقها القدماء انما يطلقونها بالـذي يطلقون المتفقة احوالها • فان قولنا استكمال يقال بتشكيك ، وكذلـك الجسم والآلة هـي بالجملة تقال بنحو مـن التشكيك الـذي يقال بـه الضعف والكبر وما جانسه وهذه النفس تنحل بانحلال المركب وتفسد بفساده ولا حياة لها بوجه • والفلاسفة مجمعون على ذلك ولا خلاف بينهم انهـا تفنى ولا تبقى لعدم قبولها من واهب الصور ولذلـك اعتقـد ديوجانس ان الانسان مركب من جوهر يبيد ويفسد وجوهر يبقى • وان الباقي لم يبق الا للاستعداد الذي كان فيه • ومن المتأخرين من قال انها باقية غير انهـا تتنوع بحسب الموضوع • والذي يعتقد فيهـا هـذا لا يطلق النفس الا باطلاق واحد ، وهذا هو مذهب أهل التناسخ الاجالب وهـم عامـة البراهمة • وأما علماؤهم فيعتقدون فيها انها هـي المشار [٩٤ أ] اليهـا بالجن عند الشرائع ، وذلك لغلبة المادة عليها وهي التي منعتها الصعـود

الى أعلى • وهؤلاء ينكرون العقول الثواني والعقل الكلي والعقل الفعال والذي بالملكة والمستفاد • والهيولاني يقولون به الا انه عندهم ازلـي • وقد أخذ بهذا المذهب الاسكندر (الافروديسي) • ومن الناس من قال انها تبقى بالتعلق في عالم الكون وبالجوهر فوقـه وهي مهملـة ، وكونها تبقى في عالم الكون بالتعلق ، وللقوة الخيالية التي غمرتها بها المادة • ومن الناس من قال انها تبقى من حيث هي كلية في مقعر فلك القمر ، وكأنها من الاجناس العالية للنفوس الحيوانية • ولو قدرنا فسادها لذهب الحيوان• ومن الناس من قال ان الفرق بينها وبين الناطقة ممـا يعسر يعني فـي الجوهر • واحتج ان الحيوانية في الانسان متقدمة بالطبع عليها ، وهـي الموضوعة لها والمقومة لوجودها في الانسان • وهذا القائل في غاية الجهل فانه لم يعلم ان تركيب الانسان مـن التركيب المخالف كتركيب النـوع والعنصر • ولما رأى جملة يقال لها الانسان ويشار اليهـا ، اعتقـد انهـا متناسبة الكم والكيف والجوهر والجملة ، ولم يعلم ان الانسان فيـه الجوهر الروحاني والجوهر الجسماني وانه عالـم صغير • وأيضا يقـال لهذا القائل ان كان الذي يقول هو مما يحقق شبهتك في تعلـق الحيوانية بالنفس الناطقة فالنفس النباتية أقدم بالطبع ، والامهات أقدم من الكـل وهذا شنيع ولا يلتفت الى الخرافات والهذيان • ومن الناس من قـال ان النفس الحيوانية لا حقيقة لها وانما هي حياة مخلوقة في الحيوان الغـير الناطق بغير نفس • فاذا مات ذهبت وذهابها هو موته • والانسان حيوان حي ونفس • ولذلك كان بعد الموت لا يفنى ، ومن الناس من قال انهـا باقية على جهة الانتقال من موضوع الى موضوع ، واعتقـد ان الناطقـة تنتقل الى موضوع الانسان والحيوانية الى موضوع الحيوان غير الناطق بحسب أنواعه وصوره • وهؤلاء هم الذين يقولون بالتناسخ مـن حيث الاجتهاد ، وهم أنبه ممن ذكر قبل مع كونهم على الباطل • ومنهم من قال بنقلة النفس من حيث هي ولم يشترطوا الناطقة ولا الحيوانية ، ولا فرقوا

بين النفوس الا بالموضوع الطبيعي وهو الذي جعل عنده فيها الكيفيات • حتى ان الجسم الذي فيه النفس الناطقة لا يمكن ان يجعل غيرها ولا يقبله ، وذلك لكيفيته ومزاجه [٩٤ ب] واختلاطه الذي هو على هيئة ما وطبيعة ما وكذلك الحيواني • ومنهم من قال النفوس مرتبطة بالكواكب ولكل نفس كوكب يخصها وهو المدبر لها وهي تابعة له على الجملة • والكلام عليها يطول وهذه النفس الحيوانية فانية عند جميع الحكماء • فانها لم تخلص ولا اتصلت بالذوات المفارقة ولا نقلت من قواها ، وانما صورتها المقومة لها عندهم انما هي الابدان المركبة والمزاج المختلط • فاذا انحل بطل جوهرها ، فانه عن المواد ومنحل اليها • والامر عندهم بين بنفسه بحيث لا يحتاج الى بحث ولا نظم • والكلام عليها انما هو بحسب مذهبك لا بما أعتقده أنا وأقول به • والذي أقول به ان العالم كله بالقصد الاول وهو الفاعل فيه على الاطلاق • وان الجوهر الباقي لم يبق لكونه جوهرا على هيئة ما وانما كان بقاؤه من القصد المذكور • فان الممكن لا حقيقة له الا بالواجب والمعلول لا وجود له الا بعلته • والكلام على ذلك يطول ، وعند وصف الحق وماهية النفس بحسب النظر الصحيح وتعليم المقرب وارشاده ، يتبين ذلك على وجهه ويخلصه حتى لا ندع فيه للذهن توقفا ولا ترددا ولا تعليلا ولا تحيرا في الضمير ولا تخليطا بحول الله ومنّه وفضله •

القول على النفس الناطقة

هي التي فيها الفكر والروية ومحبة العلم والمعرفة • وهي التي تملك الصنائع القياسية والغير قياسية ولها العمل باليدين ولها الهياكل المنتصبة • وهي التي تكون فلسفية وحكمية ونبوية وتبحث عن العلوم النظرية التي تبلغها لحقائق الامور والحرص على أسباب الاشياء وعللها ، والاستدلال بظواهر الامور على بواطنها ، ومعرفة مراتب الموجودات في الوجود ، وكيف انبعثت عن الاول الحق ،

وما القدم والقديم ووحدانيته ، وهل وصفه بالسلب أوجب من وصفه بالايجاب أم لا ، وما الفرق بين المبدع الاول وغيره ، ولاي شيء كان واسطة بين غيره وبين مبدعه الواجب الوجود • وفي هذه النفس ظهرت الصورة الشريفة والقوة الالهية النبوية ، وتلقي الوحي والالهام والاتصال بالعقل الفعال وتقويم سائر النفوس المنحرفة وارشاد الانسان حتى يفعل ما ينبغي له ان يفعل ، والذي ينبغي من أجل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي ، وخلاص الفطر الناقصة بوضع السنن والاحكام الموافقة والرغبة والرهبة والوعظ والوعد والوعيد ، وكلما لا تقدر النفس الحكمية عليه • فان هذه النفس النبوية [٩٥ أ] تأخذ الامر من الاول الحق والكلمة المعظمة والذات المنزهة بغير واسطة ولا تركيب ولا بالقوة ولا بالبحث • والنفس الحكمية ما لها أكثر من النظر في كليات الاشياء خاصة وهذه النفس بالجملة ، أعني الناطقة ، هي التي قيل بها للانسان حيوان ناطق يعقل ولها علم الله البيان • واذا نظرت في صورة الانسان في أول حاله فعقل بسيط ثم يظهر فيها العقل الاول الغريزي ثم العقل الذي هو بالقوة والملكة ثم المكتسب ثم الفعال • ومن قواها العقل العملي وهو الذي يستنبط به الانسان ما يريد أن يفعله من الاعمال الانسانية ومن قواها العقل العلمي وهو الذي ينضم به جوهرها ويصير به جوهرا عقليا بالفعل وهذا العقل له مراتب يكون مرة هيولانيا ومرة عقلا بالملكة ومرة عقلا مستفادا كما تقدم • وهذه القوة التي تدرك المعقولات جوهرة بسيطة ليست بجسم ولا تخرج من القوة الى الفعل ولا تصير عقلا تاما الا بسبب عقل مفارق وهو العقل الفعال الذي يخرجه الى الفعل • ولا يجوز ان تكون المعقولات منحصرة في شيء متجزيء أو ذي وضع • وهو مفارق المادة يبقى بعد الموت وليس فيه قبول الفساد • وهو جوهر آخر وهو الانسان على الحقيقة • واعلم أن النطق يطلقه القدماء على ثلاثة أنحاء ، احدهما العقل البديهي ، والثاني هو ما يحصل للنفس من المعلومات

والمعارف والكليات • وهذا هو النطق الداخل عندهم • والثالث العبارة باللسان عما في النفس وهذا هو النطق الخارج • ونحن اذا نظرنا ذوات الاشياء ومعانيها وجدناها في قواها الخاصة بها وفي الفكر وفي الوهم والتصور وفي القول وفي الرسوم المكتوبة • والرسوم المكتوبة تدل على ما في القول • والقول يدل على ما في الفكر • والفكر يدل على ما في الاشياء • والاشياء تدل على ما في ذواتها •

والنفس اذا قبلت صور المعلومات وحصل لها المعنى الكلي منها ، يقال لها عقل • واذا أحاطت بها وتمكنت من الدلالة على معقولاتها يطلق عليها نطق • وهي بالجملة جوهرة روحانية بسيطة مفارقة للمادة ، علامة بالقوة فعالة بالطبع • والنطق صورة لها وصفة لها ، وحده علم يشير الى المكنونات بالروية والفكر • وقد يقال عبارة نفسانية مبدؤها النفس ومحركها العقل • ويقال النطق خبر لازم للحي العاقل بين العقلين البديهي والمكتسب • ويقال النطق سر تعلل به الاشياء [٩٥ ب] وتجمع به المعاني في النفس وتفرق باللسان ومع ذلك كله بحث الفيلسوف عن النفس والقوى الخاصة بها انما هو في العالم الاول ، وهو صادق في الكثرة لا في كله • ولا تظن ان العالم الهيولاني يتعدد ويعقل فيه التسلسل وتظن بالعوالم التي نذكرها لك انها هيولانية ، أو تظن بها انها مما علمها الفيلسوف فيصفها ويحيط بها علما • وهذا وان كان قد وقف على حق ويقين من العلم بالجواهر الروحانية فلا كما ذكره ولا على الوجه الذي ذكره • وعظماء القدماء تبين لهم ما قلته لك في آخر عمرهم • وصح الامر عندهم بصناعة أعلى وأجل من صناعتهم وأليق وأنبه بكثير • ولا نسبة بين الشريف والوضيع ، والنازل والرفيع ، والمرؤوس والرئيس ، والفاضل والخسيس • والله يبلغ الخير لاهله وينعم عليهم به بفضله ويعرفهم بالنعمة النازلة من فوق الافلاك وعقولها • ويفيض عليهم من الخيرات التي طلبتها الرسل من ربها حتى بلغها فيه الى سؤالها •

وهذا المبحث على مذهب الفيلسوف مبحث كيف رباط النفس مع البدن قد تخلص الكلام عليه • وأردت بذكره تعليم مذهبه على ما يجب وبعد ذلك نبين ما الحق في نفسه ، وما السر الذي يعمل عليه الجميع ويطلبه البصير السميع • ويتمناه المسترشد الصالح وينكره السفيه الطالح • ويعسر فهمه على الغبي الشرير ويسهل تصوره على النبيه النحرير • ويلتذ به العاقل ويطرب به الناقل • ويلهج به السامع والمسمع والناسخ ، وينشط به العامل العارف الراسخ • ويكلمه الكل بالطبع والامر المرعي ، ويبوح به المنسلخ بالقصد والخبر الشرعي • ويحذر عنه المباشر له باعتقاده ويمنعه من خفته الخاطر برقاده • ويفيده الضمير بذاته بالاختلاف الوارد ، ويوفيه حقه المحقق باليقين البارد • ويعلمه القطب لخليفته ويتصرف به المحصل في شريعته • ويتجرد المتصف به عن وجوده ، ويخرج بالجملة حامله عن نفسه بجوده • وينظر المحقق الذي يكتحل به نظر المبدع لها ، وهو كلمة ونور وعبد ، ويحيط بالمعلومات كلها وهو نسمة وسور وجهد • [٩٦ أ] ويصعد على حبل الطور الاخير ويطلب الاذن ويسعف ويعرج الى السماء الاول ؛ ويجتمع بالاب المعظم ثم يرحل عنه ثم اليه ينصرف ويسبح بالحق والشيء والامر والوجود والهوية والانية والذات والقدم • ويكتبها في ساحة سماء اضافته بالنفي والعجز والنقص والاضطرار والعدم • ويعلي بأحواله وهمته ، ويحدث الناس عن ربه ونعمته • ويسمع زئير القلم في لوح التعلق بعد الهيبة ويعاين الكاتب في عرش الوحدة (و) يكتب ما ليس في الكتب ويسمع كلام ربه في سره « اني أنا الله » بالترحب ويصعق في صروف خبره بالتقلب • ويجلس على الوتر وهو متمكن فيه ويبصره ويسمعه ويتنفس به ، ولا يزول عن فيه • ويحرر المطالب ثم يرجع عن الذي فعله ويعاين الغيوب والخبر في حضرة الذي خلقه وكمله • ويستعيذ بالله من شر الذي وسوسه ويرغب في غرس تمنيه • (و) يذم بعد ذلك الذي غرسه • وينادي بالاولية

الازلية على راحلته ويسمع الجواب اقبل اقبل اقبل • ويصل الى العبودية التاسعة ويتضرع الى وقت اسبل ، اسبل ، اسبل • ويروم القرب المرسوم بالنفخ والورق • ويصلح الباب الذي كسره في مدة الغرق • ويلح على الاسماء حتى يحصل عظيمها • ويقسم الجنة ويزهد في خيرها ونعيمها • ويشكر الرحمن بالجمع ، ويبشر الاخوان بالمنع • ويخالط الملائكة الكرام بالتزمل • ويعاتب التوابين (١) بالوهم والتمثيل والتخيل • ويشوق الجنس الى من أوجده ويخلص العاقل من الذي بدده • ويسلم على أهل الحضرة بالافراد والقيام ، ويعاتب أهل القرب والاحلام النيام • ويذكر الغائب بالشروط المشهودة ويكفر بالجملة بالذوات المعبودة • ويأنس بنفسه بالتردد • ويذايق وجوده في بساط التجرد • ويستقيم على صراطه ويزيد في كمية انبساطه ويحفظ الحروف المقسوم بها • [٩٦ ب] ويصرفها على ثلاث معان وهي : نقطة وخط وتوقف • ويظفر بثلاث قليل وجودها وهي : زمان منصف وحبيب مسعف وخمر قرقف • ويغتنم قليله ويعالج بهويته عليله • والله يشهد والملائكة انه عظيم على الاطلاق فان عن النقص • وأنت يا مغرور ظننت بالصنائع الوهمية والخواطر السفلية والموارد الجزئية والهواجس النفسية والبواده الغيبية ، والالحاح الكوني المعكوس والربط الثابت الذهني المنكوس ، والتمني الكاذب والهون الذاهب والعلم المفعول المبدد والمعرفة التي معقولها مشدد والحال الحائل والوهم القاتل ، انها تبلغك مقصود الانسانية ومشاهدة الحال في الحضرة النفسانية • وهيهات هذا غلط عظيم وبهتان لا رجعة في زلته وشيطان لا فضيلة في نيته • انظر الى الوجود بعين النبوة بحسب مذهبك المهمل • وأبحث عليه بالكلام عليه دون الغلط وفي النور الاكمل • واعرفه بالنزوع اليه بآياته وخيره وقصده من غير وجود مقيد صادق صادر وتوجه اليه

---

١ ــ ب وهامش أ البداية بدل التوابين .

بجملتك واطلب الكمال من خالق قادر ، وكلمه بلسان الذلة . وتأدب معه وتعرض لنفحات الهاتف الوارد واغفل عن الغفلة والتفرقة والحجاب القاطع الشارد واسكن في غيبتك ولا تلتفت الى القواطع الاول . وسلم على النبي وحسن الظن بالخاطر المجمل . وكن في حق البداية محو ، وكن في حقيقة السلوك صحو ، وفي دقيقة الوصول محو ، وفي لطيفة الحركات ثابت ، وفي تقدير التقرير نابت ، وفي هاجس التثنية خافت . فاذا رحلت عن هذا الوصول الاول يظهر لك الخير الذي يسعى اليه المسترشد العابد وله يطلب المجتهد الراكع الساجد ، وبه كان الكون المعروف المقطوع المعلل وعنه صدر الكل المحلل . وبعد ذلك تركب التركيب الثاني وتصل الى رتبة ذكرت في القرآن وفي سور السبع المثاني . ومن هناك يلوح لك محل المقرب وتفهم ما في خطابه وتبصر الحق الذي لا ريب فيه ولا حجة فيه ولا تغليط وتدرب مع أقطابه . يا هذا لو كنت ممن يعقل لم تطلق في مبحث كيف رباط النفس مع البدن ما اطلقت ولا تصوفت في شيء منه ولا به نطقت . وكنت عند ذكر النفس تعلمها بالتنفس وعند وصف الجنس تعقله بالتجنس . وعند التقسم تنقسم [٩٧ أ] وعند الترتيب ترتسم وعند البداية تندب وعند النهاية تذهب . وعند الحضور تغيب وعند القيام تجيب . وعند التجلي تطيش وعند الرجوع تعيش . وتكون وعاء لحلول الخواطر الربانية والبواده والموارد الرحمانية . ويعود انسك على عين انسانك وذكر سلبك على طريق لسانك . وتقدم اذا لحظت النظام القديم وتوجد اذا وجدت الوجود القديم . وتعلق من حبل المعرفة التي تعصمك . فلا الحدوث ترضى به ولا هو يتركك ، ولا القديم تحض به ولا هو يقبلك . وتخطىء هويتك وتشكك انيتك وتميت ميتك المغلوط وتحيي ميتك الملغوط . وتسقط في أرض العلل والزلل وتغرق في بحر الابد والازل . وتشاهد المشاهد العظيمة وتتذكر العهود القديمة ، وتنفصل وتتصل لا بالذي به انفصلت ومن أجله وفيه ومنه صدرت ؛ ولا بالذي

عنه خرجت وله واليه دبرت • وتكون على حاشيتي النقيض قاعد وفي جبل الجميع والوجود صاعد • وفيه ليس لك طامع ولاسباب محوك جامع ولاهمالك وأحوالك قامع • وبعد ذلك ينخرق لك الحد ويظهر لك ما هو أعظم وأعلى وأشد غرابة وأجل وأحلى وتوجه مسائل التحقيق التي يظهر معها كل شيء هالك الا وجه الله ، لا على ما تقدم من المحو والمحق والفنا والوصول والحقائق والدقائق والغاية ولا ولا ولا واين شيء من شيء وكثير ما بين حي وحي •

وهنا نقطع التوبيخ والتعزير والتشويق والتنبيه والالهام والاعلام والوصف والارشاد والتلويح والافصاح والاخبار ، ونعود الى مناقضة مذهبك على الوجه الصناعي • ونترك الكلام على لب المسئلة الى كلام المقرب الذي يرشد العلماء والعارفين والبرهان والاخبار • فأما قولك الحس والحاس والاحساس والمحسوس والحاسة والجسم والقوى والنفوس والهيئات والاكوان القائمة بها والكيفيات الحالة فيها ولواحقها وماهيتها وأحوالها وجملة ما تكلمت به عنها ، فذلك في العالم الاول حيث يتكلم على الوجود المقيد والذوات الممكنة والجواهر المفارقة وغير المفارقة • ولو علمت العوالم الاخر لصح عندك ان الفلاسفة لم يظهر لهم من الوجود الا البعض ولم يتخلص على وجهه ولكنت ممن يخرج عنهم ويطلب الحق الذي لا يحصره الا المجموعات المؤلفات المرسومات ، وهي تسع وتسعون وتمامها منها بعد [٩٧ ب] تركيبها فيها وحصرها عنها على ركاب لي وبي وفي والحروف الاول كلها كالراء الرابط والالف الضابط والنون المفرد والقاف المجرد والكاف المقيد والرسم المؤيد • والكلام الذي تكلمت به هو على نسبة أصلك ومبادئك وصناعتك • وذلك انما هو من المبدع الاول والكرة المشار اليها بالعالم الذي يظهر لنا ونشاهده بالحس والعقول المجردة والمستفادة والهيولانية بحسب ما يكون المسترشد بالقوة أو بالفعل • وهذا الذي نحضك عليه من فوق ما وصفته

الك عنك وذكرته بحسب مذهبك وهو من عالم أعلى وأجل ؛ وحضرة أعظم وأسنى ، ومبدعات أنزه . ولا تظن انـي اثبت عوالم هيولانية غير هذه لا ولا ولا . وانما الجواهر الروحانية يزيد عليها ما هو أعظم منها وان كان بينهما نسبة في الذات فلا على الاكثر ولا من كل الجهات ، والاحوال الواردة على هذه الذوات مفارقة ، وبالجملة لما يرد على هذه الجواهر المفارقة التي تعقلها انت لا التي أعقلها أنا وما بينهما نسبة في الذات ولا مقايسة . فان ذلك بالفيض والكلمة والفصل والمصدر والامكان والاستفادة . وهذه بالعلم والامداد والاقامة ومشاكلة النظام والخطف المكفوف والتقديس الملهوف . وهؤلاء العباد هم عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، لان هوياتهم معطوفة وانياتهم مقطوفة وماهياتهم مسلوفة ، وبصائرهم مستنارة وذواتهم مستعارة . وهم ينزهون الحق التنزيه الذي يجمل به ويجب له . ومعارف الفلاسفة لا يحسن معها التنزيه والتعظيم وان كانت على نحو ما ووجه ما قد يحسن ، فهو يكذب بالاضافة الى هذا . وحقائق الصوفية وان كانت صادقة ، ولها الوصول والادراك والبلوغ الى حد العجز عن ذلك الادراك ، فهو غير مستقيم المعنى ولا يصح معه التنزيه لله الا بالخروج عن العبودية . والخروج عن العبودية ما يكمل لهم الا بالسكر والصحو وأمورهم مشهورة ومعروفة . وعند ذكر مذاهبهم يتبين ذلك . والذي نريد (ان) نذكره وننبه عليه ان الحق لا يوجد الا عند المقرب ، وفي مفهوم الكتاب العزيز حتى يستقيم الشرع والتحقيق على البرهان . فتب يا مسكين واعلى ان الجسم ظلام في خط الكلمة المرددة والحواس الخمس فقط فيها . والقوى هواء يتخلل بينهما والنفوس نضخة الكلمة على تسوية الخط والنقط والهواء والعقول تقويم الاجابة ممن ذكر . وهذا أمر ليس بالعسير وعلم ليس باليسير واقدام على فك سر العليم البصير وطول كلام من عاجز قصير . فاسمع واجمع واصفع وانزع واخشع واخضع واقلع

واخلع واقنع واشبع الله يوفقك وينجح السعي بمنه •

وها أنا أتكلم على مذهب المقرب معك بالحروف وتركيبها [٩٨ أ] والكلام عليها مثل الذي تقدم قبل فنقول وبالله التوفيق : رباط النفس مع البدن خبر لعالم قديم وقد تعلق بمتعلق عديم • غير ان القصد الاول قدم وخصص وانعم ونصر وقدر وأعز وتكلم وألهم ومحص وذل ودفع وعذب حبب واضل واهجر وامحن وحرم وغيب • وجمع الخلافين والغيرين وفرق المثلين والاثنين ورزق السعادة فلذ به القضايا الالية وخلق الهداية بتفصيل الوصايا القولية • ومهد الطليق وانسه وسهل طريق الخير (١) وكله • وقرب الجلال ونزه فيه المولـه بجحده ؛ وبين الكمال وخلص منه المسبح بحمده • فهذه الحروف قد تم الكلام عليها ، فاسمع تركيبها راجح لا ينشب الا اذا استثنى عهده وسائح لا يصل الا اذا استوفى جهده • وقارح لا يثبت الا اذا سمع النداء من ربه بهمته • وهائم لا يشرح حاله لغيره وراهب لا يطلع عليه في ديره • هذه الحروف قد تم تركيبها فاسمع الكلام بها قرار سقط ووقت فقط • وعام طويل وشرب قليل وقال وقيل وحمل ثقيل وسر شراب وخير خراب وملك على ربط وشيء على ضبط • هذا الكلام قد تم • وهو كلام المقرب بحسب مذهبك واما اعتقاده فيما يتضمنه هذا المبحث ففي كلامه على النفس يبينه على ما يجب فاعرفه من هناك • وانما هذا الكلام في أواخر المباحث لكي يتشوف الى الحق ويرغب فيه • والحمد لله على نعمه •

بحث مفارقة النفس الجسد

اعلم يا فيلسوف ان السبب في مفارقة النفس الجسد على مذهبك ينقسم الى أربع علل ، وذلك ان الموت معلوم فينا بالضرورة • فاذا قيل لنا لم صار الانسان يموت ، قلنا لانه مركب من

---

١ ـ ب ـ وسهل الخير الحديق ؟

الاضداد ، ولاجل ان حده هو انه حي ناطق مائت • ولان الاصلح له ان يموت أو لان الحافظ له أو الفاعل متبدل وليست له اليه نسبة واحدة من المركب بل نسب كثيرة ، أعني بالتصريف والملكة ولا نسبة جنسية ولا مثلية • فالجواب الاول مأخوذ من مادته ، والثاني من صورته ، والثالث من غايته ، والرابع من فاعله • غير ان الذي يوجد مادة اذا وضع لم يكن يلزم ضرورة ووجود الشيء [٩٨ ب] الموجود بالمادة • وكذلك الشيء الذي يوجد فاعلا • فاما الشيء الذي يوجد غاية ما لامر ما فانه متى وضع موجودا لزم ضرورة وجود الشيء الموجود به • وكذلك الصورة فان هذين الشيئين يتساويان في وجود الموجود بهما ؛ وجملة الامر هذا يعلم اذا علمت أجناس الاسباب الاربعة وهي التي يتصرف فيها بمطلب لم وهو سؤال عن العلة • وأيضا الموت عند بعض الفلاسفة هو الاحكام الفلكية والهلاج والكذ خذاه (١) وما أعطاه المولد والنصبة الفلكية عند سقوط النطفة في الرحم • وعند بعضهم انما هو الحكم الطبيعي ، وهو فساد الحار الغريزي أو تبديد الروح ، أو استيلاء حكم البرودة واليبوسة على طبيعة الروح وهي الحرارة والرطوبة • أو سوء مزاج يلحق القلب أو هيئة مخرجة للمزاج عن حده الطبيعي أو فساد المركب بالجملة • أو تحليل الرطوبة الماسكة ونمو ضدها أو اختلال الاعضاء الرئيسة في الكيف والكم ، او تفرق الاتصال أو ضربة في بعض الاعضاء الرئيسة مثل ما يقطع حجاب القلب او يضر بجوهر الدماغ أو قطع النخاع • وجملة الامر الموت عند هذه الطائفة منهم طبيعة خامسة مضادة للحياة من شأنها أن تخرج المزاج الذي به كانت الحياة الى حد لا يمكن به التحرك ولا التنفس ولا الغذاء • وتختل معه الارواح الثلاثة وتفسد جواهرها وذلك لفساد

---

١ ــ على هامش أ و ب : الهلاج عبارة عن خروج النطفة من الرجل الى رحم المرأة . والكذخذاه عبارة عن تحرك الجنين في بطن امه .

القوى حتى لا يشبه الحال الاول ولا يناسبه بوجه • والعمر الطبيعي عندهم ماية وخمسة وعشرون عاما ما لم يعتري الانسان سبب من خارج كالقتل وهجوم الدم ولدغ الافاعي وما أشبه ذلك • وتكون البنية كاملة وصالحة على ما يجب • ومن الفلاسفة من يقول ان الموت مربوط بالقصد الاول الى أمد معين من أجل وجود لازم يجب عند حضوره خروج النفس من الجسد على كل حال • فيظهر من مذهبهم ان الموت ولادة النفس وخروجها من الظلام المحض الى النور المطلق • وسبب خروجها هو انحلال المركب النوعي والعنصري ، وذلك بشوق طبيعي وشوق روحاني فيخل الجنس الطبيعي الى جنسه والجنس الروحاني الى جنسه • وهذا دليل على بقاء النفس الناطقة بعد فراقها الجسد • ويظهر من مذهبهم ان الموت سببه هو التدبير الالهي فتتخلص النفوس السعيدة من كدورات الهيولى الى عالم الروحانيين • وتعذب النفوس المنكوسة في مقعر فلك القمر بعدم استعدادها • فان النفس تصعد الى قدر علمها وسعادتها بحسب ادراكها وحيث وصلت معارفها تصل • ويظهر من [٩٩ أ] مذاهبهم ان الموت صورة ضرورية لا تعلل • فان المبادىء ووجودها عن القصد الاول والواجب الوجود والخير المحض لا يسأل عن علتها ، وهذا موجود بالضرورة • فلا يقال لم كان الفلك على شكل كذا أو فوق كذا من الافلاك ولاي شيء كانت الثلاثة تتقدم على الاربعة وجملة هذا غير مقنع في علة الموت • وجميع ما نذكره لك من مذاهبهم منه ما نفهمه عنهم بحسب مذاهبهم وما نعطيه من غير ان نذكره • ومنه ما نلزمه لهم على جهة الجدل • ومنه ما نوجهه عليهم بحسب مقدماتهم لا بما يريدونه • ومنه ما ذكروه في كتبهم • فنرجع اليهم فنقول : يظهر من مذاهبهم ان الموت هو الحكم القديم الذي تضمنه القصد الاول على جهة الانتقال والاتصال والانفصال • وكأن الميت من الناس انما هو يدور على رتب مختلفة والنفس الاولى هي الثانية وانما تنفصل بحسب الاشخاص

والذوات وهذا هو مذهب أهل التناسخ ، وهو أرذلها ، وهو لا يقبل عند الجلة منهم ، ولا هو مما يعول عليه ، وعظماؤهم ينكرونه بأجمعهم ويبطلونه ويضحكون منه •

ومن الفلاسفة من يرى في الموت انه الاتصاف بالاعراض الروحانية والخروج عن الاعراض المادية والحلول في العالم المفارق والخروج عن عالم التركيب • وسببه هو انتهاء الحركات الخاصة به والذوات القائمة بمولده وغلبة الحرارة الغرينية على الغريزية وان المجاورة من شأنها في عالم الكون لا تدوم بين الروحاني والجسماني • لان الروحاني اذا قدرناه يتخلص من القوة الى الفعل ويجوز على العقل المستفاد والهيولاني والاعراض المادية ويجوز على هذه الرتب المعقولة الجوهرية التي لا حاجة له بها وهي تغير حاله وتمنعه ان يخرج من القوة الى الفعل حتى يعود عقلا فعالا وينتقل لواجبه ومطلوبه ويترك المانع الحابس له في عالمه • وكذلك الجسماني لا يثبت مع الروحاني لان الجسماني بالجملة هو سجن الروحاني على جهة الحال لا على جهة الاتصال والاحاطة كما يعقل من المكان والمتمكن • فاذا كان ذلك كذلك فلا بد له أن يتهدم ولو جعلناه الى أمر طويل وهو العمر الطبيعي كما تقدم • ويظهر من مذهبهم ان الموت ترك النفس عمارة البدن • وان سببه هو القهر الالهي حتى يظهر التكوين انه لا خراب يلحقه ولا اهمال فتغلب المادة على الجواهر [٩٩ ب] الروحانية ، فتذهب أو يغلب الاتصال المفارق بعضه لبعض فيغلب الاتصال فيفارق ، ويكون من هذا الموت المشار اليه بتفرق الاتصال • وقد يظهر ان الموت انما هو حقيقة انما هو للنفوس الحيوانية وهي التي تشبثت بالجسوم • وانما الناطقة لا متصلة ولا منفصلة فتنسب لشيء من ذلك • غير ان لها حظ وخط وهمي مع الحيوانية فان غلب الجنس الروحاني عليها بالحكم الاول فتكون مفارقتها لها في عالم الكون مفارقة يسيرة •

والانسان حي في هذا العالم أعني عالـــم الكون والهيولى لا بالكمـــال الاول ، وفي العالم الروحاني بالكمال الآخر • والنفوس السعيدة لا حكم للمادة عليها فنفوسهم اذا مفارقة لها المفارقـــة اليسيرة بالضرورة وهـــذه النفوس السعيدة تتجرد وتنخلع عن بحر المادة قليلا قليلا حتـــى يتخلص بعض خلاص وما زال الامر يقوى عندها حتى تتوجه الى عالمها ولا تنظر الى هذا العالم فيبقى هذا على حاله ولا خبر عنـــد النفوس الناطقة منـــه وانما هو لها جسم كسائر جسوم العالم • وهذه النفوس هـــي نفوس الحكام الضعاف • ويظهر ان الموت انما هو سببه قوة الاتصال واستحقاق الجملة وتجرد النفس عن علائقها المادية وقواطعها العرضية • فاذا قدرنـــا هذا لم يكن للنفس الحيوانية تعلق بالناطقة وهـــذا هو الموت الوجودي وصاحبه لا يوصف بالموت الهيولاني وان كان هيكله يموت فان هـــذا لا موت طبيعي يلحقه ونفسه في عالم الملكوت ساكنة وجسده المشار اليـــه يمشي ويرزق ويصرفه هو كمال يصرف جميـــع أجسام العالـــم • فـــان الروحاني من عالم غير عالم الجسم فلا ينسب لشيء من ذلك • وانما الموت للحيوانية لا للنفوس الناطقة • وهذه النفوس التي تكون على هذه الهيئة هي التي تظفر بالحكمة المشرقية عندكم يا فيلسوف • ويظهر من الموت ان سببه وقوع الصور الحاصلة على ما هي عليه في النظام القديم على ما هي عليه في عالم الكون • وذلـــك ان القصد الاول يتعلق بجميـــع الكليات الاول والثاني بالثانية والامكان والارتباط الضروري بغير ذلك فاذا كان الامر على هذا الوجل فالموت صورة واقعة هناك • وهذا مذهب طائفـــة منكم والجسد يموت عندهم بالطبع والنفس مميتة لـــه ، اعني المخلصة • وغير المخلصة لا حظ لها في المفارقة فانهم يقولون ان الناطقـــة لا جسمانية فيها اذا تخلصت من كدورات [١٠٠ أ] الطبيعية • فاذا لم تتخلص مـــن كدورات الطبيعة لا روحانية لها • ويظهر من الموت ان سببه انمـــا هـــو الحكم الاول على الجواهر الثواني لاجل ما يلحقها من الالوان • وهـــذا

في العالم موجود بالضرورة فاعلمه •

وهذا المبحث قد تخلص الكلام عليه بحسب مذهبك • وبقي الكلام المنوط به وبكل مبحث قبله وبعده وهو كلام المقرب • والله يقربك منه ومن مناهجه ويعالج علة جهلك بمثل علاجه ، ويسمح لك في الوصول اليه بالاصول المستقيمة ، ويعرك بالمرتبة التي يظفر بها أهل العقول السليمة ، ويمن عليك بالمقام الذي ما من المحققين الا من سعى اليه ونواه ؛ وينور بصيرتك بنوره الذي ظهر لنفسه وظهر به كل شيء سواه ، وان صح وجود الشفع في الوجود او حقيقة ذات لغير القديم الودود ، وينعم عليك بك على التمام والكمال حتى تنال الحرية وتكون نعم العبد مخلصا من القوي اللعين • ويغسل باطنك بالماء المكنون الذي نبع من العين الازلي المعين • ويفيدك الحياة الواحدة الذاتية التي اذا وصفها الحي المتصف بها مات من أجلها وقام يخبر لها بها عنها • ويحقق لك المعاني التي اذا ركبها الذهن أو حللها كان الجزئي والكلي فيها ومنها • ويظهر لك بالبرهان من الغرائب ما لا ينكره العاقل ولا يستطيع على وصفه القائل والناقل ولا يقدر على دفعه المعاند الجاحد ؛ حتى يعود الشرط والمشروط والعلة والمعلول والعالم والعلم والمعلوم عندك واحد • وان كان مذهبك يحمل أني هذا ويدور عليه ويطلبه ويرومه ، فهو لا يعطي منه المراد ابدا ولا يصل اليه بوجه ولا يظفر به أصلا ، الا على انقص الوجوه واسخفها وأصعبها • فعليك يا مسكين بالخروج عن علمك ومذهبك والدخول في علمه ومذهبه ، والكفر بحقيقتك ومقصودك والايمان بحقيقته ومقصوده، والكراهية في الذي بين يديك والحب في الذي يهديه اليك • ولا يخدعك العلم الطبيعي والتعاليمي والمدني والالهي فجميع ذلك يكذب في الاكثر ويصدق في البعض أعني في الغاية • ولا يثمر ولا ينجح الله به سعيك وفي الصناعة والبحث والجدل والتركيب وفهم الذوات الطبيعية والالهية وتصريف الكلام وتقسيمه وحفظ هيكلك وتفريح نفسك الحيوانية

والناطقة بالالحان الموسيقية فأنت صادق ونبيه وخير من تكلم في الصنائع [١٠٠ ب] العلمية والعملية • ولا شك عندي انك أنبه الناس من بعد الصوفي لو من الله عليك وتسلم للمؤمن المسلم في نتيجة العلم الالهي • وتقول بالذي نلقيه اليك وتشتغل بفهم كلامه فهو من أوكد الاشياء عليك فانك قدمت ما فعلته في ظنك أنه صادق مقدمة صادقة فكانت نتيجتك صادقة بالاضافة الى مقدمتك لا بما الحق في نفسه • فأنت صادق الصناعة كاذب المقصود والغاية • ولا تظن انـي أنكر من علمك ما يقبله العقل بالبرهان ، وانما أنكر منه ما يمحله هو ويثبته العلم بالقرآن • فوالله لقد جاءتك من الاسرار والحقائق ما لو فهمته لصح عندك ان المبدع الاول والعقول التسعة بعده ناقصة الرتبة • والذي يعمل لها انقص وقد زال عن اعتقادها الحكيم المعظم عندك (و) لو علمت اين زال وكيف زال ولو كنت ممن نتكلم معه مشافهة لبينت لك ذلك كله ، وانما كلامي معك انما هو مع معقول الجنس وخيال الشخص مثل السروجي والحارث للحريري • لاني أردت أن أضع المراتب المشار اليها بالعلم في العالم ونتكلم معها حتى يبرز الحق على وجهه • والله يعين عليه بمنه •

والدليل[1] على ذلك نقيمه عليك من كلامك على هذا المبحث بحول الله • وهو انك قلت لمن علة الموت جملة وجوه وكلها معللة وبعضها لا حقيقة له وتنوعت ولم تنوع ، وقسمت ولم تقسم ، وأخذت الواحد وقسمته في نفسه • فان العلة في وجود المحمول في الموضوع واحدة وأنت جعلتها كثيرة • فأنت مخطىء ، وهذه المسألة عندك عويصة وعسيرة التخليص كسقوط ورق الكرم من أي شيء هو ؟ من عرض الورق أو من الرطوبة التي تنقش عنه • وهذا وان كان الذي وصف هذه المباحث والكلام عليها وما هي وبالجملة النفي والاثبات والخطأ والصواب فيها

---

١ ــ ب ــ والدليل عليك من كلامك •

انا ، فلا حرج علي في ذلك • وانما ينبغي أن نتكلم بالحق على ما هو عليه ولا نخالف فيه بوجه ولا على حال فاني لم أذكر الا ما علمته من مذاهبكم أو ما طالعته منها أو ما تسلمه انت يا مخاطب بلسان الحال • وكذلك جميع ما تكلمت فيه في هذه المسئلة انما هو بحسب ما ظهر لي وفهمته من مذاهب الناس ومقاصدهم ، فنرجع لتبكيتك وعنادك فنقول : ان كانت الطبيعة الانسانية كما تقدم في أول المبحث سبب الموت وتفرق الاتصال فهي اذا سبب الاجتماع والتكوين والانفصال • وهذا خطأ لان الانسان مجموع من جسد جسماني وروح روحاني • والجسماني مجموع من أعضاء آلية ومتشابهة الاجزاء • والآلية صورة في المتشابهة • والمتشابهة صورة في المولدات • والمولدات صورة في الامهات • [١٠١ أ] والامهات صورة في المادة • والصورة والمادة صورة في الهيولى الاولى • والهيولى الاولى صورة في النفس الكلية على مذهب ما • والنفس الكلية صورة في العقل الكلي • والكلي ممكن الوجود ، ووجوده يفاض عليه من الاول الحق • والوجود الواجب هو المقوم للمكن، وهو الذي تغيره صورته في الوجود• فاذا كان هذا هكذا ، فالوجود الاول اقرب للمعلول من علته القريبة فأفهم على ما تعطيه صناعة مذهبك اذا طلعت بصناعة التركيب ثم تنزل بصناعة التحليل • فاذا لا فعل للطبيعة الانسانية في هذا القسم الجسماني بوجه • وايضا الطبيعة الانسانية انما هي من الشمس والفلك المائل والقوة الطبيعية الكلية الشائعة في العالم والعقل الفعال ومطارح الشعاع وقوة الكواكب والنسب الفلكية • والجميع مرتبط بالعقول المجردة ونفوس الافلاك • والعقول والنفوس منبعثة من الاول الحق انبعاث فيض • والفيض صورة مقومة في الذي افاض عليه حتى لو ارتفع هو لارتفع المفاض عليه فالوجود المفاض عليه معنى متوهم ، او ذات مستعارة او شيء مفيد بماهية مكتسبة على جهة الملكة والحال والانفعال • فالحق في الاشياء لله والموت في الانسان حق فالمميت هو الله وحده سبحانه وتعالى•

وايضا الموت حركة فساد والحركة تستدعي محركها من ذاتها لانها من المضافات • والمضافان هما الشيئان اللذان ثبات كل واحد منهما بثبات صاحبه الذي ثباته بثباته يدور عليه ولا ينافيه • فاذا صح هذا ووجب بالضرورة وجود المحرك نظرنا ما هو هذا المحرك ونظرنا ما يلزم المحرّك والمحرَّك والحركة ونظرنا ما السبب في الحركة • فقام عندنا بالبرهان ان المحرك يحتاج في وجود الحركة الى زمان ومكان ولماذا حرَّك وبماذا حرَّك • فان جعلناه طبيعة تناقض الامر عندنا لان الكون والفساد منها وفيها والمحرِّكة والمحرَّكة والحركة • وان قلنا انها غير محرّكة كذبنا الحس والعلم الطبيعي وصدقنا العقل والعلم الالهي • فأما تكذيب العلم الطبيعي اما من الحس لان الامراض المهلكة ظاهرة الدلايل واحوالها وهيآتها محسوسة لنا • واما تكذيب العلم الطبيعي لنا فان الحرارة رسمها عندنا انها غليان اجزاء الهيولى • والبرودة جمود اجزاء الهيولى • فمتى غلبت احداهما على صاحبتها قهرتها وصرفتها الى طبيعتها • وكذلك الرطوبة رسمها انها سيلان اجزاء الهيولى واليبوسة تماسك اجزاء الهيولى فمتى قهرت احداهما صاحبتها قلبتها الى طبيعتها • وهذه طبيعة الموت وكذا نعاينه • وقد تقدم الكلام على اسبابه وعلى طبيعته فانظره من هناك ، وقس على ما ذكرته لك • وهذا لا يقدر على دفعه [١٠١ ب] اذا سلمنا مقدمات العلم الطبيعي والعادة المعلومة تحت القصد الاول والكلمة الواحدة الشائعة الفاعلة المحيطة بجميع الكائنات • واما تصديق العقل لنا والعلم الالهي فصحيح وظاهر وجلي • وذلك ان العقل يطلبنا بانفراد الفعل وأولية المفعول وسبب تغيره وعجز المتغير عن الفعل وضبط الاكوان بقصد اول وخروج الاشياء الكائنات عن الجزاف وان يكون عبثا • والعلم الالهي يبرهن على ان المبادىء مرتبطة بالاول الحق وان الجواهر الجسمانية والروحانية والاعراض المادية وغير المادية والحركة الكلية للجرم الاقصى والجزئية لا وجود لهما الا بما يسري اليهما من الاول الحق

سريان فيض وخير وانعام • ووجدنا العالم متماثل الاجزاء ومعقولة واحد والوجود في نفسه واحد والموجود الاول واجب الوجود • والواجب الوجود هو الذي لا اول لوجوده ولا سبب ولا يعدم وما كان على هذا النحو ولا حقيقة لغيره الا به لان الاولية شرط في الذي بعدها لو رفعناها لارتفع المتأخر عنها بالضرورة • فاذا هي الفاعلة والجاعلة والمحركة والمقومة والموجدة ، فلا فعل للطبيعة في شيء الا على جهة الظاهر والجهل بمعرفة المبادىء • فمن رأى فعلا للطبيعة فهو الجاهل ، ومن جعل لها تأثيرا فهو الاحمق • فلا فعل للطبيعة ولا حركة الا مضافة وسارية من غيرها على جهة الفعل والتصريف وسبب حركتها وجود الموجودات على ارتباط الصور الروحانية المجردة وسبب الحركة اثر النفس لما يلحقها من الاستعداد والفيض الغالب عليها عند الاستفادة من الكلي •

فهذا القسم الجسماني من الانسان قد تخلص الكلام عليه وبقي المعنى الروحاني لم نتكلم عليه على جهة التبكيت لك • وذلك ان النفس الروحانية في الانسان لم تجتمع مع الجسم اجتماع المثل ، ولا اتحدت به اتحاد المكان والممازجة ولا هي بالجملة متصلة ولا منفصلة ولا لها تعلق بالمادة ولا عالمها يناسب عالمها فاذا رأينا الحي الناطق يتحرك وينطق علمنا ان حركته ونطقه من جوهر نفسه وليس لجسمه فيه فعل ولا مشاركة الا على جهة السبب كالآلة للخراط • واذا رأيناه لم يتحرك ولم ينطق وجسده ميت ، قلنا بقي هذا على حاله • والحي لم يحدث عليه حادث وانما التغير الذي طرأ لم يطرأ الا على الذي كان حيا وناطقا بالنطق • وهذا انفعال لا يشبه الانفصال الجسماني واتصال لا يشبه الاتصال الجسماني • فلا موت للنفس وانما الموت للجسم ، فمتى رأينا ميتا قلنا فيه هذا قد تركته النفس ولم تستعمل شخصه وذلك [١٠٢ أ] لاجل فساد الهيكل لا لفساد النفس • فان النفس بالموت تتخلص وتتصل بعالمها وتسعد وتصعد اذا علت ، وتنحط وتنتكس اذا جهلت • والكلام على عاقبة الموت تتركه

لموضعه ان شاء الله • فاذا الميت الجسم والـذي يرد النفس لعالمهـا غير النفس وغير الطبيعة وغير الحس • لإن النفس مـن حيث هـي واحـدة بالجنس كثيرة بالموضوع والطبيعـة لا فعـل لهـا (عندكم الا باستعانتها بالاشخاص الفلكية • والجسم لا فعـل لـه ، لان الجسم لا يحـرك ولا يُسكِنُ ولا فعـل لـه بالجملة والتجزئـة لا تجـوز) (١) فـي العالم الروحاني ولا النقلة الطبيعية كما تقدم قبـل في الكـلام عـلى الجواهر الروحانية • فالنفوس اذا واحدة بالقول كثيرة بالاشخاص مثل مـا تقول العقول التسعة والنفوس البسيطة والنفوس الجزئية ومـا اشبـه ذلك • فاذا صح ذلك فما يلزم النفس الكلية يلـزم النفس الجزئيـة • والكليـة معقولة من جهة الامكان ومفاض عليها ابدا مـن المبدع الاول والمبـدع الاول من الاول الحق • والحق صورة كـل شيء موجود وغايتـه ، اعني لا حقيقة لشيء الا بالحق ، ولا وجود الا منـه • والوجود الحـق واحد والعالم وما فيه اعني الروحاني والجسماني لا حقيقة له الا بما يسري لـه منه • فالفعل في العالم على الاطلاق له ، والكلي والجزئي لـه ، والانفعال والهيئات له• وبالجملة الجواهر الجسمانية والجواهر الروحانيةوالاعراض الجسمانية والاعراض الروحانية ملكه وفعله ، وهو لكـل موجود صورة مقومة له • ولوجود الى سواه معه بمنزلة الكلام مـن المتكلم متى قطعه انقطع ومتى تكلم به وُجِد • وليس هو بمنزلة البناء الـذي يبني الدار وينصرف عنه ويتركه بعده زمانين واكثر • بـل الازمنة والامكنة لا وجود لها الا سيّال في كل زمان فرد من الفرد الاحـد ، الـذي لا اول لـه ولا شريك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا •

وكذلك الطبيعة ان جعلناهـا فعـلا بحسب استعانتهـا بالكواكب والحركة الفلكية ومطارح الشعاع وغير ذلك من شروط التكوين ، على ما

١ ــ ما بين قوسين ناقص في ب .

يعطيه العلم الالهي الناقص والعلم الالهي المموه البنيـة المغـرر والمخادع الطبيب للضعيف والغير طبيب بالبصير الصحيح النظـر الموفـق المخلص المؤمن ايمان التحقيق لا ايمان السفهاء على جهـة التمويه وفساد الطريـق يقطع لنا عدم فعل ما ذكر من غير قواهـا • ونفوسها لا تنفك عـن عقولها وكذلك الامر تركيبه بالتمثيل والاستقراء حتـى تلزم الطبيعة مـا لزمت النفس • وايضا الطبيعة تابعة للحركة والحركة للنفس فلا فعل للطبيعة الا بالنفس • والنفس تابعـة للقصد الاول والقصد الاول نعت للقديم وهـو طبيعة كل موجود ومعنى ذاته وما من موجود الا وجوده وجملته في النظام القديم على ما هو عليه في العالم الممكن • وايضا الطبيعة [١٠٢ ب] مفعولة لما ذكرنا والموت طبيعي فالموت مفعول لا للطبيعة ، وانما هـو لغيرها وهو الذي قام الدليل عليه • ومن يستدل بصناعة التركيب يظفر ومـن يستدل بصناعة التحليل يعذر ومن يتوسط الخير ومن يجمع ويدفع وينزع يسعد والحمد لله على نعمه • وكذلك الجسم ان جعلناه هو الذي من اجله كان الموت يلزمنا ان الموت لم يفارق شخص الميت ويلزمنا ان الذات تفعل ذاتها والصفة تفعل نفسها والموجود يوجـد نفسه • لان الجسم ميت بالطبع كما يظهر في سائر الجسوم الميتة فلو فعـل الموت نفسه لفعـل طبيعته وهـذا شنيع • ولعلك تقول الجسم لا يفعـل وانما يفعل الـذي يظهـر عليه هو الطبيعة وسوء المزاج وقلنا لك المزاج طبيعي وقد تقدم الكلام على الطبيعة فما بقي في الموت الا انه لله الذي امات واحيا • كيف لا والاشياء منبعثة عنه على جهة الوجود • والموت وغيره من حيث يُعلمُ ويخبر عنـه وجود وهو الذي اوجده وبه كان موجودا • فالمميت هـو الحي القيوم والواحد الصمد والفرد الخبير الحكيم البصير • وهذا مذهب المقرب المحقق الواهل لحضرة الحقيقة المتعوب المعذب الغريب مع اكثر الخليقة • ودليله (١) على

---

١ ــ ب ودليلنا .

ان الموت والحياة للحي الذي لا يموت ولا يحيى بغيره ، هو ما ظهر من اضطرار المبادىء للانفراد بسبب تناول الحركة على جهة المقارنة فاعلم ذلك • وحاجتها للذي يسري لها من الفعل المشترك بين الواجب والممكن وعدم خروجها عن الكلمة التي تقبل بها الذات الازلية الممكنة بالافادة وتدبرُ عنها بالاستفادة والقطع الغريب والجمع القريب والهاجس الحكيم المحكوم عليه القابض الباسط الذي يقع الوجود منه واليه والقسمة الشائعة السابقة بعد الشهادة والعهود وجواب التسعة للسائل بمحضر الشهود • وهذه لا يغالط فيها الا المعتوه • وان كان اليوم هو عالم الزمان ومفتيه ومشار اليه ومعظم في قومه ، حتى ان المعرفة منسوبة له وموقفة عليه •

وها انّا نذكر من مذهب المقرب ما يصلح لك ويفيدك الفائدة التي لا نظير لها ونرشدك الى نيل [١٠٣ أ] الدرجة التي خير فيها اولها فاسمعه على ما جرت به العادة ، والله يعين على الخير بمنّه وكرمه • وذلك ان الموت اجتماع الاخبار الذهنية والاحوال اللدنية والقهر الرجيم والخط السقيم والجحيم العميق والشراب الرحيق والنار الموقدة الاولى والنور المخلص الاولي والغبطة الصادقة والرحمة الحاذقة والشفاء الرئيس والبهاء الخسيس والسكون المبرد والكمون المشدد والغرار الثابت والمزار الخافت• وهذه الحروف يا فيلسوف فاسمع تركيبها • سبب الموت جهاد طالع عائد وحج خائب قاتل قائد وانسان ممتثل معطوف وشهاب مكبل مخطوف • ورقاد مرسل عنه فيه ووداد عين وجهة كيفيته (١) • وخليل ركب على الوله الصرف الشديد • وحبيب قسم على الخلل الحزم الشديد • وقدير على امثاله قادر الا في المقارنة وشاهد على دينه الا في الابهام والمباينة • وهذه الحروف يا فيلسوف قد ركبتها فاسمع الكلام على المعاني التي

١ ـ هامش أ : تكفيه .

ذكرتها • بسبب الموت مخاطب الممكن على اني ولي وبي وفي مثــل العدو وهشام القبور وغرابة الجحود الراجع الــى مجهولــه بمعلومه • وهــذا الكلام قد تم والمراد منه وكل كلام يتكلمه المقرب في آخر المباحث مرموز وفكه لا يستطيع عليه الا الذي جوّز المتشابهات ببصيرته• وطامع الاسرار والمعلومات المكنونات بفطرته وحيلتــه وحسن سريرته • فأهــل الحقائق موالدهم معلومة ونفوسهم معصومة واحلامهم مسددة موفقة وخواطرهم صادقة مصرفة واخلاقهم حسنة سهلة لينة واحوالهم بالجملة فاضلة صالحة سنية • والله يلهم الجميع منا رشده ويوفقنا بمنه ويمن علينــا بالقرب منه بفضله وبمنه • وهذا مبحث كيف تفارق النفس البدن وما سبب الموت وما الميت قد تم فنبدأ بذكر مبحث ما الدليل على بقائها بعد الموت •

مبحث بقاء النفس بعد فراقها الجسم

اعلــم ان النفس الناطقــة اشرف النفــوس فــي عالــم الكــون لانهــا عاقلــة فحاصة قابلــة للعلــم والحكمة مميــزة بــين المحمودات والمذمومات • [١٠٣ ب] راغبـــة فـــي الفضائــل مجتنبــة للرذائــل مثابة معاقبة لعلمهــا بالذي تثاب عليــه والــذي تعاقب عليــه • وهــذه النفس باقية بعد الموت لا تفنى ولا تتغير بــل الموت يزيدهــا حسنا وبهاء وهو ولادتها • ولمــا صح ان الموت نقض التركيب وصرف الاشياء الــى مواضعها رجع الروحاني الــى الروحانــي والجسماني الــى الجسماني • والروحاني لا يفنى بالمفارقة ، وللنزاهة التي جعلها الله فيــه • فان الفناء انما هو في المركبــات • والنفس الناطقــة بسيطــة • فالنفس لا تفنــى • والنفس الحيوانية والنباتية لا خلاف بين الناس في عدمها بعد الجسم ، انما الخلاف في النفس الناطقة وهي العاقلة المميزة • فزعم قوم انهــا تعدم عند فراقها للجسم كعدم النباتية والحيوانية • وزعم قوم انها باقية حية لا عدم لها ، وهو مذهب زعماء الفلاسفــة والحكماء الاجلــة ، ولا خــلاف بين العارفين منهم في انها باقية• والذي اضطرب بعدهم في بقائها هو الاسكندر

ثم زال عن مذهبه ، وقال انها باقية كما نذكره بعد ذلك بحول الله تعالى. وثامسطيوس رجع عــن ذلك والذي غلـّطه في ذلك هــو حد الحكيم لها وكونه ادخلها تحت حــد الجسم ، وزال عــن ذلـك في غير ما موضع . وافراطيس زال عن ذلك وجالينوس توقف فيها ثم قال ببقائها بعد الموت . ومن فلاسفة الروم الكاهن الاسرارطي (١) الذي ترجم كتب الحكيم ونقلها لارض المسلمين وهو من كبارهم قال انها تفنى . ثــم قال في شرحه لكتاب السماع الطبيعي في المقالــة السابعة عند ذكره في القوة المحركــة للجسم الزائدة عليه انها تبقى وبرهن على ذلك . ومن فلاسفة الاسلام الفارابي ، اضطرب فيها وتنوع كلامه واعتقاده فيها في ثلاثة مواطن ، ورجع بعد ذلك عن ذلك وزهد وقال بالحق ومال بالجملة الى طريق التصوف . وغير هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين يقولون ببقائها وفنائها وبرهان كــل واحد منهم على ما يجب . والبراهين التي نذكرها [١٠٤ أ] بعد ذلك تغني عــن ذلك فنقول وبالله التوفيق .

في البراهين حول عدم فناء النفس

النفس الانسانية انمــا اضطرت لاستعمــال الحواس الهيولانيــة الجسدانية ما بقيت خالية وعارية مــن الصور العقلية . واذا حصلت فيها صورة من الصور العقلية لم تحتج الى استعمال الحواس المذكورة التــي كانت تتوصل بها اليها فدل ذلــك عــلى ان للنفس استقــلالا بجوهرها تستغني بــه عن الجسم . وان اعضاء الجسم انما هــي آلات تصيد بهــا معارفها . وانتج ذلك ان النفس الناطقة اذا تجوهرت بالمعارف وحصل لها العقل المستفاد لم تحتج الى التعلق بالجسم . فنقول النفس صورة عقلية.

---

١ ــ لم استطع الاهتداء لهذا الشارح . وقد ذكره ابن سبعين ايضا فــي مسائله ص ٧٤ . دون ان يعطي اية تفاصيل .

وكل صورة عقلية لا تفنى • فالنفس لا تفنى • (برهان آخر) اذا لحظنا الانسان في حال طفولته لا يعلم ولا يعقل ولا يتصور ثم ينتقل بادراكه ومعارفه حتى يصير عالما وحكيما ونبيا ورسولا ، ثم لحظنا ذلك الذي وصل اليه وبه قيل فيه ما قيل كما تقدم في الجسم الطويل العريض العميق فلم يمكن لنا ذلك ولا وجدناه فيه • لانا لو قلنا ان المعرفة الحاصلة لنا هي عن الجسم لوجب ان تعقل الجسوم وهذا شنيع وايضا الانسان اذا رقّ جسمه ولطف وصام كان عقله احسن وحالته على الجملة ارشد واصلح ، ولو كان كما قيل لكان نمو الجسم يفيد العقل • ونحن نجد الذي به السلال يتحلل جسمه ، وعقله لم ينقص منه شيء • ولو كان كما قيل لتحلل مع الجسم فصح ان المعرفة ليست للجسم ولا لعرض من اعراضه • وان قلنا ان ذلك من اجل تركيب النفس والجسم يلزمنا ان القوة النفسانية المحركة للجسم تابعة لمزاجه وغير روحانية والدليل قد تقدم عليها انها روحانية • وها انا نذكر ذلك ويكون فيه برهان على بقائها ووجودها ما هو وجوهرها فنقول : الجسم له ست جهات • وهذه مقدمة موجبة في اوائل العقول وحركته لجهة بدل جهة أخرى بمعنى زائد عليه ، ولا يتمكن ان يتحرك لجائز ما بدل جائز آخر الا من فاعل • والفاعل اذا رأيناه يريد ويختار قلنا فيه انه حي والحي هو الذي يصدر منه [١٠٤ ب] الافعال • والحي موصوف لا صفة ، والموصوف المحدث جوهر فالنفس جوهر حي فاعل مريد • والعرض لا يفعل ولا يتصف ولا يوصف بالحياة ، فيبطل ان تكون المعارف من النفس والجسم • وصح انهما من قبل النفس فقط ، ولا مشاركة للجسم في ذلك غير انه لها بمنزلة الآلة للصانع ولا يصح وجود التمييز والمعارف من ميت • فوجودها اذا انما هو من حي فالنفس حية بالطبع لانها بالذات تقبل العلوم، والجسم بالطبع لا يعلم ولا فيه قبول العلم • فصح بالبرهان ان الموضوع المشار اليه بالانسان مركب من جوهرين احدهما حي بالطبع وهو النفس والآخر موات وهو الجسم •

وانهما لو اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى ينفصل بـه عن الآخر فعرض للجسم الحياة التي هي الحركة الارادية مـن قبـل النفس وعرض للنفس الموت الذي به الجهل من قبل الجسم • فالنفس حيـة بالطبع والجسم حي بالعرض • وعند نقض التركيب يتخلص لكـل واحـد منهما مـا في طبعه وجوهره ، فيكون للجسم الموت الذي هو طبعه ، وللنفس الحياة المحضة التي هي طبيعتها ، وفارقها الموت الذي عرض لها مـن الجسم متى صارت علامة بالقوة ، وهي اذا تجردت وتخلص جوهرها علامة بالفعل • فنقول كل نفس حية بالطبع (و) كل ما هو حيّ بالطبع لا يموت ، فالنفس لا تموت• وايضا الذي لا يموت لا يفسـد ، والنفس لا تمـوت فالنفس لا تفسد • (برهان آخر) النفس الانسانية مباينـة للنفس الحيوانيـة ، لانها عاملة وعالمة وفاضلة وزاهدة في الشهوات البدنية، وراغبة في اللذات الروحانية• والحيوانية لا علم لها ولا فضيلة ولا تزهد في شر ولا تـرغب في خير ولا تعقل • فلو كانت الناطقة بعد فراق الجسد فانية وبالية وميتـة ولا سعادة لها ولا نتيجة لمقدماتها التي قدمتها في حياتهـا ، لكانت الشهوات التـي ظهرت على النفس الحيوانية والنقص الذي كنا نكرهه فيها واستغراقها في اللذات البدنية ، هو الرشاد والعقل والنظر الصحيح ، وجميع مـا تحض عليه النفس الناطقة وتسعى له وتعرفه هو الخطأ والنقص والرذالة وهـذا شنيع وباطل • فان الحكمة شاهدة بفساد ذلك مـع كونه قلب المعقول • فنقول النفس الناطقة عاقلة وفاضلة وعالمة وكل حي عالم عاقل عالم فاضل جوهر مفارق والمفارق حي لا يموت بسيط ، فالنفس لا تمـوت • وايضا الفضائل الروحانية من رضوان الله وما هو مـن رضوان اللـه لا يعـدم والنفس روحانية فاضلة (١) فالنفس لا تعدم • وايضا الموت معقوله نقض التركيب ، والمركب غير روحاني ، والجسد الانسانـي مـركب ، والنفس

---

١ ــ ب : باطلة .

الانسانية روحانية ، فالجسد يموت والنفس لا تموت •

(برهان آخر) كل شيء مركب من بسائط فانه ينحل الى بسائط • والانسان مركب من شيئين ، روحاني وجسماني • ونحن نرى الانسان اذا مات لحق جسمه بمثله الذي تركب منه فكذلك روحه يلحق بمثله الذي هو منه • وقد قام الدليل ان روحه الروحاني وهو الذي تحرك جسمه ويفيده الحياة [١٠٥ أ] حياته بالفعل فهو اذا حي بعد مفارقة الجسم ولا يعدم • فنقول كل مركب هو من انواع ينحل اليها عند نقضه • والانسان مركب من نوعين ، فاسد وغير فاسد • فبعض الانسان يفسد وبعضه لا يفسد ، وبعضه الفاسد هو جسمه وبعضه الذي لا يفسد هو روحه • فجسم الانسان يفسد ونفسه لا تفسد • (برهان آخر) معقول الموت ترك النفس استعمالها للجسم ، ومعقول الحياة استعمالها له • فيقال للذي يقول انها فانية ودائرة بعد الموت: هذه الحركة التي وجدنا للجسم طول مقارنته للنفس وهذا العقل الذي يعقله في هذا المشار اليه ما هو ؟ هل هو ذاتي للجسم او عرضي فيه فان كان هو ذاتي له من حيث هو جسم ، وجب ان يحس الجسم بعد فراق هذا المعنى الذي يقال له نفس • او يحس الجسم من حيث هو جسم ، وهذا شنيع من الكلام وغير معقول على الاطلاق • فما بقي الا ان ذلك له بالعرض ، واذا كان له ذلك بالعرض فلا يخلو ان يكون استفاده من النفس ، او من جسم آخر او من عرض من الاعراض • فان كان قد استفاده من العرض فالعرض لا يفيد العرض وهذا محال • وان كان قد استفاده من الجسم فالجسم يتحرك ويعقل وهذا محال آخر • فما بقي الا انه استفاد ذلك من جوهر آخر روحاني مفارق للمادة ليس بجسم ولا عرض وهو المشار اليه بالنفس • وهذه النفس المحركة له في حال حياته والمتممة له والمدركة للاشياء على حقائقها لا يخلو ان يكون فيها هذا كله بالذات او بالعرض • فان قلنا هو لها بالعرض نظرنا ما الذي

يفيدها ذلك ، فان قلنا انه الجسم وجب ان لا يعدم الحس اذا فارقته النفس وهذا غير الذي نشاهده من حالها وحال موضوعها • وان قلنا انها تستفيد ذلك من جوهر آخر روحاني متصل بها ، لزمنا ان ذلك الجوهر الذي افادها الحس والحركة ما هو ؟ هل هو حساس بذاته ام بجوهر آخر ايضا ويستمر ذلك الى غير نهاية • وما لا نهاية له بالفعل محال • فما بقي الا انها حساسة ومدركة وفعالة بالذات وحية بالطبع وما كان حيا بالطبع[1] ويحس بجوهره وذاته بطل ان يعدم الحياة • فالنفس حية بعد فراق الجسم • فنقول المحرك للجسم غير الجسم والحركة الارادية لا تكون الا لحي • والجسم يتحرك حركة ارادية فالمحرك له حي وليس بجسم • والموت طبعه السكون والحياة طبعها الحركة والجسم ساكن والنفس متحركة فالجسم ميت والنفس حية • وما يكون بالذات ميت لا يكون حيا بوجه ولا على حال ، فالنفس لا تفنى ولا تموت ولا تفسد • وايضا الحياة ضد الموت ، والموت صفة تلحق للجسم والحياة صفة للنفس فصفة النفس ضد صفة الجسم ، والجسم يفسد ، فالنفس لاجل طلب الضد لا تفسد • وايضا ، الحي لا يموت فانه لو مات الحي لكان الموت اقدم منه بالطبع • ولو كان الموت متقدما على الحي والحياة لوجب ان الموت يفعل الحياة وهذا شنيع •

(برهان آخر) النفس تجدد الاشياء المادية عن موادها وتصورها في ذاتها عند مغيب الصور والاشياء المصورة • وكذلك الاشياء التي تبصرها النفس في حال النوم انما هي مجردة عن المادة ومتخيلة في النفس [١٠٥ ب] واذا كان ذلك على ما ذكرته ، فصح ان صور الاشياء لها وجودان ، وجود في الهيولى ، ووجود خال من الهيولى • فاذا ثبت ذلك وقدرنا موت الانسان لحقت النفس الناطقة بالصور المجردة والجسم بالمواد • (برهان

---

١ ــ وما كان حيا بالطبع ، ناقصة في ب .

آخر) • قد تقدم القول على ان النفس الناطقة جوهر قائم بنفسه ، وما هو قائم بنفسه فهو غير واقع تحت الفساد • فان قال قائل قد يمكن ان يكون الجوهر القائم بنفسه واقعا تحت الفساد ؛ قلنا له ان كان يمكن ان يكون الجوهر القائم بنفسه واقعا تحت الفساد امكن ان يفارق ذاته ويكون ثابتا قائما بذاته دون ذاته ، وهذا محال غير ممكن • لانه لما كان واحدا مبسوطا غير مركب كان هو العلة والمعلول معا • وكل واقع تحت الفساد انما فساده من اجل مفارقة علته ، فما دام الشيء متعلقا بعلته الماسكة له الحافظة لحياته لا يبيد ولا يفسد • فان كان هذا هكذا وكان الجوهر القائم بذاته لا يفارق علته ابدا لانه غير مفارق لذاته، من اجل ان علته نفسه في تصويره ، وانما صار علة نفسه من اجل نظره الى علته • وذلك النظر هو تصويره ، فلما كان دائم النظر الى علته وكان هو علة ذلك النظر كان هو علة نفسه بالجهة التي ذكرنا انه لا يبيد ولا يفسد ايضا ، لانه العلة والمعلول معا كما ذكرنا آنفا • فقد صح ان كل جوهر قائم بنفسه لا يبيد ولا يفسد • فنقول الجوهر القائم بنفسه الروحاني عالم بمبدعه وعلمه به هو جوهره وذاته وتعلق العلم بالمبدع حق والحق لا يفسد جوهره فانه لو فسد لبطلت الموجودات والمعقولات ومادة البرهان • فالجوهر قائم بنفسه • (برهان آخر) • كل جوهر مبسوط قائم بنفسه اعني ذاته فانه مبتدع بغير زمان وهو في جوهريته اعلى من الجواهر الزمانية • والدليل على ذلك انه غير متكون من شيء آخر لانه قائم بذاته • والجواهر المكونة من شيء هي الجواهر المركبة الواقعة تحت الكون فقد تبين ان كل جوهر قائم بذاته انما هو لا في زمان (١) وانه ارفع واعلى من الزمان ومن الاشياء الزمانية • والنفس الناطقة جوهر قائم بنفسه بسيط فهي غير داخلة تحت الزمان • وما لا يدخل تحت الزمان لا يموت • فان الموت

---

١ ـ أ و ب وانما هو في الازمان والتصحيح عن هامش أ .

لا يعقل الا في زمان. وبالجملة الزمان: مقارنة الحوادث بعضها لبعض ومدة تفعلها حركات الفلك . والمحرك للفلك غير الفلك ، وهو جوهر روحاني ، والحركة الفلكية منسوبة اليه ، والنفس مـن ذلـك الجوهر وما هيتهـا الجوهرية كماهيته ؛ فالنفس حية بعد الموت المنسوب للجسم . فهذه جملة براهين على بقاء النفس الناطقة بعـد الموت . وهي صادقة باضافة بعضها الى بعض . وفيها ما لا يحتاج الى غيره . ومنها مـا مقدماتـه مشهورة . ومنها ما يظن بمقدماته انها خطابية [١٠٦ أ] وهي دون ذلك وانـا نزعم ان المطلوب فيها على الجملة . وكأن الاول منها مقدمة للآخر ، والآخر بيّنَ المتقدم فما صعبَ عليك منها وتتخيل انه غير صحيح النظر ويفسد عليـك ان تتصوره ابحث في غيره على الذي نقص منه تجده يبينه على الاطلاق . وما ذلك في قولي ان الجوهر القائم بنفسه مبتـدع في غير زمـان ، وان النفس مثل ذلك الجوهر وهي هو . واقامـة البرهان بذلـك على بقائها لا يصح ، الا ان تعلم بالدليل على ان النفس جوهر روحاني ، وانها بسيطة وهذا قد ذكرته قبل فانظره من هناك . ويستقيم لـك نظم القياس وعلى مثل هذا قس وركب . وقد ذكرت لـك بعد كـل برهان شرحه وتلخيصه ومفهومه بحسب مذهبك فاعلم ذلك . وهذا الكلام على بقاء النفس بعد الموت قد تخلص على ما يجب . على ان هذه النفس الناطقـة لا خلاف بين العلماء اجمع على بقائها . والانبياء وعظماء الفلاسفة يقولون بذلك وهـذا مشهور في الكتب المنزلة الالهية والدواوين الفلسفيـة . والقرآن العظيم ينطق بذلك . والانجيل والتوراة والزبور والصحف . قال اللـه تعالى : « لقد كنت في غفلة مـن هـذا فكشفنا عنـك غطـاءك فبصرك اليـوم حديد » . (١) وقال نبينا (ص) « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » . وفي الانجيل بعد ذكر المائدة وذكر فضل يـوم الجمعة ونعـوت محمد (ص)

---

١ ــ سورة ٥٠ آية ٢٢ .

« النفس الصالحة تعرفني وانا الحق ومن عرفني معـي • وغـير الصالحة لا تعرفني وهي مع الشيطان والشيطـان في غضبـي » • وفي التـوراة : « يا موسى تقرب الي بالذي لا يفنـى فانـي خلقتـه للخلود ، فان آمن وعمل صالحا رضيت عنه وان كفر وعصاني سخطت عليه » • وفي الزبور : « يا داوود اصلح نفسك تصعد للسعد الخالد الدائم ولا تهمـل امرهـا تنزل للهزل الدائم الاكبر » • وفي الصحف ما هو هذا معناه : نفس المؤمن في رحمتي ورحمتي دائمة ونفس الكافر في عذابي وعذابي لا انقطاع له • وهذا الذي ذكرته لك انما هو من المترجمين ولا نقول انه كلام الله جـل وتعالى ولا بد • ولكنني اقول انه حكمة وحق المفهوم والمدلول وهذا كله انما هو في معرض الاقناع والتأنيس لا غير •

واما الفلاسفة فلهم في ذلك التآليف جملـة ولا تعد وهـي القطب عندهم وعلى علمها وتحصيلها يدور كل واحد منهم ومن اجلها كانت العلوم والبحوث الثلاثة والطبيعية والالهية • وهي سلم المعـراج عندهم للحق • ولافلاطون في البرهان على بقائهـا تأليف سماه « اقرنيطاس » وفي كتب كثيرة تكلم عليهـا • ولسقراط شيخه فيهـا كـلام كثـير ، وفي الصور الروحانية على البرهان على بقائها • ولارسطو فيها كتاب [١٠٦ ب] سماه كتاب النفس وجعله ثلاث مقالات • ولغيره من المتأخرين مـا يطول الكلام به • وبالجملة كل نبي ببقائها يقول • وكل حكيم يشار اليه بالمعرفة يقول بذلك • وعظماء القدماء الذين برهنوا على بقائها هم اهل السيمياء فـان الامر عندهم اشهر وابين لكونهم تجوهروا بها قبـل مفارقتها للاجسام • وحصل الامر عندهم بالفعل وحرفوها في الاجسام الخارجة عنهم • ولمـا علموا ان النفس روحانية في غير مادة اختبروها بالتمدن المكنون الـذي يعطي حقيقة النفس بالذات ، وشجروا خبثهـا وكلسوا عوائدها ، حتـى تخلص لهم حقيقـة جوهرها في غايـة الخلاص والطهـارة المحضة التـي

لا درن (١) فيها نظروا بها جميع الموجودات كلها وعلموها وحكموها وأحكموها • وهؤلاء بالاضافة لعلماء المسلمين المتصوفين ، « كالأنعام بل هم اضل سبيلا » (٢) ، صم بكم لا يعقلون مدلولا ولا دليلا • والله يوفق بمنّه ويعين على الخير وها انا نتكلم بمذهب المقرب •

بقاء النفس حق لان العلم بالحق لا يدثر لان متعلقه لا اول له ، وكذلك لا آخر له • وبقاء النفس في الخبر الصادق واجب ، وفي البرهان حاجب وفي نفسه وجود لا يضمحل لانه تابع لا يستقل • وذلك ان البقاء لا يبقى والنفي لا ينفى والعلي لا يرقى والمعصوم لا يوفى والسعيد لا يشقى • وهذه الحروف قد وضعتها فاسمع تركيبها الذي رسم المرسوم وعلم بنفسه لا بغيره العلوم وبلغه لما علمه وأتقنه وأظهره وسوّاه وزينه وأصلح لا على جهة الجواز والمحال والجزاف وحفظ لا على نسبة الخلاف والكفاف ومهد وجمع وقسم وخلص ووسع ورسم هو المقيم المبقي وله بالميم ذلك • والمفيض والمحيي وعنده بالكاف ذلك هناك وهو المجرد على اواحق مقدمه • وهو المعظم على تقاسيم مُهديه • وهو المنزه به وعنه وهو المكلم اليه ومنه • وهذه الحروف قد ركبت فاسمع الكلام بهاء الفناء لم يعطه النظام القديم ولا هو موجود فيه ولا يعقل الا على انه قد تعلق بالسلب • وكيف للعلم بطلب معلومه ، والمتعلق لا يتغير والقديم في التعلق والنفس هي المتصفة بالعلم ، فانظر ماذا تريد • والذي اقوله ان النفس تبقى بدليل قدّم على جهة البقية التالية ، ورمز عن حكمة الهمة العالية ، وسُلسِلَ عن نفس الهيبة السنية ، وقبر قُبِر وصبر" به صُبر وعزيز على نفسه اعتزّ ، ومهزوز له اهتز وقليل كثيره في اصله وفرعه ، وكثير جملته في شخصه ونوعه • وهذا آخر الكلام على هذا المبحث • وعند كلام

١ ــ أ و ب دون . والتصحيح من هامش أ .
٢ ــ سورة ٢٥ آية ٤٤ .

المقرب تسمع البرهان بمقدمات اصدق من هذه • [١٠٧ أ] وما حملني ان اتكلم على هذا كله الا ضرورة تعظيم مذهبه للمسترشدين وكان هذا الكلام شبيه التوطئة والمدخل له • والله يدخل الجميع في رحمته وينعم علينا بمنّه بجنته •

مبحث الى اين تصير النفس

اعلم يا فيلسوف ان النفس عندكم اذا فارقت الجسم تصعد حيث انتهى بها عملها • ولذلك عمل جميع الحكماء على طلب العلم وقالوا ان جوهرها لا يكمل الا به ؛ وهو الذي يبلغها الى سببها الاول • غير ان منهم من قال لا تصل الا الى رتبة العقل الفعال • وعنده يكمل جوهرها وتكون عند العقل الكلي بالعلم • ومنهم من قال تصل الى رتبة الكلي • ومنهم من قال الى رتبة النفس الكلية • ومنهم من قال تصل الى منتهى مقدماتها ، فأن كانت الصورة الخيالية غالبة عليها تتخبط بين الحيوانية والناطقة في صورة متوهمة دائمة ، ولا تستطيع على الصعود الى عالم الافلاك وتدور حول المركز والى ذلك تصل • وان كانت الشهوات المادية غالبة عليها فتصير الى حيث تصير النفوس الحيوانية • وبينهم في ذلك خلاف كثير • ووجهوا على ذلك جملة وجوه وقسموها الى انحاء بحسب جهلها وعلمها • فتارة تدور حول فلك القمر وتخلع الصورة، وتارة تصعد فوقه وتسعد ، وتارة تتصف على جملة صفات • ومن هذا اخذ اهل التناسخ ، والكلام على استقصاء مذاهبهم يطول وتفصيله لا يصلح اذ لا حاجة فيه • وبالجملة النفس الناطقة عند الجلة منهم ، سعادتها وخلاصها انما هو بحسب العلم ، ولذتها بقدر قربها من الاول الحق ؛ وعلى قدر علمها يكون حبها له ، وعلى قدر حبها له تتلذذ وتفرح • وفي اللذة والفرح والسرور كلام طويل نتركه لموضعه بحول الله تعالى • ولا تعول على كلام اهل العلم الطبيعي في النفس فانهم عامة الفلاسفة

ومقلدو الالهيين • لان الطبيعي يأخذ علمه من الالهي مسلما • فان تكلم في النفس فانما يتكلم بغير علم ، وكذلك لا يعوّل على كلام من تخبط في ذلك من المتأخرين في امرها مثل الفارابي واضطرابه في بقائها وتنويعه في ذلك وجهله بحالها ، وان كان زال عن ذلك ووصل الى الحق • والذي عليك ان تنظر في جميع المباحث المتقدمة وتضيف بعضها الى بعض وتجعلها قياسا لغيره ومتقدمة عليه ويكمل لك الحق في ذلك على اتم ما يجب بحول الله تعالى • واعلم ان السعادة عند القدماء انما هي بحسب القرب من الحق سبحانه وهذه الجنة عندهم • والحصول في عالم العقل بعد الجواز على عالم الهيولى والعقل الهيولاني والمستفاد والذي بالملكة • وتفصيل الكلام على العقل قد تم فاعرفه من هناك • ومذاهب الحكماء الكبار في السعادة رمزوه وكتموه • وفيه سر عجيب ، والذي ذكروا منه في كتبهم هو الذي ذكرته لك وهو المعروف بين الناس • والذي اظهرته صناعتهم في اول الامر وانما المذهب الحق هو الذي يظهر بعد ذلك في النفس نفسها • وعند كلام المقرب [١٠٧ ب] نشعرك به ان شاء الله تعالى • فان القدماء يغترفون من بحره • وفي علم الانبياء ومعجزاتهم ما يبين لك هذا اذ هم لا حاجة لهم في العلوم النظرية والصنائع العلمية والعملية وانما نفوسهم نازلة من الكمال المطلق شاخصة فيه سامعة منه آخذة عنه ولولا العهد الذي اخذته الحقيقة على كل مسلم وحكيم ومؤمن لبينت الاسرار المرموزة في العصور الخالية والدهور الماضية • فهذا مذهبك قد ذكرت لك فيه ما يكفيك • ولو جئت اذكر لك ما قيل فيه لطال عليك وعلي الامر في ذلك • والمقصود انما هو في كلام المقرب وغيره فلا خير فيه في جهة واحدة وموضعه واحد واسمه واحد وماهيته واحدة وطريقه واحد وصفته واحدة • وجملة الامر ان القدماء اليونانيين اختلفوا في السعادة بعد الموت ماهيتها وطال الكلام بينهم في ذلك ولهم فيها من الكلام ثلاثين قولة • وللمجوس فيها خلاف وتخبط وتخليط ، اعني في سعادتها • وكذلك

البراهمة لهم فيها نحو المائة قولة ، في مسائل الصدور منها سبعون ، وفي النظام البسيط سبعة ، وفي اسماء آدم صلى الله عليه وعلى نبينا محمد ثلاثة وعشرون مسألة • وجميعهم قال ببقائها اعني العلماء منهم • وهذا آخر ما لا منفعة فيه واول ما فيه المنفعة فنبدأ بذكر حروف المقرب بحول الله تعالى فنقول :

النفس لا آخر لها لانها شرط في الكلمة وقول عامل وتعلق صادق ، وهذا معلوم عند العارفين كلهم • وما لا آخر له نظرناه في نفسه فان كان هو ممكن الوجود فخبره من الواجب المطلق • وان كان هو واجب الوجود فخبره من نفسه • والواجب هو الخير المحض ، والممكن لا صفة له الا تابعة من القصدين • فاما الخير واما ضده • والخير قد علم ما هو ومن اين هو وكيف هو ولا سبيل للاتصاف به الا به وبالتشبه ولا يصلح الا بالتخلق بأسمائه وصفاته ، وذلك سلم المعراج الاول • وهذا لا يكون الا بالعلم والعلم لا يكمل ولا يصح الا بالقصد ، والقصد يحمل السعيد الى حضرة القاصد وحضرة القاصد هي الخير وهي الامر ، وهي النور وهي الانس ، وهي الفرح ، وهي السرور ، وهي اللذة ، وهي الجنة • ومصير النفس السعيدة في الحقيقة اليه حتى تفنى فيه وبه وفي المجاز الى امره وفعله •

ثم تقدم المضمرات التسعة والمشهورات الثلاثة والمقبولات الخمسة• وتثبت منها ما له نسبة ، وتمحو منها ما ليس له نسبة • ويتضح المطلع الذي عجز أهل العلم الاول كلهم عنه ، وتفارق النفوس على ابواب المتقبلات • وهذه الحروف قد وضعتها فاسمع تركيبها • السداد معدود بكن والرشاد نعت له • والكلام يفهم دائما على جملته وتصل النفس الى بدءها الاول الذي لا انفصال لها عنه • والعاقل يلزم بدءه والحق لطالبه صورة مقومة لطلبه ، والحقيقة [١٠٨ أ] المتصف بها صفة تابعة لمقامه

ومتبوعة لذاته • ومنها واليها يكون الكون الاول • وبهـا وفيها يكـون الكون الآخر • وعليها ومعها يستشهد المحقق • فلا تتخيل يا مسترشد (١) ان هذا الوصول مثل وصول الصوفيـة حين تسمعهم يتكلمون في الفنـاء والخروج عنه وعن كونه يلحظ • فهذا الطعام المعلوم مـن الجنة المكنونة عند اهل الجنة ، ومن الحضرة المخفية عند اهـل الحضرة • فجميع العالم تابعون لذلك الا الخواص • وهذه الحروف قد ركبت فاسمع الكلام بهـا القليل لك ان كنت ذا بصيرة في التعريف • ومصيرك الـى قـدم في النظام القديم بحروف التقديس ، فاعلم ذلـك • ولا تهمـل الجواب الثالث متى وجدته واهمل الاول والثاني ومصيرك الى الابواب المعصومة مـن النظير مع الخازن اليقيني المبرهن ؟• والموت المشترك لا حظّ لك فيه ان كنت من السعداء • وكذلك القبور المشتركة • وهذه الاحوال عند الصوفية عـلى انحاء منها صادقة ومنها موقفة • فالموت الاول في المجاهدة مالـه ملـك موت • والموت الثاني في الوصول ملكه مناسب • والموت الثالث في حقيقة الوصول له ملك غريب • والقبر المادي لا منفعة لك فيه • والقبر الثانـي حيث النفس في محلها فيه بعض نسبة • والقبر الثالث حيث علم النفس لك فيه كل المراد • والقبر الاول حيث استقر الوجود المقيـد في النظام القديم عند الوجود المطلق • والموت الرابع هـو الذي يريـده المقرب • والقبر الجامع هو غايته ، وهو يتكون من نفخة وصعقة للنفخـة حكم لا مثـل لهيبته • وكذلك الصعقة ربط لا يحل ومصير النفس الـى علم وتعلق فهو مجهول من حيث تعلق • معلوم من حيث اخبر عنه • والمصير انا ولا خبر الا هو له والمصير كم ولا اشارة الا معه • والمصير عـن محقق • والمصير اعني مصير النفس بعد الموت لي معين والمصير بي وحـور عين • والمصير يا ولا نداء له • والمصير هل ولا جواب له • والمصير انا ولا خبر الا هـو

١ ــ فلا تتخيل يا مسترشد ناقصة في ب .

له • والمصير كم ولا اشارة الا معه والمصير لمن ولا راحة الا فيه • وهـذا الكلام قد تم فاحمد الله واقلع الى رشاد المقرب وتبصر النعيم كيف يركّب ويشهد به • واذكر ما نلقيه اليك تظفر بالحق الذي لا تطمع وراءه • والله يوصلك وايانا بمنّه وكرمه • واعزم في حالك واترك ما بيدك من اقوالك وافعالك للذي يقوله ويفعله ويدفعه ويجعله والله يخلص وينعم بمنه وكرمه • انتهى المطلب وعلى مثله يبحث ويطلب [١٠٨ ب] •

مبحث سعادة النفس ولذتها

اعلم يا فيلسوف ان لذة الحكمية الوقوف على حقائق الاشياء وماهيتها ، وصلاح الحال فيها واستخراج العاقبة وحصول المطالب الروحانية على ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي • والتصور التام والتصديق المستقيم الثابت المحقق ، واتصالها بالعقول الفعالة • وان يرجع العالم والعلم والمعلوم منها واحد • والاتصاف بالكمال الانساني ورجوعها الى ذاتها وفرحها بجوهرها حتى تبصر جميع الموجودات في ذاتها • وخلاص جوهرها حتى تصير مفارقتها مفارقة تامة لا تحتاج الى تجريد غيرها لها ، وهذه اللذة الاولى • والثانية العلم بالمبتدع الاول ، وشرفه وما هو عليه من الغبطة والفضل والعزة والعلو والكمال • والقرب من الاول الحق ، وكون جوهرها ، اعني جوهر النفس الناطقة ، كجوهره • وان الروحاني واحد لاخلاف فيه وان تنوعت الموضوعات • فالجوهر واحد فلا خلاف بين العقول التسعة والعقل الفعال والنفس الكلية والنفوس الجزئية في الجوهر والمفارقة والروحانية • وبالجملة ما فرقه الموضوع جمعه الجنس ولا جنس هناك ولا عدد ولا قسمة ولا زمان ولا مكان • وانما العبارة يضطر بها لضرورة البيان بين المخاطب والمخاطب فتوهم المادة • واللذة الثالثة معرفة الحق الواجب الوجود والسرور به ، والفناء في حبه واستحقاق انيته لجميع الانيات وهويته لجميع الهويات والغيبة عنها وعن جوهرها ، والحضور عنده ،

وتقسيم الاتصال والمعراج فهذه لذات النفس الحكمية الكلية. واما حدها وانقسامها وكيف توجد عندها فنتركه لموضعه اذا تكلمنا في الالهيات ان شاء الله تعالى . وقد خاض الكلام عليها ارسطو في نيقوماخيا ، والاسكندر وسقراط فانظره من هناك . ولها لذات روحانية أخر دون هذه من حيث تصرف قوتها الناطقة في الصنائع العلمية والعملية ، وركود حواسها واستغراقها في مبدئها وذاتها . ولها لذات طبيعية مثل انفعالها للمعاني وان كان هو وجع لذيذ لا سيما ان كان الحكيم يحب ان يتمدن . ومثل ما يظهر من احوال النفس مع حفظ الصيت والجاه والظهور ووضع التأليف وشهرة خصاله وتعظيم الغير له . ولذة النفس النبوية اجل من لذة النفس الحكمية ، وان كان النبي نفسه حكمية وناطقة . وبالجملة القول عليه وعلى الحيوان الناطق واحد في معقول الانسانية ، غير ان نقلة نفسه في المعارف مباينة لنقلة غيرها وصعودها في المعارف ومعراجها لموجدها الواجب الوجود غير صعود الحكمية والناطقة ، لانها ارفع واعلى نسبة من جميع النفوس ، مع كون جوهرها متماثل مع [١٠٩ أ] الجواهر الروحانية . الا في لواحقها فانها واحدة ، في ذلك ولواحق غيرها من النفوس كثيرة مختلفة . واللذات الواردة عليها انما هي صور مفردة الهيئة . ولقد غلط من ظن وقال ، ان اتصالها بالعقل الفعال هو السعد والمعراج والوحي وقال ما قال . وهيهات لو علم بالنبوة لم يغلط وانما يحكم بحسب مبادئه ، وقال من نسبة مذهبه ، وقال ما ليس بحق . والعقل الفعال اذا وصفته في الكلام على الالهيات يتبين على التمام ما هو بحول الله تعالى . فان القدماء لم يخلصوا الامر فيه على ما ينبغي ولا افادوه ولا بينوه وان كان الاجماع منهم قد انعقد على مذهب الحكيم فيه ، الا قليل منهم فلا فائدة فيه . ولعلك تقول يا هذا لقد غلطت وغلّطت ، وغلب عليك الوهم وزعمت كثيرا وقلت ما ينكره النظر وتدفعه الفكر فلا يهولني قولك ولا يوقف اعتقادي وهمك . والله يعلم

والبرهان يشهد ان الحق عندي ، وما انا بسبيله هو الذي طلبه الكل ودار عليه وعمل اليه • ومن عدم البصر لا يطلب ضالته بنفسه ويضطر الى غيره بالضرورة في طلبها • وكذلك القدماء في البحث عن العقول والكلام في سعادة الانسان وماهيتها هي ضالتهم ، ودليلهم فيها النبوة • اعني في السعادة الحقيقية واما ما هم عليه فهو جلي وبين بنسبة ما وهو بحسب عالمهم • وانما عالم النبوة والذي نشير اليه ونأخذ منه لا يشبه شيئا من ذلك • وفي الكلام عليه تعلم ذلك كله ان شاء الله تعالى • وفي الانسان لذات كثيرة بحسب أفعاله وقواه وطبيعته • فلذة النفس الحيوانية نيل الاعراض المادية كالجماع والاكل والشرب والانتقام من الذي غضبت عليه ، والملبس الحسن • وبالجملة الشيء الذي يوافقها في حال ادراكها له ويطيب لها من غير فكر في عاقبته ومآله • ومن هذه اللذات الحيوانية ما هي في الانسان طبيعية لازمة ، ومنها ما هي غير طبيعية وغير لازمة له • فالطبيعية هي التي بها يكمل جوهرها ويحفظ جنسها ونوعها كالاكل والشرب والنكاح والنوم عند [١٠٩ ب] بعض الحيوان • والغير طبيعية مثل اللباس الرطب والاكل الطيب والنوم على الفرش المنتخبة والنسوة الحسان وركب المركوب • والمغاني هذه ليست بضرورية لوجود الانسانية ولا شرط في حياتها وهي المذمومة عند الحكماء المتمدنين اذ هي مشغلة واعراض مادية وهيولانية ولا على الانسان ان يكمل جوهره ما دام ينهمك في اكتسابها والاشتغال بها بوجه • فما كان منها لضرورة القوت واجبا للمركب فليس بناقص ولا مذموم • وان كان طيبا ولذيذا فلا بأس به اذا كان على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي ، من غير ان يشتغل عن تدبير النفس ومعارفها • واما اذا اشتغل فخطأ ومذموم عند جميع الحكماء ، وغير صالح ومحرم عند الشرائع ، ومحذور فعله ومما يعاقب عليه • فقد صح يا فيلسوف بصناعتك ان الالتذاذ بالحق لا يمكن ولا يعقل الا في الجوهر الروحاني منك • والروحاني منك انما (هو) النفس

او العقل بحسب نقلتك عن الرتبة المذكورة قبل • فمتى رأيناها اعراضا مادية لذيذة قلنا انها ليست للنفس الناطقة ولا من لذاتها ولا من عالمها • فمن رأيته يتلذذ بغير اللذات الروحانية فاعلم انه قد غلبت عليه المادة واللذة الحيوانية والادراك البهيمي • ولما كان الجوهر الجسماني اعراضه جسمانية لم يتمكن ان يعقل فيه لذة روحانية • فلا تطلب اللذات الالهية في مادة ولا في قوة شائعة في مادة • فان العرض الروحاني لا يعقل الا في جوهر روحاني • مثل ما نقول اذا سئلنا عن اللون اين هو فنقول في الجسم • فاذا سئلنا عن العلم قلنا في النفس • والنفس روحانية وكذا اعراضها ، ولذاتها بالله انما هي علمية • وقد تكون صادرة (١) عن محرك الحب لله • وقد تكون عن العلم بوحدانية الحق وجلاله • وقد تكون عن معرفة النفس بذاتها • وقد تكون عن معرفة الجواهر المفارقة وكونها مثلها • وعدد اللذات وماهيتها والحب واحوال المحب وكيف هو في المحرك الاول للجرم الاقصى ، يطول الكلام عليه ونتركه لموضعه ان شاء الله تعالى • وقد قال الحكيم ارسطو ان الاول الحق له لذة وفرح وسرور بعلمه وفي نفسه [١١٠ أ] بنفسه • وشبه ذلك بلذة احدنا اذا فقد حسه وغاص فكره في نفسه ودار على ذاته • وهذا فيه ما فيه من الشناعة وان كان الموضع فيه تشكيك ، وقاله لضرورة لزمت هناك ، فهويتلخص لاهل التحقيق • وهذه زلة من هذا الرجل في حرف اللام ، وكذلك غلط في المحرك الاول للجرم الاقصى انه الله • وقد انتقد عليه وتؤول عليه • والظاهر من هذا الرجل ان الالهيات لم يحكمها مع انه هو الحكيم لا غير عند الفلاسفة وهو النبيه وحده عندهم • وهذا ما حضر لي من الكلام على اللذة بحسب مذهبك • وبقي علي الكلام على سعادة النفس ما هي ؟ فنبدأ بذكرها ان شاء الله تعالى كما شرطنا في اول المبحث والله يعين عليه فنقول :

---

١ ــ ب ــ عن مادة .

السعادة في الانسان انما هي ثمرة تمام الانسانية وكمالها • وكمال الانسان لا يتمكن الا بصلاح عقله ، وعقله لا يصلح الا بالعلم والتجوهر بالعقول لمجردة ، والسلوك عليها حتى يكون عقلا بالفعل لا يحتاج الى تجرد غيره له • والعلم والتجوهر لا يتمكن الا بالتمدن والحد والعزم والبحث ومعرفة الصنائع العلمية والعملية ، وتقويم فطرتها وفعل ما ينبغي كما ينبغي • فاذ صح لنا هذا كله وتم معقول الانسان لم يعقل للسعادة ماهية ولا للانسانية هوية متسمة الا بالقرب من الاول الحق • وبقدر مرتبته في القرب منه كانت سعادته وحيث انتهى علمه فتنتهي سعادته • فالسعادة معرفة الله ، ومعرفة ما يجب من اجله • واللذة لا تصح الا بالسعادة • اعني اللذة المحمودة • وهذا كله لا يتمكن الا بالقصد الاول والواجب الوجود الذي هو الاصل في السعادة واللذة • والذي من اجله قيل في السعيد سعيد ، وفي الشقي شقي ، وفيه عقلت اللذات الروحانية وبما يسري منه من الوجود كان الوجود الممكن • فهو الاول والآخر والظاهر والباطن • وهو الخير وهو السعد وهو اللذة ، وهو هو وكل شيء هالك الا وجهه • وهو الذي صورة كل شيء وغايته ومقدم الوجود وضرورته التي لا انفكاك له عنها • وهو البد (١) اللازم الذي يلزم لكل موجود سواه • فهذه السعادة واللذة على مذهبك • فاذا فارقت النفس البدن فسعادتها منزلتها وقربها منه وعلمها به ، وبحسب ما تبعد عنه تنتكس • وبقدر ما تقرب منه ترشد وتسعد وتصعد فافهم • فهذه اللذة قد ذكرتها لك بحسب مذهبك • وكذلك السعادة وبقي الكلام المنوط بكل مبحث وهو كلام المقرب على ما جرت العادة فيما تقدم فاسمعه • [١١٠ ب] اللذة قد تكون تابعة وهي النفسانية التي يكون الاصل فيها

---

١ ــ يظهر هنا بوضوح ان كلمة البد تعني في لغة ابن سبعين الله .

المقام والادراك • وهي الواردة عن محرك العلم وقد تكون غير تابعة وهي التي ترد صورة روحانية وكأنها معقول جوهر المدرك وذلك ان التعلق هناك وما هو شيء غير محض الوجود • ولا تظن انه ارتباط صفة بزائد على المحل • فان العدد قد قام الدليل على انه هناك باطل وهو والمعدود واحد • فعليك ان اردت اللذة بتقسيم الوجود وحذفه بعد ذلك وأخذ ما يجب عليك منه وصرفه من حيث هو صادق على خلاص عاقبة الامر الحاضر والماضي واللائق فاعلم ذلك • والظاهر ان النقط المشار اليها بالكلمة الاولية عنده لا عندك • فاخبر انيتك بالحق ، وهويتك بالجواب ، وماهيتك بالخطاب ، وغايتك بالتركيب ، وجملتك بالكلام المفهوم على نسبة الثلاثة • وهذه الحروف قد تمت فاسمع تركيبها • القبر منزل يطلق باشتراك فلا يخصص منه الا ما يدفن فيه العدم عند مقارنة الاول بالآخر • لان الازلي لا اول له ولا آخر • والابدي له أول ولا آخر له • والحكم مشهور محكوم به تابع مخلص بقدر المقادر الصادقة والاحوال الواردة فافهم • وهذه الحروف قد تم تركيبها فاسمع الكلام بها • المضاف معلل بل ذاهب على نسبة معدودة مختلفة عاملة واجبة صادقة شاملة • والذي يزعم أن يحفظها أو يشرح أمرها فقد جاوز المقدار الذي من أجله كان الكون ، والحكم الذي اليه رجع الامر • فاعلم انك يا ملتذ لذة ثالثة وقهر خامس ، ونور ساطع ، ومكان واحد ، وخطاب جامع ، وغبطة جامعة ، وجمال وبهاء مراجع ، وفضله على صدقه واحد ، وامره على نوعه واحد ، وسلامته اليه أولية ، ورحمته منه جميلة ، ومكانته عنده عظيمة • ومن أفرد الجلال المنزه تنزه • ومن أخلص القصد الاول خصص ، ومن عظم عظم ، ومن كبر كبر ، والجواب أحسن ناصح • الحال من الصمت أعني المعنى على المعنى والحق بالحق وهذا المبحث قد تم فاسمع غيره • واجعل كليتك وجملتك عندي • واحفظ نفسك بحفظ عهدي • وارحم ذاتك بذاتي • وخذ لذاتك من لذاتي • ودع هاتك لهاتي وابذل

جدك كما بذلت جدي • وركب سعادتك كما ركبت سعدي وخذ نفسك بالذي أخذها به أهل الحق والمقرب • واخرج عن العالم الذي أنت فيه مع المكذَّب والمكذِّب •

مبحث كيف تسعد النفس

والذي يسعدها هل بينها وبينه نسبة أو شبه ما •

اعلم يا فيلسوف أن السعيد على الاطلاق بحسب مذهبك هو الذي يعلم جوهر نفسه ويصير عقلا بالفعل ، ويتخلص من كدرات الطبيعة • ويجوز على النفس النباتية والحيوانية والناطقة المشتركة والنفس الحكمية والنفس النبوية ، ويتجرد من جميع العلائق القاطعة له عن سببه الاول ويكمل جوهره على ما يجب [١١١ أ] ويستقيم معراجه الى الاول الحق ، ولا تنقطع عنه لذاته ولا يمتنع عنه فرحه وسروره • ولا في وقت من الاوقات ولا يعجز عن شيء يريده ويتمم غيره ويخلص الفطر الناقصة بعلم أجلى وأعلى من العلوم المكتسبة والنظرية والاعمال البدنية• والتخلق على ما ينبغي • وهذه النفس لا تحتاج في تتميمها وسعادتها الى غيرها من النفوس الجزئية وجميع النفوس الجزئية محتاجة اليها وآخذة منها وتابعة لها • ثم السعيد عندكم بعد هذا هو الحكيم الذي يعلمها ويعلم عالمها ، ولم يترك من الصنائع العلمية والعملية التي تعطي تدبير الانسان ، الا ما نظر فيها وحصلها واتصف بها ثم حمل نفسه من المشقات التي تحصل باكتساب الصنائع المذكورة بها وبالصبر عليها • وتمدن وبحث عن حقائق الموجودات ووقف على ما هيتها وفكر في الاول الحق تقدس اسمه وعز وجهه • ونظر في الذي يجب عليه ويجوز ويستحيل وطلب القرب منه والوصول الى المبدع الاول بالعلم لا بالجوهر • واستقام حتى بلغ الى كمال الانسانية وخلص العلم بنفسه وعقله الى حيث ينبغي ولقدر ما ينبغي ، وهذا الانسان هو الذي وقع

الاجماع عندكم عليه والاول (١) يعظمونه على الجملة . ولا تظن ان من الحكماء الجلة من ينكر عظمة النبوة وشرفها فتغلط . وان رأيت الحكيم يتكلم في النبوة بما لا يصلح بها فاعلم انه قد نقض مذهبه . ومن وقف على كلام الحكماء يعرف هذا ويتبينه . فان الخواص والقوى الروحانية والصور المجردة والاحوال النفسانية وجملة قضايا طبيعية والهية ومدنية تحقق شرف النبوة وتعطي انموذجا صادقا من عالمها . وفي الفلسفة أشياء دالة على فضيلة النبوة ، وسيادتها عزيزة . والبرهان يقوم على عظمتها من علم ما بعد الطبيعة وعلم الماولوجيا في خمس مواطن . فنرجع للكلام على السعداء فنقول : منهم من تكون سعادته بحسب نسبته العلمية واحواله الخلقية وفكرته الصائبة . وهكذا تركيب السعادة وتعلقها بالاقل والاكثر في نفوس السعداء كما تقدم قبل وعلى تلك الطريقة وهذا السعيد قد وصفته لك وحلّيته وفسرته بما هو سعيد . وبقي لك ان نذكر كيف تسعد النفس كما شرطت معك ، وهو المبحث بعينه ، والذي حملني على ذكر السعيد ، انما هو مقدمة ضرورية لكيفية السعادة . فان السعيد هو المضاف الذي من أجله كانت السعادة والسعد والعلم بالمسعد والحال الرابط والانفصال الجاذب بين المسعد والسعيد . مثال ذلك في قولنا كيف تسعد النفس فنقول : المولد الصالح على مذهب الفلاسفة يعطي الاسباب المرشدة ويهيىء السعيد ويحمله الى غايته ، وتخدمه الكواكب والقوى الفلكية ، فلا يمر عليه علم الا علمه ، ولا مسألة الا فهمها ، ولا معلم الا نصحه . وهمته تعطيه العزم والجد حتى يمشي على مقدمات العلم الالهي شيئا شيئا ويثبتها ويتصورها في نفسه فما منها يعلم فكر فيه وذكره واحضره في نفسه وتكلم به . وما منها يعمل عمل به [١١١ ب] وجد وامتحن نفسه وصبر ورضي بالمحنة الطبيعية في حق العزة النفسانية .

---

١ ــ أ و ب الاولى . والتصحيح عن هامش أ .

وحقيقة المولد مضافة الى المحرك الاول للجرم الاقصى •والجرم الاقصى يتحرك بنفسه ويعقل بعقله • والذي يحرك الجسم لا يعقل به على مذهب من يقول ان القوة المحركة للجسوم هي التي من شأنها أن يقال لها نفسا • والشيء الذي حملها على الحركة وشوقها لسببها الاول تعالى هو العقل لانه المحرك لها لما لم يمكنه عند مشاهدته لسببه الاول الا ان يتحرك لافراط لذته ، ولكونه يفيض على ما سواه مما يفاض عليه • فانه أقبل للافادة وادبر للاستفادة والكلام على هذا يطول • وفي الالهيات الفلسفية يتخلص بحول الله تعالى • وهذا موضع فيه غلط عظيم وشبهة مهلكة ومما نحتاج ان نبين ، تنزه الحق تعالى عن مذهب الفلاسفة • وكذلك المبدع الاول ، أعني العقل الكلي ، حتى لا يبقى لاحد أن يقول ان الحق هو المحرك للجرم الاقصى الا على أنه فاعل الحركة على جهة الملكة لا بالذات والماهية • فان ماهية المحرك للجرم الاقصى فائضة من الحق تعالى • وكذلك العقل الكلي الذي هو محرك الجرم الاقصى فبين كيف يحرك وما السبب في حركته وما النفس الكلية ان كان هي موجودة أو معدومة أو هي عقول تسعة أو تسمى نفسا باضافة وعقلا باضافة وهذا كله في موضعه ان شاء الله تعالى • فنرجع للمولد ما هو فنقول : قد تعلق معناه بالحركة الكلية لانها السبب في حركة الافلاك دونها والكواكب ومنها يكون الشرف وغيره والحركة الكلية لا تعقل الا عن سبب موجب من أجله كانت ومتى قدرنا وقوعه وزواله قدرنا زوالها وعدمها وارتفاعها • فاذا المولد متعلق بهذا السبب الاول وكان ما يقع في العالم العلوي هي الاحكام الاول وما يقع في العالم السفلي هي الاحكام الثانية • وللاحكام الاول قصد وللثانية قصد • فالقصد الاول يفعل الخير المحض ويظهر في الروحاني ثم في الافلاك • والقصد الثاني يفعل الشر والخير في عالم الطبيعة ، والنفوس الجزئية الثلاثة • فمن أسعده الله من النفوس الجزئية الناطقة خلصه الى عالم الافلاك ، أعني الى نسبة من القصد

الاول • فان النفوس الجزئية ، أعني الناطقة ، مثل النفوس الفلكيــة في المفارقة والتجرد عن المادة • ولا تسمع انت مني النفوس الفلكية فتتوهم المكان والزمان فلا زمان هناك ولا مكان ولا جهة ولا مادة • وفي موضعه يتبين ما نفوس الافلاك وعقولها على التمام بحول الله تعالى • فاذا فعلت الفعل الفلكي وخرجت عن علائق المادة وتنزهت عنهــا وتجردت وعقلت مبدأها سعدت• وهذه [١١٢ أ] النفوس الجزئية تحتاج الــى علوم كثيرة تخلصها الى مبدئها ولا يمكن أن تعلمه سبحانه وتعالى حتى تقطع ما بينها وبينه من الرتب والمعاني بخلاف العقول الفعالة• فان تلك ما تحتاج الى نظر فانها علامة بالفعل وان كان لها مراتب وبعضها فوق بعض فهي لا تحتــاج الى صنائع علمية ولا عملية • وانما هذه الصنائع في النفوس التي فـــي عالم الكون فاعلم ذلك • والقصد الاول لما فعل في العالم الروحاني الخير المحض وكانت السعادة تطلب السعيد من ذاتها • ورأينا السعيد هنا يفعل ما ينبغي كما ينبغي ويتشبه بالنفوس التي أسعدها اللــه بالقصد الاول ، قلنا هذا بالقصد الاول ومن القصد الاول وحكمنا عليــه بالسعادة • فاذا نزلنا مطلب كيف تسعد على هذا الوجه قلنا بالصورة المجردة الاولــى ، والفيض الاول والاستعداد لقبوله ، والاعانة الفلكية على تتميم ذلك في عالم الطبيعة ، ومساعدة الاشخاص المركبة ونفوسها لها ، وصلاح الحال في الروحاني والجسماني • وهذا وان كان بعيــدا عــن جواب كيف ، لا بأول نظر فهو صادق المعنى ، وهو جوابها لا بآخر النظر • ولا شك في ان سعادة السعيد لا يمكن حصولها للسعيد الا باعانــة العالــم العلــوي الروحاني منه والجسماني • واعانـــة عالم الطبيعــة الروحاني منـــه والجسماني ، واجتماع ذلك على مــا ينبغي وفي الوقت الــذي ينبغي • واعانة العوالم المذكورة والقوى المجردة لا حقيقة لهـــا الا مــن الفيض الاول ، وهي الصورة المقومة لها وللموجودات كلها من المبدع الى مــا دونه ، وهو الفاعل على الجملة اذ هــو الواجب الوجود • فاذن كيفيــة

السعادة عن حكم صادق من النظام القديم يخبر عـــن شاهده وغايتــه ويجهل بأوله وحاله • ومن يبطل من الفلاسفة المولد ولا يقول به الا على الاكثر وعلى انه صادق الاصل ، عسير على أهل الارض ان يعرفوه عــلى ما هو به من حيث هو • فكيفية السعادة عنده علم مـا يجب أن يعلـم ، وعمل ما يجب أن يعمل • وظهور ذلك على السعيد قبـل مفارقـة النفس الجسد وحلول الامر فيه بالفعل • فمتى رأينا الانسان يتعلم العلم المخلص لانسانيته ويجدفيه من حيث الانسانية لا لشيء مـن الطبيعة والهـــواء ويتمدن ويرشد نفسه الى الصواب بحفظ القوانين المسعدة لـه ويستقيم على الافعال المحمودة ، ويتشبه بالجواهر الروحانية ويقطع المواقع المانعة له عن تجرده حتى يصير عقله بالفعل ، ويلح عـلى اكتساب ذلـك ويغلب اللذة الروحانية على الطبيعية ، ويحمل المشقة في ذلـك ويـرى ان الالم الطبيعي اذا خلص الجوهر الروحاني الى لذة دائمة لا بأس به بـل واجب فعله وذوقه وطلب محنته كالمجاهدة والبحث والطلب [١١٢ ب] والتقليل من المادة والشهوات الطبيعية وغيرها ، قلنا فيه سعيد وعلى طريق السعادة سالك ، وفي كيفيتها داخل ومع شروطها واقف ومن بحرها غارف ، الـى منزلها قاصد وبعينها ناظر وفي عالمها ساكن • وقد نجد من الفلاسفة مـن يرى في كيفية سعادة النفس اتصال القوى الفلكيـة بالسعيد لا باكتساب بل بالبخت ، بحسب التهيء ولا يحتاج الى ما ذكر ، حتى انـــه ينطـق بالعجائب ويرى ما يعجز الغير عن رؤيته ، ويتصرف في العالم وهــذا وان كان هو بوجه ما صادق ، فهو على غير الذي ذكروه ووصفوه • ونتركــه لموضعه ان شاء الله تعالى • ويظهر بوجه آخر في كيفيـة السعادة بحسب البحث الفلسفي انها مجهولة من جهة معلومة (١) وهي منك ومن غيرك ولا بد للانسان فيها من الاعوان ، ومن العوالم كلها ومـن القديـم والحادث

---

١ ــ كذا في ا و ب وربما كان الصحيح مجهولة من جهة، معلومة من جهة.

ومن الاول والآخر • فمن السعداء من يعلـم سعادته ويعلمها الغير منـه باضافتها لشروطها الحاضرة عندنا • وعلاماتها والخلاف في هذه الشروط ما هي وممن هي صادقة وعن من يجب ان تؤخذ وكيف تؤخذ منه ومـن هو الذي يجب أن ينظر في قوله ويتخذ أسوة ، هـل النبـي أو هـل الفيلسوف ؛ أو باضافة أحدهما للثاني ، وان يؤخذ من هذا ما عنده فـي موضع يحتاج اليه أو في أحدهما الحق • والفيلسوف هو الذي يجب أن يؤخذ منه الا ما هو غير داخل في معقول السعادة الا على بعـد كالهندسة والحساب • وان الفيلسوف له من العلوم مـا لا يحتاج في سعادة النفس بعد المفارقة اليها • ومنها ما يحتاج الى سعادة النفس بعد المفارقة اليها • والذي عنده يدخل في سعادة النفس هو عند النبي أوجب وأكمل وهـو الحق لا غير • والذي عند الفيلسوف منه غـير مخلص وان كان يعطـي السعادة في هذا العالم الاول ويعظم الانسان • فاذا قام الدليل على الامام المتبع جعلنا اتباعه علامة صادقة على السعيد • ومن السعداء من لا يظهر للعين المحسوسة شروط سعادته ، وتظهر للعين المعنوية • وهـذا لدقتهـا وشرفها وغموضها • ويظهر أيضا في كيفية السعادة لما علمنا السعيد ما هو قبل وبيناه انها أحوال مانعة عن النقص ومؤدية الى الكمال ومخرجة عن سلب الخير وحاملة الى ايجابه وجامعة لما يستحسنه العقل ومعرفة لمـا لا يرضاه ولا يقبله فاعلم ذلك كله (١) • وهذا الكلام جملي الا انه مقبول ومحرر في مفهومه وصادق بالجملة • ويظهر من كيفيـة السعادة بحسب مذهبك انها تابعة للافعال المحمودة والاغراض الصادقة ، والتميز القاطع والنور الساطع ، والمكاشفة الشارحة الجلية ، والهدايـة الباهرة العلية • وهذه كيفية السعادة قد تم الكلام عليها • وهي القسم الاول مـن أقسام

---

١ ــ الضمائر هنا تعود الى السعادة لا الـى السعيـد . مـع ان تركيب الجملة غير واضح .

هذا المبحث • فنبدأ بذكر القسم [١١٣ أ] الثاني ، وهي هو هل بين الحق الذي تسعد النفس به نسبة أو شبهة ما ، ام ليس بينه وبينها نسبة ولا شبهة ، فنقول وبالله الحول والقوة :

المسعد هو الحق والسعيد هو المعلول والحق واجب والمعلول ممكن والواجب متقدم على الممكن بالطبع والممكن متأخر عنه • وكذلك المحال يتأخر عن الممكن ، والمتقدم يفارق من ذاته المتأخر • وكذلك يفارق من ذاته المتقدم والواجب هو الثابت الذي لا يتبدل وهو شاهد لنفسه وغير مفقود في وقت من الاوقات ، ولا يتقدمه عدم ولا سبب ، ولا يسري له الوجود من علة متقدمة عليه • والممكن هو الذي يتقدمه جميع ذلك بضد الواجب فافهم • ولا نسبة ولا شبهة بين المختلفات • وأيضا المثلان حدهما هو ما سد كل واحد منهما مسد صاحبه • وهما الشيئان اللذان لا يجد العقل بينهما فرقا • أو هما أيضا اللذان يجتمعان في صفات أنفسهما ولا يفترقان • والحق لا مثل له اذ لو تماثل عندكم للزمه من ذلك أن يتغير بقدر ما تماثل فاعلم ذلك • والنفس الانسانية رأيناها تصلح في وقت دون وقت وتتنوع عن معناها الاول الى أكمل منه • والحق تعالى لا يطلب كماله ولا يسري له من غيره • والعقول التسعة والنفوس الناطقة ، أعني نفوسنا ، جميع ذلك يطلب الكمال ويتحرك له ويرومه • ويتبين من أمره وحاله انه متى بعد عن الاول الحق بعدت سعادته بقدر بعده ، وهذا يمنع أن يتشابه الحق تعالى مع معوله عندكم • وقد يقول القائل اذا نحن جعلنا الحق تعالى يدخل تحت الحد ، وان ماهيته معلولة لنا فقد قلنا المحال في حقه • لان البرهان له علل ومبادىء • والاول الحق لا علة له ولا مبدأ • فاذا قام الدليل على هذا ولا شبه بين الواجب الوجود والممكن بوجه ، لان الممكن ماهيته مأخوذة من الواجب لتأخره عنه في المرتبة • والواجب الوجود لا تعرف له ماهية في الاول والآخر الا بعلم قديم • والعلم القديم يرجع الى ذات قديمة والممكن لا وجود له الا بما يسري اليه من

تلك الذات • فعلمه فيضها عليه ، والمفيض غير المفاض عليه بالجملة ، ولا بينه وبينه نسبة الا من جهة التبعية والملكة • وهـذا يمنـع أن تتشابـه الماهيتان في صفات أنفسهما • والفاعل غير المفعول فقد فارقه اذن من كل الجهات • وقد نقول لا يمكن أن يشبه القديم الحادث لانه قـام بنفسه وقام به ما سواه وكل شيء في الوجود انما هو فائض عنه وصادر منـه ، والذي يظهر من القوة الى الفعل لا يظهره الا من هو بنفسه بالفعل • فلو شبه الذي بالقوة للذي بالفعل لكان [١١٣ ب] الخلاف مثلا ، وهـذا محال ، لا شك فيه ، فاعلم ذلك • واجمع الحكماء كلهم على ذلـك ، ولا يخدعك ما ترى من رسم الروحاني فتتخيل ان الحـق سبحانه مـن تلك النسبة فتغلط وتهلك ولا تجبر بوجه • والكلام على استقصاء هذا يطول، وتبيين خلافهم واصطلاحهم لا يجمل بنا ذكره هنا ، اذ الاضراب عنه أنبه وألزم لنا • وفي الالهيات (١) يتخلص هذا كله فاعلم ذلك ولا تشك فيـه بوجه • ونرجع الى ما كنا بسبيله فنقول :

النسبة والتشبه بين الرئيس والمرؤوس لا يصلح اذا كـان الرئيس مفارقا له بالماهية واللواحق • والحق تعالى رئيس بمعنى الوجود اذ عزته ورئاسته ذاتية ورياسته غيره (٢) عرضية ومكتسبة منه • فعزته لكونـه واحدا في وحدته اي هو واحد لا واحـد يشبهه ، وواحـد في نفسه لا ينقسم ، وواحد بمعنى لا يتعذر عليه الفعل متى شاء • وعزيـز بمعنى لا يتغير ولا يتنوع ولا يتقيد ، وعزيز لا يفقد • وعزيز لا يفوته شيء وعزته

١ ــ اكثر من مرة يشير ابن سبعين بهذا الشكل الغامض لرغبتـه فـي توسيع ما يريد في الالهيات • ولم يصلنا منه كتاب بهـذا الاسم • ولا المقاطع الاخيرة من بد العارف ، فيما لو افترضنا الالهيات جزءا مـن بـد العارف ، تحمل الجواب لما وعـد •

٢ ــ ب ــ ورياسته غير عرضية •

لا حصر لها . وهي بالجملة له لا لغيره ولا من غيره ؛ ولا يمكن الغير أن يتصف بها . والمرؤوس دونه . أعني النفوس والعقول المجردة وغير ذلك، لا يصح لها هذا الشرط ولا تصدق عليها هذه النعوت فلا نسبة بينها وبينه ولا شبه . وهذا التنزيه قد صح وثبت لمن هو الثابت الذي لا يتبدل ، والواجب الذي لا يتغير ، والحق الذي لا يتنوع سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهذا المبحث قد تخلص الكلام عليه بتقريب على ما جرت العادة في جميع المباحث المتقدمة قبل وما منها مبحث الا وهو على مجرى الفلسفة من حيث علمت منها ، ومن حيث ينبغي أن يضاف لها ولاصطلاحها وماهيتها وما تحتاج اليه . ولولا ضيق الوقت لجعلت فيها تأليفا يتمم ما أهمله الغير ويحرر الشبهة المتقدمة لهم . وهذا وان كان الكلام الذي تكلمت به على هذه المباحث انما هو على جهة التشويق . وما حملت عليه النصيحة ودعت اليه الضرورة فهو مما يعطي الفائدة ويبين العوالم المشار اليها بالفضيلة ويفيدها . واما اذا فهم كلام المقرب وما قال وتكلم به ، وصُرف الى ما يجب ، ووجه الى حيث [١١٤ أ] أراده واختاره فهو الكمال الانساني لا غير . وما أردت بذكر رجال الوقت الاربعة والمقرب وكلامه عليها ، الا ان أنبه العاقل من العلماء منهم على الحق الذي كان من أجله المحرك الاول في كل علم منها . ولذلك جعلناها من مخالف واحد ، وأربعة متفقة في المبدأ مختلفة في الغاية . أعني بالمخالف الفيلسوف الذي خالف الاربعة بصناعته وعدم الحق في غايته ؛ وان كانت صناعته منها ما يستحسن وينتفع به . وكذلك غايته فيها ومنها ، والاكثر منها باطل وفاسد . وأريد بالاتفاق الرتب الاربعة الباقية في المبدأ أي في الامام المعصوم ، ومختلفة في مفهوم كلامه . فالفقيه لا يعقل الا ظاهر الامر وبعض باطنه . والاشعري يزعم انه يحيط بالظاهر والباطن على التمام ،

وانه ينصر الدين على المخالف له فيه ، ويقطعه في الذي يشكك به ويتعاطاه • وهو بعد ذلك كله غالط ومغلط وعلى أهل الحقائق مسلط ومسلط ، وفي معاني العلم محير ومسفسط بكلام لا يعقل مطنطن وممزق وبعلمه مغرب وبحقيقه مشرق • والصوفي مصيب والى ربه حبيب ، وفي صراط السلف الصالح سالك وبعين توحيده هالك ، والى ضالة المحقق طالب ومن درعها حالب • وممن يمكن ان يهدى الى غايتها ويسلكها ويحيط بما يحاط منها ويسلكها غير انه لم يملك ولم يسلك ولم يطلب على ما يجب ولا كما يجب ونقصه أن يبحث ويسأل ويطلب المحقق ولا يكسل• ونريد بالمحقق هنا ما لا نريد بالصوفي • وان سمعته يصف العوالم ويحدها ويفنى عنها ، ويقسم الاحوال والمقامات ويصفها وينوعها ، ويصعد عليها بالعلم والعمل والمعرفة ويدرك حقيقة الظاهر والباطن والحد والمطلع والاسلام والايمان والاحسان ، فهو بعد ذلك كله يحتاج الى المحقق ويضطر اليه ، فانه مباين له من جهة ومتفق معه من أخرى • واما المقرب ، وهو المحقق فهو السيد الذي لا تختلف عوالمه ولا يرحل منها الى غيرها ولا يضطر الى عالم آخر وانما تركيبه متماثل وهو ينشىء الذوات ، والصوفي ينشىء الصفات • وان أردت بالمقرب محقق الصوفية • فاعلم اني لا أريد ذلك ولا أقول به ولا أرضاه ، وان كان هو عندي عظيم وهو الذي يختار المقرب من رجال الرتب الاربعة وهو المخاطب عنده بينهم وحده • واعلم اني لم أختر الرتب الاربعة الا لشرفها عندي ، لانها أجل الناس بعد الصوفية المقربين • ولو أحببت أن اخذ كل من تكلم واجعله في حضرة الخطاب لطال الكتاب وكثر التشعيب • اذ المذاهب المخالفة للحق [١١٤ ب] لا منفعة فيها ، وان كان الفقيه غير مناظر في المعقولات ؛ وكذلك الاشعري لانه ضعيف الصناعة • فهما شريفان لاجل أصلهما ومذهبهما وفضيلتهما • فهو يعظم أمرهما بالجملة والدخول في رحمته وظله ولرأيه اسعدهما ، وفضلهما على غيرهما والغير لا يصلح • وان

كانوا عظماء الصنائع وعارفين بأشيـاء متفقـة للجمهور • وفي الالهيـات يتخلص الخلاف وعدد المذاهب وحصرها وجملتها ان شاء اللـه تعالى • فاختار المقرب يا فيلسوف • المترب عند الله ثم الامثل فالامثل • ولما كان الشارع هو الوسيلة الى الله جعلناه المطلوب الذي لا تصح السعادة الا به ورأينا كل من يتكلم معه من حيث هو وان بعد عنه في جهة ما ، قلنا هـو يخاطب بطريق السعد • وهو الشرط فيه واذا كان هذا على هذا الوجـه فالرتب الاربعة هم الذين ينبغي أن يتكلم معهـم لا غـير • وان سمعتني اوبخهم وأرد عليهم وأذم مذهبهم • فلا تتخيل اني أذمهم بذم مطلق ، ولا استنقصهم بوجه الا باضافتهم للمقرب ، ولئلا يغلط السالك والمسترشد فيهم فيترك الحق ويهمل طريقه • وبالجملة فأنت ان سمعت منـي تستعين (١) بالفقيه في العمل ، وبالاشعري في الحب للشريعة، وبالفيلسوف في الصنائع العملية ، وبالصوفي في الحال الصادق والمكاشفات والانصاف بالامور التي لا من جنس ما يكتسب ، وباصطلاحهم في ذاـك وتآليفهم واقوالهم وما هم عليه ، وبالمقرب في الجملة وفي كل ما يقولـه ويفعله • فاذا اشترفت عليه ، لا تنظر الى سواه ولا تـرده ولا تهـواه وانساه ولا تتمناه والسلام •

فنبدأ فنقول : الكيفية والشبه والنسبة سؤال ظالم لنفسه وغافل في يومه وأمسه ، وناقص لا يشعر بنقصه وحريص لا فائـدة في حرصـه ، ومسترشد لا يرشد أبدا ، ومحزون يموت كمدا ، وباحث عن عدم من كل الجهات وطالب النقص بالترهات • كيف يعقـل كيف ؟ والهيئـة ملك للحقيقة ومتأخرة عنها وحقيقة النفس لا تطيق و لاتقدر ولا تعلل ولا تعرف فيما تزعم انك تعرفها وانما يتمكن للعارف ان يعرفها اذا وكـل التعلـق بالموصوف وحذف المعلق عن المسلوف وجدّ عـلى جادة جوده وكد فـي

---

١ ـ لمعنى الامر او الطلب .

حضرة معبود وخلص قد وهاك (؟) اليه وتضعيفه وبات على نسبة تكليفه، ووكل أمره وفوضه لمتعلق النظام بعد اقباله على رابط العبد ، والذي كان عنه وسمع كنهه ، الذي بأنيته استشعر منه وقدم (١) على باطل تشبيه معه افراد الدعوة المنتمرة والكلمة الشائعة والخطفة الاولية مع القولة السابعة . وأقام الهداية على مرجعها والتوبة (٢) من مضجعها الى الموت الضروري كما حده النص المحفوظ . وابرزه الذي يفعل [١١٥ أ] على مقتضى اللوح المحفوظ وهذا كله على رجعة وثبات ، وخلاف كثير وشتات ، وجمع آخر العبودية الى أولها ومعناها والوقوف على حقيقة سلب النقص عن الذات ومعرفة سناها ، وخبر زجره ووصل هجره . وهذه الحروف قد كتبت فاسمع تركيبها . النفي يسنع الخلاف عن اتفاقه، والاسم الممنوع عن اشتقاقه وقصر الصور عن اجماعها وغرس شجرة الاسل بعد اقلاعها وحصر النسم الى حيث كان انطباعها . وهجوم البواده على اوله وآخره ، وقلم البداية والكاتب به ، وحكم زاخرة وطول مقام الاسترسال وان قصر وعجز هجوم الاحوال وان فكر . وهذه الحروف قد ركبت وبقي علينا الكلام بها واقطع تجمع الوقوف . واصفع تدفع الصفوف . واخضع بسناك . وانس فتاك . واهد الحول واعط القول . وزلزل انا وعلم لنا . وواصل هلم وراحل فثم . وغيب علي وسلم الي . وبادر يميني وشاور يقيني . وخاطب نظامي وكثر سلامي . وعلل هواك وحرض فداك . وقرب قريبك وواصل حبيبك . وصدق صديقك وانس فريقك . وخمسة ، وسبعة ، وواحد ، وجاحد . والحق والحقيقة والفصل وفوقه والجملة لا ذوقة ، والغربة ثلاثة . والحضرة واحدة . والوصول

---

١ ــ ب ــ قدم .

٢ ــ ب البدنية وكذلك في أ . والتصحيح عن هامش ب . على أي حال يظهر الغموض جليا في اقوال ابن سبعين .

قط • والمشاهدة والشهوة بط والصداقة فقط • وأنت ككنت وليت أتيت وهاك واجبر وكاد واخبر وجار حرب وهد وضرب • وقد تخلصت يا فيلسوف فاخرج عنك واهرب منك • وصل الاستقامة واطلب السلامة، والسلام عليك ان كنت تسمع ما أقوله بعدك وتحصل ما نقلته لغيرك وتبذل فيه جهدك •

القول على الصوفية في النفس

بمذهب المقرب في مذهبهم بحسب ما اختاره لهم منه وعلمه وحققه وتصوره • واعلم ان النفس اذا نظرناها من نسبة علم التصوف وطلبناها فيه وبرهنا عليها منه نجدها مقولة على كثيرين وذلك ان الكلام عليها بالتصوف يعطي من ذاته الاشتراك والاتفاق والاختلاف ، والفرق والجمع مع أكثر المذاهب ، لا سيما في الرتب المذكورة • لان طريق التصوف هو الذي يطلب نتيجة العلوم ويطلب الذي من أجله يتمكن كمال الانسانية وتخليصها بذاته وبغيره ، وبمجهول من خارج وبمجهول من داخل ، وبمعلوم من خارج • ويحيط بالامور المعروفة ، وبالامور التي لا من جنس ما يعرف بالادلة السمعية ، وبالادلة العقلية وبالادلة الذوقية ، والادلة اللدنية والادلة الخيالية ، والادلة [١١٥ ب] الحسية والادلة البديهية ، والادلة الضرورية والادلة الغيبية ، والادلة البعيدة والادلة القريبة ، والحاضرة والآجلة ، والماضية والخفية ، والجلية والوهمية ، والوجودية على أنها وهمية ، والوهمية على انها وجودية ، والوجودية وهي وهمية ، والوهمية وهي وجودية ، وبما ليس بشيء على انه شيء وبما هو شيء على انه ليس بشيء ، وبما لم يمكن على تقدير الكون ، وبما لم يزل من جهة ما كون ، لا من جهة ما هو على تحقيق ماهيته ووصف انيته بالحد والرسم • فهذا شيء ممنوع عند الكافة فلا سبيل الى الطمع فيه فاعلم • فاذا كان هذا حال طريق الصوفية، وجب ما قلته لك ان النفس مقوله على كثيرين بمذهبهم • ولا تظن انها

تتكثر بحسب الكلام عليها أو تتجزأ في جوهرها • وانما القلة والكثرة والوحدة والاضافة وجميع ما ذكرته لك من أمرها في العوالم والوجود والاحوال والرتبة والصعود والتركيب والترتيب والشرف والنفي والاثبات والكمال الاول والكمال الآخر ، والحسنات التي تعود سيئات والسيئات التي هي بالاضافة حسنات ، وغير ذلك بحسب ما نبينه لك بعد ان شاء الله تعالى • مثال ذلك في الصوفي مع الفقيه وغيره واشتراطه في الاسم معه وما يأخذ منه وما يحتاج اليه من مذهبه • اعلم ان الصوفي يركب بدايته من الفقه والتصوف وغيره ويركب سلوكه من طريقة وما يضاف اليه من لواحق الاسرار الشرعية والاحكام العادية والاختيارية • وبالجملة مما يعلم من الامور وهو المعروف عند الكافة ومما لا يعلم ولا هو معروف عندهم • ويركب وصوله ، أعني نهايته ؛ من حيث هو ومن حيث كان ومن حيث لم يكن ومن محض التعلق في النظام القديم ، ومن القديم وحده ومن المشار المفرد والكنه المرتب المذهب ، والهوية المستحقة والانية التي يركب اليها ويحلل بها المركب ، والانية التي يسلك بها ويخرج عنها بعدما تسلب • فيأخذ من الفقيه ما يحتاج اليه من تدبير النفس وما يعطيه مذهبه ، وما عنده فيها انها مخاطبة بالمفروض والمندوب والمحظور وانها مكلفة • ومفهوم التكليف ما هو ، وأصول أدلة الاحكام كم هي ، وانحصارها في الكتاب والسنة والاجماع والعقل خاصة وكون الامر له صيغة ومقتضى • والنهي كذلك والمأمور اين يخطىء شرعا واين يصيب شرعا ؛ وكيف يعمل العمل الشرعي ووجه الصواب فيه ، وان المعنى المكلف من الانسان هو الذي يطلقه الشرع تارة روحا وتارة نفسا • [١١٦ أ] وذو النفس هو العاقل المخاطب من غير ان يعلمه أنه جوهر أو عرض روحاني أو جسماني وجميع ما يحتاج اليه من الادلة السمعية والاحكام الشرعية • فان أخذها منه مقبولة كان من أهل الفروع وان أخذها من حيث الدليل كان من أهل الاصول • ففروع الفقيه ما أعطاه

أصل الفقه والاجتهاد والترجيح والتوجيه الصحيح • وأصول الفقه أدلة الفقه أو ما يتوصل به الى الادلة على سبيل الاجمال • والفقيه هو الـــذي يعرف الاحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد • والحكم عبارة عن خطاب الشرع اذا تعلق بأحكام المكلفين • وجملة الامر الفقيــه يتكلم في الخبر ، والصوفي لا يحتاج الى الفقيه في شيء الا فيه ، وفي الوجه الصحيح منــه وفي مفهومه ومقتضاه لا غير • فكأنه يعمل بالفقيه في بدايته ، وفي بعض سلوكه وتوسطه لكي يعتدل تدبيره ويستقيم ويخوفــه بالمحظور وحـــده والوعيد ، ويهذب له خطاب الشرع ويجعله أسوة له في العمل وفي الاخبار عن نهايته ، والسلام • فاذا حصل الصوفي ما عند الفقيه على ما يجب وكما يجب وبما يجب ولم يخلط فيه ولا تبحر فيه ولا طلبه لعينــه ولا أهمــل نفسه بتحقيقه ولا طلبه لغايته ولا حض عليه ولا حققه ولا ناظر عليــه ولا أكثر منه • كان من الصوفية السادة وممن تسلم بدايته فان زال عن هذه الشروط ، غلط وانتكس وخرج عن كونه صوفيــا • لان الصوفي يطلب الوصول الى منزلة يريدها لعينها ولا يعنى بها في طريقها ولا هو مقصوده، فجميع ما يقطعه عنها نقص وحرمان وغير مفيد • ولذلــك قيــل فيه سيد وعبد موفق وعزيز في عباد الله لانه عرف المطلوب فطلبه وتــرك سواه • ويرى ان جميع من يتكلم في غير مطلوبه انه من المجانين ما لم يكن المتكلم يتكلم في ضرورة يحتاج اليها في التصوف • فان تكلم به في غــير ضرورة فكأنه صانع يشتغل بحفظ الآلة وتعظيمها وتحسينها ولا يصنع بها صفــة ولا يصرفها فيها ولا يعمل بها شيئا ولا الــذي من أجلــه وجدت وكانت وسميت ؛ [١١٦ ب] فكأنه نجار يبرد منشاره ويغشيه حتى يطلع الدرن عليه ثم يصلحه ثانية ويرفعه كذلك حتى يذهب بين يديه ويتلاشى ويفنــى وجوده ، فلا هو انتفع به ولا نال منه مقصوده ، ولا المنشار بقــي لــه • وكذلك جميع علماء الارض غير الصوفية يطلبون العلم لا لتدبير النفس ، وانما يطلبونه للجسم حقيقة حتى يخرب ، وتهلك النفس مع هلاكه اذا لم

يخلصها طول مقامها معه • ولا يسعى في خلاصها كالذي أهمل آلته ولـم يصنع بها ما ينتفع به • فكل عالم شقي اذا لـم يطلب النفس طلب الصوفي لها ، أو يدبر الانسانية على غير تدبيره ، فلا سعادة له بوجـه • والا أي فائدة وأي شيء في الفقه مفردا واستغراق الزمان في طلبه وفي فك مسائله كالمسائل الطولية • وما يقول المصلى وما يفعله اذا كان كذا أو كذا مما لا يقع أو يعسر وقوعه ، وقال أبو القاسم ، وقال سحنون ، وهذه قولـة قديمة ، وهذه قولة جديدة ، والعمل على هذه ، وهـــذه لا يعمل بهـا ، والصواب عندي كذا ، والوجه في هذه المسألة كذا ، وتحقيق ما لا حقيقة له وتضييع الوقت في الامور الممكنة من الاحكام الشرعية التـي اذا لـم تعمل تطعن في الشريعة النبوية الكريمة ولا في تدبير الانسان • مثل قولهم ما يعمل الامام اذا حدث وشك في الحدث ، ووقع حائط المسجد ، وقيل له العدو قد اقبل والوقت ضيق وتوبـك مغصوب ولحنت في القـراءة ، وفاتتك صلاة قبل صلاتك هذه • وأشياء اذا عرضها على نفسه وهو فـي غير الصلاة لا يحصيها الا في زمان طويل فكيف في الصلاة مـع وجـود هذه الوجود الغير مفيدة ، التي لا يصلح العمل بها ولا تقع • وجملة الامر فيها ان يقال للصوفي عليك بمعنى الروحاني وحفظه فان فاتك شيء مـن هذه الجزئيات الغير ضرورية ، أو وقع من هذه الممكنات العسيرة الوجود فابدأ من جديد • فان كنت في الصلاة وأنت الامام ووقع مـا ذكـر اعمل الاول فالاول ، واقطع الصلاة وابدأ باقامة ثانيـة وصلاة أخـرى • وان شككت في الصلاة ارجع للاصل الاول ولا عليك ان تعلل وتدقق الاوهام والاهواء والاغراض الفاسدة المانعة لك مـن الوصول الـــى مقصودك ومرغوبك وغايتك فانها مسائل لا يحض العاقل عليها ولا يرغب فيهـا ولا حاجة للسائل اليها • فقد علمت وفقك الله كيف يحتاج الصوفي للفقيـه واين يجتمع معه ويختلف بنسب ووجوه محدودة ومعروفة وظاهرة فـي عللها • وذلك ان الاشعري من حيث يتكلم في المعقولات ويتصرف بنـوع

ما من النظر في الادلة العقلية والادلة السمعية ، ويحارب علـى الشريعـة وينصرها ويقول بجميع ما جاء فيها بحسب [١١٧ أ] مـا يجوزه العقـل ويعطيه بحثه والنقل الصحيح • وهو مع هذا كله يتكلم باصطلاح الشريعة والفاظها وبلسان العرب ويأخذ أشياء كثيرة من الشريعة مقبولة ، ويؤمـن بها على الاطلاق ويناظر عليها • فيستعين بها الصوفي في فهم الشريعة فـي العالم الاول وفي المعتقد الاول فيها واليقين القريب الاول منها يدرجه الى طلب ماهية الشيء من حيث هي ويشهيه الى صورة الصواب حتى يخرجها لغير مذهبه وبصناعة أجل من صناعته وعلم أعلى من علمـه • فقـد صح بهذا النظر ان مذهب الاشعري يحتاج اليه وفيه بعض فائدة اذ هو المحرك الاول للعلوم النظرية عنـد المسلمين القلبية ليشوق اليهـا من حيث يريد (ان) يعلم معنى الوجود ويقسمه وينظر فيه ويشعر بالشرف ويبحث عن سعادة الانسان وان عجزت عنها صناعته • وأيضا اذا رأينا الصوفي قـد طالع الكتب الفقهية والاشعرية وعمل بما علم منها ثم نظـر في العلـوم النظرية واستوعب فنونها وحصلها واحتوى عليها ، قلنا فيه انـه واصل حكيم وقطب وشكرنا له ذلك كله • واذا رأيناه قـد أهمل النظر واتبـع الخبر وحده وصعب عليه حمل النفس على العلـم والعمـل ، والتعرض للغريب الوارد عليه قلنا فيـه جاهل ومبتدع ومحروم • واذا رأيناه ينظر في العقليات ويتصرف في الصنائع العلمية والعمليـة ويصرف الالفـاظ الصوفية دون اعتقاد معانيها ومقاصدها ويترك الاحوال القلبية والمعانـي الروحانية والاخلاق الملكية والانقيـاد للاحكام الشرعية ، حكمنا عليـه بالكفر والجهل والحرمان وعصيناه • وبالجملة الصوفي الكامل هو الذي يحيط بالمنقول والمعقـول والاحـوال والمواهـب والاتصاف والادراك الروحاني كله بجميع أنواعه والجسماني بجميع أنواعـه والمشترك بـين الروحاني والجسماني ، اذا فرضناه مريـدا وتصوفه صناعيا ، وهـو من التصوف الذي يحصل بصناعة التركيب • والصوفي الكامـل تصوفـا

الطبيعي الذي يطلق عليه صوفي ، هو الذي يرد عليه التصوف بمجرد الرحمة والموهبة والفيض حتى لا يكون عنده من عالم الشهادة بما ينزل اليه وهذا هو الذي يستحق اسم التصوف لا غير • والاول يستحقه بالاضافة لغيره من العلماء ، أعني النظار • والصوفي حقيقة هو الذي يتخلق بالاسماء الحسنى ، ويجدها في نفسه لا بنفسه ولا عن نفسه ولا من نفسه ولا لنفسه • وبعد هذا كله لا تعقل الانسانية الكاملة ولا يعقل الوصول الى الله تعالى ولا يعرف الحق ولا تصح معرفته الا من العلم الذي تطلبه الصوفية وتحض عليه • ولا يتمكن التصوف ولا يحصل ويظفر به الا بالتحقيق وبما يعطيه المحقق لهم • والمحقق هو المقرب وهو الذي يتكلم آخرا وبه يختم كل كلام وضعته هنا •

وها انا تتكلم عن النفس بحسب مذهب المترب في مذهب التصوف كما شرطت في أول الكلام عليه • والله يعين على الخير بمنه وكرمه • فنبدأ فنقول : نفس الشيء في اللغة وجوده • وهي عند الصوفية كناية عن الاخلاق المذمومة ، والاحوال القبيحة ، والاعراض المادية ، والشهوات البدنية • وهي عندهم في عالم الخلق ، وهو [١١٧ ب] عالم الاسلام • وهو العالم الاول • وهو الصراط الاول • وهو السما الاول • وهو الغالب المهلك • وهو المحل القبيح • وهو جهنم البرية • وهو نار الله العاجلة • وهو الشيطان الظاهر المقدم • وهو الخاطر القاتل وهو الحشر ، وبه النشر • وهو القشر • وهو الطين وهو الحجاب • وهو البعد وهو العذاب ، وهو الظلم ، وهو الكفر الموافق ، وهو الكون الاول ، وهو الفساد الاول ، وهو الطاغوت المشروح ، وهو الشخص المقاتل المنقول • وهو الغطاء وهو السقم ، وهو الحية الثالثة ، وهو الشجرة الثانية الواحدة • وهو البحاث بالادوات المادية والاحكام الارادية الحيوانية والنفسانية • وهو البعيد عن القصد والكلمة ، والقريب الى الكون والطبيعة ، والظاهر للعادة والباطن في خرقها بالارادة ، والحق في الخلاف

والكذب في الاستئناف • وهو الذي يلحقه الموت والخاص والعام • وهو المحروم على الاطلاق • وهو الذي اذا قطعه الانسان قيل فيبه كريم الاخلاق • وهو محل العقاب وفيه ومنه واليه العقبة • وهو الغواب وبه واليه المسغبة • وهو الذي خالف به المحرك له الامر ، واضرب عن الهجود والجود ، وامتنع بسوء لواحقه عن السجود • وكف عن الخير والانقياد ، وزهد في السبب الذي يتأتى للسالك أن يظفر بالازدياد • وعاد به الى القائل يطلب تضاليله والى البرهان الذي لا وسط لمقدماته بقصد تعاليله • ويخالف طرق الكمال ويقطعها ويمنع الغير عنها ويرشد الى اضداد المصالح ويأخذ فيها ومنها •

والنفس بالجملة عند الصوفية قد تطلق اذا طلب منهم حذفها العقلي وماهيتها واغراضها اللازمة والعرضية والذاتية بمعنى الروح والعقل والكلمة والقصد والفصل • هذا اذا ركب عليهم السؤال ويبحث عنها ، أعني عن النفس ، بحسب مقصدهم وصناعتهم • فانهم لا حقيقة عندهم لشيء الا بالاول الحق ، ولا حق للشيء الذي يثبت به اذا حقق الا بكلمته ، ولا حق للكلمة الا به ، ولا هوية لشيء الا بالكلمة ، ولا هوية للكلمة الا بالمتكلم ولا يتكلم المتكلم الازلي مع غيره ولا يراه ، ولا الكلمة يسمعها غيره سبحانه • فلا كون ولا مكون على وجود الاضافة يصدق في تحقيق الهويات فاعلم • فحقيقة النفس ، اذا نظرناها بالمذهب الحقيقي في مذهب الصوفية ، أوهام اثبتها الحكم العادي واخبار أوجبها القصد الوجودي ومعاني حققها القهر الرحماني • وذات موجود بالذات للذات لا الذات نفسها وموصوف لا بالصفة ولا كالصفة ولا كالموصوف اذ العلم والمعلوم والعالم واحد هناك وقد اطلق بعض عوام الصوفية انها قالب وموصوف في الانسان وكذلك القلب والروح والعقل والسر • وجملة هذه ذوات موجودة في ذات الانسان والانسان مجموعها وجملة يشار اليها • وهذا كلام لا يعول عليه عند علماء الصوفية بوجه • والصحيح

على مذهب الصوفية في أمر النفس اذا تكلم لهم في أمرها بقياسهم واصطلاحهم ومقصودهم وما يعطيه مذهبهم ، ان يقال : النفس جوهر موجود يدبره عرض ويهمله عرض . والعرض الذي يديره هو العقل ، وهو [١١٨ أ] الغريزة وهو الشرط في وجود التكليف ، وهو الذي يصل به الى الجوهر المذكور الى عرض مثله في الحد ، وان كان غيره في اللواحق القائمة به . ثم تصل بالعرض الآخر الى عرض أجل وأعلى وأفضل من أن يضاف الى الاول والثاني أو ينسب لهما ، أو يجمع معهما في حد ما أو في لا حق ما . وبهذا العرض الثالث يصل الى جوهر هو بعينه الجوهر السالك بالاعراض المذكورة . وعند وصوله الى ذاته تغيب ذاته غيبة عن وجود وعن ذات متقدمة ، وعن عالم يشار اليه ويلحق بالحس والذهن ويضيق الى اخبار لا تقوم به ، والى ادراك لا يخبر عنه ولا هو به ولا منه ، والى حضرة لا تحضر ولا تحضر فيها ، والى مدرك لم يكن والى مدرك لم يزل على ما كان يدرك ، وبالذي كان يدرك ثم يجد ويحمد ولا يتحد ويحدد ويبدد ويعلم ويعدم ويقدم ويؤخر ويظهر ويبطن ويوقف على الفصل من الفصل يظهر المطلوب الذي رغب فيه أهل المقامات . به تتفاضل المراتب وتختلف اقدام السالكين ، وفيه تظهر البشرى في الحياة الدنيا ويقع الاحسان ويرى الرحمن الرؤية الرحمانية الاستطاعة . ويرى الحق الرؤية الصمدية وثم يقف المقرب منهم على ما تمثل بالتوسين بقدر . ثم يوقف على كنه التوحيد المسلسل المردد ، لا على الذوات المفارقة ، بل على الحروف . ويرى الواحد الرؤية الرضوانية . وهذا آخر مراتب التصوف ، وآخر الوجوه التسعة وهذا غايتهم . وها انا نذكر أمرهم من حيث الاختصار والاتصاف في الذي هم بسبيله . والله يعين على ذلك بمنه وكرمه لا رب سواه .

فاعلم ان قولي لك في النفس انها جوهر وان لها عرضين الواحد

يدبرها ، صحيح من جهة ما ، وباطل من جهات كثيرة • ولا يوجد في العوالم السنية التي يصعد عليها جميع المقربين لا في العالم الاول أعني الروحاني منه والجسماني ، من يحظى بالصوفية ، ولا من يرد عليهم ، ولا من يكشف ما هم عليه الا المحقق ، وكلامهم في الاصول على وجه ، ويسلم لهم ويمنع التسليم فيه في مواطن • وبالجملة فالوجه الاول من التصوف فيه اعتراض يسير ويسلم له الاكثر اذ هو مشهور معروف عند أكثر [١١٨ ب] العقلاء دون الاغبياء الجهال • والثاني يخالف في الاكثر منه ويسلم له في البعض • والثالث لا يسلم له في البعض ولا في الاكثر • والرابع لا يترك القائل حيا • والخامس يحمق ولا يلتفت اليه • والسادس يستطرف ما يظهر عليه • والسابع يقصد بالمسائل • والثامن يرغب فيما بين يديه ، والتاسع يضطر له ويسمع منه ويختص بخدمة المحقق • وهو الذي يرثه وهو الولي البر والمقرب لغيره لا انه بر على التمام ، ولا مقرب على الاطلاق • فان السعداء في الصوفية تعظيمهم انما هو بالاضافة ، وتعظيم المحقق لعينه ولما وجب له • ولا تتخيل ان نقلة الصوفية بالاعراض المذكورة ومشاهدتهم لما ذكر هو من جنس ما ذكرته على مذهب الفيلسوف فيها من العقل المستفاد والعقل بالملكة والفعال ، والنفوس المذكورة والحد الجوهري لها بها ، ولا ما هم من هؤلاء بك في شيء • وان جمعهم النظر الصحيح والحكمة في حد النفس وفي أشياء ضرورية فيقربهم في الاعتقاد في القصد والكلمة • وبالجملة المبادي عند الصوفية ترتيبها على غير ما ترتبت عند الفيلسوف وتصريف العوالم والذوات الروحانية والقول على الحركة والمحرك والاكوان عندهم لا على ما هي عند الفلاسفة • وكذلك السعادة الانسانية فان الظاهر من مذاهب الفلاسفة والمستحسن عندهم ان ينتهي الانسان بعد الموت الى رتبة العقل الفعال بالجوهر ، وبالعلم الى العقل الكلي ، وبالمقصود الى السبب الاول • وان كان سر هذا عندهم مرموزا ، ومما عجز عنده عظماؤهم

كأرسطو وغيره فاعلم ذلك كله • وبالجملة هؤلاء يتقربون الى الله سبحانه بالوحدة المحضة دون الوسائط التي يعتقدها الفيلسوف والرتب العقلية التي يرى انها ضرورية بينه وبينه وأن بقطعه لها يدرك المرغوب الحق، وببقائها يفقد الوصول اليه وان الذي يقطعها يصل اليه • وبحسب ما يقطع منها يكون شرفه ، وبقدر قربه منه فيها يكون شرفه ورفعته ، لانهم لا حقيقة عندهم لموجود اذا انفرد ولا يمكن الانفراد بشيء عن الحق تعالى ولا بالذي يقوله الفيلسوف ولا على الوجه الذي يقوله • وان كان يقول انه واجب الوجود وبه كل موجود فهو لا ينكر ولا يجحد أن الذوات الروحانية علاّمة بالفعل وفعالة بالطبع وان وجودها لازم عن الحق وواجب عنده ، وممكن لها معه في قدمه ، والقدم معا لها وله وفيها صورة كل شيء • وهذا عند الصوفية قبيح وباطل ومما يكذب عند الفيلسوف بأخرى وما يصعد الفيلسوف عليه من الرتب العقلية يرجع الى الذي يصعد الصوفي عليه • وان كان الفيلسوف لا يعلمه الا بعد بحث ونظر وامتحان فان العوالم كلها عندهم انما هي تحت الافعال وبعد الصفات والذوات لا البعد الزماني والحد المكاني • فلما ظهر لهم ذلك وصح وعلموه وتبين عندهم صعدوا الى الحق بالافعال ثم بالصفات ثم بالذات • وهذا يلزم كل سعيد يصل الى حضرة القديم ، وان لم يخبر عن ذلك [١١٩ أ] ويعلمه ويتصوره الا أهل التحقيق ، فانهم توجهوا الى ربهم لا بشيء مما سمعت ولا مما علمت واعلمت • وفي الكلام على المقرب يتبين لك هذا كله ان شاء الله • فصعود الصوفية الى الله هو الصعود وهو الحق بالاضافة الى كل عالم صاعد سعيد دون المحقق المقرب الحكيم للسفر • هدانا الله اجمعين كما هداهم وهيأنا بمنه للذي هيأهم • فهذا ما يحتاج اليه من الكلام على العرض الذي يريد المكلف • فنبدأ بذكر العرض الذي يهمل المكلف بحول الله تعالى سبحانه •

فنقول : والعرض الذي يهمل المكلف يشتت تدبيره ويرشده الى الخلود الى الارض ويأمره بضد ما هو الحق عليه وينسيه نفسه ويذكره على غيره من حيث هو ويطلبه بغير واجبه ويأخذ منه ذاته الصاعدة ويعطيه ذاته النازلة ويمنعه عن اصله الواجب ويحمله الى فرعه الكاذب وينفصل عنه في عالمه ويضله في علمه ويبدد جملته ويجمع جملته ويأخذ غايته ويبذل فيه عنايته ويقصد به التضليل ويحمله على اليأس والتعطيل ويزهده في مقصوده ويصرفه عن حضرة معبوده ويطلبه بالسعي في اكتساب العاجل الردي ويحضه على قطع الاساءات المؤدية لاجله السني • وهذا العرض المذكور هو المعبر عنه بالخذلان وقد يكون في العبد دون وسائط • فقد يكون بها ويضاف تارة الى العبد نفسه ، وأخرى الى محرك خارج عنه ، غير انه فيه ومنه ، لكنه لا فعل للمحرك القريب فيه ولا تأثير الا بالمحرك البعيد • اذ القرب والبعد عندهم انما اثبتوه في الصحو • والشريعة والكسب حاضر عندهم ، لا على ما يعتقده أهل علم الكلام • وان كان منهم من يعتقد فيه اعتقاد علم الكلام • وبالجملة الحق في ذلك كله لا تطلبه على مثل الكلام على الخواطر كما تقدم قبل في الكلام على النفس على مذهب الصوفية • ولا تطلب الاشعري ، ولا تطلب الفيلسوف ، ولا تطلب المقرب في عالم غير عالمه • وان طلبته فاطلبه على مثل ما أعلمتك في الصعود على العوالم وكيف يكذب الشيء من جهة ، ويصدق من جهة • وكيف يكون كاملا من جهة ، ناقصا من جهة • فان الفقيه يقول المعصية من ابليس ولا يعرف ما ابليس ولا ما يفعل ، ولا من اين صدرت الافعال ولا يتعرض لمفهوم الكسب ولا لماهيته • وان ضيقت عليه يفتضح في معتقده وفي مفهوم ما يقول ، فلا يعوّل عليه في شيء من ذلك كله • والاشعري ان سألته يتكلم على الكسب كلاما لا فائدة فيه • وعلى ابليس كلاما فيه بعض حق ، وعلى المعصية والطاعة ما لا يحتاج اليه العاقل ، الا في بعض العوالم التي قلت لك وبحسبها لا غير • وبالجملة الاشعري صاحب مسألة

وان كان يجهل صواب العاقبة منها لكنه [١١٩ ب] هو ممن يطلب بنوع ما من المطالب المشككة . والذي يطلق عليه انه جاهل بالبعض عالم بالبعض . والفقيه ما يعرف من القضايا القياسية والمعاني الروحانية شيئا الا ما اعطاه الخبر واثبته الاثر ، ونبه عليه الشرع في الظاهر لا ما نبه عليه في الباطن . فما (١) يعطي من هذه المسألة شيئا ولا تؤخذ عنه ولا توجد عنده الا مذكورة ومسموعة ، لا مفهومة . غير انه اعطاها بنسبة بعيدة وبما يلزم من الفقه . مثل ان طلب العلم عنده فريضة وتاركه اوقع محظورا يعاقب على فعله فيعطيها بالعرض ، ويحضر عليها بالطبع ، ويعلمها باللواحق الغير ذاتية . كالذي يرسل السهم في الهواء من غير غرض ولا عرض ، ويصادف رجل عدو كافر او جناح طائر ينتفع به وهو لم يقصد شيئا من ذلك كله لكنه بسهمه اصاب ، وبحركته كان ذلك ، والجميع وقع بغير قصد ولا عزم بوجه . والفيلسوف يعطيه في عالم واحد ويمنعه في عوالم ويعرفه بالعادة . ويجهاله (٢) في خرقها ويقول به في الطبيعة وينكره في الشريعة ويثبته في النفس الحيوانية ويجعله فيها بالطبع ويلزمه للناطقة ، ويعرفه عنها بالتمدن ويعتقد ان الاصل فيه النباتية ، وان المخالفة للحق انما هي مادية او من اجلها ويدخل ذلك كله تحت جنس النوع والشهوة وقوة الاجماع والنزوع واهمال الفكر الصالح والرؤية المسددة وسوء الفطرة وفساد الذهن وقلة المعارف . والمقصود ما هو في شيء من هذا كله ، ويستدعي الاضافة وعالم الانفعال . وهذا اذا حققته ناقص عند المتصوف الذي احكم الوجوه التسعة من التصوف . وان اخذت بكلام المقرب الذي تكلم به على الرتب الاربع تتعب وتتعب غيرك اذا اتبعك ، لانه رمز المقصود واخفاه واعطاه الخاصة وستره عن العامة فلا حاجة لك

---

١ ــ ب ــ جمعا .
٢ ــ ب ــ بالجملة .

فيه (١) • فأسمع المقصود فيه بحسب التصوف ومنه تعرف الغرض المدبر المذكور قبل هذا بحول الله تعالى اكثر مما علمته من الكلام عليه• والمتأخر قد برهن على المتقدم على وجه ما وسبب ما فأعلم ذلك كله والله يعلمك بمنه وكرمه •

اعلم ان الحرمان اصله الجهل • والجهل يحدث من جملة اشياء وهي: الكسل والملل والغفلة ، وفساد الذهن وقلة الاحتمال ، وسوء الاخلاق وعدم الانقياد ، والركون الى الراحة ، والرجاء في المستقبل والتسويف ، والفرح بالتقليد والنفور من الاجتهاد ، وحب الرئاسة والعمل لها ، ومخالطة المفسد والمجّان • وكسب العرض والانفراد بالمذهب والبحث عن الشيء دون معلم ، واخذ الموافق من الامور الشهوانية وترك المخالفة للنفس الحيوانية من الامور الروحانية ، وان تغلب الشهوات البدنية على الادراكات العقلية ، وخلطة العامة والاميين واهل البدع والاهواء • وبالجملة عدم القبول والاستعداد وسوء البخت في التربية والمعاشرة والمزاج المنحرف والتركيب الخسيس والمنشأ الخلف • جميع ذلك هو المحرك الاول فيه وغير ذلك هو اصل فيه في وقت [١٢٠ أ] دون وقت وفي واحد دون واحد وبالاقل والاكثر ، وبقدر الهمم وفي بعض الناس دون بعض • وانما جمعت انا لك جميع اسبابه القريبة والبعيدة والضرورية وغير الضرورية ، والتي يقال منها بأشتراك الاسم ، والتي لا تقال ، لكي تقف على انواعه وتحيط به ، وتعلمها على التمام ، والله يعلمك • واصل هذه الاصول كلها النفس الحيوانية ، واصل الحيوانية النباتية ، واصل النباتية الجسم واصل الجسم الاعضاء الآلية والمتشابهه الاجزاء ، واصلها

---

١ ـ ربما كان ذلك مما يفسر طريقة ابن سبعين الغامضة في عرضه لارائه الخاصة ، اذ ان المقرب يعمد الى رمز افكاره وعدم افشائها الا الى الخاصة والمقربين .

المولدات ، واصل المولدات الامهات ، وأصل الامهات المـادة والصورة ، وأصل المادة والصورة الهيولى الاولى ، وأصل الهيولـى الاولى النفس الكلية ــ في مذهب ما ، وأصل الكلية العقل الكلي ، وأصل العقل الكلي كلمة الحق ، وكلمة الحق قصد الملك الحق • والحق هو اصل كـل شيء وبدّه وصورته وذاته وكله وبعضه من جهة ما يجب له وعلى ما يجب وكما يجب له • فالجهل فعل الله تعالى في العبـد لا عـلى مـا يرضاه ولا بأول قصد ، اعني بالاول هذا المقصود بالكمال ، فان البعـد عـن الحق ضد الكمال ، وهو الحرمان الاعظم ولا تظن بالشر انـه لم يأخذ مـن الابداع الاول شيئا ولا ظهر منه فتغلط غلط بعض القدماء الجهال • ولا تجعله مع الخير في صدور واحد ، لئلا يقطعك حد المبدأ الذي يلي الحق الذي يطلب الواحد في الابداع ولا يتمكن الشفع فيه وهو الذي يطلب الفصل القريب• وهو الصادر الاول عن الكلمة ، وهو الـذي يطلب بطبعه انيـة الكلمـة والتجوهر بها ، الا انه منفصل عنها • ولكن نجعلـه متقدما لكونه يعلـم الحق والحق هو الخير المحض والخير المعقول عـن الكلمـة وبالصلمة وفي الكلمة ، وهو متقدم على ما سواه بالطبع • لان الشر ليس بشيء ولا لـه هناك وجود لان اعظم الشر الجهل بالله وانكاره والبعد منه وهذا باطـل لانه لا موجود واجب الا الله • ولا موجود بعيد عنه بوجه ولا يتمكن له ذلك ولا يجهاه شاهد الموجودات وان جهله عقل الشرير يشهد عليه مـن حيث شهد له لانه اذا انكر ، انكره به • فهو المنكر في المنكر ، فلا انكار اذ الانكار اقرار من هذه الجهة • فالخير والشر واحـد في العلم والارادة وفي التعلق معا غير ان الخير المنفعل ينتهي الى حيث ينتهي به علمه فهو في حق والى حق • والشر ينفصل ولا وجود له في الحقيقة ولا يتجوهر بمقام من المقامات السنية ومصدره من مصدر الخير بضرورة الاتفاق في المبـدأ الاولي وان كان غير متجوهر في جهة ما فهو متجوهر في اخرى • وبالجملة يتفق مع الخير [١٢٠ ب] في الصدور الاول ويختلف معـه في الغاية ولمـا

كان الخير الاول اصلا في كل موجود ممكن وجب تقدمه لان طبيعة النظام الاول مستقيمة ومعتدلة ومكملة • واولا ذلك لم تمشي امور العالم واحكامه ووصفه بنحو الصواب ، ولا الشر كان يعقل منه انه ضد الخير ولا كان يظهر له طبيعة يتميز بها عن غيره • فصح بالبرهان ان الخير يتقدم على الشر وهو يلحق ولا يتأخر والشر يلحق ويتأخر ولا يتقدم • اعني يلحق بالعرض ولا يتقدم بالزمان ولا بالمرتبة ولا بالمكان ويتأخر بجميع ذلك كله وهو اثر ثان ومتأخر لا وجود له في الكمال بوجه فهو متأخر تأخر نقص لا تأخر تعلق فاعلم ذلك فنرجع للجهل ولاصل الجهل وللحرمان الذي اثمره الجهل وللعرض الذي من اجله وقع البحث والعرض الذي تقدم الكلام عليه وللنفس التي هي المقصودة بذلك كله وللتصوف الذي يطلب علم جميع ذلك كله به وللحق الذي يطلب لذاته ويطلب كل شيء به بحول الله تعالى فنقول :

الجهل يفقد به الكمال الانساني • وفقد الكمال الانساني هو الحرمان • والعرض المهلك هو الذي يثمر ذلك كله وهو قضية يمنع بطبعها المقصود وتحول بين العابد والمعبود وهي تعلق قديم يتضمن عدم حب الله لغيره والعرض الاول وهو المدبر يثمر ضد الذي اثمره الاول ويمنع بتطبعه ان يدخل في محله غير اهله ويجمع بين الامل والمؤمل ويخلص الناقص المنكوس ويميز الرئيس والمرؤوس ويحقق الحق ويحقر الخلق ويشكر الرازق ويشاهد الخالق وهو العقل وهو الخير المتقدم بالقصد الاول والذي قيل فيه ما قيل قبل هذا • وهو رأس الاسماء ومحرك توبة آدم والذي اسجدت من اجله الملائكة والذي به على تبدله فيه استحق النبوة والذي ردّه الى الجنة بعدما اخرج منها وهو القلم وهو الصف وهو الروح الكلي وهو اللطيفة المخزونة في الانسان المطلق الظاهرة في الانسان المقيد • والنفس هي الموصوفة بذلك كله فأعلمها وهي

الفاعلة والمنفعلة والصاعدة والمنحطة والرافعة والخافضة . والتصوف هو الذي يسمي العرضين ويعرف بهما ويحدهما ويميزهما ويستطيع على قطع احدهما ويعطي الاسباب الـى قطعها ويزيد في كمال الـذي يحتاج منهـا والحق هو المطلوب والذي من اجله يسمى الكمال وبه وكان وله أُريد ومنه صدر واليه يعود وفيه هـو لا في غيره ومنـه يطلب بنفسه لا لغيره ولا تغيره ولا من اجل غيره وبه تعلق الجميع . فالجهـل لا ومـن وبلـى . والحرمان في انا والا واصلهما هو وه وعنه وهو . والعرض اذا وثم ومتى والاخر هلم واعزم واعلم وافهم . والنفس لي وفي ولاجلـي . والتصوف ولا بد والصواب والجواب وعد وقد وشد والحق ه ه ه ه ه د ص ع ب ف. هذا ولا هذا وماذا اذا ماذا ولماذا كماذا .

فهذا وفقك الله ما حضرني من الكلام عـلى النفس بحسب مذهب الصوفية وكلام المقرب عليه . والذي اختاره لهم وحققـه لهم مما عجزوا عنه وغلطوا فيه وتوهموا انه الحق وليس بحق وهو غير تـام لان المقرب [١٢١ أ] يتكلم على كل المذاهب مـن حيث هـي وبصناعتها ويترك فيها الغاية التي هي المقصود الاعظم . والطيب مـن الكلام الآخـر فآخر وان كان كلام الاول عظيم بالاضافة الى كلام اربـاب المذاهب عظيم الفائـدة والمعنى والمفهوم ولكنه يجعله من الكـلام بآخر هـو اجلّ لانه بصناعته وبحثه فيها بما يراه لها ويقرب من التشبه بـه فنبدأ بذكـر الاخـر وهي الحروف المذكورة . اذ والاول قد تـم الكلام عليه وبلـغ فيـه الغاية . فنقول والله الموفق للصواب ويعيننا على الخير بمنه وكرمه .

ان زعم زعيم ان الجسم باطنـه النفس والنفس باطنهـا الـروح . والروح باطنه الكلمة . والكلمة موصوفها الحـق وهي صفة لـه ويزعم ان الجسم يحمل النفس والنفس تحمله والنفس تحمـل العقـل والعقل يحملها . ويزعم ان الكرسي شهادة وملكوت والعرش ملكـوت وجبروت

والكلمة جبروت محض • والمتكلم قدوس صمد حق ويزعم ان الجسماني لا يعلم ولا يمكنـــه العلم ويزعم ان النفس والـروح يطلقان بتواطؤ وان الروح جنس ونوع وان النفس وهي الروح صورتها المقومة هي الصفات الازلية ويزعم ان النفس صورة معظمة في التعلق خارجها مذموم ويزعم ان النفس جوهر مجهول الحال معلوم الكون ويزعم ان النفس تابعة للقضايا ويزعم ان القضايا لازمة لها ويزعم انها هي ويزعم ان ما بعدها من الكمال غير واصل فيها وغير واجب لهـا وغير صحيح ويزعم ان قربهـا انما هـو بتجقيقها لها بها لا عنهـا ولا منهـا ولا اليهـا • ويـزعم ان النفس شرط خامس • ويزعم ان النفس فعـل سابـع • ويزعم ان النفس حكم تاسع • ويزعم ان النفس جنس من حيث هي نوع ونوع من حيث هي فصل وفصل من حيث هي اصل ، واصل من حيث هي كل وكل مـن حيث هـي بعض وبعض من حيث هي لا كل وكل لا اصل واصل من حيث هي فصل وفصل من حيث هي نوع ونوع من حيث هي جنس • وجملة في التصريف وقليلة في الترجيح وكثيرة في ذا وذاك وساكنة اذ هي الاصل في الحركة • يقال له ايها الزعيم عليك بك واليك بغيرك ومنك بـك ولديك وتكون تحيتـك موجهة وفاعلة وصادقة وحاضرة وزائلـة ومائلـة وهادئة وبادية وتتصف بالاضافة وتعلل في الخلافة وتهمل في الهداية وحينئذ تشير عليـك الحقيقة بالسداد المستقبل وتمنع عنك العلاقة وتدعوك اليها في ليلـة خير من الف شهر فاعلم ودع امرك وحمدك ودع قولـك وزعمك فما بعـد الفصل الا الصفة ولا بعد الصفة الا الذات • والذات مستورة بما ذكر ومحجوبة بها ومعلومة لها والعلم بها انها حجب هو العلم بالله فالسلب هـو الاصل في التوحيد والايجاب هو الايجاب الحق واذا صح ان الحق لا يظهر الا بزوال الحجب صح ان معرفة النفس معرفة بالله • واذا بقيت على ما هي عليه لم تعلم الله فصدق القائل : « مـن عرف نفسه عرف ربـه » والقائل : « دع نفسك وتعال » • وهذه الحروف قد ذكرت فاسمع تركيبها القصير للنفس

عاداها وسكن معها والطويل للنفس [١٢١ ب] هاودها وساكنها، والمتوسط دفعها وجذبها ولزفها واسعفها وخلصها • الاول اخرّها والآخر قدمها والظاهر أه بطنها والباطن اظهرها والحكيم سرحها والتشديد قيدها والتعديد ايدها والتحميد امنها والتسبيح وفاها والتكبير قال عنها والذكر خزبها وكل الف لها مفرّق وكل باء لها مخرق وكل هاء عنها ممزقة والجميع نظام عظيم وخطاب علم وهذه الحروف قد ركبت فاسمع الكلام بها • الذوات لا تعد والعدد يأخذ المعدود والهويات محيطة والانيات مميزة والهمة قديمة في الكون والرحمة مخدومة المكون والازل عندي والابد لي والوجوه معدودة ومشروحة والجملة تحمل والمحمول حامل فقدم خرابك اعط جوابك واعد حسابك وبيض كتابك واعلم إن النفس سهلة للعبد في العبد صعبة في الحق بالحق • والنفس هادمة لمقصودها بانية لمفقودها واحدة بالامل كثيرة قبل الاجل حاجة لا تقضى وراغب لا يرضى وقاطع يخبر وخاضع يزجر ومراقب بادراك استعارته ومولـه في صفاتـه فالنفس اذا نظرناها لنا وفينا وجدناها لا منا ولا لنا ووجهنا بنا وجه لا يبصر ووجهنا به وجه لا يهجر فهي اذن نقطة تعود بالتحليل محيطها ودائرة تعود بالتركيب مركزها وكأنها قدرة وعظمة وجلال وعزة وغبطة وفرح وسرور ونعمة وجبرت، جملة خيرات مشتركة، منها ما يقوم بها ومنها ما يقوم به • وهذا عامل لا عاطل وهكذا يلزم ولا محيص عنه فيما يلحق عنها اذا صرف الامر فيها على ما يجب وكما يجب وفيما يجب فتكون بالنفي اثباتا وبالاثبات نفيا وبالكون واقفة وبالاين خاطفة وبالمنى ذاهبة ولا متى ولا اين فيها ولا كون معلل فاعلم • فالنفس مصدر سيال يلقي ويلقى اليه وينفصل بالمرتبة ويتصل بالخطفة ويخرب بالهائمات ويحيا في النائمات ويجهر بفصله حتى يتصف ويخيب بنوعه حتى يخلف ويختلف • فالنفس سلامها جوهرها اذا قبل وحسبها حقها اذا احل ؛ وخيرها منها واليها فاعلم • فالنفس لازمة لا عن علة بالجملة لا بدليل يعدد ولا يدخل فيها الكثير ولا

القليل فاعلم • فالنفس عليها ولها اكثر مما عليها ولا فقير افقــر منها ، ولا غني اغنى منها فاعلم • فالنفس سقم مستصحب وسببــه موضوعه وهــو الجسم وهذا ما وصل اليه [أ ١٢٢] في علم الصوفية مــن كــلام المقرب وكلامهم ، والذي وضع لهم انما هو مما يلزم واختير لهم ، لا فيما ذكروه ودونوه وانما هو بحسب ما شرح لهم على جهة التعليم والتنبيه ، لا مــن جنس ما يعلم من كلامهم فاعلم ذلك • وكذلــك نقــدم الكلام في هــذا الارشاد كله • فاذا تم كلام المقرب ينفتــح لــك المقصود في كــل مذهب وتقيس الكلام بعضه ببعض ويتبين لك الحق ، وتظفر بــه ان شاء اللــه تعالى • انتهى الكلام على النفس بمذهب الصوفية والحمد لله تعالى •

القول على المقرب

اعلم ان المقــرب كــان يتكلــم مــع رجــال الرتب الاربــع فيما تقــدم بالحروف وتركيب الحــروف والكــلام فيهــا بعــد التركيــب وكان يرمز الحقيقة في موضع ويكشفها في آخر ، ويعطيها في بعض المواقع جملية وفي بعضها مفسرة ، ويبينها بصيغة غير صيغــة مذهبه ، واخــرى بصيغة مشتركة ، وثالثة يعطيها بالغد ، ورابعة يعيدها وهو قــد ذكر منها البعض ، وخامسة يأخذ ويعطي • والذي يأخذ هو المقصود والذي يعطي ليس بشيء وهو الآن يتكلم بصناعة السفر في الجبل لا بصناعتها نفسها • ولا يأخذ صناعة السفر في الجبل على التمام بل بقدر ما يحتاج اليه ويتكلم ببعض اصطلاح السفر في كلامهم مع الجبل ويتكلم بكلام الصم وبكــلام اهل النظر ، وكلام التنبيه والتعليم والتقرير لا عــلى التمام ويتكلم بكلام اهل السيمياء لا على التمام • وهذه النفس الذي الكلام عليها ينصها مرة على ما جرت به العادة ، ومرة لا ينصها وينطق بهــا بالمعنــى دون تفصيل وينطق بها مفصلة ويحذفها مرة ويثبتها اخرى ويركبها مــرة حتى يخرجها من حيث هي نفس اعني المعروفة عند الرجال الاربعة • ومــرة يحللها حتى يثبتها نفسيا من حيث هي عند الرجال الاربعة • وكان قبل هذا يتكلم على

مذهب الرجال الاربعة والبحث الفاسد والكلام الجاحد الا للغبي الارعن السيء الفهم الكثير الوهم المشتغل بترهاته المفتـــون بشهواتـــه المنكوس بغفلته وهفواته الجاهل بحاله ومعناه اللاطم خدّه بهمته لا بيمناه المنكـــر على المحققين المقربين المسلم للمتجبرين المذبذبين الساكـــن مـــع عادتـــه • المتحرك عن موطن سعادتـــه الخلف الجلف المنحط الـــى الثـــلاث شعب • السفيه المغروق في بحر الشعب والتعب الهادم كمال انسانيته بهـــا جدهـــا الباني شيطانية حتى ملكته وصار عبدهـــا الخسيس الاماني وان عـــزّ في آجله الشقي العاني في حاضره وآجله الهاجر واجبه القديم الواصل مجازه المحدث المنعدم العديم القاصر عن بلوغ حقيقة ذاته الرافع فايدته [١٢٢ ب] بحركاته وسكناته المتلون بالطبع المتمكن بالعرض المعرّض لسهام الجهـــل كالغرض الحاضر مع من افقده الغائب عن الذي اوجده هادم عزته الزائـــل عنها المبعود عن الحضرة المنحط منها، مفرق المتصل، مجمع المنفصل، راكب هواه، مدبر سواه، آخذ منه هارب عنه واقف مع نفسه يصل يومه بأمسه•

فنبدأ بكلام المقرب كما وعد وزعم قبل هذا فنقول : فائـــدة النفس لم تتحصل ولا تخلصت فيما تقدم على التمام ولا بالذي اعطاه المقرب غير انها علمت بجهة ما وفهمت على وجه ما ووقفت عـــلى حقيقتها بمذهب مـــا وظهر من امرها مقصود الباحث وتبين ان الخير ، في علمها والوقوف عـــلى كنهها غاية المطلوب والمرغوب وان النفس تتنوع وتطلق على انحاء وتختلف وتتفق وخرج البحث عنها جملة فوائد وان بهـــا يتاتا كثير (١) وان واجب الوجود لا يعلم الا اذا علمت وان معرفتهـــا شرط في معرفتهـــا وتبـــين ان النفس محل الاحكام القديمة ومصرفة في الملكوت ومصرفة معه وهي هـــو اذا انحصرت وهـــي غيره اذا اشرحت وان الشهـــادة متأخـــرة عنهـــا وان الجبروت كامن فيها وان المفارقة لا تعقل الا فيها وان الحركة لا تصدر الا

---

١ ــ كذا في أ و ب وربما كان الصحيح يتأتى الكثير .

عنها وتبين ان الخير منها وفيها واليها وان الشر يلزم منها وفيها وعنها وتبين ان الكل حاضر في حضورها وان الخير غائب في مغيبها وان التابع يذهب اذا فقدت وان المتبوع يثبت اذا ذهبت وان الحق راجع عند توجهها والباطل واقع بحديث خلودها والتمني ناجحها واليأس فاضحها والرجاء غالب على امرها ويصلح بالجملة عند وجودها ذاتها والنهاية في حصول هويتها والنعمة في انية انيتها والفضيلة في امنية امنيتها والمحسنة في الهامها فجورها والصراط يقطع موضوعها يجاز والخير في غيرها مجاز ولم يتبين ولا تحصل خروجها من القوة الى الفعل بغرورة العلم وفهم المسئلة ووجود الكمال في زمان الادراك وعلم جوهرها حتى تكون في الوقت علامة بالفعل فعالة بالطبع واحدة في معقول ذلك ويظهر لا على التصريف ونورها ويتمكن الاتصاف بالاحوال السنية والمشاهدة والذوق الالهي في تصور حقيقتها ولا تثبت ماهيتها وبالجملة لم تعلم ولم تعرف فيما تقدم حتى تظهر مزية [١٢٣ أ] المقرب ويعلم ان الظلام بالطبع في مذهب سواه والنور في مذهبه بالذات ويظهر للذي يذكره اظهر من العادة وابين من عالم الشهادة واجل من المفسر واقرب من الميسر • ويظهر ان الشمس الظاهرة للحس تابعة له على المثال وكأنها مجاز في الظهور وفي الاظهار لسواها بالاضافة اليه في مظهره ومظهره مع انّ المثال الحسي لا يجمل ان يصرف في عالم المقرب ولا مخل ولا يعقل ولا يسمح فيه ولا يستطرب ولا يعطي المقصود • وانما حملني على ذلك علمي بفهمك مقصودي وما الذي نريده والله يفهمك ويعينك على الخير بمنه •

اعلم علمك الله العلم النافع الذي لا ند له والحق الذي لا ند له والنعمة التي لا تقدر والخير الذي لا يقلل ولا يكثر والفائدة التي لا تلحق ولا تكتسب والعافية التي لا تحلل ولا تركب والسعادة التي لا اسم لها والرحمة التي اذا نظر الى جزئيها نظر الى كلها لان جميع ما يتكلم فيه

المقرب انما هو على الوجـود والاتصاف والنشأة في الوقت وفي زمـان الاعلام وفي حاله وان الذي يلقيه انما هو بمنزلة الطابع فـي القير والماء في الاناء والمحدب في المقعر وبالجملة عن الذي يخبر المخبر يكون المخبر هو المعنى الذي يعطيه المخبر في زمان الاخبار بحسب فهمه خبـره ويتجوهـر به . ومدلول المسألة يحيط بها ويتصورها في معقول انسانيتـه ويتخذها مقاما من حينه . وهذا ما يتمكن في كل الناس ولا في كل الاوقات ولا في كل الاحوال الا بقرائن واحوال وشروط واختبار وتجارب وعهود وميثاق واستفهام واشياء بعد ذلك نذكرها والله يعين عليها . وبعد ذلك كله للخير اهل وللشر اهل والنفوس السعيدة متفقة في جميع امورها ولا خلاف فيها ولا خلل ولا تنويع في معاملاتها ولا تبديل يلحقها في معناها وفي خبرها عن المقصود ولا خروج لها عنه . ومهمـا جربها المعلم المجـرب زادت فضيلة وتحقق شرفها وظهر نورها وبقدر ما يمتحنها بالتجربـة يقوى اتصافهـا وادبها وفهمها وادراكها وجميع الوظائف التي تفرض عليها الـذ ما عندها من المقصود الذي تطلبه والمعنى الذي تبحث عنه لعلمها باتصال شرطها مع مشروطها ولكونها تترك مرادها لمراده وحضهـا لحضه وامرها لامره فـلا يغير عليه ما يزعم الشرير انه قد تغير ولا تصلح عليه مـا يظهر لهـا انهـا اصلحته . ولا تظن به انه سقط ولا حط ولا انحط وهـذا عندهـا طبيعة ويطلب منها ذلك فطرة ونشأة وهذه هي الرفيعة ودونها التي ترجع بالزجر والوعظ والتعليم والتوبيخ والتعريف ودونها التـي يتكرر عليهـا بحسب سقطاتها ودونها التي تزول عـن الحد الذي جعل لهـا ودونها [١٢٣ ب] التي تفك العهد وتخرج الوجد والقصد ودونها المختلفة المجملة في الظاهر والباطن . ودونها البائسة الشريرة الكافرة ودون الجميع التي لم تتعرض ولا تعلمت ولا فهمت ولا انقادت ولا تهيأت ولا يتمكن ذلك فيها لا طبعـا ولا عرضا في التركيب الحسي والفيض الالهي والذاتي والعرضي واللـه يخلص جميعنا من شباك الحرمان وينظر منا بفضله وهذه النعوت المحمودة

التي ذكرتها وجعلتها شرطا في وجود المقصود وهي المذكورة قبل في رمز المقرب وهي التي ذكرتها لك في ما تقدم او لا تتقدم تقليدا في الله ثم في الشارع ثم في الوارث ثم تطلع في النظر معلومة وواجبة وصادقة ويقينية وحقيقة في الوارث قبل الحق والشرع لانه شرط في الادب مع الحق والنبي بينهما ولا بشيء الا بالوارث • فاذا كان ذلك راجعا اليه فهو الذي يسلم له وينزل عنده ويتذلل له ويحكم وتجعل النعوت له • والمحمول والموضوع والروحاني والجسماني والجملة بين يديه ويكون لها والدا يفاد كما الوالد الهيولاني لها والدا يجاد وحينئذ يتمكن ان تفهم ما يقوله لها وما يريده بها اعني النفوس المسترشدة الصالحة المستقيمة التي يتمكن الخير فيها ومنها ويظهر عليها مع الانسانية • ومن زعم ان معرفة الحق والشارع تحصل علما وحالا دون الوارث فقد غلط وضل وخرج عن المقصود وطلب المحال فالكل بالله والله قد جعل الاسباب • وفي فهم الاسباب تنقطع الاسباب • والجميع بالله والله قد خلق الفضيلة والمراتب وعند فهم الفضيلة والمراتب تذهب الفضيلة والمراتب ولا شيء الا بالله والله قد انعم علينا بالعزة الابدية • وعند فهم العزة يظهر ان العزة وتر وان العزيز واحد فانظر ولا تكسل وابحث ولا تمل واطلب ولا تعجز ولا تكل والحاصل لا يتغير • وقد حصل المطلوب في النظام القديم وقد أخذ كل شيء ما يحتاج اليه وقد كان وقع الحكم بالجميع وقد فرغ منه لكنه لا يجهل الخير ولا ينكر الاثر ولا يدفع الامر ولا يرد الحكم ولا يقبل السكون من احد ولا يضر احد احدا ولا تنفع الحركة ولا يفيد الحرص ولا يغتبط بالصمت في موضع الحاجة للكلام ولا يعلل الخير الا في العلم والعمل ولا يظهر التحقيق الا بالمعرفة والنظر والتخلق والاتصاف والانصاف ولا واجب على المنعم ولا حق على الحق ولا حكم على الحاكم ولا امر على الآمر ولا عجز عند القادر ولا منع عند الكريم • فتأدب يصح لك العلم ألا واجب على المنعم • واعرف يصح لك ان لا حق على الحق

وذق واسلك حيث سلك السادة الكرام ولازم التخلق يصح لك [١٢٤ أ] الا حكم على الحاكم • واشكر يصح لك ان لا امر على الآخر واسأل يصح لك ان لا عجز عند القادر • والح ّ يصح لك ان لا منــع عنــد الكريم في اسرار التوحيد وبث الحكمة تجتمع لــك هــذه الاضداد بحسب العادة وتختلف بخرقها وتظهر هذه المتقابلات متفقة في القول مختلفة في الموضوع وظاهرة في مغيبها وغائبة في حضورها •

فنرجع للادب مع الوارث ولتقديم حقيقة الادب معه وان الادب معه هو الذي يجب اولا وهو الذي يظهر انه يقتنى له ، وواجب ذون الحــق والرسول • وذلك ان اللفظ المجمل هو الذي لا يعقل معناه من لفظه دون ان يرد عليه ما يفسره وكذلك هذا وهذا • امنك الله مــن سجن الشبهــة ومن شطحات الرجال في ضرورة الكلام والتعليم فأن شطحاتهم تطلق على انحاء وفي مواطن نعددها ونبين وجودها في الالهيات فــي السفر الثاني من ارشاد المقرب بحول الله تعالى • فقولي لك الادب معه يتقدم هو بحسب رتبة التعليم في الوجود والعادة والجهل بالله وبالنبي • وذلــك ان الكافر والجاهل لا يعلمان الخير ولا يعرفان طريقه الا باعلام وتنبيه فأول ما ينصر المسترشد المعلم واول ما يسمع من المخاطب له • وحينئذ يصعد عنه ويرحل عنه للمقصود به ويبصره ويراه ويسمع منــه ويخاطبه والمعلم لا يعلمه ولا يتكلم معه الا بما اعطاه وانعم عليه الامـــام المعصوم (ص) • والمعصوم رسول من الله سبحانه الحق وتعالى • والحق هو البدّ وهو الاصل وهو الصورة المقومة لكل اصل وفرع والصورة المتممة لــه وهو العلة الفاعلة وهو الاول لكل اول والفاعل له والآخر عند كل آخر والفاعل له والظاهر عند كل ظاهر والفاعل له • والباطن عند كل باطن والفاعل لــه • وهو هو والهوية لا غير فلا واجب يتقدم عليه ولا مجاز يتمكن الا به فما يعلم على العادة يجهل في خرقها • والعادة وخرق العادة جهــل محض • والمعرفــة

لا تتنوع ولا تتبدل ولا تتلون ولا تزول عن معنى واحد والعارف متوحد وواحد على الاطلاق . والجاهل يتنوع ويختلف ويتكون ويتلون ويتعدد بالضرورة لان الواحد هو المفهوم لكل شيء ولا حقيقة لغيره الا به . والموحد ينظر به الجميع فلا يبصر الا هو وان نظر غيره اخرجه عن مقصوده وعن توحيده . وعند الكلام على الواحد وطبيعة الواحد في الالهيات نذكر ذلك على التمام بحول الله تعالى . وقد ذكرت فيما تقدم ما فيه اقناع في معرفة الواحد فانظره هناك . فان شرعت في التعليم وانت ممن حذقته العلوم وشوقته المعارف لجنسها العالي ومعناها العظيم وذاتها [١٢٤ ب] الواجبة واصلها الثابت . فعظم الحق والشارع والوارث على قدر رتبتهم في الوجود واعط لكل ذي حق حقه ولا تدخل الذوات بعضها على البعض ولا تهمل الواجبات . وكذلك تفعل بالامثل فالامثل وتتمادى على ترتيب التفضيل بحسب الضرورة وما تحتاج اليه حتى يقع الخلاص وتواخي الوارث وتتذكر على سيادته المتقدمة في زمان التذكار تسيّده وتعظمه في ذكر الحقيقة . تواخيه ولا تسمح في سيادته لئلا تهمل الواجب الاعظم الذي لا يترك لغيره حقا ولا معنى يستحقه معه (ص) لانه سيد البشر والدال على الحق . وان كنت جاهلا فافعل الذي امرتك به . فاعلم ان النفس اذا حططتها للارض وخفضتها بالخلق ونزلتها وبذلتها صعدت درجتك وارتفعت . وبقدر ما تنزل النفس تصعد المرتبة فأنزل واطلع وحط واصعد وقد قلت لك مشافهة ما فيه كفاية . وانا نجعل لك في هذا قانونا فافهمه والله يعينك عليه وييسره عليك ويهديه في اقرب زمان اليك ويخلصك من ظلمة جهلك بك ويعرفك بفضيلة ذاتك .

وذلك ان مطلوبنا السعادة . والسعادة تحتاج ان يعلم ماهيتها وفي اي الامور توجد وكيف توجد وبماذا توجد . وما السعيد واحوال السعداء وهل هي واحدة ومعقولها واحد وطريقها واحد او كثيرة او تطلق

باشتراك الاسم او هي رتبة متوهمة بحسب المحل والسعيد وعلى نسبة ما حتى ان سعادة الخليع وجود راحته على التمام • والعابد تمام عبادته والمحارب الظفر والغلبة وبالجملة هل هي معقول اللذة المطلقة • ولكل انسان سعادة خاصة وادراك خاص من السعادة قريب من جهة بعيد من اخرى • او على الاتفاق او توجد بالامتحان او لا سبيل لوجود السعادة بالفعل في هذه الدار وانما يلحق منها هنا شروطها واسبابها التي هي مقومة لها حتى انها اذا فقدت هذه فقدت هي ولم تكن • او هي هنا قليلة لضرورة المادة • وهناك تقع على التمام • وهي هنا بالقوة وهناك بالفعل • او السعادة تتمكن في كل الاحوال وفي كل الاوقات وفي كل عالم ولا خلاف فيها اذا علمت وحصل معلولها وعلم ماهياتها وظهرت علامتها ووجدت مبادئها وغايتها ووقع مقصودها في نفس السعيد حالا وذوقا وصح له الجميع وتوفرت شروطها على ما تطلق بالطبع ان كان على الفعال او على الكلي او على الفصل او على الكلمة او على الانية اللازمة على اللواحق الاولى وعلى ما تطلق بالعرض او على ي سبيل تقال وفي اي معنى من الاسئلة المظنونة [١٢٥ أ] هو هذا السؤال وفي اي هوية توجد وفي اي نقطة من نقط التحقيق تصرف وفي اي خط تخط وفي اي يكسبه انسان ولا تتصوره الاوهام ولا تقف على ماهيته الافهام فأنه من عالم غير عالمهم وطور غير طورهم فخذه بهمة خصصها الله ورحمها وارادها وعلمها• والله يعينك عليها ويلهمك اليها •

فأما الذي نريد ان نعلمك به الآن هو من كلام المقرب • وهو اعجب من ذلك ، فاترك له جميع اقوالك وافعالك ، فانه اجل من ان ينسب واعظم من ان يحسب ، واغرب من كل غريب ، واعلى واجل من كل جليل ، واولى وانفع من الاسباب المشروطة بالعاقبة ، واوفر من النعم الوافرة الوافية ، وهو فوق ذلك كله ، وهو من اسرار النبوة • فلازم كلامي حتى تعلم ما

اقوله لك ويصح عندك الحق وتكون بحول الله مـن اهلـه. والله يسهل عليك وينقلك بفضله • وقـد عرفتك غير مـا مـرة ان السعادة في ضد التحقيق بالطبع ومحمولا عليه حملا ذاتيا وطبيعيا وحاكما على كل مسترشد بطبعه حتى يصبغه للحين والوقت فلا تظن غير ذلك ولا تقبله من احد ولا ترضى به الا في البداية وفي بعض السلوك • هذا ان فقدت المحقق المرشد والمقرب السيد الارشد • اما وجوده اذا ظفرت فيه ، فلا تلتفت الى سواه ولا تنظر اليه ولا تعزم على مخاطبته ولا تعول عليه فانه لا يترك لغيره للكمال امكانا ولا يبقى معه لا حد عند احد مكانا • وقد وجب لـه ذلك من صفة نفس مقامه وحاله • وقد صح له الجميع على اتم ما يجب ولـه في حياته وترحاله • فان رأيت غيره يتكلم في مسألة ويزعم انـه على التمام من عالم من غير ان يلجأ فيها الى المقرب ؛ فاعلم بأنـه رجل لا يشك في جهله ، ولا خير في فعله وقوله ولا فائدة تعقل عنده بوجه ، ولا يظفر بهـا ولا حقيقة تحصل من عنده ولا تحمل الى ربها • ودليل ذلك لان الكـل لا كلام لهم الا موجه او معلل او منقول عن معناه الى وجه اجل او سبب الـى مقصود هو اكمل او مشوق او مجهول العاقبة او كثير الاحتمالات او مقسوم او مستور • وبالجملة ما منهم من يتكلم الا بالعالم الاولي وان اخذ من غيره فلا يكون الا على انه المراد والفضيلة التـي يشار اليهـا وكأنه المقصود والكمال الاول هو الشارح له والدال عليه والذي به يمكن الوصول اليه وهذا يجعل العوالم المذكورة والمعظمة والمحقرة التي هـي عند الغير غاية والتي هي ليست بغاية هباء منبثا ومعنى لا حقيقة له ولفظا لا حاصل معه • والقائل له ليس القائل وهو شيء لا يجلى [١٢٤ ب] منه بطائـل ويخرج عن مقتضاها وعن مقصودها ويصل بغير الذي وصلوا الى معبودها • ولا تظن ان خروجه عنهم وتعليله تلك العوالم وذمها والخروج عنها هو الـذي يفهم من معنى الصوفية (١) • ولذلك صارت القوة الخياليـة تلعب بهـم

١ ـ ابتداء من هنا تنقص النسخة ١ صفحة كاملة .

تارة والوهمية اخرى والنزوعية النطقية والنزوعية البهيمية • وتارة يصلوا المعنى المقصود المطلوب لكنه يأتيهم بأخرى فيجد بعض القوى المذكورة فيقع الالتذاذ فيها لا في محله فتكون العبارة من تلك النسبة وعلى تلك الهيئة • وفي هذا المعنى يقول سقراط « الصور مفتنة فارعوها بالاضراب عنها في زمان الاتصال » • وقد غلط اكثر الواصلين في هذه الغواشي التي تصيبهم عند مشاهدتهم في حضرة الفردوس واطلاع نور الحق عليهم وفي الانوار المغلطة وان كانت نعمة كبيرة فهي ناقصة بالاضافة الى غيرها • وفي الالهيات نبينها ان شاء الله تعالى ونذكر ماهيتها وكيف تظهر وكيف تكون ونشرح سرها ومعناها ونخرجها لك من الكتاب والسنة ونعرفك بكيفية حصولها وحلولها واين تظهر وفيمن تقوى وتضعف وهل فوقها قبل الحق او هل هي عاملة ولازمة وهل وجودها يجب عند الادراك وكيف الخلاص منها وما الصور الكاذبة والصادقة ومنها • وعلى اي شيء يعوّل السعيد منها وهل هي خادمة او مخدومة وما الحاجة اليها وهذا الذي نقسم لك وان دخل على كلام غيره فأحفظه واعلم ان هكذا يبدد المقرب كلامه وهو اسهل الرموز من جهة واصعبها من اخرى • وهو رمز صناعي وتقسيمي للنفوس والسعادة والبحث عنها والسعداء والصور ودخول الكلام بعضه على بعض لا تنكره وانظر فيه ودبره وركب معانيه واضف بعضه الى البعض ولا تصرفه الى غير الذي اريد به فتظلم نفسك من حيث تظلمني ولا ظلم اليوم فافهم والذي حملني على رمز المقصود واجب يلحق التحقيق واصل ثابت في اصل التحقيق وكأنه من المبادىء لان علم الحق يطلب يخلص السعيد ويمشي بالجملة على كل الاحوال نحو الصواب وبث الحكمة للشرير تعود شرا فيصير الحق باطلا والله قد قضى بهذا في ازله على عباده ولا تبديل لخلق الله تعالى • وهذا قد ظهر على انبيائه قولا وفعلا وحالاً وهم الاسوة فسلم •

وقد بينت في كلام [١٢٦ أ] الفيلسوف والصوفي المعنى الذي

يحسبه الغير في زماننا انه من الامور المظنونة • والـذي يرمزه الغزالـي وغيره هو ذاك بعينه واسمه • فلا تظن ان الذي بينته لك في الكلام المقدم على الرجال الاربع انها الغاية والكمال في نوعـه وجنسه وجميع ما تكلم الناس فيه قد جمعته لك واعطيته وحررته وجعلت فيـه ومعه ومنه وعنده وبه وبينه وعليه من كلام المقرب مـا لا يحيط بوصفـه لسان ولا يستطيع تحصيله قلت ما قلت وثبت ما ثبت والمـراد العزق وانفصال المقرب مـن الجميع وان الصوفية وان عظم امرهم وبلغوا من التحقيق والتدقيق الى حد يعجز سواهم عنه والى رتبة هي التالية لمقام المقرب فما هم في شيء منه ولا لهم منه نسبة الا في المبدأ والمقصود المجهود عندهم والمعلوم عنده والمجمل عند الابرار منهم والمفسر عند المقربين من جنسه وهذا كلـه مثال من عالم ما هو المقصود وبعبارة ما هي المراد ولا يوجد فيها ابـدا والغرورة حملت على هذا ولازم يلزم المعلم الا على متى خاطب المتعلم القاصر النازل المنحط ولو انفرد المقرب واستقل لم يصح لاحد مراد ولا كان له معنى ولا حصل على شيء فهو يتكلم بالغير في الغير وبالواحد في الواحد وبالكل على الكل وفي الوجود على الوجود وعلى ضده وبالضد علـى اوله • وبالحال عـلى الجملة وبالحق على مثاله وعلى الاطلاق ما لا يحصر ولا يعقل ولا ينضبط الا في ثلاث مواطن : في القصد والعهد والارشاد • ولا يعاشر الا في خمس مواطن في الاضافة والمعروف والنصيحة والاحكام الشرعيـة والاستعانة به • ولا ينتفع به الا في شيء واحد وهي الخطفة الاولية ان احكمها كمالا وان اهملها رسما ويخصصها علما فهو البلاء الاعظم • والله يبصرنا بمنـه ويرشدنا بكرمه وقد عرف ما هو بسبيله وقد وقف على المقصود من نسبته الى غيره وقد وقع البيان في ذلك وقد صح ان المعنى الـذي يشير اليـه المقرب وينطق به ويفيده كيف ما كان لم يسمع ولم يبصر ولا خطر عـلى قلب البشر الخواص الذين كشف لهم الغطاء حتى رأوا مـا لا عين رأت وسمعوا ما لا اذن سمعت وخطر على قلوبهم ما لم يخطر عـلى قلب بشر

غيرهم وانه بالجملة خير لا كنه له ونعمة لا وصف يعلم لهـا ولا امكـان يقدر [١٢٦ ب] في الاحاطة بها ولا هي مدلول واحد ولا متعلق واحد ولا معنى يشار اليه بانسان ولا ملك ولا يخبر عنه الا قديم ولا يستطيع عـلى بثه منسوب الى غيره عـدم (١) لانـه غير لاحـق بشيء ولا متقدم على شيء ولا متأخر عنه ولا ظاهر فيه ولا باطن عنده ولا موجه الى جملة ولا معلل بمهلة ولا محمول على خلاف ولا مردود الى ائتلاف ولا صادر عـن قصد في امله وماله • ولا باين لضده في ولهه وحاله • وهذا كله في درجته المنسوبة لليمين والمضافة الـى حذف الاضافة وتـرك ترك التمكين واما اذا قطع الكائنات بالسلب والبينات بالسبب وبقـي سطح الاضافـة لا يمين له ولا يراه كلي فتنسب اليه ولا يقنع بقطعه منه ومن مضافه الكلي ومن بده اذا اقام النقطة كالجزء من الخط المشار الى يديه والجنة الاصلية الوجود المفيدة الموجود لا مثل البدر الذي يتقدم على وجود الذى يـرد عليه ويحيله اليه فلا تسمية ولا تهيئة ولا كيله ولا تسأل عنه لا ولا تقرب منه ولا ولا ولا لان اليّ ولتّت ولا كلت وهو ذلت وانـا جلت وما خلت ومنا فلت واين زلت وكيف سلت وهل ملت ومن قلت ولم علت واي ذلت وكم شلت • فاذا حيل بينك وبين هذه المطالب فأي شيء تطلب وبما تبحث وفيماذا تسأل واعلم ان هذه المباحث هي المخلـة المرذلـة بالباحث المعددة المهملة المبددة المحددة الممرضة المريضة المضلة رزقنا اللـه قطعها وبالهمـة والاعتقاد دفعها وعلمنا بغير مطلب صناعي • جنسه معروف وغلطه مخلوف وفهمنا الحق الذي اذا تصوره السعيد بلغ الى آخر اولـه غايته والى اول اخره والى ظاهر ظاهره باطنه والى باطن باطنه ظاهـره حتـى يبصر المبصر الذي اذا لم يظهر متعلقه كنزه فيه ولـه وعنده واليـه واذا اظهره حرفه به

---

١ ـ أ و ب عديم والتصحيح من هامش ب .

ومعه واليه وعنه وفي يديه • واذا تكلم اوجـد الخلاف والغير والمثل واذا قصد ابرز الممكن واذا نظر الى ذاته يحيط بالجميع احاطة غير عدوية وغير زمانية وغير مكانية وغير جرمية وبالجملة لا هيولانية ولا روحانية محمولة وانما احاطته واحدة ذاتية خبرها ذات مخبرها ومخبرها على مـا يجب لها وتعلقها مقوم لذات متعلقها وحالها معه حال الكلي المعقول مـع اشخاصه من غير تبعيض ذهني او حسي وكأنه هو المادة لهـا في الوجود [١٢٧ أ] من غير ان يتخيل اليه ولا تحمل عليه ولا تقدر فيه لا مجملة ولا مفسرة ولا يطمع فيها ولا يخبر عنها بتشيء من ذلك فيقال معسرة او ميسرة ولا يخبر كسر نسبتها ولا يعقل ولا يطلق مقيدهـا ولا طليقهـا يعقـل ولا يخصص مهملها ولا يبدي مجملها ولا يرد رجوع المقصود منها بالقصد الاول الـى غير افادته ولا يصرف المبعود عنها بالقصد الثاني عن ارادته •

هنا بلغ الاملاء في بد العارف وعقيدة المقرب الكاشف طريق السالك المتبتل العاكف • والحمد لله واهب العقل ومنتج الفرع من الاصل • وكان التمام من الكتاب المذكور والمجموع الجامع المشهور يوم الاحد الرابـع عشر في شهر رجب المعظم سنة تسعة وسبعين وستمائة • (١)

---

١ ــ بعد ذلك اشارة يفهم منها ان النسختين أ و ب قد نقلتا عن نسخـة ثالثة . كما ان النسخة ب تنتهي باشارة الى اسناد ابن سبعين . الا ان هذا الاسناد لا يلقي أي ضوء على أساتذة ابن سبعين . والمقصود منه على الارجح اثبات صلة ما ، كعادة الصوفية دائما ، بين ابن سبعين والنبي محمد (ص).

فهرس باسماء الاعلام

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

هذا الكتاب

كتاب « بُدّ العارف » المصدر الأهم لفلسفة ابن سبعين ، وهو يطبع لأول مرة بتحقيق علمي عن مخطوطتين .. واحدة في برلين والثانية في اسطنبول .

ولقد أثار هذا الكتاب ، منذ انتشاره ، العديد من ردود الفعل ، فهو يطرح سؤالاً وحيداً ، وهو : كيف يمكن للمتصوف الوصول إلى الحق أو إلى الحقيقة الإلٓهية ؟

وقد اتّبع ابن سبعين في رده على هذا التساؤل طريقة جدلية تقوم في أساسها على نقاش المذاهب السابقة على مذهبه وردّها وإثبات عدم استطاعتها ، بل وعدم قدرتها أصلاً ، في الوصول إلى تحقيق الهدف .